حوارات القاهرة

المثقفون والأزمة العراقية

تأليف:

على سعيد ، على الفاتح

تقديم:

صلاح عيسى

مكتبة مدبولى

حوارات القاهرة

المثقفون والأزمة العراقية

الـكـــــــتـــاب : حوارات القاهرة
المثقفون والأزمة العراقية
التألـــــــيف : على سعيد ، على الفاتح
الطــبـعــــة : الأولى عام ٢٠٠٤
الناشـــــــر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ – فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
الإخــراج والتنفيذ : مكتب النصر للجمع التصويرى
القاهرة – تليفون ٨٧٦٣١٩٩
رقـــم الإيـــداع : ٣٩٧٨ / ٢٠٠٤
الترقــيم الدولـــى : 977-208-468-6

حوارات القاهرة

المثقفون والأزمة العراقية

تأليف

على سـعيد   عـلى الفاتـح

الناشر

مكتبة مدبولى

2004

إهـــــداء

إلـــى سعيد أحمـــد على ومحمد الفـــاتح أبوين مصـــريين بسيطين ينتميان إلى طين هذه الأوطان الغنـــية إلى أقصى حد وهزال هذه الشعوب الفقيرة إلى أبعد مدى .

وإلى روح الراحل العظيم عبد الله إمام رئيس تحرير لا يجيد العنتريات ولا المزايدة الرخيصة .

تقـــــديم

المثقفون العرب بين النكبة والنكسة والكارثة

صلاح عيسى

يضم هذا الكتاب بين دفتيه ، مجموعة من الحوارات ، أجراها الزميلان «على سـعيد» و «علــى الفـاتح» على امتداد فترة سبقت الحملة الأمريكية على العراق بحوالــى شهر ، وتواصلت – بعد سقوط بغداد فى ٩ أبريل ٢٠٠٣ – لعدة شهور تالــية ، دارت كلهـا ، حـول رؤية شخصيات سياسية وفكرية ، مصرية وعربية وعراقية ، تنتمى إلى كل ألوان الطيف السياسى والفكرى ، لمقدمات وتداعيات هذا الحدث المفصلى فى تاريخ الأمة العربية .

ولأن هــذه الحوارات ، قد جرت بينما يتشك ، وبينما جُرحه لا يزال طريًا ، فهى تجمع بين الرؤى والمشاعر ، وبين قراءة الواقع بكل قسوته ، وقراءة الحلم – أو الوهـم – بكل رومانسيته ، وربما – لذلك – تصلح لكى تكون وثيقة مهمة على الطـريقة الـتى قـرأ بها المثقفون العرب ، وقائع تلك الفترة من التاريخ العربى المعاصـر ، الـتى لا يـزال مبكرًا حتى اليوم ، معرفة مدى ما سوف تحدثه من تأثيرات على مستقبل الأمة ..

وكان وراء الفكرة فى إجراء هذه المجموعة من الحوارات – التى نشرت على صـفحات « القاهـرة »– واقعة ذات دلالة ، فقبل أسابيع من بدء الحملة الأمريكية علـى العـراق ، أصـدر فريق من ألمع المثقفين العـرب ، ينتمون إلى عدّة دول عربـية، وعدد كبير من منظمات حقوق الإنسان ، بيانًا نشرته « القاهرة » بعنوان « لا للحـرب .. لا للطغـيان .. هـناك حل إنسانى آخر » ، أدان اتجاه الولايات المـتحدة وبريطانيا لشنّ حرب عدوانية على العراق ، بعيدًا عن الشرعية الدولية ، وبذرائع تخفى فى ثناياها نوازع امبراطورية تسعى للهيمنة على العالم ، وطالب فى الوقت نفسه ، الجامعة العربية بالدعوة إلى مؤتمر للمصالحة الوطنية ، يضم ممثلين

لكـل القـوى السياسـية العراقية فى الداخل والخارج ، بما فى ذلك ممثلين للنظام الحـاكم – آنذاك – فى العراق ، للحوار حول مبادئ دستور عراقى جديد ، تجرى فـى ظلـه انتخابات حرّة / تسفر عن حكومة تمثل الشعب العراقى ، وتسعى لحل سلمى للأزمة ..

وفضـلاً عـن أن الاقتراح ، أثار اعتراض عناصر من المعرضة العراقية ، شـكت فى إمكانية التعاون بين النظام الحاكم آنذاك ، وبين القوى المعارضة ، كما شكت فى أية وعود ديمقراطية يمكن أن يتعهد بها ، فقد أثار كذلك اعتراض فريق مـن المثقفيـن المصريين ، أصدروا بيانًا مضادًا ، خلاصته أن كل دعوى تطالب بإصـلاحات ديمقراطـية فـى العـراق ، فى الوقت الذى تتصاعد فيه التهديدات الأمريكية ، لا يستفيد منها إلاّ الغزاة الأمريكيون ..

وفـيما بعد بدا وكأن هناك تيارين داخل النخبة المثقفة المصرية تجاه الموقف فى العراق :

يرى الأول التضامن بلا قيد ولا شرط مع الشعب العراقى فى رفض التهديدات الأمريكية .. ويضغط فى اتجاه أن تتخذ الدول العربية خطوات لدعم العراق ، وأن تـتعهد الدول العربية بألاّ تتخذ دول العدوان من أراضيها ، قاعدة لغزو العراق أو تهديده .

ويـرى الـثانى أنـه لا يجوز أن نطالب العرب والعالم بالتضامن مع الشعب العـراقى ، مـن دون أن نطلب ذلك – كذلك – من النظام العراقى الذى تسبب – بسياسته الخاطئة منذ مغامرة غزو الكويت – فى إعطاء الذريعة ، للولايات المتحدة وحلفائها ، للتحرش به ، وأن من مصلحة الشعب العراقى ، ومصلحة النظام نفسه ، أن يسعى لحشد كل القوى السياسية العراقية فى شراع مقاومة العدوان المتوقع ، من خـلال مصالحة وطنية توحد الجسد العراقى الممزق ، بين دولة كردية مستقلة فى الشـمال ، وشبه دولة شيعية فى الجنوب ، ومعارضة تتوزع على خريطة العالم ، مصـالحة تؤسـس جـبهة وطنـية تطلق سراح المعتقلين السياسيين ، وتضع من الضمانات ما يكفل عودة المهاجرين ، وتتخذ من الإجراءات ما ينهى كل الأوضاع

الاســتثنائية ، ليشارك الجميع فى صياغة برنامج وطنى ديمقراطى لمواجهة الغزو وحفاظًا على استقلال العراق ..

وهكــذا انقســمت النخبة المثقفة ، المصرية والعربية إلى معسكرين ، ينطلق الأول من المقولة التقليدية ، التى تقول إن التناقض الرئيسى مع الامبريالية ، يجبُّ كــل تناقض ثانوى مع النظم الاستبدادية ، ويرى الثانى أنه لا مفر من الربط بين التــناقض الرئيســى والتــناقض الــثانوى ، وأنــه لا محل للفصل بين الاستقلال والديمقراطية ، وبين التصدى للغزاة والطغاة ، وأن معارك التحرير من الاستعمار ، أو التصــدى له ، لابد وأن تجمع بين الشعارات الوطنية والشعارات الديمقراطية ، وبين الاستقلال والحرية ..!

وكان رصد هذا التباين فى آراء النخبة المثقفة هو الذى دفعنا فى « القاهرة » للتخطــيط لإجــراء هذه المجموعة من الحوارات ، مع رموز تمثل معظم تيارات الفكــر السياسى العربى ، من القوميين والناصريين ، إلى الماركسيين والإسلاميين والليبراليين ..

ولأن هــذه الحــوارات قــد أجريت والحدث يتطور ، فقد جمعت بين التحليل الفكرى للظاهرة وبين التحليل السياسى للوقائع المتغيرة ، ولم تخل – بالطبع – من التأثر بالمناخ العام الذى كان سائدًا ، والذى كان يتفجر بحماس تغلب عليه الرطانة القومــية ، التى اتخذت من شعارات المقاومة التى أطلقها الرئيس العراقى «صدام حسين» ووزير إعلامه «محمد سعيد الصحاف» ، وقودًا لها ، وصدقتها بلا تحفظ ، واندفعــت وراءها بلا تروٍّ ، من دون أية محاولة لقراءة الواقع ، قراءة عقلانية ، تنــتهى بصــياغة موقف ، كان يمكن حشد الجماهير حوله ، يضغط فى سبيل حلّ يجنِّب العراق والأمة العربية الكارثة الوشيكة .

وكان وراء ذلك سلسلة من الإحباطات القومية ، لم تكن أولها هزيمة ١٩٦٧ ، ولــم تكن آخرها اتفاقيات أوسلو ، وسلسلة من الأخطاء لم يكن أولها الحرب غير المــبررة التى شنها النظام العراقى ضد إيران ، ولم يكن آخرها ، مغامرته الحمقاء بغــزو الكويــت ، دفعــت الشــعوب العربــية لانتظار المخلِّص الذى يأتى فيهزم

الأمريكيين والإسرائيليين ، ويحرر فلسطين ويسترد لواء الاسكندرونة السلب ، ويقيم دولة عربية موحدة من الخليج إلى المحيط ..

وكان الارتفاع المستمر والمتصاعد فى نغمة الخطاب القومى الحماسى ، هو الذى وجه مشاعر الشعوب العربية ، نحو الذين تسببوا فى الكارثة ، وحال بينها وبين الاستماع إلى تحذيرات « زرقاء اليمامة » ، كما حدث قبل ٣٦ عامًا ، وكانت النتيجة هى نفسها : احتل الأمريكيون العراق عام ٢٠٠٣ . كما احتل الإسرائيليون سيناء والجولان وما تبقى من فلسطين عام ١٩٦٧ ..

وفى الحالتين .. كان السبب هو ذلك المزاج العربى ، الذى ينحو إلى خديعة النفس ، وكان ذلك هو ما أدركته بأسى ، حيث انتهى الأمر إلى ما انتهت إليه ..

وكنت قد أمضيت الشهور التى سبقت الحرب على العراق ، والأسابيع التى جرت فيها وقائعها ، والتى تلتها ، أفعل ما فعله كل العرب ، وربما أقسام عريضة أخرى من غير العرب ، أتابع بقلق على شاشة التليفزيون ، وفى محطات الإذاعة ، وعلى صفحات الصحف فصول ذلك الذى أدركت منذ البداية ، أنه سيكون مشهدًا مأساويًا آخر ، من المآسى التى شهدها جيلنا متفائلاً أحيانًا ، ومتشائمًا فى أحيان أخرى ، وقلقًا فى كل الأحيان ..

فى فترات الراحة بين نشرات الأخبار ، وبرامج التحليلات السياسية ، ودردشات المعلقين العسكريين ، التى لم يصدق منها شىء ، عدت إلى ما فى مكتبتى من كتب عن تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبالذات فى أعقاب ثورة ١٩٥٨ ، بما فى ذلك تاريخ حزب البعث العربى الاشتراكى منذ تأسيسه ، أقرأها من جديد ، وكأننى أستعيد سيرة حياة كنت أدرك أنها على وشك أن تنتهى ، وهى كتب كنت قد جمعتها وقرأت معظمها على مدى العمر ، تتفاوت من حيث القيمة ، فبينها دراسات عميقة وجادة ، وبينها نشرات دعاية سياسية ، لا تخلو من فجاجة كنت أنظر إليها باستخفاف ، لكنها الآن أصبحت وثائق تاريخية ، ربما يندر وجودها لدى كثيرين .

أمّا المهم فهو أن إعادة قراءة كل هذه الكتب دفعة واحدة ، وبعد مرور كل هذه السنوات ، وفي ظل الظروف التي أحاطت بالحرب على العراق ، أتاحت لي الفرصة ، لكي أقرأ المشهد العربي في مسيرته الحديثة والمعاصرة ، وربما القادمة، بشكل مختلف ، لعله لم يتبلور بعد ، ولكنها على أي الأحوال بدت لي ضرورية ، لاستيعاب حقائق، تتطلب – كما يقول نجيب محفوظ – عمر من التعب لاستيعابها . ولا أعرف ما الذي قادني فجأة ، ومن دون تفكير ، لكي أنتقل من الكتب التي تؤرخ للعراق الحديث والمعاصر ، إلى تلك التي تؤرخ لهزيمة يونية ١٩٦٧ ، لعلّي أردت أن أحصّن نفسي ضد الأحزان التي كنت أثق أنها قادمة ، وأن أستفيد من تجربتي مع هزيمة ١٩٦٧ ، التي ألقت بأشواق جيلنا من ذُرَى الجبال إلى جُب الانكسار ، من دون أن نتحصن ضدها بشيء .

في واحد من هذه الكتب – هو كتاب « ١٩٦٧ : الانفجار » الذي كتبه «محمد حسنين هيكل» وجدت هذه الحكاية ، التي لا مفر لكي تفهمها من وضعها في السياق التاريخي الذي وقعت فيه ..

ففي ٢٢ ديسمبر ١٩٦٣ ، وكعادته كل عام – في مناسبة انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد في أعقاب عدوان ١٩٥٦ – ألقى الرئيس «جمال عبد الناصر» خطابًا دعا فيه إلى عقد مؤتمر عربي على مستوى القمة، يحضره الملوك والرؤساء العرب ، لمواجهة محاولة كانت إسرائيل قد شرعت في القيام بها آنذاك ، لتحويل روافد نهر الأردن إلى أراضيها . وكان الوطن العربي آنذاك يمر بمرحلة صراع عنيف ، قسّمه إلى معسكرين ، يضم الأول الدول المحافظة ، كـ«السعودية» ، و «الأردن» ، و«لبنان» ، و«تونس» ، و«المغرب» ويضم الثاني الدول الثورية كـ«مصر» ، و«سوريا» ، و«العراق» ، و«الجزائر» ، و«اليمن» ، ظل يتصاعد حتى لم تعد الحرب بين المعسكرين تقتصر على الإذاعات والصحف ، بل وصلت إلى حرب شبه ساخنة ، وعمليات عسكرية بين «مصر» و«السعودية» بسبب وجود القوات المصرية آنذاك في اليمن .

وعلى الرغم من ذلك ، وربما لأن الجميع كانوا قد تعبوا من الخلاف – فقد استجاب الملوك والرؤساء العرب ، لدعوة «عبد الناصر» وبعد أقل من ثلاثة أسابيع

كانت القمة العربية الأولى تلتئم فى القاهرة للبحث فى عمل عربى مشترك يتصدى للمشــروع الإســرائيلى ، انــتهى إلى قرار بتنفيذ مشروع عربى مضاد ، يقضى بتحويل روافد النهر قبل أن تصل إلى إسرائيل ، ويحتفظ بالمياه لأصحابها ، وعلى هامش الاجتماع، اتخذ الرؤساء والملوك – كالعادة – قرارًا بتنقية الأجواء العربية ، وبوقف الحملات الإعلامية، وبالتفاوض حول الملفات المعقدة فى العلاقات الثنائية .

بعد شهور قليلة من الاجتماع الثانى للقمة العربية، الذى عقد بـــ«الإسكندرية»، فى سبتمبر ١٩٦٤ ، واعتماد المشروع الذى وضعه المهندسون العرب ، لمواجهة المشروع الإسرائيلى ، أصبح مؤكدًا أن العرب عاجزون – كالعادة – عن تنفيذ ، ما اتفق عليه ملوكهم ورؤساؤهم فى قمتين عربيتين ، وتبين بوضوح أن بعضهم كان عازفًا – من الأصل – عن المخاطرة بذلك ، فحكومة الأردن ، كانت تنفق الميزانية التى خصصتها القمة العربية لها لكى تمول منها الجزء الذى يخصها من المشروع، لتسـد بــه العجز فى موازنتها ، وأصرت الحكومة اللبنانية على ألا تسمح للقوات الســورية بدخــول أراضيها ، لكى تؤمِّن الجزء اللبنانى من المشروع العربى ضد غارات الطيران الإسرائيلى ، وتحول بينها وبين تدميره ، وهو ما انتهى إلى توقف اجـتماعات القمــة العربية ، بعد الاجتماع الثالث الذى عقد فى الدار البيضاء فى ســبتمبر عــام ١٩٦٥ ، وإلى توقف المشروع العربى ذاته ، الذى أدركته هزيمة ١٩٦٧ ، فأصبح فى خبر كان .

وكــان مــن بيــن الأسباب التى أدت إلى فشل – ثم توقف – مؤتمرات القمة العربية آنذاك ، اتجاه برز فى كل اجتماعاتها، يرفع شعار «قفزة كبرى إلى الأمام» تبنــته الحكومــة الســورية التى كانت قائمة فى ذلك الحين، بقيادة الفريق «أمين الحــافظ» كــان أصــحابه يذهبون إلى أن المشروع الإسرائيلى لتحويل روافد نهر الأردن، هــو مجــرد عرض لمرض، هو وجود إسرائيل، وأن على القمة العربية، بدلاً من إهدار الجهد فى وضع خطة مضادة للمشروع الإسرائيلى، أن تتجه مباشرة لوضــع خطة عربية لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، تطبيقًا لنظرية اضرب رأس الأفعى وليس ذيلها. ولم يكتف الرئيس «الحافظ» بذلك، بل طالب – أيضًا – بــتعديل معــاهدة الدفاع العربى المشترك، بحيث تنص صراحة على التزام الدول

العربية – فضلاً عن تحرير فلسطين – بتحرير الأجزاء الأخرى المحتلة من الوطن العربى، بانتزاع «عربستان» من الاحتلال الإيرانى، و«لواء الإسكندرونة» من الاحتلال التركى، والجنوب اليمنى الذى كانت بريطانيا لا تزال تحتله.

وكان من رأى الرئيس «عبد الناصر» أن الدعوة لشن حرب عربية ضد «إيران» و«تركيا» و«بريطانيا» فى وقت واحد، هى دعوة للانتحار، وأن الصراع العربى الإسرائيلى – فى ضوء موازين القوى التى كانت قائمة آنذاك – يحتاج إلى مائة سنة لحله، وأن على العرب ألا يهدروا الممكن بحثًا وراء المستحيل، والممكن – آنذاك – هو أن يعملوا – من داخل أراضيهم – لوقف مشروعات إسرائيل لتحويل روافد نهر الأردن !

لكن اعتراضات «عبد الناصر» التى سانده فيها المحافظون العرب لم تُجْد، فقد أصر الوفد السورى على موقفه، وردًا على ضغوطه، ومن باب «سد الذرائع» قررت القمة العربية الثانية تكليف الفريق «على على عامر» – القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية، التى أنشئت بقرار من القمة العربية فى اجتماعها الأول – ببحث مطلب تحرير فلسطين ووضع خطة عسكرية لذلك، على أن تعرض على الاجتماع الثالث للقمة العربية ، الذى تقرر أن يعقد بالدار البيضاء فى سبتمبر ١٩٦٥ !

وفى العام الذى فصل بين القمتين، لم يكف الإعلام السورى عن الدعوة إلى قطع رأس الأفعى، بدلاً من الاكتفاء بقطع ذيلها، فى الوقت الذى كان فيه العرب عاجزين أو عازفين عن مجرد الاقتراب من ذيلها .. وهو ما اعتبره «عبد الناصر» مزايدة ثورية على مواقفه .. وكان ذلك أكثر ما يثيره ويستفزه، فقرر أن يقطع خط الرجعة على من وصفهم بالمتاجرين فأعلن – قبل أسابيع من انعقاد القمة الثالثة – فى خطاب عام، أنه ليس لديه خطة لتحرير فلسطين .. وأن كل من يقول من المسئولين العرب أن لديه مثل هذه الخطة يكذب على الشعب الفلسطينى وعلى الشعوب العربية !

وما كاد الخطاب يذاع، حتى أثار ضجة كبرى فى الوطن العربى، وتوافد على القاهرة عدد من قادة الحركات التحررية والقومية العربية فى ذلك الحين، من

أصـــدقائه والمؤيدين لسياساته، ينقلون إليه إحساسًا شعبيًا قوميًا عامًا بالصدمة مما قاله، ويلحون عليه بألا يكرره، كان من بينهم المرحوم «أحمد الشقيرى» - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك - الذى قال له:

- إن إعلانــك يا سيدى الرئيس بأنه ليس لديك خطة لتحرير فلسطين قد نزل على جماهير الشعب الفلسطينى كما لو كان صاعقة!

وقال عبد الناصر :

- إننى أريدهم أن يعرفوا الحقائق.

وعاد «الشقيرى» يقول:

- إن الجماهـــير تملــك آمالهـــا .. وأما الحقائق فهى ملك زعمائها، بخاصة الزعماء التاريخيين الذين تتعلق بهم هذه الآمال!

وقال «عبد الناصر» :

- لـــيس أنـــا الذى سيحرر فلسطين ولكنها الجماهير .. وقد أردت أن تعرف الحقيقة لتستعد لما هو مطلوب منها.

ولم يتزحزح «الشقيرى» عن موقفه، وقال فى إصرار :

أتوســل إلـــيك يا سيدى الرئيس ألا تكرر هذا التصريح حفاظًا على معنويات الأمة!

وكف «عبد الناصر» عن تكرار التصريح، وقبل برحابة صدر مناقشة الخطة الـــتى وضعها الفريق «على على عامر» لا لتحرير فلسطين ولكن لمجرد البدء فى إنشـــاء عـــدة فرق عسكرية لا مفر من إنشائها أولاً قبل وضع أية خطة، مع تقدير للتكاليف المالية لإنشاء هذه الفرق .. جرى توزيعها على الدول الأعضاء، ومع أن القمـــة قـــد اعتمدت المشروع إلا أن واحدة من الدول العربية لم تدفع نصيبها من نفقات إنشاء هذه الفرق .

وبعد شهور قليلة من انتهاء مؤتمر القمة الثالث والأخير، التقى «عبد الناصر» بالرئـــيس اليوغسلافى الراحل «تيتو» فى أحَد مؤتمرات عدم الانحياز، فسأله: هل

صحيح أنكم وضعتم خطة لتصفية «إسرائيل»؟ ولما سأله «عبد الناصر» ذاهلاً عن مصـــدر معلوماته، قال له أن رئيس الوزراء الإسرائيلى «أشكول» سلم نسخة من المشــروع إلـــى «ناحوم جولدمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، لكى يقنعه بخطـــأ موقفـــه الداعى إلى عقد سلام بين العرب وإسرائيل، وأن «جولدمان» نقل الخبر إليه.

بعـــد ذلك التاريخ بنحو عشرين شهرًا فقط وبسبب العمليات التى كان يقوم بها الفدائـــيون الفلســـطينيون ضد المستوطنات الإسرائيلية ، عبر مرتفعات الجولان ، حشـــدت إســـرائيل قواتها على حدود سوريا، وتصاعد التوتر فى المنطقة، وأعلنت مصـــر التعبـــئة العامة، ودفعت بقواتها نحو سيناء ، وطلبت من الأمين العام للأمم المـــتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية ، التى كانت تقف على الحدود بين البلدين ، ثـــم رأت أن تنتـــهز الفرصة لكى تتخلص من أحد التنازلات التى كانت قد وافقت علـــيها، ثمـــنًا لانسحاب إسرائيل من سيناء التى احتلتها فى حرب ١٩٥٦، فقررت إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية !

فـــى ذروة الأزمـــة عقد «عبد الناصر» مؤتمرًا صحفيًا عالميًا، لم يكرر فيه تصـــريحه بأنـــه لا يملك خطة لتحرير فلسطين، ومع أن الوقت الذى مر منذ ذلك الحيـــن، لم يكن يسمح بوضع هذه الخطة، فقد حذر إسرائيل من أن تبنى حساباتها علـــى أســـاس التوازن العسكرى الذى كان قائمًا فى عام ١٩٥٦، مؤكدًا أن مصر خـــلال الســـنوات العشـــر التى مرت، قد أصبحت شيئًا آخر، وأنها تملك أكبر قوة ضـــاربة ورادعـــة فى الشرق الأوسط وقال بوضوح: لو بدأتنا إسرائيل بالهجوم، فسوف تواجه بحرب شاملة، تنتهى بتدميرها!

وارتفعت معنويات الجماهير الشعبية العربية بين المحيط والخليج إلى الذروة، وســـارت المظاهـــرات فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وفى كل شوارع الأمة العربية تهتف بحياة «عبد الناصر» وأكد المحللون السياسيون والخبراء العسكريون أن تصـــعيد «عبد الناصر» للموقف (وهو الذى كان يؤكد دائمًا أن العرب هم الذين سيختارون الوقت الذى يخوضون فيه الحرب مع إسرائيل) دليل على أنه يعرف أن الوقت قد حان لتحرير فلسطين.

ما لم يكن يعرفه أحد فى ذلك الحين، وأصبح معروفًا اليوم، أن «عبد الناصر» لم يكن يملك – آنذاك– – خطة عسكرية لتحرير فلسطين، ولا حتى خطة لمواجهة الهجوم الإسرائيلى .. بل ولم تكن لديه معرفة حقيقية، بمدى استعداد الجيش المصرى للمواجهة .. وكل ما كان يسعى إليه من هذا التصعيد هو القيام بمناورة لاستثمار الظروف السياسية لكى يسترد التنازلات التى قدمها فى التسوية التى عقدها بعد حرب ١٩٥٦، يأمل أن تخلصه من وجود قوات الطوارئ الدولية من الحدود بين مصر وإسرائيل ومن مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة، فيفحم بذلك الذين يزايدون على ثوريته .

وربما لهذا السبب وافق على الهدنة التى عرضها عليه الأمين العام للأمم المتحدة «يوثانت» أن تمتنع مصر – لمدة أسبوعين – عن تفتيش أية سفينة تمر فى خليج العقبة، للحيلولة دون وصول شحنات من الأسلحة والمواد الاستراتيجية إلى إسرائيل، على أن تمتنع السفن الإسرائيلية التى تمر فى الخليج – خلال هذه الفترة – عن رفع العلم الإسرائيلى لكى لا تستفز القوات المصرية، أما المؤكد فهو أن «عبد الناصر» كان يبنى كل حساباته على أن تنتهى الأزمة – بفضل التوازنات الدولية فى ظل الحرب الباردة – من دون حرب !

لكن الحرب وقعت وانتهت فى اللحظة التى بدأت فيها، وهى حقيقة لم يعرفها الناس إلا حين أعلنت النكسة رسميًا فى اليوم السادس، وآن للجماهير التى ارتفعت روحها المعنوية للسماء، أن تعانى مرارة الحقيقة، التى حاول «عبد الناصر» أن يقولها قبل ذلك بعشرين شهرًا، فأجبرته هذه الجماهير نفسها على ألا يكررها، لأنها أرادت منه أن يخدعها، فلم يفعل فحسب ولكنه خدع نفسه كذلك.

ولأن أحدًا لم يكن يريد الحقيقة، أو يسعى إليها، فقد ساد الاعتقاد بأن أمريكا وبريطانيا تدخلتا فى الحرب لصالح إسرائيل ، وأذيعت بالفعل بيانات عسكرية تحمل هذا الاتهام، الذى ظل معلقًا لأيام بعد إعلان الهزيمة إلى أن أذاعت إسرائيل نص مكالمة هاتفية جرت بين الرئيس «عبد الناصر» والملك «حسين» يطلب فيها «عبد الناصر» من الملك أن يعلن أن هناك طائرات أمريكية شاركت فى الحرب فكف الجميع عن ترديدها ...

وباختفاء أسطورة التدخل البريطانى – الأمريكى فى الحرب لصالح إسرائيل، ســاد الاعتقاد بأن سبب الهزيمة هو «الخيانة» وقال أنصار الرئيس «عبد الناصر» إن بعــض قــادة الجيش بتشجيع من «المشير عامر» قد تواطأوا مع العدو لهزيمة الجــيش بســبب الصــراع الحاد الذى كان ناشبًا بين الطرفين آنذاك، وقال أنصار المشــير «عامــر» إن «عبد الناصر» تعمد أن يزج بالجيش فى معركة لم يكن قد اســتعد لهــا ليقضى على نفوذ «المشير» وينفرد بالسلطة دون مزاحمة من منافسه القــوى والوحــيد .. وقــال فريق ثالث، إن الاتحاد السوفيتى هو الذى تواطأ على هزيمة العرب لكى يضطرهم للاعتماد عليه، والسير فى ركابه وينشر الشيوعية بين صــفوفهم وقاد هؤلاء مظاهرة حطمت زجاج السفارة السوفيتية فى القاهرة وهتفت بسقوط الشيوعيين الخونة !

فــى تفســيره لاســتجابة «عبد الناصر» لإلحاح السيد «أحمد الشقيرى» عليه بــألا يكــرر تصــريحه بأنه لا يملك خطة لتحرير فلسطين، يقول «محمد حسنين هــيكل» إن «عــبد الناصــر» أدرك أن ما قاله «الشقيرى» يحمل بعض الملامح الصحيحة من الحالة العربية كما كانت قائمة فى تلك اللحظة، فالجماهير العربية فى حالــة فــوران شــديد، وهى تنتظر من بطلها أن يحقق المعجزة أما الباقى فهى لا تعتبره من شأنها، ويضيف – فيما يمكن اعتباره تبريرًا لعدول «عبد الناصر» عن قــول الحقــيقة – أن «عــبد الناصر» حين أصبح آسرًا للجماهير، أصبح فى نفس اللحظة أسيرها، وكان عليه ومهما كانت الظروف أن يلبى نداءها.

أمــا الســؤال الذى لم يجب عنه «هيكل» فهو : من هو المسئول عن أن هذه الجماهــير قد أصبحت فى وضع تعتبر معه أن تحقيق آمالها ليس من شأنها، ولكنه من شأن البطل؟!.. وأن كل ما هو مطلوب منها أن تكون فى حالة «فوران» شديد، يتعامى عن كل الحقائق، واثقة مع ذلك من أن «البطل» سوف يحقق لها أحلامها.

من المسئول عن هذا المزاج العربى الذى يرفض مواجهة الحقيقة، وينحو إلى خديعــة النفس، ويعجز عن تحمل المسئولية، ويصنع له «بطلاً» أو «وهمًا» يضع فى عنقه مسئولية القيام بكل شئ؟!

لعلــه ذلــك الــذى خاطبه الشاعر «أحمد عبد المعطى حجازى» فى قصيدته «مرثية العمر الجميل» قائلاً:

من ترى يحمل الآن عبء الهزيمة فينا
المغنى الذى طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه
أم هو الملكُ المدعى أن حلم المغنى تجسد فيه؟
هل خُدعت بملكك حتى حسبتك صاحبى المنتظر
أم خُدعت بأغنيتى...
وانتظرت الذى وعدتك به ثم لم تنتصر
أم خُدعنا معًا بسراب الزمان الجميل؟

وهى بكائية كتبها «حجازى» فى وداع «عبد الناصر» لكنها تصلح – كذلك – لوداع آخرين لم يكن آخرهم «صدام حسين»!

أما السبب، فسوف تجد بعضًا منه على صفحات هذا الكتاب الوثيقة الذى يقدم تــنويعات على الطريقة التى تعاملت بها النخبة العربية المثقفة ، مع نكسة ٢٠٠٣، الــتى لاصلة لها بنكبة ١٩٤٨، ولا علاقة لها بنكسبة ١٩٧٦، ولا تجمعها بكارثة ١٩٩٠ أية قرابة ، وإذا ظهر شئ من ذلك يعتبر لاغيًا .

صلاح عيسى

تعليق على ما حدث وما سوف يحدث

علي سعيد

علي الفاتح

قلت لكم مرارًا
إن الطوابير التى تمرُّ
في استعراض عيد الفطر والجلاء
فتهتف النساء فى النوافذ انبهارًا
لا تصنع انتصارًا
إن المدافع التى تصطف على الحدود ، فى الصحارى
لا تطلق النيرانِ إلاّ حين تستدير للوراء
إن الرصاصة التى ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء
لا تقتل الأعداء
لكنها تقتلنا إذا رفعنا صوتنا جهارا
تقتلنا وتقتل الصغارا !

من قصيدة « تعليق على ما حدث فى مخيم الوحدات »

للشاعر **أمل دنقل**

بسـبب هذه الحوارات التى تضم شخوصًا من مختلف ألوان الطيف السياسى وشـتى المـناحى الفكـرية والمشـارب الأيديولوجية وجدنا نفسينا فجأة مطاردين ومطروديـن من رحمة رئيسى التحرير فضلاً عن عدد لا بأس به من الزملاء إلى حـد – لـيس فقط – التشهير والطعن فى الشرف والسمعة بل وأيضًا الإيقاف عن العمل والمنع من النشر والتوصية بعدم تسليمنا الراتب الشهرى ، ووصل الأمر إلى حـد إبلاغنا رسميًا بتحويلنا إلى التحقيق الذى كان يمكن أن يقود فعليًا – لولا وقفة ديمقراطـية مشـهودة للقطب الناصرى الأبرز ضياء الدين داود – إلى فصلنا من عملـنا بالجـريدة ، وليت المطاردة توقفت عند هذا الحد بل تعدته إلى حد اتهامنا وبقلـب بارد بتهمة لم تخطر لنا على البال ولا على الخاطر وهى العمالة للولايات المـتحدة الأمريكـية . هكذا وفى دفعة واحدة تحوّلنا من مُحَرِّرَيْن شريفينْ بسيطينْ يشـهد لنا القاصى والدانى بالكفاءة والنزاهة إلى مُحَرِّرَيْن عميلينْ ولمن ؟ للولايات

المــتحدة الأمريكية وطبعًا المخابرات المركزية الأمريكية يعنى الــ "C.I.A" حتة واحــدة وليس حتتين ، دفعة واحدة وليس دفعتين وهنا كان طبيعيًا أن يسأل كل منًا نفســه وتتداح فى نفسه هذه الجيشانات التى آثرنا أن تكون هى نفسها مقدمتنا لهذا الكتاب المثير .

هــل أنا خائن ؟ هل أصبحت أمريكيًا من فرط كراهيتى لصدام ولهذه الأنظمة التى دفعنا جميعًا ثمن مساوماتها وتحالفاتها واختلافاتها أو محاولاتها « الفلفصة » من قبضة سادتها السابقين والحاليين ؟

هل أصبحت خائنًا لمبادئى وبلادى وعروبتى دون أن أقبض الثمن بالدولار أو حــتى بالجنيه الذى لا يشاطرنى فى الغرفة ولا فى السرير أو حتى فى المحفظة ، وإن كان يشاطرنى فى الذل والهوان والمرارة ؟

هــل تحولــت فجأة إلى « رامسفيلد » أو « وولفويتز » مصرى ؟ المؤكد أن امــتلاء جــيوب الرجلين والخواء الذى يعانق جيبى من كل اتجاه ليس هو الفارق الوحــيد ذلك أن الفارق الحقيقى بين الجنرال العظيم والمواطن البائس الذى أمثله – عفوًا أحياه رغم أنفى – ليكمن فى طبيعة الكراهية التى يكنها كلانا للنظام العراقى الســابق ولشــخص صدام حسين فأحسب أن كراهيتى للرجل دائمة وكلية ومطلقة باستعارة ألفاظ الفلاسفة المثاليين وهى كراهية لا تماثلها إلاّ كراهيتى لبقية الأنظمة الحاكــة وكــل هــؤلاء الذين يأبون إلاّ أن يظلوا مُطبقين على رقابنا حتى الرمق الأخــير. إنها باختصار كراهية المستعْبَد والمستذَلْ للمسُتعبِد والمذِل ، لصاحب الدم الأزرق أو بالأحــرى مدّعــيه بينما كراهية وولفويتز وأستاذه رامسفيلد – الصديق والحلــيف الســابق لصدام ونظامه – جزئية ومرحلية ومتحولة ، فقد تبدأ بالعناق وتنتهى بالخنجر والسكين ، كراهية السيد النبيل للتابع الذليل الذى يظل مطلوبًا إلى أن ينــتهى دوره فيكون عليه أن يترجل عن فرس السيادة أو أن يموت إذا أبطأ أو تلكــأ أو رفض تسليم عصا المرشالية التى منحها لــه أسياده الامبرياليون ليتسلمها آخــر أكــثر كفاءة ربما أكثر استعدادًا لتقديم التنازلات المطلوبة للدور المطلوب ، وقس على ذلك ما يحدث حاليًا فى علاقة واشنطن بالأنظمة العربية .

نعـــم كراهـــية السادة من المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة لنظام صدام حســـين باستعارة المفردات الفلسفية مرة أخرى كراهية منهجية فيها أخذ وعطاء ، اخـــتلافات وتحالفـــات ، فيها المصالح المتبادلة والصفقات بالمليارات وفيها أيضًا الحصـــار إلـــى حد تجويع الملايين ، فيها الهيام والعشق إلى حد التماهى وخوض الحـــروب بالنيابة والتحرش بدول ذات سيادة بالوكالة . وفيها أيضًا التنكر إلى حد الـــتربص والقتل والإطاحة والإزاحة . أما أنا فكراهيتى لهذه الأنظمة وليس صدام سوى واحدها وهى أعضاؤه انتثرت – مع كامل اعتذارنا لأحد الشعراء البعثيين – كراهية مذهبية لا فكاك منها ولا تحالفات فيها ، ففيها تكون أو نكون – نكون نحن أو تكـــون هـــى – نكون أسيادًا فى بلداننا ومجتمعاتنا الحرة المستقلة أو تكون هذه الأنظمة زبانية لنا فى أوطان استحالت بالفقر والتجويع والإذلال إلى سَقَر أو سجن من جحيم .

إن شـــعار البسطاء أمثالى أصبح اليوم أشد وضوحًا من ذى قبل : دع أمريكا تـــتورط أكـــثر فأكثر وتنزف حتى الموت وتتلوى حتى السقوط ودع هذه الأنظمة الأشـــد قمعًـــا وإذلالاً وإفقارًا لمواطنيها وجماهيرها فى التاريخ كل التاريخ تتهاوى وتدخل معركتها الخاسرة ضد الامبريالية – أمها وأبيها – بدوننا فهذه معركة لا ناقة لـــنا فيها ولا جمل . وكما أجبرتنا هذه الأنظمة على ترك السلاح آلاف السنين ولم تســـمح لـــنا بحملـــه إلاّ فـــى الأوقـــات الاستثنائية التى تجد فيها عروشها مهددة وصـــولجانها يهـــتز فليس علينا سوى أن نلقى السلاح ونرفض حمله فى انهزامية نحســـبها ثورية لا مثيل لها ولا حتى فى موقف البلاشفة من القيصر فى حربه ضد الألمان .

ولا سبيل عندئذ للحديث عن خيانة أو عمالة أو تواطؤ مع الأجنبى المستعمر ، ذلـــك أن الخائـــن الوحـــيد فيـــنا هو من خان آمال وطموحات الأغلبية الساحقة أو بالأحـــرى المســـحوقة من الجماهير . الخائن الوحيد هو من يكنز وأسرته ونخبته وتحالفه الطبقى التكنوبيروقراطى وسادته الامبرياليون ، الراضون عنه أو الناقمون علـــيه ، الملايين والمليارات من الجنيهات والدولارات ويعب – حتى الثمالة – كل

صـــنوف المتع ويترك الملايين من البسطاء والشرفاء نهبًا للفقر والجوع والمرض والتجهـــيل العمـــد . هذا هو الخائن الوحيد حتى لو كان جنرالاً كتفه مثقلة بالنجوم وصـــدره مـــتخم بالنياشين . هذا هو العميل الحقيقى فى رأينا ورأى الملايين التى تـــدرك زيـــف الابتســـامات التى يوزعها هؤلاء الجنرالات فى كل تحركاتهم وهم يثبتون دمعة بين سيفين متقاطعين باستعارة مفردات الشاعر حلمى سالم .

وبمناسبة الحديث عن الخيانة هل من حقنا أن نتجاسر ونتساءل ترى ما الذى دفـــع ١٧ ألـــف مواطـــن مصرى (دققوا فى هذا الرقم المخيف وهو صادر عن إحصاءات رسمية) لأن يغادروا وطنهم متوجهين ليس إلى كندا أو استراليا أو حتى أمـــريكا لكن إلى إسرائيل بالذات ؟ ما الذى يدفع عدة آلاف من هؤلاء لقبول ليس فقط التطبيع بالمصافحة أو حتى بالحوار ولكن – وياللكارثة – التطبيع بالزواج من إســـرائيليات بـــل وقبول التجنس بالجنسية الإسرائيلية وحمل بطاقات هوية الكيان الصـــهيونى الـــذى أثخن آباءهم – ولا زال يثخنهم وإخوتهم – بالجراح ؟ هل هى مجرد الرغبة فى اقتراف هذا الإثم المشين المسمى خيانة الأوطان أم هو البحث عن لقمـــة عيش صارت مستحيلة فى أوطان نامت نواطيرُها عن ثعالبها وقد بشمن وما تفـــنى عناقـــيدُها ؟ وإذا كان لابد من خائن وخيانة فمن له غلبة الفعل ومن له ردة الفعل ؟ باختصار مَنْ الذى خان مَنْ ؟

قلت لكم فى السنة البعيدة
عن خطر الجندى
عن قلبه الأعمى ،
وعن همته القعيدة ،
يحرس من يمنحه راتبه الشهرى
وزيّه الرسمى
ليرهب الخصوم بالجعجعة الجوفاء
والقعقعة الشديدة
لكنه إن يحن الموت

فداء الوطن المقهور والعقيدة

فرًّ من الميدان

باسـم الاسـتعمار دفـع أجدادنا وآباؤنا القسط الأكبر من طعامهم وأرواحهم وطالبتـنا الـبرجوازيات المحليـة بأن ننتظر قليلاً إلى أن يرحل الاسـتعمار فقلنا رويـدًا غـدًا تشـرق شمس الحكم الوطنى وننعم بالاستقلال وبالحرية وفعلاً جاء الاسـتقلال لكـن وا أسـفاه لم يقترن أبدًا بالحرية فظل استقلالاً ناقصًا ، مرتهنًا ، مجدوع الأنف جسدًا بلا روح وظلت الأنظمة عقولاً متوقدة ولكن فى القمع والتنكيل والتجويع فقط .

ولذلـك كـان طبيعـيًا أن يهمس البعض « وطنى لا تحمينى لا أحميك » فى مواجهة مهموسة ثم مصروخة مع شعار « بلادى وإن جارت علىَّ عزيزة » يدفعه إلـى ذلـك التساؤل « إلى متى نظل على عشقنا للأباطرة مهما طغوا وخضوعنا لحكامنا مهما تجبروا ؟ أما آن الأوان لأن نبادلهم قسوة بقسوة ، عنفًا بعنف ؟ أما آن الأوان لكـى نقول سحقًا لأنظمة طالما أذلتنا ، أما آن الأوان لأن نقول فليذهب إلى الجحـيم هذا الاستقلال المزيف الذى تدهسنا عجلاته كل يوم ؟ أما آن الأوان لكى يـنعم طـه ياسين رمضان وعلى الكيماوى بصحبة واجبة ما أمتعها مع ضحاياهم الأكراد والشيعة والسُّنَّة على حد سواء إلى هاديس ؟ » .

لم نقل إذًا إننا مع المستعمر الأجنبى ضد أنظمتنا المسماة وطنية زورًا وبهتانًا فـرغم إيمانـنا الراسـخ بضـياع فوائضنا الوطنية ورساميل وثروات شعوبنا فى الحالتين ، حالة الاستعمار الأجنبى كما فى حالة « الخازوق الوطنى » إلاَّ أننا نثق علـى الـرغم من كل ذلك وانطلاقًا من إيماننا بأن الحرية هى فهم الضرورة فى سـيرورتها بأن الغد ليس كاليوم ولا حتى كالأمس وبأنه « لأن الحال كما هو عليه فلن يبقى الحال كما هو عليه » كما تحدث بريخت وأنه لا يمكن أن يدوم ذلك الزمن التوراتى الذى أغرى بشق هؤلاء الطغاة الكفار – قولاً ومعنى – فتقًا ليس فقط فى جلابيـب فقرائنا بل وأيضًا – وبالأساس – مزقًا وشرخًا ما ينى يتسع فى أرواحنا المحـبة للحـياة كما نثق بأن النتائج المبهرة التى تحققها المقاومة العراقية المظفرة

حالـيًا لـنؤكد أن الحل هو إطلاق الجماهير من إسارها لكى تخوض معركتها ضد أعـداء الوطـن (الشـعب) الطبقيين المحليين قبل الخارجيين ونثق فى الولايات المتحدة الأمريكية سترحل من العراق – فى القريب القريب – مكرهة لا يدفعها إلى ذلـك الخوف من بقايا النظام الدموى لصدام حسين وحزبه فلقد خرج هؤلاء جميعًا نهائـيًّا مـن التاريخ تجرهم لعنات الجماهير إلى هاديس قدر ما يدفعها رعبها من الجماهـير (عقدتها الحقيقية) التى انطلقت من عقالها لتظهر على حقيقتها بركانًا متفجرًا بعد طول أسون وخمود وعملاقًا مرعبًا بعد طول حبس وتدجين .

نـثق بأنـه صار قريبًا منا إلى أقصى حد ذلك الزمن الذى سنصحو فيه وكل إخوتـنا البسـطاء والمحروميـن من المحيط إلى الخليج باسمين راكلين إلى الأبد ومودعين مقولة صلاح عبد الصبور التى صارت نشيدًا صباحيًّا نردده قهرًا وقسرًا مع تحية العلم « يا صاحبى قلبى حزين .. طلع الصباحُ فما ابتسمت ولم يُنر وجهى الصباح » . نثق بأن « غدًا تتأوّه أحشاء النهر وتدمى كى تلفظ أشلاءً عراها القيظ وغشاها ناقوس الموت » فتهاوت .

وعن المقاومة سندهشكم حينما نقول إن أى جيش فى العالم لا يستطيع هزيمة الجـيش الأمريكى فأفضل دبابة فى العالم هى الدبابة الأمريكية وأفضل طائرة فى العـالم هى الطائرة الأمريكية وأفضل قطعة مدفعية هى المدفعية الأمريكية وأفضل صـاروخ هو الصاروخ الأمريكى وأفضل تقنية تكنولوجية تقف وراء كل هذا هى التقنـية الأمريكـية . رغم أن هذه الملحوظة القاسية مؤكدة بالتاريخ إلاّ أن التاريخ أيضًا هو الذى يؤكد نقيضها فكما أنه بات حقيقيًّا أنه لا يوجد جيش فى العالم مهما علت قدراته يستطيع هزيمة الجيش الأمريكى فى معركة جيش ضد جيش فإنه من المؤكـد أيضًا أن أى شعب فى العالم مهما كان فقره وهذال تغذيته يستطيع هزيمة الجيش الأمريكى إذا آمن به قادته وتركوه يخرج من قمقمه .

وبـنظرة بسـيطة على مجمل أداءات الجيش الأمريكى ضد الجيوش الأخرى التى واجهها فى ميادين القتال والحرب التقليدية ستتأكد هذه الحقيقة فالهزيمة الوحيدة التى تكبدها هذا الجيش كانت فى فيتنام حيث معارك الشوارع وحرب العصابات فلم

تكن المواجهة مع الجنرال «جباب» قائد الفيالق بل مع «هوشى منه» محرر الناس ومطلــق طاقــاتهم ضد الأعداء وفى هذا الإطار لم نكن مستعدين قط للرهان على صدام وفيالق القادسية القديمة أو الحديثة فهذه ، الفيــالق كغيرها من الفيالق العربية لا تجيد سوى حماية عرش سيدها وهى كما وصفها أمل دنقل عن حق وهو يصف الفيالق الناصــرية التى نشــهد أنها كانت أقل وطأة على شــعبها « لا تطلق النار إلاّ حيــن تســتدير للــوراء » وليست هذه دعوة لأن يسارع المحررون التافهون ورؤساء التحرير الأغبياء لاتهام أمل دنقل بالعمالة أو الخيانة والتواطؤ مع الأجنبى والتشــكيك فــى الجيوش الوطنية التى نؤكد أنها « لا تطلق النار إلاّ حين تستدير للــوراء » ولــيس أدل على ذلك سوى قدرة بقايا فيالق صدام المندحرة فى حرب الخلــيج الثانية والتى لم تطلق رصاصة « عليها الطلا » فى « أم المخايب » على ســحق انتفاضــة ٩١ الشعبية التى قتلت فيها هذه الفيالق مئات الآلاف من الفقراء والبائســين والمحروميــن حــتى مــن أبسط حقوقهم بقلب بارد ودون أن يرتعش لجنرالاتها وضباطها جفن أو تتحرك لهم سواكن ضمير . كل ذلك بتواطؤ معلن مع الســادة الأمريكييــن الذين شاركوه خشيتهم من انطلاقة الجماهير المفزعة فلم تكن دعوة جورج بوش الأب للثورة على نظام صدام حسين بُعيد هزيمته النكراء سوى دعوة لأن يطيح به واحد من هؤلاء الجنرالات البعثيين فالثورة كما تفهمها الطبقات الــبرجوازية المســيطرة – فى دول المركز الرأسمالى كما فى دول المحيط – هى استبدال قيصر بقيصر ، جنرال بجنرال ، أو بالأحرى استبدال صدام أرعن وخارج عن السيطرة « بصدام » مرن وأقل رعونة .

يا حضرة السلطان
لأننى اقتربت من أسوارك الصماء
لأننى حاولت أن أكشف عن حزنى وعن بلائى
ضُربت بالحذاء
أرغمنى جندك أن آكل من حذائى
يا سيدى .. يا سيدى السلطان
لقد خسرتَ الحرب مرتين

لأن نصف شعبنا ليس له لسان
ما قيمة الشعب الذى ليس له لسان ؟
لأن نصف شعبنا محاصر كالنمل والجرذان
فى داخل الجدران
يا حضرة السلطان
لقد خسرتَ الحرب مرتين
لأنك انفصلت عن قضية الإنسان

من قصيدة « هوامش على دفتر النكسة »
للشاعر **نزار قبانى**

إن الفارق بين « هوشى منه » المنتصر على أعتى قوة امبريالية ليس فقط فى العالم اليوم بل وأيضًا فى التاريخ وبين جمال عبد الناصر المنهزم أو قل بالأحرى المسحوق – بكل ما يعنيه ذلك من انسحاق أرواح آلاف الأبرياء الذين ذهبت دماؤهم هدرًا فى رمال سيناء – تحت سنابك « جيش الدفاع » الصهيونى الذى لا يرقى إلاّ إلى مستوى رأس رمح لهذه القوة الامبريالية نفسها . نقول إن الفارق العظيم بينهما ليكمن فى الهوة الساحقة بين الإيمان بحرية الناس والإيمان بضرورة إزاحتهم وحبسهم ، إنه الفارق بين الإطلاق والتقييد ، بين إطلاق الناس وعدم الخوف منهم فى مواجهتهم الحاسمة مع عدوهم ومغتصب بلادهم والطامع فى خيراتهم وفوائضهم الاجتماعية وبين مَنْ تسيطر عليه فوبيا الجماهير تلك التى لا يجيد إلا استخدامها فزّاعة فى مواجهة الإمبريالية . إنه الفارق بين حزب اشتراكى ثورى يؤمن بالكادحين وبرجوازية قوامها تحالف العسكرتاريا والتكنوبيروقراط تحتكر ليس فقط السلطة بل وأيضًا وبطبيعة الحال الفائض الاجتماعى الذى لم تخطؤه يومًا صفة الضخم وإذا كان طبيعيًا أن ينهزم عبد الناصر العظيم بكل ما له من رصيد فى وجدان شعبه فى مصر وعلى امتداد العالم العربى لاعتماده على جيش لا يجيد سوى الدفاع عن عرش سيده وإصراره على استبعاد الجماهير التى كان ممكنًا أن تكون رأس حربته الحقيقية فى مواجهة

ما أشرسها مع إسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل فسيكون أكثر بداهة وطبيعية أن تنهزم جـــيوش هؤلاء الأباطرة الصغار الذين حذوا حذوه فى الإطاحة بالجماهير من جَلَبة صراعاتهم الوهمية مع الإمبريالية وما أكثر ما سمعنا فيها من جعجعة دون أن نرى أى طحيـــن حـــتى لَيـــبدو أحمـــد ســـعيد الصحاف نسخة مضخمة من أحمد سعيد ولا ســـعادة فـــيهما ولا ســـعادة منهما اللهم إلا ضحك يغرى بالبكاء وبكاء يغرى بالضحك من هول المفارقة بين الواقع والادعاء ما إن نسترجع ذكراهما من الركن القصى من الذاكرة .

لقد راحت البورجوازيات العربية فى مهد أوهامها وأوهامنا ترفع راية التحرر فى وجه سيدها الامبريالى وتخفضها فى الضيق لتبقى حيث أوجدها سيدةً على من هم له ولها مصدرًا للربح أو للســـيادة وتجر وراءها جمـــوع الكادحين من فلاحين وعمّـــال وغيرهم . يدفعونها دفعًا إلى خوض معركة التحرر وهى تأبى مخافة أن ينـــتزعوا الســـلطة إذا ما سارت الأحداث فى خط منطقها وتم لهم أن يقطعوها عن الســـيد الأعلـــى الذى به منحها السيادة فتجهر بالصوت حينما تطلب من السيد حق الشراكة وتخفض الصوت أحيانًا لتقبل بالفتات من الشراكة وتكر مرغمة على ساح العراك بوهن ودهاء من يريد أن يجعل من العراك سوق مساومة يحفظ لها فى ظل سيدها السيادة وتُبعد عن سوقها بالقسر والعنف فى كل حين خطر الجماهير المتوثبة أو حتى إذا تسنى للجماهير المتوثبة أن تقتحم عُنوة ورشة التاريخ كما اقتحمتها فى أحـــداث مصـــر ١٨٨٢ وفى ١٩١٩ وفى عدوان ١٩٥٦ كانت البورجوازية تصر على أن يظل هؤلاء بمثابة المتغير التابع فى معادلة توازناتها مع الاستعمار (مجرد فـــزّاعة) تخـــيف بها الاستعمار وتساومه ، فأتى التاريخ حدثيًا خاليًا من مقتحميه وصـــناعه الحقيقيين الذين تنظر إليهم كدخلاء يعكرون صفاء المساومة ، فبدلاً من أبطال الانتفاضة يظهر عرفات وبدلاً من عبد العاطى صائد الدبابات يظهر السادات وغيرهما من الجنرالات وبدلاً من رجال المقاومة الشعبية فى بورسعيد وخط القنال يـــأتى الحديث عن الجيش وحركة الجيش المظفرة وقائده العملاق الذى رغم أنه لم يخـــرج بـــنا إلا مـــن نكسة إلى نكسة يظهر فى الصور والشاشات عملاقًا وسط جماهير تضاءلت دونه أو ذابت وتماهت فيه .

قلت لكم كثيرًا
إن كان لابدّ لكم من هذه الزَريّة اللعينة
فليسكنوا الخنادق الحصينة
متخذين من مخافر الحدود .. دورًا
لو دخل الواحد منهم هذه المدينة
يدخلها .. حسيرا
يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمينة
لأنه .. لا يستقيم مرح الطفل
وحكمة الأب الرزينة
مع المسدس المدلّى من حزام الخِصْر
فى السوق
وفى مجالس الشورى
قلت لكم
لكنكم ..
لم تسمعوا هذا العبث
ففاضت النار على المخيمات
وفاضت الجثث
وفاضت الخوذات والمدرّعات .

أكدوا انقضاء زمن لا صوت يعلو على صوت المعركة

المثقفون : نعم للديمقراطية لا للحرب ومقاصل التخوين

- **محمـــود أمين العالم** : وقعت على التوصـــيات فالعـــدوان لا يخرص ألســـنة الديمقراطية
- **د. عبد العظيم أنيس** : لا وقت للحديث عن الديمقراطية فى زمن العدوان
- **د. أمينة رشيد** : أرفض لى الحقائق واستنباط تفاسير تخون الآخر
- **عبد الغفار شكر** : المصالحة الوطنية تحرم واشنطن من سلاح المعارضة
- **بهـــى الديـــن حســـن** : بيانهم يحرص على نظام حكم بعينه وتوصياتنا لم تدع لتنحية أحد
- **حافظ أبو سعدة** : يتهموننا بالعمالة ويملأون جيوبهم بدنانير صدام حسين
- **جورج إسحاق** : معذرة.. كنت أتصور أن زمن التخوين قد مضى
- **حجاج نايل** : يدعون المعارضة ويرفعون شعارات الأنظمة الفاشية
- **إلياس فتح الرحمن** : هل الوطنية أن نستمتع بخازوق القهر والتجويع؟!
- **أحمد بهاء شعبان** : أرفض اتهام المفكرين الوطنيين بالخيانة والعمالة

أثـــارت توصيات بيان المثقفين المصريين والعرب ومنظمات المجتمع المدنى الموجهـــة إلى قمة شرم الشيخ الأخيرة ضجة واسعة فى أوساط المثقفين المصريين فبيـنما رحـب بعضـــهم بتأكيد أهمية مقرطة الأنظمة والإسراع بعملية الإصلاح السياســـى سواء فى العراق أو فى باقى الدول العربية بما يكفل تهيئة المناخ لتعبئة حقيقــية للجماهير فى مواجهة العدوان الأمريكى والمخططات الاستعمارية اعتبره الـبعض الآخر بيانا أمريكيا «بلا شبهة» وصدى لمبادرتى الإمارات وكولن باول وزيــر الخارجية الأمريكية الداعيتين لتنحية الرئيس العراقى صدام حسين رغم أن هذه التوصيات لم تشر من قريب أو من بعيد، صراحة أو ضمنا إلى تنحية صدام أو تغــير النظام البعثى بل إنها عمدت إلى التأكيد – فى بندها الأول – علي«الرفض المطلق لكافة المخططات الرامية لشن الحرب على العراق التى تفتح الباب لتمكين الولايات المتحدة من الهيمنة المباشرة على المنطقة» فكان أن قام هؤلاء بتدبيج بيان مضـــاد وصفوا فيه تلك التوصيات بأنها «خلط متعمد للأوراق» بالإشارة إلى أنها «تصـــور الأمـــر وكأن أمريكا تخوض حربها دفاعا عن الديمقراطية فى العراق» وانطلاقا من المقولة الأساسية «لا صوت يعلو على صوت المعركة» اعتبر البيان المضـــاد أن واجـــب المثقفين الأول «وطبعا الأخير» هو «التصدى لتلك الحرب» وطـبعا الوقوف بجوار النظام العراقى بغض النظر عن طبيعته الفاشية كما يطالب البـيان المضاد بعدم الترويج لذرائع تلك الحرب حتى لو أدى ذلك لاستبعاد قضية الديمقراطــية نهائيا رغم محوريتها انطلاقا من مقولة حق أريد بها باطل تقول «إن تغير النظام العراقى هو مهمة الشعب العراقى وهو أمر لا تنجزه صواريخ الاحتلال الأجنــبى والحصار الذى قتل نصف مليون طفل» طبعا بغض النظر عن حقيقة أن غياب الديقراطية هو الذى أدى إلى مثل هذه الكارثة تماما كما سبق أن أودى النهج الديكتاتورى بحياة ملايين العراقين فى حربين لا طائل منهما وليت الأمر توقف عند هذا الحد فقد تجاهل محررو البيان أبجديات الديمقراطية وحرية الاختلاف والاتفاق مســتخدمين مــنطق التخوين حيث نشروا بيانهم على شبكة الإنترنت تحت عنوان «كتاب مصر يردون على العملاء» الذين تصادف أن كان بينهم ويا للغرابة مثقفون لا تشوب وطنيتهم شائبة بوزن محمود أمين العالم وعبد الغفار شكر وسلامة أحمد

سلامة والدكتور جابر عصفور وعبد الرحمن الأبنودى وحسين عبد الرازق ويوسف درويش وأبو العز الحريرى والدكتور رفعت السعيد والسفير حسين أحمد أمين والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح.

وفى مواجهة ما تردد من أن محمود أمين العام قد نفى توقيعه على التوصيات التى شملها بيان المجتمع المدني، اتصلنا بالعالم الذى أكد للقاهرة أنه وقع على التوصيات سالفة الذكر بعد أن علم تليفونيا بمضمونها الذى يرفض العدوان الأمريكى والمخططات الإمبريالية ويطالب فى نفس الوقت بالإسراع بمصالحة وطنية بين مختلف الفصائل السياسية العراقية بما فيها نظام صدام حسين وحزب البعث وصولا إلى تعددية حزبية وعرقية وثقافية تنزع أهم أسلحة للولايات المتحدة فى هجومها المزمع على العراق وهى ورقة المعارضة العراقية على أن يشمل هذا المطلب مختلف الأنظمة العربية انطلاقا من دعوته التى اطلقها فى مؤتمر أدباء الأقاليم بمسرح البالون لكل المثقفين العرب ومنظمات المجتمع المدنى العربية لعقد اجتماع لمناقشة قضية الديمقراطية وصياغة استراتيجية عامة لمقرطة الأنظمة العربية مع مراعاة خصوصية كل دولة على حدة مشددا على أن «مطلب الديمقراطية لا يتعارض مع مواجهة العدوان الأمريكى الذى لا يصح اتخاده حجة تمنعنا من ترديد مطالبنا الديمقراطية التى يرتبط بها مستقبل شعوبنا وجودا وعدما».

وفى مواجهة مقصلة التخوين تساءل العالم «متى يبحث المثقفون العرب عن نقاط اتفاقهم كما يلهثون وراء نقاط الخلاف خصوصا حينما يتعلق الأمر بمصير الأمة ومقدراتها لا بمصير النظم وحدها، وفى بيان البحث الموضوعى عن حقيقة الأزمة المفتعلة كان لزاما علينا ألا نتجاهل وجهة نظر الموقعين على البيان المضاد فها هو الدكتور عبد العظيم أنيس القيادى اليسارى البارز وأحد الموقعين عليه يؤكد للقاهرة أن جوهر بيان القاهرة «الدعوة إلى تنحية صدام حسين ،إن لم يأت ذلك صراحة وهو بالتالى ترديد لمبادرة الإمارات المؤيدة من باقى دول الخليج» معتبرا أن من شأن مثل هذه الكلام «فتح الباب على مصراعيه أمام القوات الأمريكية لدخول بغداد».

وفـــى هذا الإطار يرفع أنيس شعار لا صوت يعلو على صوت المواجهة قائلا « الوقت ليس وقت الكلام عن الديمقراطية والإصلاح السياسى بل التصدى للعدوان الأمريكي» ولما واجهناه بما نص عليه البيان الذى وقع عليه بضرورة إلغاء قانون الطــواريء والمحـــاكم العســكرية وجميع القوانين المقيدة للحريات وكلها مفردات لمفهــوم كبـــير اســـمه الديمقراطـــية رد أنـــيس قائلا «كل هذا كان موجها للنظام المصري» منتقدا طريقة إصدار بيان القاهرة واصفا إياه بالمفاجأة إذ لم تسبقه دعوة لاجــتماع المثقفين لمناقشته قبل إصدار ولم يتصل به أحد وكل من وقعوا معه على بـــيانه الأمـــر الـــذى دفعه – على حد قوله – لإصدار البيان الآخر بنفس الطريقة العجلي.

وقـــبل أن نواجـــه بنفس الاتهام سارع أنيس إلى اتهام مصدرى بيان المجتمع المدنـــى بالتسبب فى انقسام صف المثقفين المصريين «ليبدو وكأنهما فريقان الأول يعـــبر عـــن وجهـــة نظـــر وزارة الثقافة، والثانى يشمل ما يمكن تسميته بالمثقفين المستقلين».

أمـــا الدكـــتورة أميـــنة رشيد إحدى الموقعات على بيان المثقفين المضاد، فقد أشارت إلى أنها وقعت على البيان فور قراءته انطلاقاً من اقتناعها بمحتواه دون أن تـــرى غضاضة فى تعدد إصدار البيانات عن المثقفين ودون أن يعنى ذلك حدوث انقســـام بينهم، فقد يغطى أحدها بعض التفاصيل التى لم ترد فى البيان الآخر الأمر الذى يرسخ مبدأ التعددية فى وجهات النظر والديمقراطية وهو أمر حرى بالمثقفين دون أن يحاول بعضهم لى الحقائق أو استنباط تفاسير غير حقيقية من شأنها تخوين الآخر.

القاهرة حملت كل هذه الاتهامات إلى الموقعين على توصيات المجتمع المدنى إضافة إلى عدد كبير من التساؤلات التى تفرض نفسها فلماذا لم تتم الدعوة إلى عقد اجـــتماع قبل إصدار تلك التوصيات؟ وما هى جدوى التقدم بمطالب ديمقراطية إلى جامعـــة دول تضـــم أنظمـــة ديكـــتاتورية فى مجملها؟ وهل يمكن اعتبار مثل هذه التوصـــيات مقدمة لحملة اجتماعات وبيانات للمثقفين العرب كل فى دولته؟ وما هو

موقفهم من الاتهامات بالعمالة ومقصلة التخوين؟ وهل ثمة وقت مناسب وآخر غير مناسب للحديث عن الديمقراطية؟

فى البداية رفض بهى الدين حسن مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان تسمية التوصيات ببيان القاهرة مشيراً إلى أن دور مركز القاهرة اقتصر على اقتراح الفكرة وكتابة المسودة الأولى التى أسهم فى تنقيحها المثقفون العرب والمصريون ومنظمات المجتمع المدنى العربية حتى وصلت إلى صيغتها الحالية، أما سبب إصدار التوصيات بهذه الطريقة المتعجلة فمرجعه البلبلة التى صاحبت تحديد موعد القمة العربية وصعوبة التكهن بموعدها النهائي، وبالتالى صعوبة عقد اجتماع سريع يجمع المثقفين المصريين والعرب ومنظمات المجتمع المدنى المنتشرة فى مصر وخارجها على هامش قمة شرم الشيخ حسبما كان الاتفاق مع الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسي، فلقد وقف السقف الزمنى المحدود قبيل انعقاد القمة حجر عثرة دون ترتيب مثل هذا الاجتماع فكان أن سارعت بتقديم التوصيات بعد إقرارها من أكثر من ١٣٠ مثقفاً مصرياً وعربياً و٣٦٥ منظمة غير حكومية إلى السفير هشام بدر رئيس مكتب الأمين العام لجامعة الدول العربية الذى وعد بنقلها للقادة العرب فى قمتهم.

وأعرب بهى عن اعتقاده بأن منهج التخوين وإلقاء التهم بين المثقفين «نوع من العجز مرجعه الرغبة فى الهروب من مناقشة القضية الأساسية»، مطالباً محترفى التخوين بالتعامل مع التوصيات بشكل موضوعى باعتبارها حزمة مترابطة فكما طالبت التوصيات بمقرطة الأنظمة وإجراء إصلاح سياسى سريع فى العراق طالبنا أيضاً بوقف الحرب كأحد تجليات خطط الولايات المتحدة للهيمنة على العالم وتنفيذ مخططها الامبراطورى الجديد وطالبنا كذلك بعدم الكيل بمكيالين فيما يتعلق بإسرائيل وأسلحتها النووية.. إن دعوتنا لم تتجاوز سقف الوطنية فقد دعونا الجامعة العربية إلى انتزاع المبادرة باستضافة كل الأطراف والقوى السياسية فى العراق وخارجه بما فى ذلك نظام صدام حسين لتحقيق مصالحة وطنية من شأنها تقوية العراق فى مواجهة الهجمة الأمريكية ونزع أهم أسلحة واشنطن فى معركتها وهى

المعارضة العراقية في الداخل والخارج وليكتسب النظام السياسى العراقى مشروعيته، ويتعدى بهى حدود الدفاع إلى مرحلة الهجوم مشدداً على أن فى توصيات المجتمع المدنى حديثاً أكثر حزماً وتحديداً وموضوعية عن وقف الحرب «بينما يبدو - فيما بين سطور البيان الآخر - الحرص على نظام حكم بعينه»، مشيراً إلى أن مقولة الوقت غير مناسب للحديث عن الديمقراطية «وليدة شعار لا صوت يعلو على صوت المعركة وهو شعار يرفع فى وجه كل من يطالب بحياة آدمية فى العالم العربي.. ناهيك عن حياة ديمقراطية».. مذكراً بمقولة الدكتور نصر حامد أبوزيد فى صحيفة «أخبار الأدب»: «العبد غير مؤهل فعلياً للدفاع عن وطنه».

وفى مواجهة خرافة أن الوقت غير مناسب للحديث عن الديمقراطية شدد مدير مركز القاهرة على أن غياب الديمقراطية وحرية التعبير تسبب فى جعل الشعوب العربية هى الحلقة الأضعف فى اتخاذ القرار وليس أدل على ذلك من أن شعوب الخليج العربى التى ستخرج من أراضيها قوات الغزو لم تستطع أن تقول لا لأنظمتها الديكتاتورية بينما حدث العكس فى بلاد غير عربية يتمتع أهلوها بحرية التعبير ومن ثم القدرة على التأثير فى القرار السياسى لبلدانهم وهو ما حدث بالضبط فى تركيا، حيث أجبرت الجماهير ممثلة فى برلمانها الذى جاء عبر انتخابات نزيهة ـ الحزب الحاكم والحكومة على رفض نشر قوات أمريكية فى الأراضى التركية ومن هنا تتأكد أهمية الحديث عن الديمقراطية فى أى وقت وكل وقت ورفض المنطق الفاشى لا صوت يعلو على صوت المعركة».

ويخلص بهى إلى أن نتيجة سكوتنا الدائم والمزمن عن الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان هى أننا لن نجد شخصاً خارج السجون يعارض المخططات الإمبريالية والصهيونية كما لن نجد وقتاً للحديث عن اعتقال كمال خليل ومئات غيره ممن اعتقلوا لأنهم خرجوا ليقولوا لا للحرب.

ويدافع عبدالغفار شكر المفكر التقدمى الكبير عن التوصيات معرباً عن اعتزازه بها وبتوقيعه عليها نافياً أن يكون البيان قد تحدث عن تغيير نظام عربى

تلبـية للمطالب الأمريكية، فالبيان رفض العدوان على العراق فى الوقت الذى شدد فـيه علـى أهمية الديمقراطية كقضية محورية تسمح للشعوب بأن تكون طرفاً فى تحديـد السياسـات العامة لأوطانها وبذلك تكون أكثر فاعلية فى مواجهة التحديات الخارجية ومن هنا فإن مقاومة الشعب والنظام العراقيين ستكون أكثر فاعلية عندما نقطـع الطريق على الولايات المتحدة، لأن تستثمر المعارضة العراقية فى مساندة العدوان، وبالتالى فإن مبادرة النظام العراقى لعقد مصالحة وطنية واتخاذ الإجراءات اللازمة للتحولات الديمقراطية التى تكفل تعبئة حقيقية لجماهير الشعب العراقى فى مواجهـة العـدوان هى أمر ضرورى وملح ويجب علينا ألا نتغاضى عن أولوية الديمقراطـية لبلادنا العربية مجتمعة لمجرد أن الولايات المتحدة تزعم رغبتها فى تغيـير ومقرطة الأنظمة، فالقوى الوطنية والتقدمية فى كل الأقطار العربية تطرح بـرنامجاً للتحول الديمقراطى منذ سنوات طويلة وتناضل من أجله وتدفع تضحيات جمـة لإصـرارها على مواصلة النضال من أجل هذه التحولات إدراكاً منها أنها المقدمـة الضـرورية لحماية الاستقلال الوطنى وتحقيق العدالة الاجتماعية وإنهاء الفساد . إن الديمقراطية إذن ضرورة وطنية ينبغى ألا نتوقف عن النضال من أجلها خوفاً من أن يقال إنها صدى للمزاعم الأمريكية.

وانطلاقـاً مـن كـل ذلك يناشد شكر المثقفين المصريين ألا ينشغلوا بمعارك مفـتعلة عن القضية الأساسية وألا يسارع أى طرف منهم إلى اتهام الطرف الآخر ذلك أنه «من الممكن أن تراجع الصياغات السابقة للبيانين للخروج بصياغات جديدة تكفل وحدة كل المثقفين والمبدعين فى هذه المعركة الحاسمة».

حافظ أبوسعدة الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان يضع النقاط على الحـروف رداً علـى هـؤلاء الذين نصبوا أنفسهم ملاكاً للحقيقة المطلقة وقصروا الوطنية على مفاهيمهم العرجاء قائلاً «يطيب لكثير من المتثاقفين النظر إلى من لا يـتفق معهـم فى الرأى باعتباره عميلاً لدول أجنبية ورؤى استعمارية وهو اتهام مردود عليهم ذلك أنهم متهمون أيضاً بالعمالة للأنظمة الديكتاتورية وبالحصول على أمـوال صدام حسين وهو ما جاء على لسان وزير الداخلية المصرى حبيب العدلى

وليس على لسان أى مثقف، فغنى عن البيان أننا ضد الحرب، لكن هناك رأياً يقول إن الذى أوصلنا لهذا المنعطف هو الرئيس صدام حسين وليجب لى هؤلاء المتشدقون بالوطنية والذين يملأون محافظهم بدولاراته عن هذه الأسئلة: لماذا دخل صدام الحرب مع إيران ثمانى سنوات راح ضحيتها مليون مواطن من الجانبين، علماً بأن إيران أغلقت فور حدوث الثورة السفارة الإسرائيلية وطردت السفير الصهيونى وحولتها إلى سفارة لفلسطين وتحدت الولايات المتحدة التى خاض صدام الحرب باسمها؟! ولماذا غزا الكويت ليوجه ضربة قاصمة لفكرة القومية العربية، الأمر الذى كانت نتيجته تواجد القوات الأمريكية على أرض الخليج العربي؟! وإذا كان هؤلاء يرفعون شعار المعارضة للنظام الحاكم فى مصر فلماذا لا يتضامنون مع المعارضة العراقية التى أعمل فيها صدام القتل والتنكيل إلى حد العودة إلى عقوبات قطع الأطراف والآذان والأرجل والأيدي؟!

ويشدد أبوسعدة على أن المخرج الكريم الوحيد للعراق من حرب مدمرة هو تحقيق المصالحة الوطنية وإعلان دستور جديد وتحقيق دولة سيادة القانون حتى لو أدى ذلك إلى انتخابات حرة ونزيهة يسقط فيها البعث وقائده الجزار صدام حسين تحت إشراف جامعة الدول، وهذا موقف أخلاقى فنحن ضد أى نظام ديكتاتورى وفاشى فكيف لنا أن نعارض الرئيس مبارك ونطالبه بالتعددية وتظل حياتنا على الأقل مصونة بينما نطلب من المواطن العراقى السكوت على كل جرائم صدام، وألا يعلن انتماءه لأى حزب غير حزب «البعث»!

ولما سألناه عن جدوى تقديم مثل هذه التوصيات لجامعة دول غير ديمقراطية أجاب أبوسعدة «سمعنا أن الأمير عبدالله ولى العهد السعودى سيتقدم بمبادرة يطالب الأنظمة بإصلاح سياسى ودستوري، فأردنا أن نبلور وجهة نظر تكون أمام الزعماء فى نفس هذا الصدد كنوع من الضغط على الأنظمة وفضحها لكننا فوجئنا بعد ذلك بتأجيل الأمير لطرح مبادرته» ويستنكر جورج إسحاق عضو الهيئة العليا لحزب العمل لجوء البعض لاستخدام مقاصل التخوين انطلاقاً من إيمانه بخطورة المرحلة الراهنة وحساسية اللحظة قائلاً «كنا نتصور أن عملية التخوين فات زمانها فالمؤكد

أنـــنا جميعاً وكل القوى السياسية فى مصر متعاطفة مع الشعب العراقى وليس مع الحكـــام والكلام عن المصالحة الوطنية والإصلاح السياسى ينطبق على كل الدول العربـــية وليتنا نوجه النداء لكل الحكام العرب لكى يبادروا إلى الإصلاح بدلاً من انـــتظار التعلـــيمات بفرضها من البيت الأبيض فالحركة الوطنية المصرية حركة محـــترمة وتعمـــل منذ وقت بعيد ولها خبرات عظيمة فى العمل الوطنى ويجب أن يكـــون لها دور واضح ومتماسك فى هذه الأيام السوداء فهل يعقل أن تنظم الحزب الوطنى مسيرة المليون بينما تتكدس السجون بعشرات المصريين بتهمة الخروج فى مظاهرات ضد الحرب؟

إنهـــم يدعـــون المعارضـــة ويرفعون شعارات ـــ فى نفس الوقت – شعارات الأنظمة الفاشية هكذا بدأ حجاج نايل مدير البرنامج العربى للدفاع عن نشطاء حقوق الإنســـان كلامـــه مـــع القاهـــرة معتبراً «إن أزمة الأمة العربية لا تكمن فقط فى الحكومات وإنما فى شيوع مثل هذه العقلية الأحادية لملاك الحقيقة المطلقة، فإما أن تكـــون معهم أو أن تكون خائناً وعميلاً ومادامت تواجدت مثل هذه العقلية، فلا أمل فـــى مناقشـــة جادة وموضوعية لمشاكلنا وأزماتنا سعياً وراء تجاوزها لأنهم – فى الواقـــع يلعـــبون دوراً معوقاً أكبر من دور الحكومات ذلك أنهم يمارسون إرهابهم الفكرى تحت عباءة الوطنية ومظلة المعارضة الفضفاضة وهو ما لا تستطيعه أعتى الـــنظم الديكـــتاتورية فهم يغتالون ـــ بوقاحة يحسدون عليها – أى إمكانية للحوار المتحضر القائم على التعدد واحترام الرأى الآخر».

ويضـــيف نـــايل «أقـــول لمن يتباكون اليوم على صدام حسين باعتباره رمزاً للشرف والكرامة إنه صناعة أمريكية محضة، فلقد كان عميلاً للمخابرات الأمريكية ووكـــيلاً لمصالح واشنطن ومهندساً لخططها طوال عقدى السبعينيات والثمانينيات كما كان ذراعها لإجهاض الأحلام الطموحة للثورة الإيرانية. إن هذه الأطراف التى تتشـــدق بـــأن صدام حسين هو رمز الوطنية والكرامة العربية لم تفعل شيئاً سوى الـــتزام الصـــمت طـــوال عقود من ممارساته الإجرامية ضد شعبه وضد الشعوب المجاورة».

الـثورة علـى مقاصل التخوين لم تقتصر على المثقفين المصرين فقط وإنما تعدتهـم إلـى المثقفين العرب فها هو الشاعر السودانى الكبير إلياس فتح الرحمن يتساءل فى سخرية «لماذا يطالب المثقفون المصريون ممن أدمنوا الصيد فى المياه العكـرة الشـعوب العربـية أن تظـل على استمتاعها بـ «خاذوق» القهر والقمع والـتجويع لمجـرد أنه «خاذوق» وطني؟! ولماذا يسارع هؤلاء إلى رفع مقاصل التخويـن لكـى تهـوى علـى رقاب كل من يرفض شعاراتهم الجوفاء وخطبهم الديماجوجـية فكـل مـا دعت إليه توصيات المجتمع المدنى للقمة العربية هو أن الوقـوف أمـام العدوان الأمريكى يتطلب حشد الطاقات العراقية من مختلف ألوان الطـيف السياسى بما فى ذلك النظام البعثى ولم تشر التوصيات من قريب أو بعيد إلـى المطالـبة بتنحـية صدام أو الإطاحة بالنظام العراقى فكل من وقع على تلك التوصـيات يـرفض إطاحـة أى نظـام عربى مهما كانت بشاعته من قبل القوى الإمبريالـية فـتلك مهمة الشعوب حتى لو عجزت عن ذلك طويلاً بفعل الشعارات الديماجوجـية لـبعض مثقفيها». اللافت للانتباه أن بعض المثقفين وقعوا على كلا البيانيـن دون أن يروا أى تناقض فى ذلك ومنهم إبراهيم عيسى وأحمد بهاء الدين شعبان الذى أكد للقاهرة رفضه المطلق لاتهام المفكرين الوطنيين الكبار من أمثال: محمـود أميـن العـالم، عبدالغفار شكر، سلامة أحمد سلامة، حسين عبدالرازق، والدكـتور عبدالمنعم أبوالفتوح بالعمالة والخيانة ورفضه اعتبار اجتهاداتهم الفكرية مجـرد صدى لمبادرة الإمارات وأطروحات باول، الأمر الذى يعكس أزمة الواقع العـربى التى تجعل من سلاح التخوين أداة سهلة الاستخدام دون مسوغ قانونى أو فكـرى فمن حق كل جماعة أن تعتنق ما تشاء وأن تصدر فى ذلك ما يعن لها من بيانات وأطروحات على أن تقابل بأفكار مضادة فى إطار نقاش حر وبناء بعيداً عن تهديد محترفى التخوين».

ويعـرب شـعبان عن اعتقاده بعدم وجود خلاف جوهرى فى رؤى كثير من الموقعيـن علـى البيانيـن «فلـيس فيمن وقع على البيان الثانى من يؤيد أى حكم ديكـتاتورى معاد لشعبه وليس فيمن وقع على توصيات المجتمع المدنى من يرحب

بالغــزو الأمــريكى أو مــن يدعـــو إلى تنحية صدام، وإنما هى اجتهادات يصح الاختلاف حولها مع تقديرنا للموقعين هنا وهناك».

وهــنا، وبعد كل ذلك يعود وينطرح السؤال ترى ما هو السبب الحقيقى وراء إصـــرار الــبعض علـــى تنحية كل ما هو إيجابى فى رؤى ومفاهيم وأطروحات الآخريــن واللهــات وراء أضغاث سلبيات هى فى الحقيقة من صنع عقولهم التى أدمنــت ــ طويــلاً ــ أحادية النظر والتفكير؟! ترى هل هو الخوف من أن تنتهك النقاشات الحرة والعقلانية ما يعتقدون أنه عذريتهم الثورية؟!





المهندس أبو العلا ماضى

دائمـا مـا يثـير تيار الإسلام السياسى الكثير من الجدل حوله فطالما اعتبره المـثقفون الخطـر الحقيقى على عملية الديمقراطية والمعوق الأساسى للتحول نحو الإصـلاح السياسـى الحقـيقى، وأشـاروا مخاوف عديدة من أن هذا التيار يؤمن بالديمقراطـية المرة الواحدة أى المرة التى يفوز فيها بالحكم ثم يقلع عنها ويعتبرها رجسا من عمل الشيطان .

ومع سقوط بغداد ظهرت مخاوف جديدة حيث راهن بعض المحللين والمراقبين علـى أن الإسـلاميين سـيقفزون علـى الحدث محاولين استغلاله لخدمة أهدافهم الدعائية.

والملفـت أن المثقفين فى مخاوفهم من الإسلام السياسى لم يفرقوا بين فصائل وتنويعات هذا التيار وقدموا له صـورة نمطية أحادية . ولكن هل لتلك المخـاوف وجـود فـى الواقـع ؟ وإذا كـان الأمر كذلك هل بدل زلزال سقوط بغداد نظرة

الإسـلاميين للديمقراطية بمفهومها العام ؟ وهل الإسلام السياسى جسم واحد أم أن داخله تنويعات وفصائل مختلفة ومتباينة ؟

طرحـنا هذه التساؤلات على أحد رموز الإسلام السياسى الشابة وممن ينظر إلـيهم باعتبارهم شرايين جديدة فى قلب الإسلام السياسى – إنه المهندس أبو العلا ماضى وكيل مؤسسى حزب الوسط الذى قدم فى البداية قراءته لمشهد سقوط بغداد ليكشـف بهـا عـن حقـيقة موقف فصيله وحزبه من قضية الديمقراطية والنظم الاستبدادية وارتباط عودة الاحتلال الأجنبى بوجودها .

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

– مشهد السقوط أكد حقيقة عجز الأنظمة المستبدة عن مواجهة الاحتلال وعدم قدرتها على مواصلة المقاومة أو حتى مواجهة قضايا التنمية والتطور وثبت بالدليل القـاطع أن أقرب العناصر إلى هذه النظم مخترقة وهذا يدل على أن الاستبداد هو الـتربة التى لا ينبت فيها سوى كل اشكال الفساد الجاثمة على صدر الأمة بما فى ذلك الخيانة، وللأسف إن الخطاب العربى تعامل مع المشهد بنوع من التبسيط إن لم يكن التسطيح وبسطه إلى حد أنه جعل الخيار بين صدام والاحتلال ولم يجهد نفسه فى قراءة متأنية للمشهد تعتمد على تركيب القضايا ، فلا يجوز أن نتخذ موقفا مؤيدا لاسـتبداد صدام كما لايصح أن نؤيد الاحتلال حتى لو رفع شعار تحرير العراقيين مـن ديكتاتورية صدام ومن هنا تمنيت ألا تسقط بغداد حتى لو كان حاكمها طاغية مثل صدام لأن السقوط يعنى مواجهة خطر الاحتلال أو رموزه العراقية التى تعبر عـنه وإن كـان السقوط كنتيجة نهائية متوقعا ولكن ليس بهذه السرعة خاصة بعد مشاهد المقاومة الباسلة التى شهدها جنوب العراق ضد قوات الاحتلال على عكس ما روج له بعض رموز المعارضة العراقية الموالين للولايات المتحدة حول ترحيب الشـعب العـراقى بقوات الغزو واستقبالها بالورود لذلك تصورنا أن القوة العراقية الضـاربة والمـتمركزة فى بغداد ستعمل على إطالة مدى المعركة وتأجيل موعد السـقوط لكن ما حدث أكد الحقيقة البديهية وهى أن الأنظمة المستبدة لا تملك الحد الأدنى للمقاومة .

- **لكـــن قـــراءتك لا تطـــرح الـــبديل لشعب قتل حاكمه كل معارضيه بالأسلحة الكيماوية ونفى أكثر من ٤ ملايين عراقى خارج وطنهم ؟**

– الســـؤال عـــن الـــبديل سؤال مشروع ومنطقى غير أننا فى ثقافتنا العربية الإســـلامية نعانى من اشكالية الخيار بين الاستبداد والاحتلال لذلك نحن فى حاجة لـــتعديل خطابـــنا بـــأن نرفض كليهما معا وأذكر فى هذا السياق أن أحد أصدقائى الإســـلاميين فى الأردن رفع شعار «السيادة قبل الطغيان» بمعنى الدفاع عن سيادة الوطـــن فـــى مواجهة المحتل الأجنبى قبل التصدى لاستبداد السلطة الحاكمة وهو شـــعار اخـــتلف معـــه جذريا فالدفاع عن السيادة الوطنية لا يعنى أن ينفصل عن مواجهة طغيان الحاكم بل يجب أن يتواكب معه فى نفس اللحظة وبنفس الدرجة ولا نضعهما فى خانة «إما .. أو» .

لكننا فى النهاية ننتمى إلى ثقافة لا يمكننا أن ننسلخ منها وبالتالى فنحن لا نقبل الاحتلال بأى صورة وبأى ثمن لذلك فإن ما ينبغى الحديث عنه هو مقاومة المستبد لزمـــن أطول دون استسهال الثمن وصحيح أن العراقيين دفعوا الثمن لعقود طويلة لكـــن وللأســـف غالبـــية المعارضة العراقية لم تكمل الطريق وفضلت أن تمارس المعارضة عبر مكاتب مكيفة فى لندن وواشنطن، وللأسف أيضا أن هؤلاء هم الذين يـــتحدثون الـــيوم بلسان المقاومة العراقية لا من بقوا فى العراق واصطلوا بنيران صدام وزبانيته.

الـــبديل إذن كان مقاومة استبداد صدام بنفس طويل مهما طال الزمن حتى يتم تغيـــير نظامه بأيد عراقية خاصة وأن الأمريكيين لم يأتوا لتحرير العراقيين ابتغاء وجـــه الله أو مصـــلحة العراق أو تحقيق الديمقراطية إنهم يريدون تطبيق النموذج الأمريكى بتعيين حكومة عميلة تقر بوجودهم وتمنح هذا الوجود شرعية على أرض العـــراق وتقـــيم علاقات سلمية مع إسرائيل أى أنها تريد ببساطة أمريكيين بعمامة عراقـــية وللأســـف هذا هو البديل المرشح لكل الدول العربية إذا تنازلنا عن منهج مقاومـــة المســـتبد بالـــنفس الطويل فإذا كان نموذج طغيان صدام هو الصارخ فى المنطقة فإنه ليس الوحيد.

- **لكــن بعــض رموز المعارضة العراقية ممن وصفتهم بالعمل من خلال مكاتب مكــيفة فى لندن وواشنطن عرضوا على صدام قبل غزو العراق أكثر من مرة عمــل مصالحة وطنية وتشكيل حكومة ائتلافية من مختلف أطياف المعارضة لمواجهـــة الغــزو الأمريكى، ومن بينهم قادة حزب الدعوة الإسلامى والحزب الشيوعى العراقى وأبى صدام إلا أن يستأثر بالحكم ويواصل سياسته فى نفى الوطنيين العراقيين ؟**

– هذه المعارضة محترمة ونقدرها وهذا الموقف يعد إيجابيا ويسجل لصالحها وهـــو ســـلبى وضد نظام صدام السابق ولقد قابلت فى القاهرة أحد رموز الحزب الشـــيوعى العراقى المقيم فى باريس عبد الأمير الركابى وعبرت له عن احترامى الشديد لهذا الموقف ولا أعتقد أن هذه المعارضة الشريفة قد تورطت فى اللعبة التى تجـــرى الآن فى العراق والتى يديرها الأمريكيون، وعندما تحدثت عن المعارضة العميلة التى تعمل عبر المكاتب المكيفة بالخارج لم أقصد أبدا تعميم هذه الصفة فهو مـــنهج خاطئ وليس صحيحا أن كل المعارضين العراقيين عملاء فمن بينهم شرفاء ووطنيون إما واصلوا النضال داخل العراق وإما اضطروا للعمل فى الخارج.

- **ألا تـــرى أنك تستخدم منهج التعميم الذى ترفضه فى اتهامك لجميع الأحزاب والقوى السياسية التى تعاملت مع سلطات الاحتلال بالعمالة ومعظمها مشارك فـــى مجلس الحكم الوطنى المؤقت وعلى رأسهما الأحزاب الشيعية المعروفة بتشددها !**

- **هل من الموضوعى وصم كل القوى السياسية بالخيانة ؟**

– بالنسبة للمجلس الوطنى المؤقت فهو مواجه بعدد من الانتقادات أولها يطعن فى شرعيته، فالاحتلال هو الذى شكله وهذا كاف للطعن فى مشروعيته قبل السؤال عن الأطراف المشاركة فيه.

كما أن طريقة تشكيله بتمثيل الطوائف الدينية والعرقية جعلته مكرسا للنعرات الطائفية والعرقية وهو ما قصده الأمريكيون فهم لم يعتمدوا حتى على معيار واحد طائفى أو عرقى بل اعتمدوا كلا المعيارين فهناك ممثلون للمسلمين الشيعة وآخرون

للمسلمين السنة وممثلون للأكراد وبينهم سنة وشيعة وآخرون ممثلون للتركمان والآشوريين والمسيحيين أى أنهم استخدموا كل معايير التفتيت وهو نفس منطق الاستعمار القديم «فرق تسد» فمن قال إن النسب التى وضعوها لفئات الشعب العراقى بطوائفه واثنياته نسب واقعية وحقيقية ونرى من يقر بأن اعضاء هذا المجلس يمثلون كل الطوائف والاثنيات العراقية التمثيل الصحيح ومع ذلك ليس صحيحا أننى أعمم تهمة العمالة على الجميع فالمؤكد أن هناك استثناءات داخل هذا المجلس تعمل بحس وطنى عراقى صرف دون خلفيات أمريكية.

غير أنه من الانصاف طرح البديل وهو فى هذه الحالة مجلس وطنى انتقالى يأخذ مشروعيته من الأمم المتحدة بصفتها المنظمة الدولية والجامعة العربية بصفتها المنظمة الإقليمية فهكذا تحل كل النزاعات فى العالم بتدخل من مجلس الأمن الدولى والمنظمة الإقليمية المعنية.

لذلك فعلى الجامعة العربية أن تقوم بدورها فى تشكيل مجلس وطنى انتقالى بالتعاون مع مجلس الأمن تكون مهمته الرئيسية والوحيدة الإعداد لانتخابات ديمقراطية والإشراف على إجرائها ليكون بذلك آليه لتحديد السلطة أو الحكومة الدائمة التى ستحل محل سلطة الاحتلال، وبشرط أن يتم تشكيله على أساس سياسى لا طائفى أو عرقى كما هو حادث الآن وليس من مهام هذا المجلس إقرار الدستور أو تعيين الوزراء أو تمثيل العراق فى المحافل الدولية أو فتح السفارات فى دول العالم وبعد أن تجرى الانتخابات يقوم من فازوا فيها بصياغة الدستور وتشكيل الحكومة الدائمة فهم وحدهم من يتمتعون بالشرعية ويمثلون الشعب العراقى وبالمناسبة هذا هو نفس موقف أهم مرجعية شيعية فى العراق الشيخ على السستانى حين قال الانتخابات قبل الدستور الذى سيحدد هوية الدولة العراقية.

- **لكن التقسيم الطائفى والتشظى العرقى ليس اختراعا أمريكيا فقد كرسه طغيان صدام حسين ؟!**

– لا أبرئ صدام ولا أعفيه من مسئولية تقسيم الشعب العراقى إلى طوائف وعرقيات كما لا أبرئ الأمريكيين لكنهم لا يعملون من أجل عراق موحد فى إطار التعددية بل يعملون من أجل تعددية فى إطار التفتيت بينما صدام عمل شكلا أحاديًا

وقاهــرا لكــل الطوائف والاثنيات بما فى ذلك السنة الذين طالما عانوا من بطشه والخطــورة تكمــن فى أن الأمريكيين بدلوا نظامه بنظام تعددى يعمل على تجزئة الدولــة العراقــية ثــم لمــاذا هذا الإصرار على لبننة العراق بينما تندرج معظم الطوائــف والاثنــيات العراقية تحت المظلات السياسية والفكرية من تيارات قومية وليبرالية وإسلامية وماركسية كما أن اتفاق الطائف الخاص بلبنان جاء بعد حروب طائفية طاحنة وبرعاية عربية وسعودية وبمشاركة كل أطراف النزاع فى لبنان .

- **وماذا عن مشهد المقاومة الراهن الذى انحصر فى الفالوجا والرمادى وبغداد حيث العشائر والتنظيمات التى ارتبطت مصالحها بنظام صدام حسين ؟!**

– يــبدو للمراقب والمحلل فى مشهد ما بعد السقوط عدد من الحقائق أهمها أن الجزء الكردى من العراق يعيش فيه الأمريكيون منذ أكثر من ١٣ عاما ودمروا كل مــن فكــر فى الخروج عليهم، ومن المعروف للجميع أنهم نسفوا قرى بأكملها فى شــمال العــراق لوجود جماعات إسلامية مناوئة لهم فيها، وبالنسبة لجنوب العراق حيث الأغلبية الشيعية التى تلتزم كاملا بما تقوله مرجعياتها الدينية وهذه المرجعيات اعلنــت فى خطابها أنها تقاوم الاحتلال سلميا حتى هذه اللحظة وهو اختيار نقدره، ونحترمه خاصة أنهم وضعوا إطارا زمنيا قد يفجرون بعده المقاومة المسلحة إذا لم يســتجب الأمريكــيون لمطالــب الشعب العراقى وأصروا على استمرار وجودهم الاحتلالى لفترة أطول، وأعتقد أن مقاومة الشيعة المسلمة هى أخطر أنواع المقاومة التى قد يواجهها الأمريكيون فى العراق.

أمــا بالنسبة للجزء السنى فهم لم يخضعوا لإشراف الأمريكيين كما حدث مع الأكــراد ولا هــم ملــتزمون بموقف المرجعيات الدينية الشيعية لذلك عبروا عن رفضــهم للاحتلال بمقاومته مقاومة مسلحة وشرسة وهى فى رأيى ليست مرتبطة بصــدام حســين أو فلوله كما يحاول بعض السياسيين العراقيين الموالين للولايات المــتحدة الــترويج لذلــك لتشويه المقاومة لصالح الأمريكيين، أما بقية السياسيين الوطنييــن الذيــن يرفضون المقاومة المسلحة ففى رأيى أن موقفهم هذا مفهوم فى ســياق كونهم يمارسون فى هذه اللحظة عملا سياسيا وإلا لاختفوا عن الأنظار فى حالة اختيارهم البديل المسلح.

إن الشعب العراقى لا يتعاون مع الاحتلال ولا يساعده فى القبض على عناصر المقاومة فهو على العكس من ذلك يحتضن المقاومة ويدعمها ولا يمكن قراءة المشهد الراهن إلا فى هذا السياق، فالعمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال تبدو شديدة التنظيم وتتصاعد وتيرتها يوميا والأمريكيون أنفسهم اعترفوا أنهم يواجهون حرب عصابات منظمة وقد عبر بول بريمر رئيس الإدارة المدنية لسلطة الاحتلال عن المأزق الذى وجد الأمريكيون أنفسهم فيه عندما قال إن صدام حسين لا صلة له بالمقاومة لكن القبض عليه أو قتله سيضعفها وهو كلام متناقض مع نفسه لكنه يعبر بحق عن المأزق الذى وقع فيه الأمريكيون.

- **لكن رموز القوى والأحزاب السياسية العراقية أعلنت أكثر من مرة أن جلاء قوات الاحتلال ليس على قائمة أولوياتهما فى الوقت الراهن، وأن خروج الأمريكيين الآن سيدفع بالعراق إلى حرب أهلية طاحنة ؟**

– لهذه المعضلة حل عربى وذلك بتشكيل قوة ردع عربية مقبولة من الشعب العراقى وليس على غرار القوات السورية الموجودة فى لبنان وتكون مهمة هذه القوة حفظ الأمن والنظام العام فى العراق ولسوف تلقى مثل هذه القوة المتوازنة قبولا من العراقيين كما حدث فى البوسنة، فقد رحب أهلها المسلمون بقوات الدول الإسلامية بينما كانوا يشعرون بالاستفزاز من باقى القوات الأجنبية غير المسلمة .

- **كيف يثق العراقيون فى الأنظمة العربية التى خذلتهم طيلة الأعوام الماضية ولم تدن جرائم صدام ضدهم كما أنها لم تحرك ساكنا لمنع العدوان الأمريكى على وطنهم ؟**

– لا خلاف على الموقف المتخاذل للأنظمة العربية وأكبر دليل على ذلك أن جامعة الدول العربية لم تعقد اجتماعا طارئا لمجرد مناقشة سقوط بغداد عاصمة دولة عربية تتمتع بعضويتها لكننا نراهن على استمرار المقاومة المسلحة، فقد بدأت أولى خطواتها فى التأثير على الرأى العام الأمريكى بما كبدته من خسائر للجنود الأمريكيين فقد ظهرت دعوات داخل أمريكا وبريطانيا للاستعانة بقوات دولية إما من حلف الناتو أو الأمم المتحدة، وفى نفس الوقت يرفض عدد كبير من الدول

الأوروبــية وغيرها ذلك بدون مظلة الأمم المتحدة وهو ما يعنى أن هذه القوات فى حالــة موافقــتها دخــول العراق سترفض العمل على تكريس الاحتلال الأمريكى بالتصــدى للمقاومـــة العراقية وستشترط دخولها بالمشاركة فى الحل الشامل بحيث تقتصــر مهمتها على قضية الأمن وعملية الإعمار ثم التحول السياسى وإذا تحقق مثل هذا المناخ لابد أن الدول العربية ستكون طرفا فى هذا الحل الشامل والمقبول تطبــيقه، وهــناك مؤشرات لتحقيق هذا التصور منها مطالبة الكونجرس بضرورة الاســتعانة بقــوات الــناتو والأمــم المــتحدة لحل مشكلة العراق ودعوة المرشح الديمقراطى للانتخابات الأمريكية القادمة منافسه بوش للتنازل عن كبريائه والعدول عن موقفه الرافض لتدخل الأمم المتحدة .

- **كيف ترى تأثير ما جرى ويجرى فى العراق على المشهد العربى ؟!**

– الكارثــة الــتى حلــت بالعراق أحدثت صدمة وهزة للعالم كله لكن الدائرة العربــية كانــت الأكثر تأثرا بتلك الكارثة فقد أصبح لدى كل النخب العربية غير الحاكمــة يقيــن بــأن غياب الحرية والديمقراطية هو سبب الكارثة وأن المشاركة الشــعبية فــى صناعة القرار هى مفتاح مقاومة الاحتلال والعدوان الخارجى وأنها الضــمانة الوحــيدة لحماية استقلال الوطن فالاستبداد والطغيان هما ذرائع المحتل وبالــتالى طفــت علــى السطح قضية الحرية والديمقراطية باعتبارها أهم مقومات مواجهــة الاحــتلال الإســرائيلى لفلســطين والاحتلال الأمريكى للعراق، ومن ثم لا يمكــن إرجاء عملية الإصلاح السياسى أما النخب الحاكمة فقد تعرضت لنوعين مــن الضــغوط: الأول مــن أبناء الوطن والثانى من قبل أمريكا التى تريد إجراء إصــلاحات سياســية وفقــا لأجندة مصالحها وحتى الآن ما زالت النخب الحاكمة لا تســتجيب للضغوط الداخلية فيما تولى عنايتها وتلتفت إلى الضغوط القادمة من واشــنطن فتقوم ببعض الإجراءات والإصلاحات الشكلية لكن هذه الطريقة ستفشل تماما ولا سبيل أمامها إلا الالتفات للضغوط الداخلية بمعنى أن تتحرك بشكل إيجابى لإحــداث إصلاح سياسى وتحول ديمقراطى حقيقى وفق أجندة عربية وذلك قبل أن تفــرض علينا أجندة تصب فى مصلحة من فرضها وتضر بمصلحة كل الأطراف العربية : الأنظمة الحاكمة والنخب الوطنية المستقلة .

- **كيف تقيم مقولة إن الشعوب العربية تستحق حكامها ؟**

– من قال إننا نستحق حكامنا يحمل الشعوب العربية المسئولية كاملة ومن قال العكس يحمل الأنظمة المسئولية كاملة وكلا الرأيين يبسط القضية بينما يصبح تركيبها الأقرب للواقع بمعنى أن المسئولية مشتركة فالشعوب لم تقم بدورها على أكمل وجه فى مقاومة الاستبداد والطغيان من قبل الحكام، والأنظمة حرصت على بقائها بأى ثمن ومارست أشد أساليب القمع والتسلط حرصا على بقائها.

- **كيف تقيم ما يقوله بعض المثقفين عن أن التيار الإسلامى يقف حائلا دون التحول الديمقراطى وذلك بشعاراته التى تنفى وتكفر الآخر وتؤكد أن الإسلاميين يحكمون بأمر الله ؟!**

– فى مقابل هذه المقولة مقولة أخرى تزن المشهد العام للمناخ السياسى فى مصر والوطن العربى وهى أن الطرف العلمانى هو أحد أسباب تعويق الديمقراطية لاستخدامه فزاعة التيار الإسلامى وإثارة المخاوف منه مما أدى فى نهاية الأمر إلى تأخر التحول الديمقراطى وذلك ليقين الطرف العلمانى من أن التيار الإسلامى هو الذى سيستفيد من العملية الديمقراطية إذا تحققت والحقيقة أن الطرف الإسلامى خدم السلطة العلمانية التى استخدمت الإسلاميين أيضا كفزاعة لتخويف الأطراف الخارجية وإيهامهم أن البديل الوحيد لها هو الإسلاميون ومن هنا يتحمل هؤلاء مسئولية إعاقة الديمقراطية وإذا كانت بعض مخاوفهم من التيار الإسلامى صحيحة وواقعية فهذا لا يعنى بأى حال من الأحوال تعطيل التحول الديمقراطى أو تأجيله كما أن هذا الأسلوب يعد نوعا من فرض الوصاية وممارسة دور الاستاذية على الأغلبية الساحقة من الجمهور الذى وحده قادر على حسم المعركة فى صناديق الانتخابات، ورأيى أن الجمهور المصرى دائما ما يحسم أمره لصالح الاعتدال والوسطية فهو لا يقبل التطرف العلمانى كما أنه يرفض التطرف الإسلامى أو الدينى .

- **لكن بعض المثقفين يرى أن الإخوان المسلمين أكبر فصائل التيار الإسلامى لم يعلنوا موقفا واضحا وقاطعا من الإرهاب إذ يكتفون بالإعلان عن توقفهم عن**

ممارســة العــنف دون إدانــة مــا ارتكبوه فى الماضى وهو مبرر لاستمرار مخاوفهم ؟

– المشــكلة أن هــؤلاء المثقفين ينظرون إلى الإسلاميين باعتبارهم فى سلة واحــدة لا أطــياف وألوان متعددة فحتى داخل جماعة الإخوان المسلمين وإن كنت لســت منوطا بالدفاع عنهم يوجد من يعبر عن الاتجاه الذى ذكرته لكن هناك أيضا مــن يرفضــه بشكل واضح ومحدد خاصة من أبناء الجيل الجديد فى الجماعة مثل الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ودكتور عصام العريان وآخرين كثيرين، وظنى أن هــذه المقــولات استمرار لمسلسل استخدام الإسلاميين كفزاعة لتعطيل الديمقراطية رغــم أن الحجــم الحقيقى للإسلاميين لا يشكل أى خطر انتخابى كما يظن البعض ومشكلة النخب المثقفة التى اعتادت تبنى هذا الخطاب أنها تقارن الضعيف بالعاجز أى أنهــا تقارن بين قوة سياسية منظمة وقوة ليس لها وجود أصلا فهم يقولون مثلا إن الإخوان المسلمين لديهم جماهير بالالاف وماذا تعنى هذه الآلاف فى شعب عدد ســكانه ٧٠ ملــيون نســمة إنهــم يقارنون تلك الآلاف بالعشرات الموجودة داخل الأحــزاب السياســية التى تعمل فى النور فى إطار ما سمح به القانون والتى تفتقد ما يجذب إليها الجماهير بينما الحركة الإسلامية بكل تنويعاتها تعمل خارج القانون كما أنها تمتلك الحافز الدينى لذلك استطاعت أن تجمع حولها أنصارا أكثر بكثير من جميع الأحزاب المعترف بها رسميا.

- **إذا أنتم تعترفون باستخدام التيار الإسلامى للدين لاستقطاب أنصاره السياسيين خاصة أنه يستطيع الوصول إليهم عبر منابر المسجد فيما تكبل القوانين حركة بــاقى الأحــزاب السياســية التى ترفض استخدام الدين أو دور العبادة لرفع شعاراتها السياسية ؟!**

– مبدئيا أنا لا أقبل أن تكون المساجد حكرا على أحد فهى دور عبادة لا يجوز استخدامها فى استقطاب الأنصار ، فمهمة هذه الدور تربوية وإصلاحية .

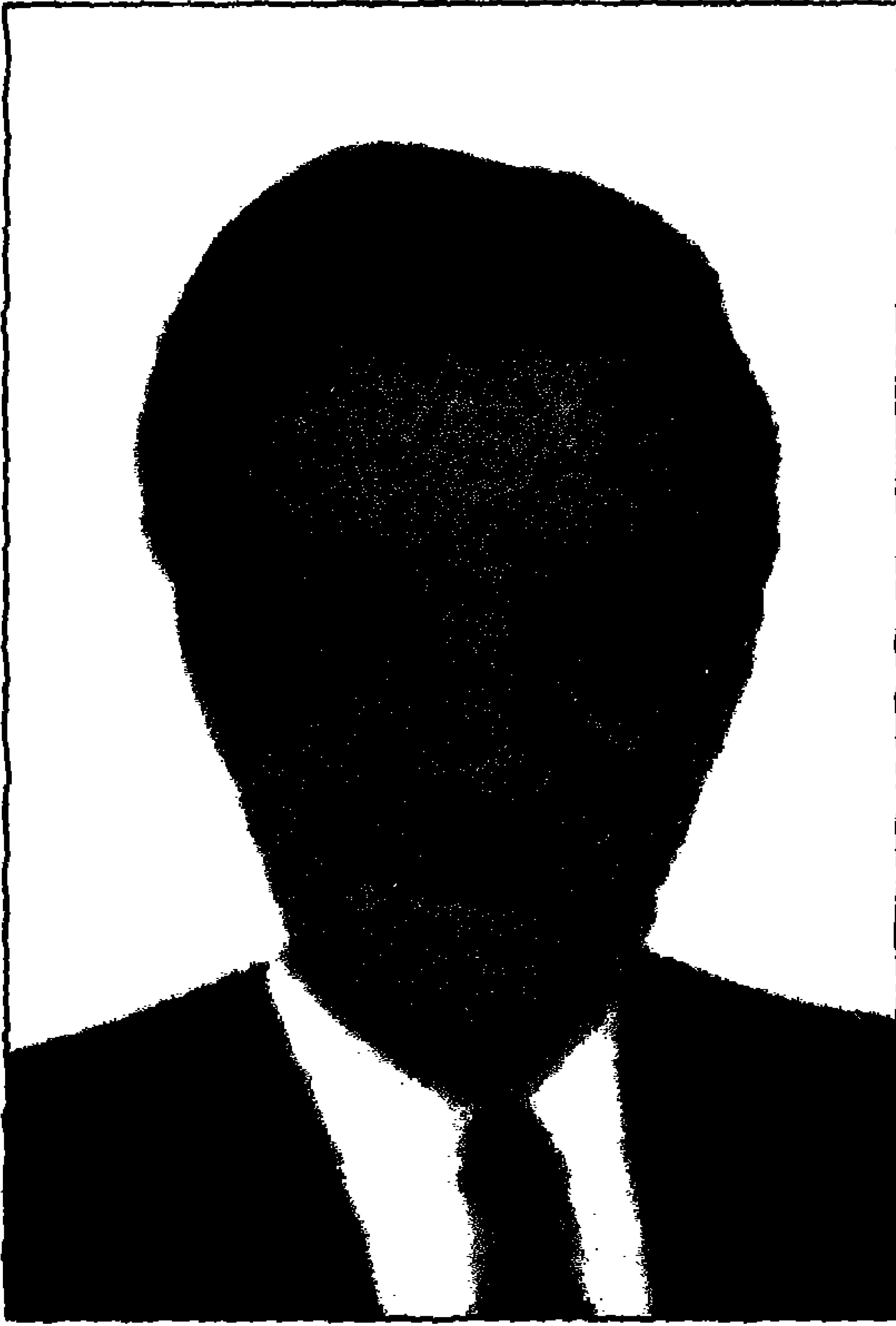
• **هل هذا يعنى أنك إذا دخلت الانتخابات لن ترفع شعار «الإسلام هو الحل»؟!**

– ولمـــاذا تحرمه منى فأنا رجل إسلامى واعتز بهذا وسأظل كذلك والسؤال: مـــا هـــو المحـــتوى الإسلامى الذى أعرضه فى مشروعى السياسى فنحن نطرح مشـــروعا سياســـيا مدنيا فيما نراه ثوبا معتدلا يحكم عليه فى نهاية الجمهور داخل صناديق الانتخابات لكن دعنى أقول إن تفويض باقى الأحزب السياسية يأتى بتقوية وإحياء الحياة السياسية العامة حتى يصبح التنافس بين الجميع على أساس عادل.

• **بمـــاذا تفسر فشل الإخوان فى الفوز فى أى انتخابات فى الفترة الليبرالية قبل ثـــورة ٥٢ بل إن حسن البنا نفسه مؤسس الجماعة لم ينجح فى دائرته رغم شعاره الإسلام هو الحل ؟**

– عـــندما تكـــون هـــناك حياة سياسية طبيعية سيأخذ التيار الإسلامى حجمه الطبـــيعى لا مسيطرا ولا منفردا فرغم أن فترة ما قبل الثورة لم تشهد حياة سياسية طبيعـــية بالمعـــنى الحقيقى، لكن وجود أحزاب سياسية متنافسة ووجود حزب كبير يتمـــتع بشعبية حقيقية مثل حزب الوفد جعل الإخوان يأخذون حجمهم الطبيعى دون تفخـــيم أو تضخـــيم وهنا أقول إن عودة الحياة السياسية الكاملة للأحزاب سيجعل التـــيار الإســـلامى طـــرفا فى المعادلة وليس الوحيد ولا المهيمن وسيعود لحجمه الطبيعى قبل ثورة ٥٢ والمشكلة فى تصورى أن المثقفين غير الإسلاميين هم الذين بـــاعوا الإســـلام للتنظـــيمات السياسية الإسلامية عندما يحسبون عليها تلك الآلاف المصلية فى المساجد أو ظاهرة الحجاب ويعتبرونهم جميعا منتمين للإسلام السياسى وهذا خطأ فادح وقع فيه هؤلاء.





الوزير السابق والمعارض
أحمد الجبوري

مــرت ثلاثة أشهر وبضعة أيام على مشهد سقوط بغداد ولم تتضح بعد ملامح مســتقبل العراق، فحتى المجلس الوطنى المؤقت الذى تم تشكيله بعد تأجيل متكرر لموعــد انعقاد المؤتمر الوطنى العام من قبل الإدارة المدنية لسلطة الاحتلال ووجه بانــتقادات حــادة بسبب اختيار أعضائه عن طريق التعيين ودون إجراء انتخابات ديمقراطــية وتمتع «بول بريمر» رئيس الإدارة المدنية لسلطة الاحتلال الأمريكى بحــق الفيتو على قرارات المجلس وبسبب عدم تمثيله لجميع طوائف وفئات الشعب العــراقى من وجهة نظر البعض وفى نفس الوقت تصاعد حجم العمليات العسكرية ضــد القوات الأمريكية التى اعترف قائدها السابق «تومى فرانكس» بتعرضها إلى أكــثر من «٢٠ إلى ٢٥» هجوماً يومياً للحد الذى دفع ببعض الجنود إلى الافصاح عن رغبتهم فى الخروج السريع من العراق والتساؤل عن سبب وجودهم هناك على صــفحات وشاشــات الإعــلام الأوروبى والأمريكى مما جعل الباب مفتوحاً على مصــراعيه أمــام كل السيناريوهات والاحتمالات، لكن عدم تبنى الأحزاب والقوى

السياســية التاريخية فى العراق لتلك العمليات وإحجامها عن تأييدها صراحة جعل الــبعض يــتحفظ فــى تسميتها بالمقاومة الوطنية، بل وألقى ظلالاً من الشك على أهدافها وعلى طبيعة محركها.

- **إلى أى مستقبل يذهب الحاضر بالعراق ؟**

هذا هو جوهر التساؤلات التى طرحتها القاهرة فى حوارها مع أحمد الحبوبى المعــارض العــراقى البارز وعضو المكتب السياسى بالحزب العربى الاشتراكى العراقى والمحسوب على التيار الناصرى وأحد مؤسسيه فى بداية الستينيات والذى تولــى عــدة مناصــب وزارية فى حكومتى عبد السلام وعبد الرحمن عارف قبل انقــلاب البعث عام ١٩٦٨ وهو أيضاً أحد الوطنيين العراقيين الذين عانوا الأمرين مــن نظام صدام حسين، إما داخل سجونه بكل ما فيها من وسائل التعذيب المبتكرة وإما بالنفى بعيداً عن الوطن طيلة «٣٥ عاماً».

- **كيف تقرأ مشهد السقوط وقد مرت عليه ثلاثة أشهر ؟**

– أعتقد أن الأمريكيين قد فوجئوا بهذا السقوط السريع وما نتج عنه من فراغ أدى إلى حالة الفوضى التى ربما لم يتوقعها الأمريكيون والتى ليست فى مصلحتهم، فقد وجدوا أنفسهم فيما أسميه «مطباً كبيراً» فليس من السهل على الولايات المتحدة الأمريكــية الدولة العظمى أن يعانى جنودها ما يعانوه يومياً من سقوط ضحايا بين قــتلى وجرحــي، فقــد تنعكس مثل هذه الظروف الصعبة على الرئيس بوش فى الانتخابات القادمة.

وعلى أية حال فمثل هذا السقوط كان متوقعاً مع نظام مثل نظام صدام حسين الذى حول العراق كما نقول فى المثل الشعبى «جعجعة بلا طحن»، فقد تحولت كل بياناته التى أكد فيها انتحــار الأمريكيين على أســوار بغداد إلى مجرد فقــاعات لم تصمد بغداد إلا ساعتين فيما صمدت أم قصر القرية الصغيرة أياماً وأسابيع.

لقد أخطأ المثقفون والإعلاميون العرب عندما توهموا بغداد ستصمد وستطول معركتها فمثل صدام حسين لا يقاتل ولا يقاوم بل يهرب ويفر.

وما أقوله فى المشهد الراهن هو إن هذه الفوضى وما يسميها البعض بالمقاومة كانــت من الأمور المتوقعة حتى أن صحيفة الحياة اللندنية قد نشرت مؤخراً مذكرة ســرية أرسـلها صــدام حســين لرجاله من البعثيين والميليشيات المسلحة ورجال الاســتخبارات والأمن يخبرهم فيها بما يفعلونه عندما يسقط النظام أى أن العمليات العســكرية التى تشن الآن ضد قوات الاحتلال محسوبة من قبل حزب البعث وعلى رأسه صدام حسين، ولا أستطيع أن أسميها مقاومة شعبية حقيقية فهى لا ترقى إلى هذا المستوى .

• ولماذا تتحفظ فى تسميتها بالمقاومة الشعبية ولقد اعترف الأمريكيون بوجعها ؟

- مــن المســلمات التى لا نقاش فيها أن الشعب العراقى يكره صدام حسين ونظامه ككراهيته للاحتلال الأجنبى الذى يسعى حالياً للتحرر والخلاص منه، وهنا أقول إنه من الجائز أن يكون دافع بعض هذه العمــليات وطنياً صــرفاً لا صلة له بصــدام حســين أو ميليشياته فقد تهز المشاعر الوطنية شخصاً ما فينفذ بناء عليها عملــية هنا أو هناك كما أن بعض هذه العمليات يقوم بها المتطوعون العرب الذين تســللوا إلــى العــراق أثناء الحرب أو بعدها، لكنهم قلة فالأغلبية العظمى من تلك العملــيات تعود إلى تدبير أجهزة حزب البعث بقيادة صدام حسين والدليل أنها تكاد تكون محصورة فى محافظة الأنبار وبالتحديد فى منطقتى الرمادى والفالوجا وهى تقــع فــى شــمال غرب العراق وهذه المناطق تحديداً تنحصر فيها قوات الحرس الجمهــورى والأمــن الخــاص بصدام حسين بالإضافة إلى أن عشائر وقبائل هذه المــنطقة تربطها علاقات جيدة بصدام حسين واستفادت من مزايا النظام السابق ثم إذا كانــت هذه العمليات تشكل مقاومة شعبية فلماذا إذاً لم نر الشعب العراقى يهب هــبة رجــل واحــد فــى شمال العراق وجنوبه وشرقه وغربه ولماذا تنحصر فى الــرمادى والفالوجا فلم تشهد البصرة أو النجف أو كربلاء فى الجنوب أو الموصل فى الشمال أية عمليات من هذا النوع.

وفــوق ذلك كله فإن قادة الأحزاب السياسية ذات الجذور التاريخية فى العراق قد قبلوا منذ أيام بتشكيل المجلس الوطنى المؤقت ومن هذه الأحزاب ما هو إسلامى

وليبرالى وشيوعى وديمقراطى وغيرها فكيف إذاً يمكن أن نسمى تلك العمليات مقاومة شعبية.

- **إذاً كانت هذه هى نظرتك للعمليات العسكرية فما هدفها إذاً فى رأيك ؟**

– المؤكد أن هدف أى مواطن عراقى من المقاومة هو تحرير العراق لكن الأمر يختلف حين يكون صدام حسين هو الذى وراء ما يسمى الآن بالمقاومة فهدفها استرجاع حكم البعث وعودة صدام حسين مرة أخرى ليحكم العراق الذى لم ولن ينظر للعراق أبداً إلا باعتباره «وسيته» الخاصة فهو يعتقد أنه مبعوث العناية الإلهية للعراق والأمة العربية، ولو حللنا البيانات التى صدرت عنه حتى الآن فلا نجد فيها إشارة عن الشعب العراقى ومصيره إنه حتى لم يقل إنه يريد تحرير الشعب العراقى من الأمريكيين ليسترجع حريته ويحكم نفسه بنفسه، إن صدام حسين لا يقاوم إلا لإعادة العراق إلى ملكيته لا للشعب العراقي.

- **ألا ترى أن هذا التفسير يبتعد كثيراً عن المنطق إذ كيف يأمل صدام فى استعادة حكمه للعراق فى ظل هذا التواجد الثقيل لجيوش الولايات المتحدة التى رفضت فى الماضى إعطاءه مجرد فرصة المناورة ؟**

– ما تقوله قد يكون منطقياً بالنسبة للمراقب العادى لكنه ليس كذلك بالنسبة لصدام حسين فهو يراهن على قضايا كثيرة تدور فى خيالاته منها أن الشعب الأمريكى لن يستطيع تحمل سقوط ضحايا كثيرة من أبناء جيشه يومياً على غرار ما حدث إبان حرب فيتنام خاصة أن بوش يقف على أبواب الانتخابات الأمريكية والتى سوف تبدأ خلال العام الجارى ويتوهم صدام أن الشعب الأمريكى سوف يمارس على بوش ضغوطه والتى سبق أن مارسها على نيكسون بحيث يقوم بوش بنفسه بسحب القوات الأمريكية من العراق ووقتها لن يجد العراق شخصاً مهيئاً وبديلاً لحكمه سوى صدام حسين خاصة أنه لا توجد قوة سياسية فى العراق تمتلك جيشاً مسلحاً وأجهزة أمن كالتى يمتلكها صدام حسين ونظامه، وللأسف هذا هو الواقع فلو انسحبت القوات الأمريكية اليوم فلن يملأ هذا الفراغ بالفعل إلا صدام

حســين بكــل ما يمتلكه من جيش وحرس جمهورى وفدائيى صدام وهذا ما يدركه صدام جيداً ويراهن عليه .

- **لكــن هل يمكن القول بشكل قاطع إن صدام هو الذى يقود هذه العمليات رغم صــدور بــيان أعلن فيه أن إحدى الجماعات التابعة لتنظيم القاعدة هى التى تقودها وأن لا علاقة للبعث وميليشياته بها وألا تذكرنا هذه البيانات المتعاقبة للرئيس السابق ببيانات أسامة بن لادن بعد حرب أفغانستان ؟**

– كــل ذلــك جائز فحتى الآن لا يستطيع أحد أن يجزم بأن صدام حسين هو الــذى ســجل هذه البيانات خاصة أنه قد تم تضخيم الصوت بدرجة كبيرة، كما أن هناك عدداً كبيراً من المتطوعين العرب الذين جاءوا من المشرق والمغرب من أجل الدفــاع عن العراق بحس قومى ودينى ومواجهة العدو الأمريكى والصهيونى على أرض العراق الأقرب لهم من أفغانستان.

- **وكــيف تقــيم الرأى القائل بأن قادة الجيش العراقى الذى تم حله مؤخراً هم الذيــن يقومــون بتلك الهجمات العسكرية ليجبروا الأمريكيين على التفاوض معهم لاستعادة مكانتهم وبحثاً عن مكاسب سياسية ؟**

– إذا صــدق ما قيل عن سيناريو الصفقة فى تسليم بغداد فإن الصفقة قد تمت بــالفعل مع قادة الجيش العراقى وهؤلاء قد قبضوا الثمن ومنهم من ظل فى العراق والآخــرون رحلــوا لخــارج العراق، ولقد سميت أسماء بعينها فى هذا الصدد ثم ما تبقى من الجيش العراقى المنحل ليس فى موقع مناسب للتفاوض مع الأمريكيين أو إجبارهم على ذلك.

وفى تقديرى أن الأمريكيين كانوا سيبقون على أجهزة الدولة والجيش العراقى ليســتمروا فــى إدارة شــئون الحكم لكن هناك قوى سياسية وطنية ضغطت على الأمريكيين وطالبتهم بعدم الإبقاء على أجهزة صدام بعد غيابه لذلك وقع الأمريكيون فــى مــأزق عدم وجود بديل لإدارة شئون الدولة لكنهم شرعوا فيما بعد فى عملية إعادة ترتيب الجيش العراقى بتدريب جنود وضباط عراقيين جدد ومن ثم لا مجال هنا للحديث عن ضلوع القادة السابقين فى العمليات العسكرية الحالية .

- **لكنهم أكثر من «٤٠٠ ألف» جندى وضابط فقدوا رواتبهم ؟**

- هذا صحيح وقد اعترف «بريمر» بخطأ قرار الحل وما نتج عنه من أعباء اقتصادية واجتماعية ثقيلة لذلك قد يفكر الأمريكيون بإعطائهم رواتب شهرية لحين إعادة تعيينهم فى وظائف بديلة بوزارات ومصالح حكومية بعيدة تماماً عن مؤسسة الجيش العراقى الحديث .

- **متى يبدأ إذاً الشعب العراقى مقاومته المسلحة ضد قوات الاحتلال الأمريكى والبريطاني ؟**

- قبل أيام قليلة تشكل المجلس الوطنى العراقى المؤقت وهى خطوة أولية يحتاجها الشعب العراقى وإذ صدق الأمريكيون فى إعطاء الشعب العراقى حريته فعليهم أن يتبعوا هذه الخطوة بخطوات أخرى إيجابية وفقاً لبرنامج زمنى محدد أهمها إعداد دستور دائم للعراق يتم إجراء استفتاء شعبى عليه، ولك أن تعلم أن حزب البعث كان يحكم العراق طوال الـ«٣٥» عاماً الماضية بدستور مؤقت يجب أن يحدد هذا الدستور الجديد طبيعة نظام الحكم «جمهورى - ملكى - برلمانى - رئاسي» ويعقب الدستور إجراء انتخابات برلمانية وتشكيل حكومة وطنية تمثل الشعب العراقي، وكل هذه الخطوات قد تستغرق عاماً أو عامين وبعدها يصبح على الأمريكيين أن يحملوا عصاهم ويرحلوا أما إذا لم يحدث ذلك فلكل حادث حديث وهذا ما اتفقت عليه أغلب التنظيمات العراقية الإسلامية منها والليبرالية والشيوعية والتى ترى ضرورة إعطاء الفرصة كاملة لمجلس الحكم الانتقالى فمن هذه القوى تأخذ المقاومة العراقية شرعيتها وحقيقتها وتكتسب شعبيتها فإذا لم تف الولايات المتحدة بوعودها فسوف ينتفض الشعب العراقى فى مقاومة شرسة تجبر الأمريكيين على الرحيل كما حدث فى عام ١٩٢٠ عندما أجبرت المقاومة قوات الاحتلال البريطانى على الجلاء عن أرض العراق.

- **وهـل حصـلت الأحزاب السياسية العراقية التى شكلت المجلس المؤقت على ضـمانة تؤكـد التزام الولايات المتحدة بوعودها فيما صرح أكثر من مسئول أمريكى بأن قوات الاحتلال قد تبقى لعشر سنوات قادمة ؟**

- هذه التصريحات لا تعدو كونها أحلاماً لبعض المتطرفين الأمريكيين ودعنا نعـود إلى الوراء قليلاً فقد احتل الأمريكيون اليابان وألمانيا لكنهم رحلوا فى نهاية الأمـر، وأعتقد أن الولايات المتحدة إذا اتخذت من العراق قاعدة للانطلاق للمنطقة العربـية وبقيت فيها ١٠ سنوات كما تقول فسيتحول العراق وقتها وبحق إلى مقبرة للأمريكيين فلن يقبل بهذا الشعب العراقى ولا الشعب العربى .

- **لكـن الأمريكييـن يـريدون من العراق بتروله وسداد فاتورة الحرب وإعادة الإعمـار خاصة بعد أن خزلتهم معظم الدول الأوروبية وغيرها التى وعدتهم بـتقديم المسـاعدات وحـتى يصـل إنـتاج البترول العراقى إلى كامل طاقته فيستغرق ذلك من ٥ إلى ١٠ سنوات وفقاً لتقديرات الخبراء ؟**

- هذا صحيح وأضف إلى ذلك أن وسائل ضخ البترول العراقى قديمة وتحتاج إلـى إعـادة إعمار وتحديث وهذا أمر يتطلب استثمارات تنفق فيها المليارات حتى يصـل معـدل إنتاج البترول من ٤ إلى ٥ ملايين برميل فى اليوم كما أن محصلة صادرات البترول العراقى الآن لا تتجاوز «١٢ مليار» دولار فى السنة وهو مبلغ لا يكفى لعملية الإصلاح والإعمار ولا حتى لتغطية النفقات اليومية من أجل تسيير أمـور الحـياة ومن ثم فهو لا يكفى أيضاً لتغطية النفقات الأمريكية وهذا يعنى أن الأمريكييـن وفقـاً لحسـاباتهم يحتاجون بالفعل عدة سنوات حتى يتم سداد فاتورة الحـرب وفاتورة إعادة الإعمار لذلك هى فى تقديرى تشعر أنها فى ورطة وتتكبد يومـياً خسـائر مادية ومعنوية لكن بقاءها فى العراق ليس البديل للخروج من هذه الورطة لأنه سيكون احتلالاً باهظ التكاليف .

- **ذكـرتم أن الأحزاب السياسية التى شكلت المجلس الوطنى المؤقت هى القادرة على قيادة مقاومة شعبية عسكرية منظمة فى حال أخل الأمريكيون بوعودهم**

فكيف تقيمون وجهة النظر التى تقول إن الأحزاب الوحيدة المؤهلة لقيادة مثل هذه المقاومة هى الأحزاب الكردية والشيعية خاصة أن باقى الأحزاب انقطعت صلتها بقواعدها الجماهيرية منذ أكثر من ٣٥ عاماً ؟

- هـذا صـحيح وتحديـداً أن صدام بقضائه على كل التنظيمات والأحزاب السياسية قضى على كل آليات المقاومة الممكنة لكن المؤكد أن الشعب العراقى بكل فـئاته أكراداً وعرباً وشيعة وسنة وتركمان وآشوريين سيهبون هبة رجل واحد فى اللحظة الحاسمة إن ذلك الشعب العراقى لن يقبل مرة أخرى العودة إلى عصر الظلم والاسـتعباد فها هى الحياة السـياسية العراقية تشهد أكثر من «٨٠» حزباً سياسياً و«١٠٠» صـحيفة هذا بخلاف المظاهرات والبيانات التى تصدر عن أحزاب مثل الحـزب الشـيوعى العراقى والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وغيرهما وكل هذه الأحـزاب التى قد تسود الفوضى مشهدها العام سرعان ما ستستطيع ترتيب نفسها لتقود المقاومة الشعبية فى حال أخل الأمريكيون بوعودهم .

- **بهذا المعنى هل نستطيع القول إن رحيل قوات الاحتلال الفورى والعاجل ليس هو المطلب الرئيسى للأحزاب والقوى الوطنية العراقية الآن ؟**

- هذا ما قالته وأعلنته كل الأحزاب الوطنية العراقية من منطلق وطنى عراقى بحـت، وأؤكد هنا أن العراقيين لم يطلبوا من الأمريكيين احتلالهم بل على العكس فطالمـا طالبت الحركة الوطنية العراقية بإزاحة صدام إما بأيد عراقية أو مساعدة عربـية أو حـتى بتفعيل قرار «٦٨٨» للأمم المتحدة والذى طالب بمحاكمة صدام حسـين ومـنعه من الاعتداء على الشعب العراقى ولم ينجح العراقيون للأسف فى إزاحـة صدام بأى من تلك الوسائل وفرض عليهم الاحتلال الأمريكي، وهنا أعود وأكـرر أن انسـحاب الولايـات المتحدة الآن سيكون بديله هو عودة صدام حسين وميليشـياته المسلحة والدخول فى نفق مظلم وهو حرب أهلية لا يعرف أحد مداها وتـدور رحاهـا بين كل الشعب العراقى من أكراد وسنة وشيعة وبين فلول صدام حسين .

- **كيف تثمنون الانتقادات الموجهة للطريقة التى شكل بها مجلس الحكم المؤقت وهى التعيين دون إجراء انتخابات ديمقراطية حرة ومن ثم النظر إلى المجلس باعتباره لا يمثل قطاعات كبيرة من طوائف وفئات الشعب العراقى ؟**

- الفوضى التى يعيشها العراق الآن من فراغ فى السلطة وغياب للأمن ونقص فى الغذاء والدواء تحول دون وجود مناخ مهيأ لانتخابات ديمقراطية تشرف عليها الأمم المتحدة أو غيرها، ونعم هناك العديد من الانتقادات التى وجهت لهذا المجلس لكنه أفضل الخيارات الممكنة وعلينا أن نعطيه الفرصة لكى يحقق المطالب الوطنية فالظرف الذى يعيشه العراق الآن ظرف استثنائى وخطير وعلينا أن نتعامل على هذا الأساس .

- **ولماذا جاء تشكيل هذا المجلس دون انعقاد المؤتمر الوطنى العام كما كان مقرراً ولماذا هذه السرعة فى تشكيله ؟**

- يشعر الأمريكيون الآن أنهم فى ورطة حقيقة فقد فوجئوا باختلاف حساباتهم قبل الحرب عنها بعد الحرب وقبل «بريمر» أعطى «جاى جارنر» وعوداً بتشكيل مجلس وطنى مؤقت ثم ألغاها، وكانت الولايات المتحدة تريد تأجيل مشاركة العراقيين فى الحكم قدر استطاعتها وذلك لخدمة مخططاتها الاستعمارية فى المنطقة ولكن الفراغ الأمنى والحكومى وملاحقة جنودها بشن الهجمات العسكرية المتتالية عليهم وإسقاط الضحايا فى صفوفهم أجبر الولايات المتحدة على القبول بفكرة الإسراع بتشكيل مجلس حكم وطنى مؤقت وإعطائه بعض الصلاحيات لإدارة الشئون الحياتية للشعب العراقى هذا بخلاف الظروف الدولية والأمريكية الداخلية.

- **هل هناك ما يضمن قدرة هذا المجلس على تحقيق الأهداف الوطنية العراقية فى ظل حق الفيتو الذى تمتلكه الإدارة المدنية لسلطة الاحتلال على قراراته ؟**

- الضمانة الأولى لفاعلية مجلس الحكم المؤقت هو استمرار الشعب العراقى فى ممارسة الضغوط السلمية على إدارة الاحتلال من أجل تنفيذ ما التزمت به من وعود للشعب العراقى وإلى جانب ذلك ضغوط الأنظمة العربية على الإدارة

الأمريكية وهو ما يفضى فى النهاية إلى دعم المجلس ومن ثم دعم المطالب الوطنية العراقــية بدءاً من وضع الدستور إلى تشكيل الحكومة الوطنية، فحتى الآن مازالت الــدول العربــية غائــبة عــن الساحة العراقية وعليها أن تعمل على أن يكون لها حضور.

- **كيف تأملون الآن فى دعم عربى وقد سبق وأن خذلكم العرب مع صدام حسين ؟**

– هــنا أذكــر مثلاً عربياً يقول «من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته» فالأنظمة العربية منذ سقوط صدام حسين تخشى أن يأتى الدور عليها وتحلق لحيــتها لذلــك فمــن باب المصلحة الوطنية لها أن تبادر بالتحرك قبل أن يصيبها الدور.

- **تــتحدثون عــن الضغوط السلمية على سلطات الاحتلال كضمانة أولى لفاعلية مجلس الحكم الوطنى المؤقت فيما تعترفون بأن الولايات المتحدة أسرعت فى تشكيل هذا المجلس تحت ضغوط العمليات العسكرية ؟**

– وما يدريك فقد يشتعل كل العراق إذا ما تلكأت أو ماطلت سلطات الاحتلال فــى تنفــيذ وعودها فقد تشتعل المقاومة فى النجف والبصرة والموصل وفى مدن الأكراد، وأعتقد أن الأمريكيين قد أدركوا هذا الدرس.

- **فى هذا السياق كيف تنظر إلى مخاوف البعض من قدوم حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة ؟**

– مثل هذه الأسئلة افتراضية ودعنى اتساءل لماذا نفترض دائماً نجاح المخطط الاستعمارى رغم وجود نماذج فاشلة كثيرة ومتعددة له، ففى الماضى فشلت أمريكا فــى فيتنام وبالأمس القريب خاب أملها فى الصومال والشعب العراقى لن يقبل بأن يتــبوأ أمريكى أو عراقى محسوب على الأمريكيين منصباً فى العراق والدليل على ذلك أن العناصر التى حسبت على الأمريكيين لم تستطع كسب أى تأييد شعبى برغم طنطــنة وســائل الإعــلام باســمائها، وفــى رأيى أن الشعب العراقى لن ينتخب إلا حكومة وطنية لا تخدم إلا المصالح العراقية فى سياقها العربي.

- **وكـيف تقـيمون ما يتردد عن وجود مخاوف خليجية من قيام حكومة شيعية عراقية فى حالة إجراء انتخابات ديمقراطية خاصة أن الشيعة يمثلون الأغلبية العظمى من الشعب العراقى ؟**

– الشيعة ليسوا مؤسسة حزبية أو كتلة واحدة أو حركة تسير وفق منهاج واحد لكـنها طائفـة إسـلامية وشأنهم شأن السنة فهم جميعاً مواطنون عراقيون وعرب وكونهم شيعة لا يعنى أنهم يتحركون وفق أمر واحد ففى الشيعة أطياف أيديولوجية وفكـرية فمـنهم الديمقـراطى والليبرالى والعلمانى والمتطرف، والانتماء المذهبى لشـيعة العراق لا يمتد إلى إيران وأنا اتساءل لماذا إيران بالذات وليس العكس أى ينـتمى شـيعة إيران إلى العراق حيث مثوى الإمام على بن أبى طالب فى النجف الأشرف ثم هل شيعة لبنان وأفغانستان وباكستان يدينون بالولاء لإيران؟، لقد صنع «بعبع» الشيعة إبان انتفاضة ١٩٩١ فى الجنوب ليبرر بقاء صدام حسين فى الحكم حيث تم الترويج إلى أن شيعة العراق سيرتمون فى أحضان الخمينى إذا وصلوا إلى الحكـم حـتى يتم تخويف دول الخليج التى ينتشر فيها المذهب السنى لقد استخدم الشـيعة كبعـبع سياسى فحسب والدليل على ذلك أن الجيش العراقى الذى حارب إيران الشيعية فى حرب الخليج الأولى كان يتألف أغلبه من الشيعة وهؤلاء حاربوا إيران من منطلق عراقي، للأسف استخدمت الأنظمة العربية الشيعة لتبرر استمرار بقاء صدام حسين فى الحكم .

- **لكـن هـذه المخـاوف الخليجية لم تنته برحيل صدام حسين ودائماً ما يطرح السؤال عن مصير شيعة الكويت والبحرين والإمارات والسعودية المتواجدين فى مناطق البترول ؟**

– دعـنى أتسـاءل هـل شيعة البحرين والسعودية وغيرهما يدينون بالولاء لإيران؟ إنهم فى الحقيقة مواطنون سعوديون أو بحرانيون، وهل تحولت إيران إلى المذهـب الشـيعى فـى عهـد الخمينى بعد رحيل الشاه؟ أم أنها شيعية منذ الدولة الصـفوية؟، هـذه المخـاوف لم يكن لها وجود فى عهد الشاه لأنه كان مرتمياً فى أحضـان الأمريكيين ويعد بمثابة شرطى الخليج الذى كانت تخشاه كل الأنظمة فى تلك المنطقة.

- **لكــن ألــم يستخدم الأمريكيون فزاعة الشيعة فى وجه باقى القوى السياسية العراقــية حــتى أن «كولن باول» أعلن صراحة وقوف سلطات الاحتلال ضد مجيء أى حكومة شيعية دينية حتى لو كان ذلك عبر الانتخابات الديمقراطية ؟**

– لــم يقل كولن باول ما قاله إلا بعد ما سمعه من الأنظمة العربية وهى التى أدخلت فى ذهنه تلك المخاوف فلن يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للولايات المتحدة إذا مــا حكــم العراق شيعى أو كردى أو تركمانى وهذه هى نفس المخاوف التى قيلت لــبوش الأب عــندما طلب منه عدم دخول العراق فى العام ١٩٩١م تحت زعم أن الشيعة قادمون وأن هواهم إيرانى .

أمــا مــا يقــال عن استخدامهم كفزاعة لتأجيل الانتخابات العراقية فأمر غير صــحيح تماماً بدليل أن الولايات المتحدة سمحت للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وهو الحزب الشــيعى الكبير أن يكون له موقع الصــدارة فى مجلس الحكم الوطنى المؤقــت، إن هــذا الهوس بالفزاعة الشيعية هوس عربى وخليجى ومرجعه أسباب سياســية، وهنا يجب الإشارة إلى ما أعلنه السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلــى للثورة الإسلامية حيث أكد أنه وحزبه لا يسعون لاستنساخ نظام حكم من إيران، وقال إن الاستنساخ عندنا حرام سواء فى الأجنة أو أنظمة الحكم وهذا يعنى أن الأحزاب الشيعية تحرص على ألا تطلق شعارات دينية بل تشارك فى شعارات وهتافات موحدة مع السنة وغيرهم وكلها تدور حول الوحدة الوطنية العراقية .

- **كــيف تثمــن مخــاوف بعض المثقفين العرب من اعتراف الحكومة العراقية القادمة بإسرائيل بل والسماح بتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى العراق وذلك فى سياق التحرك الأمريكى لحل الصراع العربى – الإسرائيلى ؟**

– مثل هذه المخاوف والسيناريوهات التى تأتى على ألسنة المثقفين هى محض افتراضــات وتنبؤات وليس بالضرورة أن تتفق مع الواقع فمن أدراهم أن الحكومة القادمــة ســتكون موالية للولايات المتحدة وتقوم بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل ليس بالضــرورة أن يــنجح المخطط الاستعمارى وظنى أن الحكومة الوطنية العراقية القادمــة لــن تقر واقعاً أو مسألة فى القضية الفلسطينية يرفضها الشعب الفلسطينى وأنها ستلتزم فى هذا الشأن بالذات بما يرتضيه الفلسطينيون لأنفسهم.

- **هــل الشــرط الوحيد لوطنية الحكومة العراقية القادمة هو مناصبتها للولايات المتحدة الأمريكية العداء ؟**

- بالطــبع لــيس شــرطاً فقد تكون هناك حكومة وطنية عراقية تعمل على مصــلحة العــراق باحــتفاظها بعلاقــات سياسية جيدة مع جميع دول العالم ومنها الولايــات المتحدة ثم أليست معظم الأنظمة العربية إما حليفة أو صديقة للأمريكيين فلمــاذا يحرم ذلك على العراق هل العلاقة الحسنة والحفاظ على المصالح السياسية والاقتصادية عمالة !!.

- **أدعــت الولايــات المــتحدة الأمريكية أنها ستجعل من العراق نموذجاً متقدماً يصيب الأنظمة العربية المحيطة به بعدوى الديمقراطية فهل تعتقد بأن الشعب العــراقى بتنظــيماته السياسيية إذا نجح فى إفشال النموذج الأمريكى بفرض مطالبه الوطنية ومن ثم حكومة عراقية ديمقراطية غير موالية ووطنية يكون مؤهــلاً لــنقل نموذج للتحرر من ديكتاتورية الحاكم الوطنى وسلطة الاحتلال الأجنبى لباقى الشعوب العربية ؟**

- المؤكــد أن العراقيين إذا نجحوا فى ذلك فسوف يقدمون نموذجاً فريداً من نوعه غير أنه سيحارب من الأنظمة العربية المحيطة به لأنه سيشكل تهديداً حقيقياً لهــا وسيهاجم العراق كما لم يهاجم من قبل وأذكر أن ذلك حدث مع الكويت عندما اتجهت لإحداث تحول ديمقراطى حقيقى وإجراء انتخابات برلمانية نزيهة.





د. أسامة الغزالى حرب

يتأكد مع كل سطر فى هذا الحوار كم هى شاملة رؤية مفكرنا وكم هى وسيعة نظـرته رغم ضيقه وتبرمه من الشمولية كمنهج سياسى واقتصادى يصدنا بأغلال الفقـر والجهل والتخلف مؤكداً أنه لا سبيل إلى خلاص أمتنا إلا أن يتشبث أبناؤها ومثقفوها بكل ما أوتوا من قوة بلحظة ميلاد ديمقراطى تكاد تشرق شمسها فى ظلمة الحوائط وعتمة الأحداث الجسام والوقائع إنه الباحث المدقق والمفكر السياسى الكبير الدكـتور أسـامة الغزالى حرب رئيس تحرير مجلة «السياسة الدولية» الذى فاجأنا بتأكـيده أن القومية العربية التى يعتبر نفسه أحد المؤمنين بها ليست وهماً حتى بعد سقوط بغداد وإلا لما نجحت فى تحريك الشارع العربى كله من المحيط إلى الخليج وأن النظام السورى فهم الرسالة الأمريكية واستوعب درس رأس الذئب الطائر وأنه يسـتعد الآن للالـتحاق بركب خارطة الطريق وأن حزب الله أعقل من أن يغامر بالانـتحار فـى مواجهة صريحة مع الولايات المتحدة وأن النظام السعودى يواجه خطر فقدان المملكة .

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

- لــم يكن السقوط مفاجئاً بالنسبة لي ، إلا أن المفاجأة كانت فى السرعة التى حــدث بهــا فلــم يكن عندى شك فى انهيار هذا النظام، ذلك أن جميع المراجعات الفكــرية الــتى حدثت بعد نكبة ٤٨ ونكسة ٦٧ وهزيمة ١٩٩١، أكدت أن جوهر المشــكلة هــو غــياب الديمقراطية عن المجتمعات العربية لكننا نستطيع أن ننظر للمشهد نفسه من منظور آخر، وهو أن ما حدث عدوان قامت به أكبر قوة فى العالم مفــتقدة إلى الشرعية الدولية ومتحدية لكل قواعد القانون الدولى ضد دولة صغيرة كالعــراق غــير أن هــذا المنظور يعد تبسيطاً للأمور، لأن العراق كان فى وضع خاص، فلقد كان فى حالة حرب أهلية ضمنية بين نظام قمعى مستبد وشعب كامل، ومثل هذه النظم لا يمكن أن تكون قادرة على الدفاع عن أوطانها أو أن يكون هناك توحد بينها وبين شعوبها فالأكراد فى الشمال كانوا يعيشون تحت حماية دولية خلال السنوات العشر الماضية، والأمر ذاته ينطبق على الشيعة فى الجنوب، ولقد تعرضا كلاهما لمجازر حقيقية، أى أن النظام لم يكن يحكم عملياً سوى منطقة الوسط. هذا بخــلاف ملايين النازحين إلى الخارج الذين تشكلت بينهم نواة المعارضة العراقية. نحــن لم نكن إذن إزاء نظام وطنى يمتلك الحد الأدنى من الشرعية ومن هنا يأتى المنظور الثانى لمشهد السقوط. ولذلك كان فى تقديرى منذ اللحظة الأولى أن سقوط هذا النظام أياً كانت أسبابه مكسب حقيقى للشعب العراقى والعربي، بل وللعالم كله. المشكلة هنا أننا نجد أنفسنا إزاء تناقض نادر الحدوث بين الخلاص من نظام مستبد وبيــن أن يــتم هــذا فى سياق عدوان خارجي، حيث ندين العدوان بحكم التعريف والمــنطق وندين أيضاً هذا النظام الذى نعرف يقيناً أنه من المستحيل أن يسقط إلا بعمل عسكرى من هذا النوع للأسف. بعبارة أخرى إننا نرفض تغيير النظام بعدوان خارجي، لكن من قال إن الشعب العراقى كان قادراً على الإطاحة به، وهو الشعب المغلوب على أمره، فهو لم يأت به ولم يكن قادراً على الخلاص منه، وهنا تطرح عــدة تساؤلات الأول: هل ذهبت الولايات المتحدة للعراق للإطاحة بصدام حسين؟ الإجابــة طبعاً بالنفي، فأى مبتدئ فى العلوم السياسية يعرف حقيقة أهداف الولايات

المتحدة الأمريكية فهى ذهبت للسيطرة على البترول العراقي، ومن ثم السيطرة على استراتيجية النفط العالمى مما يعطيها موقع اليد العليا فى علاقتها مع باقى الدول. هى أيضاً ذهبت لدرء هواجس إسرائيل من الخطر العراقى رغم أن صدام لم يكن يشكل أدنى خطر عليها وأتصور أن العناصر اليهودية فى الإدارة الأمريكية لعبت دوراً مهماً فى دفعها لخوض هذه الحرب، كما أنها ذهبت لتأكيد سيطرتها فى ظل النظام العالمى ما بعد الجديد الذى تمثل فيه الولايات المتحدة ليس فقط القطب الأوحد، ولكن أيضاً عالماً بأكمله فى مواجهة العالم القديم. لكن الولايات المتحدة أعلنت أسباباً أخرى أولها نزع أسلحة الدمار الشامل التى أصبحت مجرد أضحوكة وثانيها الإرهاب الذى ينبغى التوقف عنده فقد أصبح على رأس أولويات أجندتها بعد أحداث ١١ سبتمبر إسقاط النظم العربية والإسلامية التى يفرخ استبدادها الإرهابيين لما يحملونه من تطرف إسلامى أضحى عدواً جديداً لها وهذا ما أعطى الفرصة لقوى يمينية متطرفة فى الإدارة الأمريكية لكى تتقدم الصفوف وتصيغ السياسات الأمريكية الجديدة التى تستهدف إعادة النظر فى الأوضاع العربية والإسلامية الاستبدادية التى تنعكس سلباً عليها فى ثياب تفكير دينى متطرف. إنهم لا يريدون تطوير المجتمع العربى والإسلامى قدر ما يريدون حماية أنفسهم، ومن ثم رفعوا شعار محاربة الإرهاب الدولي، وفى هذا السياق كانت حربهم على طالبان مصدر التهديد المباشر وبعد ذلك تساءل السياسيون الأمريكيون من أين نبدأ لتغيير الأوضاع والنظم فى العالم الإسلامي؟ فجاءتهم الإجابة من مؤسسات التفكير الاستراتيجى وصناعة القرار بأن العراق أفضل نقاط البدء فهو قادر فى أى لحظة على امتلاك السلاح الذى يهدد أمنهم كما تمثل شعاراته تغذية للقوى الإرهابية وهو دولة غنية ذات إمكانات كبيرة ومن ثم فإن إقامة دولة نموذجية به يمكن أن يكون مؤثراً على مجمل العالم العربى والإسلامى أى أن العراق توافرت له كل الشروط لإقامة النموذج الأمريكى غير أن هذا الحرص الأمريكى على استبدال النظم العربية بأخرى ديمقراطية لم يكن وارداً فى السياسة الأمريكية من قبل فهى على العكس من ذلك كانت تنظر لهذه النظم إبان حربها الباردة مع الاتحاد السوفيتى باعتبارها نظماً

قـادرة علـى مواجهـة التهديد الشيوعى بصرف النظر عن أى ملامح أو سمات ديمقراطية وتستحق دعمها كما فعلت مع نظام الشاه فى إيران والنظم المحافظة فى السعودية، بل وصدام نفسه .

- **كشـفت تفجـيرات الـرياض والدار البيضاء أن أمريكا لاتزال مستهدفة فهل حملتها هذه ستستمر بنفس الشكل العدوانى أم أنها ستتواصل بأشكال أخرى أم ستتوقف عند هذا الحد ؟**

– لا يخالجـنى أى شـك أنها ستستمر وتمتد لتغيير العالم الإسلامى كله عبر مـراحل وأشـكال مختلفة ، لكن لا يعنى البدء بالعراق فى إطار حملة عسكرية أن يكون هذا الشكل قابلاً للتكرار فهناك أشكال كثيرة ربما يكون أهمها الآن هو تقديم نموذج جاذب للآخرين فى العراق كما أن رأس الذئب الطائر سيدفع آخرين للتغيير دون أى جهـد . الـتدخل العسـكرى وارد لكن هناك وسائل أخرى كالدبلوماسية والضـغوط والحـرب الإعلامية والمعركة طويلة وممتدة ومع ذلك دعنا نقول إننا نحـتاج إلى التغيير فى العالم العربى والإسلامى وأن الدعوة إليه أصيلة منذ محمد عـبده وقـبله الأفغـانى والكواكبى والطهطاوى وخير الدين التونسى وكلهم دعوا لـتطوير المفاهـيم الإسلامية طلباً للتغيير لكن المشكلة أن التداخل بين هذا المطلب العـربى والسعى الأمريكى الآن أثار كثيراً من القلق والضبابية لدى المثقفين الذين بـدأوا يتسـاءلون هل نريد التغيير من أجل أمريكا أم لحاجتنا إليه وعلينا أن نحسم الإجابة بأنه من الأكرم لنا التغيير بغض النظر عن رغبات أمريكا.

- **فـى إطار هذا التشابك والتعقيد هل كنا بحاجة إلى عودة الاستعمار من جديد لنستعيد شيئاً من حرياتنا التى اغتصبتها نخب ما بعد الاستقلال؟ وكيف يمكن أن يحدث هذا بعيداً عن المطرقة الأمريكية ؟**

– بأن يكون التغيير بإرادتنا نحن لأن المطرقة الأمريكية لا تريد الديمقراطية مـن أجلـنا وعلـينا أن نعى أن الديمقراطية معناها ازدهارنا الثقافى والاقتصادى

والاستقرار السياسي. لا خيار أمامنا إلا أن نملك نحن قرارنا وأن تكون إرادتنا هى دافعنا الوحيد للتغيير فمن المشين لنا أن نغير تحت ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وإذا حدث فى لحظة تاريخية أن اتفقت رغبتنا فى الديمقراطية مع مصالح الولايات المتحدة فيها فلا بأس ولا ينبغى أن نرفض الديمقراطية لمجرد أنها دعوة أمريكية. ما يهمنا هو مستقبلنا وعلينا أن نعترف أولاً بأن العالم الإسلامى كله فى حالة تدهور على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويبدو متطفلاً على الحضارة العالمية واستمرار هذا الوضع قد يدخلنا مرحلة يصعب فيها سد الفجوة ويصبح التخلف قدرنا وعلينا أن ندرك أن التغيير يجب أن يأتى من قوى داخلية تماماً كما حدث فى المعسكر الشيوعى فى أوروبا الشرقية عندما جاء التحول من داخله عبر جورباتشوف ويلتسين عضوى الحزب الشيوعي. نحن بحاجة إذن إلى حكومات قادرة على إدراك خطورة اللحظة وضرورة التغيير وأتصور أن التغيير فى العالم العربى سيأتى من تقابل قوتين هما ضغوط المفكرين والمثقفين والوعى المأمول من جانب الحكومات وإن كنا لا ننكر أن الضغط الأمريكى أمر حاضر ومؤثر، لكن نرجو ألا يكون هو العنصر الحاسم .

- **فى هذا الإطار كيف تثمن إلغاء محاكم أمن الدولة وإنشاء المجلس القومى لحقوق الإنسان ؟**

– الوثائق تثبت أن الكلام عن التغيير داخل الحزب الوطنى سابق على الدعاوى الأمريكية وإن كنت أرى أن ما تم جيد لكنه ليس كافياً وتصورى أن هناك وعياً متزايداً لدى النخبة المصرية بضرورة وأهمية التطوير والتغيير لكننا مازلنا نحتاج إلى مبادرات أعمق ومعدلات أسرع فهذا هو السبيل الوحيد.

- **لكن الرغبة الأمريكية فى المقرطة وتغيير الأنظمة العربية هل هى استراتيجية ثابتة أم أنها حالة مرتهنة ببقاء أو بذهاب الإدارة الحالية ؟**

– النمط السياسى الأمريكى الحالى الذى يهدف للهيمنة لا يمثل مشكلة بالنسبة لنا وحدنا فهو مشكلة للعالم كله بما فى ذلك أوروبا وروسيا والصين.. التى تحسب

جميعها ألف حساب لهذا العملاق الذى يتقدم بكل قوة وتناقش فيما بينها كيفية التعامل معه لذلك فإن علينا أن نتعامل معه فى إطار الاتساق مع حركة العالم كله دون تبسيط أو استخفاف فنحن إزاء قارة بأكملها تعتقد أنها مركز الحضارة.

- **كيف تقيم المقولة التى تؤكد أن اللوبى الصهيونى متغلغل فى الإدارة الحالية وهو الذى يقودها حالياً ؟**

– يعكس تصريح شارون الأخير الذى اعترف فيه بأن وجود جيش فى الضفة وغزة احتلال لأول مرة يعكس إصراراً أمريكياً على السير فى استراتيجية التغيير فى العالم العربي، حيث أدركت الإدارة الأمريكية أن العقبة الكئود أمام هذه الاستراتيجية هو القضية الفلسطينية التى لاتزال سبباً رئيسياً لاستمرار العداء والكراهية العميقة لدى شعوب المنطقة للولايات المتحدة رغم ما تقدمه من معونات اقتصادية هنا وهناك، ولذلك فليس مصادفة أن تكون أول مرة يتحدث فيها رئيس أمريكى عن دولة فلسطينية مستقلة هو جورج بوش الابن بعد أحداث سبتمبر التى أكدت على درس عام ١٩٩١، عندما تعاطف العرب مع صدام الغازى والمعتدى ليس حباً فيه، ولكن كرهاً للدعم الأمريكى لإسرائيل. ولذلك انعقد مؤتمر مدريد للسلام وتبعته اتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣ إضافة لمعاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية وتقديرى الآن أن الأمريكيين قد أظهروا لإسرائيل جديتهم فى حل الصراع، وإن كان هناك خلاف على هذه المسألة، إلا أن المؤكد أن هذه الجدية تأتى فى إطار استراتيجية التغيير والقضاء على مصدر الإرهاب وإذا كنا نأخذ فى الاعتبار الضغوط الإسرائيلية عبر اللوبى الصهيونى فى أمريكا إلا أنه من الخطأ أن نوحد بين أمريكا وإسرائيل فهناك دائماً مسافة بينهما هى التى نشاهدها الآن .

- **فى هذا السياق كيف تنظر إلى استبعاد عرفات كقيادة فلسطينية تاريخية واستبداله بأبى مازن ؟**

– هناك أكثر من تفسير أمريكى وإسرائيلى لاستبعاد عرفات منها أنه سبق وأن منح الفرصة بتدخل حقيقى من جانب الرئيس الأمريكى السابق، بل كلينتون

لكنه وقتها لم يستطع إثبات أنه الرجل القوى الذى يستطيع السيطرة على شعبه، بل إنــه ظهر بصورة المتردد والمراوغ إضافة إلى العداء الإسرائيلى الطبيعى لعرفات كرمــز للإصرار الفلسطينى على النضال، كما أن القوى المعتدلة فى إسرائيل التى كانت تعتبر عرفات عدواً قبل أوسلو تعرب عن اندهاشها من استمراره فى استخدام العــنف ضــد إســرائيل بعد أوسلو لكننى أعتقد أن استمرار عرفات رمزاً للنضال الفلســطينى مرتــبط بمجموعــة من المطالب الوطنية التى يصعب التنازل عنها، وبالــتالى فــإن استبعاده نوع من الإذلال لإرغام الفلسطينيين على القبول بشروط معينة وهو وضع يضع علامة استفهام على الكلام الأمريكى حول مقرطة الأنظمة العربــية، فعــرفات فى النهاية زعيم منتخب من شعبه فى انتخابات حرة معترف بصحتها من جميع الأطراف بما فيها الولايات المتحدة، لذلك ليس مصادفة أن تدعم القوى الأوروبية موقف عرفات لإحداث نوع من التوازن .

- **يــدور الكلام الآن حول إجبار أبومازن إسرائيلياً على نزع السلاح عن فصائل المقاومة الفلسطينية.. هل يفضى ذلك إلى حرب أهلية فلسطينية ؟**

– أتمــنى ألا تخطئ القوى الإسلامية الفلسطينية فى تقدير الموقف فإذا كانت المقاومة مشروعة إنسانياً وقانونياً فلا ينبغى أن تكون كل أغراضها تحقيق مكاسب أكبر فى التنافس السياسى مع القوى الأخرى، فمن المؤكد أن من مصلحة إسرائيل أن تحــدث حــرب أهلــية بين السلطة وفصائل المقاومة الإسلامية مما يؤدى إلى إضــعاف النضال الفلسطينى كله وهو فخ لا يجب الوقوع فيه فعلى الأقل من حق الشعب الفلسطينى أن يحيا حياة طبيعية وأن ينعم بالسلام.

- **نعــود للمشــهد العــراقى كيف ترى عودة المقاومة التى تجلت فى العمليات الأخيرة؟ وهل تعتقد أن أمريكا صادقة فى تقديم نموذج لعراق ديمقراطى ؟**

– فــى التحلــيل السياســى لا يوجد ما يسمى بالنوايا الطيبة أو الشريرة فمن مصــلحة الولايات المتحدة تقديم نموذج أمام العالم العربى والإسلامي، وإذا نجحت فــيه فستتســبب فى هزة عنيفة فى المنطقة نظرياً على الأقل والسؤال هل ستنجح

أمـــريكا فى هذا أم لا؟ أما من حيث النية فنعم وللمرة المليون ليس من أجل عيوننا وإنما لتحقيق أهدافها هي.

وعـــندما نتأمل السلوك الأمريكى فى العراق لا يجب أن نستبق الأحداث فنحن إزاء مجتمع تم تدميره بالكامل، خلال ٣٥ عاماً عبر نظام مستبد تغلغلت كوادره فى كـــل قطاعاتـــه، ومن ثم فليس من المتصور أن يتم إعادة بناء هذا المجتمع خلال شـــهرين فقـــط، وتصـــورى أنها عملية ستستغرق وقتاً طويلاً، خاصة أن المجتمع العراقي، شديد التعقيد، والتعددية، ويحمل ميراثاً ثقيلاً، من عهد النظام الديكتاتورى الســـابق، وبالـــتالى فنحن إزاء تحد غير تقليدي، وأسئلة يصعب الإجابة عنها الآن مـــثل.. كـــيف سيتم التعامل مع الاحتلال وما هى أشكال مقاومته، فمن الصعب أن نشبه الوجود الأمريكى الآن بالاحتلال الذى كان قائماً قبل الحرب العالمية الثانية.

وإذا كـــان مـــن الصـــعب التسرع فى الحكم على التجربة الأمريكية، إلا أن احتمالات نجاحها كبيرة، خاصة أن القيادات التاريخية للعراق فى معظمها، تتعامل مـــع الإدارة الأمريكـــية، وســـلطة الاحـــتلال، وهناك نوع من الاتفاق بينهما على الإجـــراءات المـــتعلقة، بانعقاد المؤتمر الوطنى العام، وتوقيته، ومتى سيتم تشكيل حكومة مؤقتة، وهذه القيادات التقليدية لا يمكن التشكيك فى وطنيتها، لذلك لم يطرح أحد مسألة خروج قوات الاحتلال كأولوية، ولو حدث لاتهم الأمريكيون بأنهم تعمدوا تخريـــب العراق وتقسيمه، بتركهم العراق، لأن جلاءهم يجب أن يأتى فى اللحظة الملائمة لنا نحن أيضاً. فمن الذى سيتحمل مسئولية الدمار الذى حدث؟ ما أقوله إن على الأمريكيين أن يرحلوا عندما تحكم العراق حكومة ديمقراطية حقيقية.

- **لكن هل جاء الأمريكيون ليرحلوا ؟**

– نحن أمام وضع دولى وإقليمى مختلف تماماً، ولا يمكن تصور إجابة جاهزة عليه فقد يرحل الأمريكيون بعد عشرة أعوام وعشرين عاماً أو قبل ذلك بكثير. هذه مســـألة مرتهنة بتحقيق أهدافهم من الغزو فمتى حققوها رحلوا وعلى أية حال ليس رحـــيلهم هـــو المطروح الآن وإنما المطروح هو أن تحكم العراق حكومة عقلانية وديمقراطية.

- **لكـــن الأمريكيين رغم حديثهم عن النموذج الديمقراطى أعلنوا رفضهم القاطع لدولة إسلامية على غرار إيران حتى لو جاءت بها أغلبية شيعية ؟**

– المؤكد أن الأمريكيين لن يأتوا بحكومة تناصبهم العداء وإلا كان الحديث فى شـــيء آخـــر غير السياسة، لكن أيضاً دعنا نتساءل هل يجب أن تكون أى حكومة وطنـــية معاديـــة لأمريكا؟ ومن من النظم العربية يعاديها؟ فى الخليج أو مصر أو المغرب، ليس الأمر بهذه الحدة فما نحتاجه هو حكومة غير عميلة لأمريكا وإن كان وجود الاحتلال الأمريكى يضع علامات استفهام كبيرة حول هذا المطلب، ومع ذلك علينـــا أن نبحـــث أوجه الاتفاق والخلاف مع الكلام الأمريكى فإذا كانوا لا يريدون نموذجـــاً إيرانـــياً فى العراق فمن من البلدان العربية يريده؟! والمؤكد أن النموذج الإيـــرانى لـــيس الـــنموذج الأمـــثل للديمقراطـــية وتصورى أن النموذج الغربى للديمقراطـــية هو الأقرب إلى روح الديمقراطية كما نفهمها، وأعتقد أن المسألة فى العـــراق أكثر تعقيداً من الحديث عن أغلبية شيعية فهناك عدة إرادات أخرى كالسنة والأكـــراد والتركمان والآشوريين والنموذج الأمثل فى ظل هذا التعدد هو النموذج الديمقـــراطى الليبرالى الذى يتيح للجميع فرصة التعبير عن الذات دون أن تفرض قـــوة معيـــنة إرادتهـــا على الآخرين، إن النموذج الديمقراطى فى العراق يجب أن يـــتجاوز مســـألة الشيعة والسنة والأكراد، ويحول دون أن يصبح الانتماء المذهبى انتماءً سياسياً، فالمشكلة أن القوى غير العربية، خاصة الأكراد تعرضت لاضطهاد، جعلهـــا تسعى لبلورة هويتها الذاتية بشكل مبالغ فيه، وتصورى أنها عملية مؤقتة، فالقـــيادات العراقية، أكثر وعياً الآن بطبيعة التحدي ، فقسوة درس صدام حسين ، ســـتحول دون تصعيد الخلاف ، بين هذه القوى المذهبية والعرقية ، لحد الاقتتال ، وعلى أية حال فلنترك للقوى السياسية العراقية الوقت الكافي ، لتنمو وتتضح وتبلور خطابهـــا للشعب العراقي ، لذلك تأتى هنا أهمية تشكيل حكومة انتقالية ، تعمل على تمهـــيد الأرض لإجـــراء انتخابات نزيهة ، لصياغة نموذج ديمقراطي، ليبرالي ، حقيقي .

- **فى هذا السياق كيف ترى مستقبل حزب «البعث» ؟**

– من الناحية النظرية ، فإن حزب «البعث» له تاريخه وأيديولوجيته وقياداته ، فهـو ليس ظاهرة هامشية ، لا فى الحياة العربية، أو العراقية ، لكن القوى الشعبية العراقـية ، فى هذه اللحظة تصر على استبعاده ، ورفض وجود كوادره ، فى أى مواقـع إدارية أو قيادية ، وهو أمر طبيعى ، بالنظر إلى سقوط من هذا النوع الذى حدث .

ومـع ذلك ، يمكننا تصور عودة بعث آخر، يرتبط بالمبادئ الأصيلة التى قام عليها البعث، ويلتزم بالمبادئ الديمقراطية، ولكن ذلك يحتاج إلى بعض الوقت .

- **عـادت الولايات المتحدة مرة أخرى تلوح بتهديداتها للنظام فى طهران فماذا تـريد أمـريكا من إيران، بعد أن حاصرتها بتواجدها العسكرى فى أفغانستان والعراق والخليج ؟**

– فـى سـياق مـا ذكـرته عن الاستراتيجية الأمريكية الشاملة تجاه العالم الإسلامى، لا يبدو السلوك الأمريكى تجاه إيران مستغرباً ، وتصورى أنها ستصعد موقفهـا من النظام هناك، لكن بشكل يختلف عما فعلته مع نظام صدام فى العراق، فالنظام الإيرانى ، وإن كان من الصعب وصفه بالديمقراطى ، وفقاً للمعنى الغربى، إلا أنـه يحظـى بشعبية كبيرة، ويتمتع بسمات ديمقراطية لا يمكن إنكارها، إلا أن إيـران مسـتهدفة مـن الاستراتيجية الأمريكية الجديدة بسبب الاتجاهات المتطرفة والمتعصبة داخلها، ومعاملة الثورة الإسلامية فى إيران، الولايات المتحدة باعتبارها الشـيطان الأكـبر مسـألة لا يمكن أن تقبلها الإدارة الأمريكية، كذلك دعمها لقوى تعتبرها الولايات المتحدة إرهابية مثل «حزب الله»، مسألة لا يمكن أيضاً السكوت علـيها، إلى جانب ذلك كله ، هناك المخاوف الإسرائيلية من إيران ، فهى تضعها تحت المجهر وتراقبها بدقة، خاصة بعد اتجاهها للعمل فى برنامجها النووى ، لكنى أعـتقد أن الـنظام فى طهران يملك من الحنكة السياسية ما يمكنه من التعامل مع الولايـات المتحدة بحذر شديد، فهو كالسائر على خيط رفيع ، ليوازن بين شعاراته

الـثورية ، وبين عدم الخضوع لأمريكا ، وقد نجحوا حتى الآن فى تجنب التصعيد الأمريكى ضدهم .

- **علـى ذكـر «حـزب الله» كيف ترى مستقبله، فى ضوء الضغوط الأمريكية لتصفيته ؟**

– أعـتقد أن «حـزب الله» يـتحرك بحنكة وبراعة سياسية، حتى الآن، فهو لا يسـعى للانتحار ، أو مواجهة حمقاء مع الولايات المتحدة ، بتأكيده على طابعه الـتحررى الوطني، وأتصور أن الموقف الأمريكى حياله مرجعه الأساسي، علاقته بسوريا، واستخدامها له لتحقيق أهدافها فى مواجهتها وحوارها الخفى مع إسرائيل، غير أن المسألة مختلفة الآن، فهناك وعى متزايد لدى الحزب، بألا يكون أداة، تعمل لصالح قوى خارجية ، حتى لو احتفظ ببعض شعاراته القديمة، فمن الناحية الفعلية، لـدى حزب الله الآن وعى بحقيقة التحديات المطروحة ، على الساحة، لذلك هو لن يغامر بمواجهة أكبر من إمكانياته .

- **وماذا عن سوريا ؟**

– الـنظام السورى قد فهم الرسالة الأمريكية ، وهو فى وضع قريب الآن من خـريطة الطـريق ، فـى علاقته بإسرائيل ، خاصة أن شعارات النظام السورى القومـية ، كانت عالية وزاعقة ، فيما تتضاءل أمامها ممارساته العملية ، وها هو يـتجاوب مـع الرسائل الأمريكية تجنباً لمواجهتها ، ومن حسن حظه أن الولايات المـتحدة الآن حريصة على إتمام عملية التسوية الشاملة أكثر من أى وقت مضي، وبالـتالى ، فهـناك إمكانية لإنهاء الصراع السورى – الإسرائيلى ، والتوصل إلى تسوية مقبولة ، وعلى أية حال، فإن حل القضية الرئيسية وهى الصراع الفلسطينى – الإسـرائيلى سوف ينعكس بالضرورة على باقى أطراف الصراع ، مثل سوريا، بـل وتواجدها العسكرى فى لبنان ، مصيره إلى التصفية ، و«حزب الله» سيتحول إلى حزب سياسى شرعى ، يقوم بدوره الطبيعى فى الحياة السياسية اللبنانية .

• **فى هذا السياق كيف ترى مستقبل «جماعة كوبنهاجن» ؟**

- دعنى فى البداية أعترض على مسمى «جماعة»، رغم أننى رفضت دعوة المرحوم الأستاذ لطفى الخولى للانضمام إلى هذه المجموعة لكننى أظل على موقفى المدافـع عن حق هذه المجموعة فى أن تباشر الحوار مع قوى السلام فى إسرائيل، فهذه مسألة إيجابية وأحد أخطائنا فى مصر والعالم العربى ترددنا فى فتح مثل هذا الحوار بحجة أنها قوى هامشية أو أن كل القوى فى إسرائيل متساوية. إن المهم أن نعمـل بفاعلية للتأثير داخل المجتمع الإسرائيلى عبر قوى السلام المتواجدة بداخله طالمـا أنـنا اخترنا سبيل السلام مع إسرائيل لننقل من الطابع العدائى داخلها ضد العـرب ويجب فى هذا الإطار أن نثق فى أنفسنا باعتبارنا القوى الأصلية فى هذه المنطقة فما الذى يجعلنا نشعر بعدم الثقة فى أنفسنا إذا تحاورنا معهم ونحن أصحاب كل هذا التاريخ إلا إذا كنا نتعامل مع أنفسنا كمجموعة من المتخلفين وتصورى أنه كلمـا كـان هـناك سلام بيننا وبين إسرائيل كان ذلك فى مصلحتنا نحن بالدرجة الأولي، فالمواجهة بيننا وبينهم حضارية وإنسانية فى جوهرها ومرتهنة فقط بمدى قدرتنا على بناء أنفسنا وعلى التقدم والخروج من مأزق التخلف وأقدم من قال هذا الكـلام هو جمال عبد الناصر زعيم القومية العربية الذى لم يقل كلمة واحدة يفهم مـنها أن هدفـه هو تدمير إسرائيل عسكرياً. إنه صراع يحكمه التطور الحضارى والـثقافى والاجتماعى والاقتصادى والتوجه نحو الديمقراطية ولو حققنا ذلك سيتم تحجيم إسرائيل فى إطار وزنها ووضعها الطبيعى وإذا كان هذا الحوار مهم فى أى وقـت فإنـه الآن أكـثر أهمية مع إعلان أمريكا جديتها فى حل الصراع العربى - الإسـرائيلي. ومـن هـنا أرى أن مصطلح التطبيع استخدم أسوأ استخدام رغم أن التطبـيع مقترن بالضرورة بالحديث عن السلام، فما معنى أن تقبل بالسلام دون أن تسير علاقاتك الطبيعية مع الآخر غير أن التطبيع كان مستحيلاً فى الماضى طالما لـم تستكمل عملية السلام مع باقى الأطراف العربية، لذلك كان منطقياً أن ترفض القـوى الوطنـية المصرية التطبيع مع إسرائيل قبل تحقيق السلام الشامل والعادل،

لكــن لنفــترض أن القضــية حلت مع الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين فسيصبح الحديــث عــن التطبيع مسألة تنتمى للماضى وإن كان يبقى الحق لأى مؤسسة فى إطــار مجــتمع ديمقراطــي، حر أن ترفض التطبيع لكن ليس من حقها أن تخون مؤسســة أخرى قبلته وهنا علينا أن نفصل ما بين الحوار مع قوى السلام والتطبيع فــالحــوار جزء من معركتنا السياســية وأحد الأسلحة المتاحة فى هذا الصراع ، أمــا التطبــيع فــلا يحدث إلا فى ظل وجود تسوية شاملة وعادلة مع كل أطراف الصراع العربية .

- **لا يمكــن الحديــث عن مقرطة و«لبرلة» دون الحديث عن طبقة بورجوازية تكــون معنية وراغبة فى إحداث هذه التحولات فهل ثمة بورجوازية مصرية وطنية يمكنها أن تنهض بهذه الأعباء ؟**

– لا يمكن التحدث عن فئة أو طبقة فى المجتمع المصرى باعتبارها نشاذاً عن الــتطور الطبــيعى لمجــتمعات العــالم كلــه فقد شهدت مصر خلال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات نمو طبقة رأسمالية واعدة عبر عنها طلت حرب وغيره مــن الرأسماليين الوطنيين وأحدثت نمواً اقتصادياً بمعدلات كبيرة وحققت إنجازات أكبر بكثير مما نعلمه عنها لكن مجئ ثورة يوليو عطل نموها وقضى عليها بمجرد قرار لكن المؤكد أن إعادة بنائها يحتاج إلى عقود طويلة لأنها عملية تحتاج إلى بناء طبقة وتقاليد وثقافة جديدة وأدعى أن بناءها كان من الممكن أن يتم بشكل أفضل منذ منتصف السبعينيات، لكن المحصلة لم تأت بما كان مأمولاً وإن كان هناك مجموعة مــن الرأســماليين ورجال الأعمال المصريين تمثل نماذج مشرفة لا يمكن إنكارها وعلــى أية حال. هذه المحصلة نتاج ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية داخلية وخارجية والمشكلة أن جزءاً كبيراً ممن انضموا لهذه الطبقة كانوا من هؤلاء الذين نهــبوا القطاع العام أو بعض السماسرة وتجار العملة والخارجين على القانون لذلك نحن بحاجة إلى مبادرة أكثر جرأة لفتح الباب أمام نمو هذه الطبقة ليغلب عليها فى نهاية الأمر النماذج المشرفة للرأسماليين الوطنيين .

- **كيف تنظر إلى حوار الإخوان المسلمين مع الولايات المتحدة الأمريكية ؟**

– ليس لدى معلومات دقيقة حول هذا الموضوع ولو صحت المعلومات أتصور أن مثل هذا الحوار مطلب أمريكى مثلما يمكن أن يكون مطلباً للإخوان المسلمين لذلك لا أنظر بارتياح لمثل هذا النوع من الاتصالات فأولى بتياراتنا السياسية أن تتحاور فيما بينها أولاً، فمن غير الملائم أن تسعى قوة سياسية وطنية للحوار مع أطراف خارجية طالبة دعمها لمطلب التغيير فى لحظة دقيقة وحاسمة كهذه.

- **ماذا عن مستقبل القومية العربية ، هل نحن بصدد انهيارها كفكرة كنتيجة طوعية لكل ما حدث ؟**

– أنا شخصياً أؤمن بالقومية العربية وهى ليست وهماً وإلا لما حركت الشارع العربى كله وسط كل هذا الزخم النفسى والعاطفي، إزاء ما يجرى ولا شك أن العرب مشتركون فى خصائص أثنية ولغوية ودينية تميزهم فعلياً عن الآخرين لكن ما تحتاجه القومية العربية هو إعادة تشكيل ذاتها وإعادة صياغة فهمها للآخر وحوارها معه ونزع مبالغتها فى تأكيد ذاتها من خلال التناقض مع الآخر، فللأسف يبدو القومى العربى الآن شخصاً متشدداً فى مواجهة الآخرين معتقداً أن حريته مرتبطة بصراعه معهم ولو استطعنا تجاوز كل هذه العيوب وربطها بالديمقراطية والتحديث والتنمية والقدرة على التفاعل بين الوحدات العربية المختلفة لأصبحنا إزاء تطوير حقيقى للقومية العربية .

- **فى هذا السياق كيف تقيم لجوء القوميين للتحالف مع التيار الإسلامى مؤسسين تياراً بات يعرف بالتيار القومى الإسلامى ؟**

– فى تقديرى أنه تحالف جاء نتيجة الإحساس بالتهديد والخطر المشترك أى أن مبعثه أسباب سلبية ولا يمكن أن أنظر بارتياح لمثل هذا التطور إلا إذا اقترن بتطوير للخطاب الإسلامى ومفاهيمه السائدة ، ذلك أن هذا التطور قفزة تثير التساؤلات أكثر من كونها تقدم إجابات، لذلك أرى أن مهمة تطوير الفكر الإسلامى

مـــنوطة بالعـــالم الإسلامى كله، خاصة أنه يعانى من مشاكل حقيقية مثل التطرف والعنف والروح المحافظة الرافضة للتقدم والديمقراطية وهى مشاكل مطروحة علينا مـــنذ وقـــت طويل وإن تجلت مع الإرهاب مؤخراً، وهذا هو الشرط الأول ليصبح الحوار القومى الإسلامى إيجابياً بالنسبة للمواطن العربى غير أن انطباعى عن هذا الـــتحالف حتى الآن هو أنه تلقيح متبادل بسلبيات الآخر حتى أصبحنا إزاء تحالف سلبى مركب .

- **كيف تنظر إلى التفجيرات الأخيرة فى الرياض والدار البيضاء ؟**

– للأســـف إنها أكدت الدعاوى الأمريكية حول ضرورة مواصلة الحرب ضد الإرهاب فى أى بقعة من العالم وأن الصراع فى عالم اليوم مع الإرهاب الإسلامى ومـــثل هذه الحركات الإرهابية تثير عدداً من علامات الاستفهام وربما الريبة كما أنهـــا تؤكـــد المشـــكلة الموجودة فى العالم الإسلامى مثل التطرف وضرورة إعادة صـــياغة علاقة صحية بين العالم الإسلامى وغيره. وأعتقد هنا أن النظام السعودى يواجـــه تحديـــاً حقيقياً ودقيقاً لا يمكن إنكاره، فالولايات المتحدة تدعو حالياً لتغييره بالكـــامل بعـــد أن كانـــت تدعمه رافعة شعار احترام خصوصيته الإسلامية ، وهو مـــا يطـــرح علامة استفهام كبيرة على قدرة هذا النظام على مواجهة هذا التحدى وتطويـــر نفسه، خاصة أن الفكر المحافظ ليس مجرد أفكار، بل مؤسسات ومصالح متشـــابكة. ما أقوله إنه على المدى القصير يخضع مصير المملكة السعودية ككيان للتســـاؤل وإن كـــان من المغامرة أن يقطع شخص بما قد يحدث فى السعودية التى أضـــحت مفـــتوحة على كل السيناريوهات وأتصور أن الوقت قد حان لأن يحدث توافـــق بيـــن الأسرة المالكة والقوى التنويرية فى الداخل والخارج خاصة بعد أن صارت تحوز تأييداً قوياً من القوى الخارجية.





د. إسماعيل صبرى عبد الله

مـــا إن ســـقط أول صاروخ أمريكى على بغداد فى فجر يوم ١٩ مارس حتى ســـارع بعض المنظرين والمحللين لاتخاذ مواقعهم على شاشات الفضائيات العربية وصفحات الجرائد ليفسروا ويحللوا ما جرى وما سيجرى مستخدمين منهج التحليل عن بعد ، الأمر الذى أفقد اطروحتهم صفة المصداقية والموضوعية ووصل الأمر ببعضـــهم إلـــى حـــد إطلاق أحكام الخيانة والعمالة أو توزيع صكوك الوطنية هنا وهناك.

لذلـــك غابت النظرة المتكاملة والقراءة الهادئة لما استجد من إشكاليات وقضايا فرضها زلزال السقوط على العقل العربى.

ولأنـــه مفكر جاد يعرف قيمة الكلمة وقدر المواقف أبى على نفسه أن يقع فى نفس الخطأ فطرح فى حواره مع القاهرة رؤية مستقبلية ومتكاملة لواقع الإشكاليات الجديدة وسبل تجاوزها.. إنه المفكر اليسارى والاقتصادى الكبير الدكتور إسماعيل

صبرى عبدالله رئيس منتدى دول العالم الثالث المعنى أساسا بالدراسات المستقبلية ونائب رئيس حزب التجمع ووزير التخطيط الأسبق الذى بدأ حديثه قائلا:

- هـناك دروس تعلمـناها من تجربة السقوط تمكننا من تحديد مواقفنا إزاء قضايا كثيرة كانت ملتبسة على العقل العربى.

أولها علاقة الاستقلال الوطنى بقضية الديمقراطية ، فقد ثبت أن الأمن القومى مرتهـن دائما بالديمقراطية، فلا يمكن لجيش من العبيد مهما كانت قوته أن ينتصر فى أى حرب: من سيدافع وبأى منطق سيقاتل وهذا ما جرى فى العراق.

وإذا مـا قارنـاه بما حدث فى حرب ٥٦ سنجد أن السواد الأعظم من الشعب المصـرى خـرج فى مظاهرات عارمة أيد فيها جمال عبد الناصر فى تأميم قناة السـويس ودخول حرب طاحنة ضد قوى عظمى آنذاك ورفع الشعب المصرى كله شـعار «سنقاتل - سنقاتل» ونشطت المعسكرات الشعبية كما نشطت المقاومة فى بـور سعيد ضد القوات البريطانية والفرنسية وكان فى تقدير الغرب وقتها أن ذلك العدون سيطيح بنظام عبد الناصر لكن التأييد التلقائى والشعبى لعبد الناصر وقرار التأمـيم واجـتماعه على الموقف الوطنى خيب آمال الغرب وعلى العكس فقد ادى ذلك العدوان لازدياد شعبيته واستطاعت المقاومة الشعبية أن تحقق انتصارا سياسيا كبيرا رغم هزيمة الجيش المصرى عسكريا، فالبطل الحقيقى فى تلك المعركة كان الشـعب وبـالعودة إلى المشهد العراقى سنجد أننا كنا إزاء ديكتاتور أحمق يتغذى يومـيا علـى الدمـاء يمارس القتل بنفسه ويحمل بندقيته أو مسدسه بمعظم صوره وتحـول إلـى مجرد «بلطجى أو فتوة» لا زعيم وطني أو رئيس دولة واستنزف معظـم أموال العراق فى شراء أسلحة الدمار الشامل فقد ليستخدمها فى قتل الآلاف مـن أبـناء شـعبه بل وأقرب المقربين إليه من أبناء عمومته وعشيرته ليثبت أنه امـبراطور العـرب ولإفـراطه فى شراء الأسلحة كان آخر ما كنت أشك فيه هو ضـعف جـيوش صـدام عسكريا الذى بدا واضحا فى عجزها وعدم قدرتها على الاسـتمرار فى المقاومة وهذا ما يؤكد أن صدام حسين ما كان يقاوم إلا دفاعا عن شخصـه وضـحى بشـعبه حفاظا على استمرار حكمه فقد كان بإمكانه إيقاف هذه

الحــرب وتجنيب شعبه ويلاتها إذا أراد وإذا لم يستنزف أموال العراق فى تجارب نووية وإنتاج أسلحة كيماوية وهى حقائق ثابتة بدليل انه استخدم الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ضد الأكراد فى الشمال وضد الشيعة فى الجنوب إبان انتفاضة ٩١ .

لقــد اعــتمد صدام حسين سياسة القتل ضد كل معارضيه وحتى ضد ضباط جيشـــه بدءاً من شقيق زوجته حتى أزواج بناته ليؤكد قوته التى أشاع أنها موجهة ضـــد العــدو الصهيونى. ما أريد أن أقوله أن المجتمع حين يقع تحت نظام مستبد وطاغية أحمق يفقد كل قدرة على الحرب ومواجهة العدوان الأجنبى بينما يمتلك هذه القدرة إذا تبنى هو قضيته وآمن بوطنية حاكمه أو ممثله وهذا ما حدث مع عرابى فقــد أمن كل المصريين بصدق وطنيته لذلك احتضنوا ثورته، وأذكر أن أمى كانت تــروى لــنا أن جدتى انجبتها وهى ترتدى «حزن عرابى» وهو عبارة عن أساور سوداء ارتدتها نساء مصر حزنا على وفاة عرابى.

إن الديمقراطية وتعدد الآراء هو أفضل ضمانة للحفاظ على الاستقلال الوطنى والأمــن القومـــى لا الــرأي الواحد العليم بكل شىء والنافذ فى كل شىء فقد ثبت بالدلــيل القــاطع خطأ مقولة أن الشعوب تدافع عن انظمة ديكتاتورية فى مواجهة العدوان الأجنبى بحجة أنها أنظمة وطنية فى نهاية الأمر.

وفـــى هــذا السياق أقول إن المثقفين الذين كانوا يترددون على بغداد ويقبلون هدايــا وأموال صدام حسين يتحملون مسئولية كبيرة وخطيرة عن كل ما جرى فقد كــانوا يتمــنون مقابلة صدام بل ويقبلون تفتيشهم تفتيشا ذاتيا نساء ورجالا وكلهم ســكتوا عــن جرائمه ليس ضد العراقيين فقد بل وآلاف وملايين المصريين الذين أجــبرهم على دخول الجيش العراقى ودخولهم فى حربه ضد إيران دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل فى تلك الحرب.

ولقــد رفضــت شخصيا دعوتين لزيارة العراق أرسلهما لى صدام حسين فى النصــف الــثانى من السبعينيات كانت إحداهما فى عام ٧٨ قبيل انعقاد قمة جامعة الــدول العربــية فـــى دمشق على أثر زيارة السادات للقدس ورفضت قبولها حتى لا اتهــم بالدعايـــة لصـــدام حسين ومن ثم قبول أموال منه بإعلان موقف سياسى

معارض لزيارة السادات للقدس كنت قد أعلنته بوضوح فى مصر ، وقد كانت تلك الـزيارة بمـثابة أول كارثة حلت بالعرب لأن زيارة السادات للقدس دون تل أبيب كانـت تسليما بأعز مطلب عربى وقد كانت أيضا بقرار فردى لم يستشر فيه أحدا لا شـعبه ولا أيـاً من الحكام العرب وذلك كان البداية الحقيقية للهوان العربى، لقد أصـبح من الثابت أن انفراد شخص واحد باتخاذ قرارات فردية لابد أن يؤدى إلى نتائج كارثية.

- **لكـن البعض مازال يرى أنه لا علاقة بين قضيتى الديمقراطية والوطنية ومن ثَمّ وجوب الدفاع عن النظام الديكتاتورى مهما بلغ طغيانه ما دام وطنيا ؟**

– لا أوافـق على هذه الرؤية تماما وما يؤكد عدم صحتها تطبيقها على جمال عـبد الناصـر فـنعم كان حاكمًا مستبدًا لكن انحيازه الأول كان للشعب المصرى ولفقـرائه ولـم تكن لديه أية مصالح أو أغراض شخصية ولم يعمل أبدا على جمع المـال لينفقه على نزواته وغرائزه وكان رئيس الدولة الوحيد الذى ثقف نفسه وهو فـى السلطة ويروى خالد محيى الدين فى أحد كتبه أن عبد الناصر طلب منه أثناء محادثة تليفونية معه عندما كان فى سويسرا أن ينتقى له بعض الكتب ويرسلها إليه قـائلا له إن سويسرا حضارة وثقافة وكتب لا هدايا ولا ملابس وكان حريصا على مناقشة قادة وزعماء العالم وقتها ليتعلم منهم مثل نهرو وتيتو.

إن عبد الناصر كان زعيما استثنائيا قد لا تشهده الأمة إلا كل ٥٠٠ عام ومن ثـم مـن الصعب القياس عليه وهنا أقول إن صدام حسين عندما حاول تقليد جمال عبد الناصر بدا وكأنه صورة كاريكاتيرية بشعة.

- **الـبعض قارن بين صدام وعبد الناصر وكتب وأعلن أن صدام يخوض معركة الأمـة ضـد الولايـات المتحدة بل بالغوا أحيانا « وقالوا إنه يخوض معركة الإنسانية ضد العولمة الأمريكية » ؟**

– هـذا كلام فارغ لا معنى له وعبارات إنشـائية جوفاء ثم ماهى مصـلحة الأمـة، هـل هـى أن نحكم بالاستبداد للأبد وهل هى تبديد ثروات الأمة فى دفع

الرشـــاوى للصـــحفيين والمثقفين والحكام الأجانب وهل هى الانفاق بلا معنى على تجارب نووية لا طائل من ورائها خاصة أن سلاح القنبلة النووية لا يستخدم إلا فى ضــرب الأهــداف البعــيدة فلا توجد هناك أية مخاوف تذكر من الترسانة النووية العسكرية التى تمتلكها إسرائيل لأن استخدامها ضد أية أهداف عربية يعنى مباشرة اســتخدامها أيضا ضد إسرائيل لأنها ستتعرض أيضا لنفس التلوث الإشعاعى بحكم القرب الجغرافى.

لقد كانت العراق هى أكثر الدول العربية قدرة من الناحية التنموية على إحداث نهضـــة صناعية وزراعية حقيقية بما تمتلكه من أراض زراعية شاسعة ومصادر وفيرة لمياه الشرب وثروة معدنية هائلة بخلاف البترول هذا بالإضافة للكوادر الفنية والعلمــية عالــية المســتوى لكــن صدام أهدر كل تلك الثروات لخدمة مصالحه الشخصية.

خلاصـــــة ما أقوله فى الدرس الأول الذى تعلمنــاه فى تجربة الســقوط هو لا مقايضـــة بيــن مكاســب اجتماعية والحريات فنحن نريد كليهما، لأن الاستبداد لا يخلــق شــعبا حرا يقاتل من أجل وطنه فالبشرية قامت على الخلاف فى الرأى ولا إجماع ولا بين الموتى فى المقابر.

نحو قومية جديدة

أمــا الــدرس الثانى الذى يجب أن نستدعيه من تجربة السقوط فهو الضرورة المســلحة لوجود نظرة جديدة لأهمية الوحدة العربية لا تعتمد على أمجاد الماضى فهذا حديث انتهى واندثر خاصة وأن عصر الكوكبية لا مكان فيه للكيانات الصغيرة ومن هنا يصبح التكامل الاقتصادى العربى سلاحا أساسيا لبقاء العرب ووجودهم فى العصــر الجديــد وبدونه سيصبح العالم العربى مهيأ للتجزؤ والتقسيم وهو سيناريو مطــروح بقــوة، فالعراق مثلا بدت ملامحه التقسيمية واضحة وجاهزة والسعودية مرشــحة للتقســيم ففيها الحجاز حيث يعيش أهلها على مواسم الحج وليسوا بحاجة للبــترول أو غيره والعسير كانت جزءا من اليمن واحتلها السعوديون عام ١٩٣٤ وفــى الشــرق الــذى يتركز فيه معظم بترول السعودية نصف سكانه من الشيعة

بالإضـــافة إلى منطقة نجد التى يعتز أهلها بكونهم نجديين لا سعوديين بل ولديهم اعـــتقاد بأن السعوديين قد استغلوهم لتأسيس دولتهم ، والسودان ليست مرشحة فقط للتقســيم لدولتيــن إحداهمـــا فى الشمال وأخرى فى الجنوب بل لأربع دول شمالا وجـــنوبا وشـــرقا وغربا بفعل عوامل تاريخية معروفة هذا بخلاف الجزائر بسبب وجـــود الـــبربر والمغرب حيث مشكلة صحراء البوليساريو لذلك كله فإن مستقبل العرب فى أن يكونوا سوقاً واحدة وكبيرة قوامها ٢٥٠ مليون عربى يتم التعامل فيها بشـــكل أكبر مع الشركات لا الحكومات التى سيقتصر دورها على المعونات الفنية وبالتالى تتلاشى مخاوف المستثمرين بشكل مفاجىء .

والمشـــكلة أن العـــرب أفـــرطوا فـــى الاهتمام بعلاقتهم مع الولايات المتحدة الأمريكـــية وهو ما جاء على حساب علاقتهم بدول أجنبية أخرى لا تقل أهمية بل أكثر أهمية مثل الهند التى تشهد ما يمكن تسميته بالمعجزات ذلك أنها تحتل المرتبة الثانـــية فى العالم فى مجال صناعة برمجيات الكمبيوتر حتى أن جير هارد شرودر المستشار الألمانى طلب من البرلمان عند مناقشة قانون الهجرة أن يضع فى اعتباره احتـــياج ألمانيا لأكثر من ٢٠ ألف شاب وشابة من الهند ليمدوها بخبرتهم الفنية فى مجـــال البرمجيات بل إن البنك الدولى أوكل لإحدى شركات المحاسبة فى بومباى مهمة معالجة حساباته، والملفت أن مصر أبرمت اتفاقية للبحوث المشتركة مع الهند ١٩٥٥ فى مجالات صناعة الطيارات والطاقة الشمسية والطاقة الذرية بينما توقفت مصـــر عـــن إجراء تلك البحوث استمرت الهند وحققت تقدما لا بأس به فى مجال صـــناعة الطـــيارات وامتلكـــت القدرة على صناعة القنبلة الذرية عام ١٩٧٤ لكن سياســـة حكومـــة انديـــرا غاندى رفضت الدخول فى هذا المجال مفضلة استخدام اســـتثمارتها فـــى معالجة مشاكل الفقر وقضايا الأمية، وشرعت فيما بعد الحكومة اليمينية فى تصنيعها.

لقـــد ظهـــرت مؤخـــرا فى العالم العربى نزعات معادية للعروبة تتحدث عن الخصوصيات القطرية رافعة شعار «مصر أولا أو الأردن أولا .. إلى آخره».

لا بديـــل للعرب عن التكامل الاقتصادى لأنه سيؤدى إلى رفع معدلات التنمية فى جميع الدول العربية وهوما سينعكس بالضرورة على الجماهير العربية العريضة وفـــى هذا الإطار ستحصل الأقطار المتخلفة على مساعدات ومعونات من الأفكار الأكثر تقدما كما يحدث فى الاتحاد الأوروبى الذى منح دولاً مثل البرتغال قروضا لتســـرع فى تقدمها وتطورها ولتلحق بمستوى الدول الأوروبية المتقدمة التى تعتز بأنهـــا ستصبح من أكبر الأسواق الاقتصادية فى العالم مثل سوق الولايات المتحدة الأمريكية ، التى لا يستطيع أحد مقاطعتها اقتصاديا وإلا تعرض إلى متاعب عديدة فـــلا يســـتطيع أحـــد أن يستغنى عن تصدير منتجاته إلى سوقها الكبير لذلك تسعى أوروبـــا إلى إقامة هذا السوق الذى سيضم ٣٢٥ مليون نسمة يشكلون قوة شرائية كبيرة تأخذ بأفضل الشروط شأنها شأن المنتج القوى.

فى هذا السياق تصبح قوة المال أهم بكثير من قوة السلاح وقادرة على تحقيق مكاســـب اقتصـــادية أكبر خاصة وان الشركات متعدية الجنسية لم تعد تعتمد على دبلوماسية الحكومات أو وساطة السفراء فى إبرام تعاقداتها والحصول على صفقاتها وسارت تتصل مباشرة بمثيلاتها فى مختلف أنحاء العالم .

لذلـــك كلـــه نحـــن نحـــتاج من أجل تقدمنا لتكامل اقتصادى عربى فى إطار ديمقراطى تعددى فلا تكامل اقتصادى حقيقى فى ظل حكومات وأنظمة استبدادية.

ومـــن هـــنا أؤكد على أهمية دور القطاع الخاص وأنا ذلك الرجل الاشتراكى الـــتوجه لأن الرأســـمالى دائمـــا ما يهدف إلى زيادة هامش ربحه ومن ثم استطيع تشـــجيعه على الاستثمار مع ممارسة نوع من الضغوط عليه ، لكن هذه العملية لا يمكن أن تتم فى ظل أنظمة ديكتاتورية تتباين وتتناقض قرارات زعمائها بين ساعة وأخـــرى لذلك فإن النظام الديمقراطى هو الوحيد الكفيل بخلق مناخ جيد للاستثمار بيـــن شـــركات عربـــية مشـــتركة فى أكثر من قطرعربى وكل هذا يخلق مصالح اقتصادية عربية حقيقية مرتبطة بمفهوم الوحدة العربية لا مجرد مشاعر وعواطف تنادى بأن تعيش الأمة العربية فى دولة واحدة فلا وجود لقانون فى الحياة يقول بهذا المفهوم للوحدة ، كما يحلم القوميون .

إن القومــية العربيةليســت أيديولوجــيا ولكنها بنية حضارية وثقافية فرضها الجــوار الجغرافى لذلك كنت أرد على الفرنسيين عندما كانوا يتساءلون عن العرب والعــروبة باعتبار أن سكان شمال إفريقيا بربر وأن عرب الجزيرة بدو وأن أهل الســودان أفارقة بقولى إن كل نشاط كان يتوقف من المحيط إلى الخليج إذا خطب عــبد الناصر أو غنت أم كلثوم وهو ما يعنى تقارباً فى الفهم والإحساس العام مع وجود تنوع يحفظ خصوصية كل قطر إلا أن الأذن العربية لاتأنف الاستماع إلي ما يــبدعه العــربى فــى اليمــن أو جبال لبنان - الأمر الذى يؤكد على أهمية اللغة المشتركة فى المقابل ينفق الاتحاد الأوروبى ثلث ميزانيته على عملية الترجمة إلى ســت لغات رسمية تتحدث بها أوروبا، ثم إننا فى دول العالم الثالث دائما ما نرفع شعار مواجهة الكوكبة بالتكتلات الإقليمية الكبيرة القادرة على التعامل مع الشركات الضــخمة لذلــك نشدد على أن أفضل مجالات الاستثمار المفتوحة أمام دول العالم الثالــث توجــد فى الهند لأنها دولة نجحت فى أن تحقق معدلات نمو سريعة وهنا أشــير إلى الاتفاق الذى أبرم مؤخرا بين البرازيل وجنوب إفريقيا والهند من أجل زيــادة حجــم العلاقــات التجارية فيما بينهم والتنسيق مع بعضهم البعض فى تبنى قضــايا دول العــالم الثالث فى مفاوضات التجارة الدولية وهو الاتفاق الذى اشبهه بلحظــة مــيلاد دول عــدم الانحياز التى انتهت فعاليتها من الناحية العملية وفقدت وجودها بأى معنى.

- **لكــن ومــن الناحية العملية كيف يمكن الحديث عن تكامل اقتصادى عربى أو مفهوم جديد عن العربية فى خلال واقع يرشح سيناريوهات التقسيم والتفتيت؟**

- المشكلة أننا نعيش آنيا ومعنويا حتى الآن فمازال التاريخ يشغلنا ونفتقد أى نظرة مستقبلية وهو ما يتضح جليا فى غياب الدراسات المستقبلية فى العالم العربى ومــا نحتاجه هو تحديد لأهداف طويلة الأمد أخرى وســيطة نبدأ اليوم العمل من أجلهــا فمــن المســتحيل بــناء تكــامل اقتصادى عربى بمبجرّد إبرام المعاهدات والاتفاقــيات فهى عملية تحتاج إلى النفس الطويل وأمامنا نموذج الاتحاد الأوروبى الــذى مــرت ثلاثــون عامــا كاملة بين تاريخ معاهدة روما وتاريخ توحيد العملة

الأوروبية وقد شهدت الثلاثون عاماً عددا من الإجراءات والخطوات المتفق عليها لتحقيق هدف الاتحاد.

- **فى هذا السياق كيف تنظر إلى اتفاقيات الشراكة الأوروبية مع الدول العربية وهل ممكن أن تسهم فى انقاذها من براثن التخلف الصناعى والتكنولوجى ؟**

- من المؤكد أن الاتحاد الأوروبى يعمل على تأسيس علاقة طويلة الأجل ويدرك فى نفس الوقت استحالة قدرته على التصدير لنا باستمرار دون أن يستورد منا أبدا لذلك أقام سياسته الاقتصادية القديمة على مبدأ إعادة توزيع الصناعات بمعنى أن يستمر فى إنتاج ما يسمى بالصناعات النظيفة مثل الإلكترونيات وغيرها التى لا تستهلك طاقة كبيرة فيما يصدر لنا الصناعات القذرة الملوثة للبيئة والتى تستهلك طاقة كبيرة مثل الغزل والنسيج والحديد والصلب وهى سياسة قديمة اعترف بها مسئول أوروبى سابق فى السبعينيات وعللها بأن معظم البلدان العربية يغلب عليها الطابع الصحراوى القادر على استيعاب كميات كبيرة من الملوثات البيئية غير أن هذا ليس هو الهدف الوحيد من هذه السياسة فالاتحاد الأوروبى يدرك تماما أن توسعة سوقه التجارية فى العالم العربى تستلزم زيادة القوة الشرائية فيه حتى يصبح قادرا على استيعاب منتجاته وللأسف لا توجد فى المقابل أجندة وطنية عربية تحدد أهدافنا المستقبلية بشكل واضح بل إننى لم أجد أحدا من المثقفين العرب قدم خطابا علميا لقضية التكامل الاقتصادى العربى لذلك فإنما نحتاجه فكر قومى جديد يتناسب مع العالم المعاصر لا يقهر الأقليات القومية أو يتجاهل الخصوصيات القطرية فالتكامل الاقتصادى لا يقوم إلا بين أنظمة ديمقراطية وإلا فشل فمازال فشل وحدة مصر وسوريا ماثلة أمام أعين الجميع.

التنمية الشاملة

أما الدرس الثالث الذى ينبغى استيعابه فهو الاهتمام بقضية التنمية الشاملة فأهم قوة تمتلكها إسرائيل هى ضعف العرب اقتصاديا وإهمال العنصر البشرى فى عملية التنمية وليس السلاح الحديث لأن هذا السلاح يحتاج إلى شخص متعلم قادر

على التعامل معه ودليل ذلك أن الجيش المصـــرى احتفظ بخريجى الجامعات طيلة ٦ســنوات إبان مرحلة إعادة بنائه وحتى حرب ١٩٧٣ وهو ما أكده أحمد إسماعيل وزيــر الدفـــاع أثناء حرب أكتوبر فى اجتماعه مع الوزراء قبيل الحرب بساعات عندما قال: إن مصر تمتلك نفس عدد الطائرات التى تمتلكها إسرائيل لكننا لا نمتلك عدد اطقم كافية لتلك الطائرات وهنا تأتى أهمية قضية التنمية البشرية بالنسبةللأمن القومى والاستقلال عن الأمن القومى وقدأشار تقرير التنمية الإنسانية والذى اصدره د.نادر الفرجانى إلى أزمة التنمية الشاملة فى العالم العربى الذى يعانى من الأمية وبالنســبة لمصــر فقد تراجعت عن عملية التنمية الحقيقيةودخلت فى مرحلة تفكيك الصــناعة وتوقفت عن عمل مشروعات جديدة حقيقية مما أدى لزيادة حجم البطالة بين آلاف من خريجى الجامعات الذين تعلموا فى ظل مجانية التعليم حى أن صناعة النسيج التى تميزت مصر بتصديرها خلال الخمسينيات تراجعت إلى حد أنه أصبح من المستحيل تصدير متر واحد من منتجاتها وفى المقابل اتجهنا لزراعة محاصيل للتصدير مثل الفراولة وموطنها الأصلى بين غابات أوروبا.

إن التنمــية الشــاملة التى تحتوى التعليم والصحة وظروف المعيشة والثقافة العامــة والفــن إلى جانب تطوير الصناعة والزراعة والزراعة هى أساس قوة أى مجــتمع ولــيس صحيحا أن القوة هى قوة السلاح حتى السلاح الحديث يحتاج إلى جــندى مــتعلم كذلك الصناعة تحتاج إلى عمال مؤهلين وهنا أذكرأن كلينتون فى دعايــته الإنتخابية فى رفع شعار « التعليم العالى للجميع »ليس انطلاقا من موقف اجتماعى فحسب ولكى استنادا لموقف اقتصادى أيضا فالصناعة الحديثة تحتاج إلى تعليم عال والجامعات الأمريكية الآن لم تعد تكتفى ببحوث الماجستير والدكتوراه بل أصبح الباحثون فيها معنيين بدراسات ما بعد الدكتوراه.

ملخــص القــول فى الدروس المستفادة من تجربة السقوط هو أن الديمقراطية والتكامل العربى والتنمية والشاملة ثلاثة أهداف يكمل بعضها البعض يستحيل تحقيق واحدة منها بمعزل عن الآخر.

- **فى سياق الحديث عن الديمقراطية والتنمية كيف تقيم مقولة أن الصراع القائم فـــى عالمـــنا العـــربى بين الأصولية التى تقف حائلا دون تحقيق الديمقراطية والعلمانـــية وأن المثقفين العلمانيين هم الذين باعوا الإسلام لجماعات الإسلام السياسى ؟**

- فى رأيى أن الصراع القائم فعليا هو الصراع ما بين الجهل والتعليم خاصة فـــى مجتمعنا المصرى المعروف بسماحته الدينية والحضارية، إن مصر لم تعرف الـــتطرف الديـــنى إلا بعـــد انتشار التعليم فآلاف الشباب الذين ارتموا فى احضان الأصـــولية الدينية لأسباب اقتصادية وما نتج عنها من عوامل كبت وإحباط جاهلين بحقـــيقة الديـــن الإســـلامي المتسامح والمتعدد وقد وجدوا بالجامعات مكانا مناسباً لممارســـة ما لا يسمح بممارسته فى قراهم حيث تقاليد التسامح الدينى والحقيقة أن التـــيار اليســـارى يتحمل جزءا كبيرا من المسئولية بترك الساحة خاوية أمام التيار الديـــنى المـــتطرف الذى استطاع التغلغل فى المجتمع عبر الخدمات التى نشط فى تقديمها للجماهير أما الحديث عن أن المثقفين العلمانيين قد باعوا الإسلام لجماعات الإســـلام السياســـى حديـــث مغلـــوط ثم من قال إن العلمانية تعنى الإلحاد كما أن ما يطرحه الإسلاميون من اطروحات حول الاقتصاد الإسلامى فكلام مغلوط أيضاً لأن الاقتصـــاد نشـــأ مـــع الرأسمالية ونشأت السوق والعرب لم يكن لديهم اقتصاد رأســـمالى وإنمـــا نظـــام تجـــاري ناجح إن الإسلام فى جوهره مجموعة من القيم الأخلاقية وهو تعددى بدليل اختلاف اصحاب المذاهب فى التفسير.

ثـــم هل باستطاعة الإسلاميين أن يتحدثوا مثلا عن تصور إسلامى لحل ازمة الإسكان وهنا أقول اننا بحاجة لقراءة جديدة ومعاصرة للتراث بالتركيز على ما يفيد مـــنه من قيم حضارية مثل نبذ العنصرية وقيم التسامح والعدالة والرقى والعقلانية التى أكد عليها القرآن فى ٢٩ موقعا.

- **نعود للحديث عن الديمقراطية كيف تقيم مبادرات الأنظمة فى مصر والسعودية وســـوريا باتخـــاذ خطوات جديدة نحوها مثل الغاء قانون الطوارئ والمجلس**

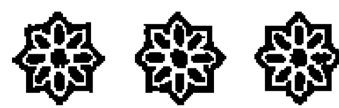
القومـــى لحقـــوق الإنســـان فى مصر والإعلان عن إنشاء مركز للحوار بين أطراف التيارات الفكرية فى السعودية ؟

– المجلس القومى لحقوق الإنسان فى مصر أمَّم حقوق الإنسان لصالح الدولة الـــتى تنتهك أبسط تلك الحقوق وكل هذه الخطوات لن تنجح ومآلها إلى الفشل لأن هذه أول مرة تصبح فيها قضية الديمقراطية قضية شعبية شأنها شأن قضية الوطنية والاستقلال فى منتصف القرن الماضى فلا تغيير حقيقى بمبادرات من قبل الأنظمة ودون مشاركة الشعوب.

إن الديمقراطية ثقافة وليست قرارا سياسيا وهى تبدأ أساسا فى الأسرة الأبوية بـــأن يثير الأب حوارا مع ابنائه فى مناقشة أصغر الأمور وابسطها دون تحكم أو استبداد بالرأى.

- **وهـــل يمكـــن تصـــور ديمقراطية فى المجتمع العربى الذى يقوم معظمه على أسس عشائرية وقبلية ؟**

– لقـــد تم إفساد التراث القبلى والعشائرى ذاته فالقبيلة فى الماضى كانت تقوم علـــى التراضـــى بيـــن شـــيخها وباقى أعضاء القبيلة وحيث كانوا يطبقون قاعدة وشاورهم فى الأمر قبل اتخاذ أى قرار مصيرى أما اليوم فقد تم إفساد هذا التراث بظهـــور العامل النقدى ، فمن يدفع لشيخ القبيلة هو الذى يتحكم فى قرارها ومن ثم يجـــبرها شـــيخها على الاستجابة لأوامره وإلا عاقبهم بالاضطهاد والتعذيب وهذا ما ينطبق اليوم على معظم النظم العربية.





حازم اليوسفى(*)

صحيح أن الشعب العراقى بكل فئاته وملله ونحله قد ذاق الأمرين تحت سنابك جيوش السفاح صدام حسين والحرس الجمهورى الذى لم يكن يجيد سوى الدفاع عن عرش سيده إلى أن جاءت نهايتهما معا لكن الصحيح أيضا أن أكراد العراق قد نالهم القسط الأوفر من القتل والتعذيب والتنكيل بل والتطهير العرقى الذى وصل إلى حد ممارسة سياسة «الترانسفير» والترحيل الجماعى ضدهم وتهجيرهم إجباريا من مدن عاشوا فيها وأهلوهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ووصل الأمر إلى حد استخدام السلاح الكيماوى ضدهم فى أول سابقة يستخدم فيها حاكم اسلحة دمار شامل ضد شعبه.

إنهم إذًا المضطهدون دائما وإذا ما حاولوا المقاومة أو طلبوا الحماية أو رفعوا شعار «أغيثونا .. أدركونا» سارعت أقلام - لم تطلق حرفا ضد جرائم حرب

(*) مدير مكتب الاتحاد الوطنى الكردستانى بالقاهرة .

بكاملها ارتكبت ضدهم وضد إخوانهم من مختلف أطياف الفسيفساء الاثنية والدينية والسياسية العراقية - إلى اتهامهم بالعمالة والخيانة والتحالف مع الأجنبى لذلك كان طبيعيا أن يحفل حوارنا مع حازم اليوسفى ممثل الاتحاد الوطنى الكردستانى العراقى فى القاهرة بكل أنواع التراشقات من جانبنا ومن جانبه أيضا.

- **بماذا تفسر هذا السقوط السريع لبغداد ونظام صدام حسين؟ وهل تعتقد أن ثمة مشاركة شعبية فى المقاومة التى شهدتها الأيام الأولى للحرب ؟**

- أنا شخصيا لم أفاجأ بهذا السقوط السريع للنظام فلقد كان الانهيار متوقعا وحتميا ولقد لاحظت للأسف مبالغة بعض المحللين السياسيين وبعض وسائل الإعلام العربية فى تقييمهم لقدرة النظام وشعبيته، وبالتالى قدرته على إطالة المدى الزمنى للمعركة فيما كانت المعارضة العراقية ترى أن السقوط سيكون سريعا بل إنه تأخر بعض الشيء والسبب فى ذلك بعد النظام البعثى عن الشعب العراقى كما أن الفجوة الواسعة بينهما لا تسمح بقيام الشعب العراقى بالدفاع عن جلاديه كما أن القيادة العراقية لم يكن تتوافر لها المعلومات الصحيحة عن حقيقة شعبيتها ولا حتى حجم إمكانياتها فلقد كان المسئولون المحليون التابعون لحزب البعث يبالغون كثيرا فى تقدير تعاطف الشعب مع النظام وفى مدى تأثيرهم ونفوذهم على الشارع العراقي، ذلك أن أحدا منهم لم يكن بمقدوره نقل أى معلومات صحيحة عن مشاعر الكراهية التى يكنها المواطنون لحكامهم بكل ما يعنيه ذلك من إمكانية انزعاج رجال النظام فى المستويات العليا بسبب بنية النظام القائمة على العنف والقمع والقهر لا على أساس التفاهم والمشاورة، باختصار لم يكن بمقدور أحد أن يواجه صدام حسين بالحقيقة، من ناحية أخرى كان الجيش العراقى مغيبا تماما فلم أر معركة حقيقية بين جيشين باستثناء ما حدث فى أطراف بغداد حيث وقعت معركة حقيقية بين وحدة من الحرس الجمهورى وإحدى وحدات الجيش الأمريكى واستطيع أن أنفى أن يكون قد حدث أى شكل من اشكال المقاومة الشعبية علما بأن المسافة بين البصرة وبغداد يسكنها أكثر من عشرة ملايين عراقى ولو قاوم هؤلاء لما تمكنت القوات الأمريكية والبريطانية من اختراق مسافة خمسمائة كيلو متر لتصل إلى بغداد خلال عشرة أيام

فقــط وهذا لا يعنى أنهم استقبلوا الجيش الأمريكي بالورود لكنها كراهية النظام فهم يدركون أن المقاومة - وإن كانت دفاعا عن الوطن - ستصب فى نهاية الأمر فى مصلحة النظام الذى حصد مئات الآلاف منهم.

الذين قاتلوا من ميليشيات حزب البعث وفدائيي صدام دفاعا عن أنفسهم وعن النظام الذى ارتبط مصيرهم بمصيره ووجودهم بوجوده، أما صمودهم لعدة أيام فى البصــرة وأم قصــر فمبعــثه ظهور الصحاف على شاشات التليفزيون فى محاولة لإيهامهم بتماسك النظام، لقد كنا واثقين أن صدام حسين لن يضحى بأولاده وحاشيته وأمواله وكنوزه فى سبيل العراق ولذلك أميل إلى سيناريو الصفقة فصدام على أتم الاســتعداد لعمــل أى شيء من أجل المحافظة على كرسيه وإذا أيقن أن حياته هى ثمن الكرسى فسوف يتنازل عنه حفاظا على الحياة .

- **لكن كيف تردون على الاتهامات الموجهة للأكراد بأنهم خانوا العراق وتحالفوا مع أعدائه ؟**

- نقــول للذين يتهموننا بالخيانة أنتم الذين خنتم العراق وشعبه على مدى ٣٥ عامــا بدعمكــم ودفاعكم عن صدام حسين وخنتم أرض العراق الذى استغل صدام خــيراتها فــى بــناء قصــوره الفارهة وملذاته ونزواته العسكرية ولم ينفقها على المستشــفيات والتعلــيم والثقافة من أجل نهضة وتنمية العراق، صدام دمر العراق فعــندما اســتلم الحكم كان احتياطيه من العملة الأجنبية أكثر من مائة مليار دولار واستحال الأمر الآن إلى ديون تبلغ أكثر من ٣٨٠ مليار دولار بسبب ثلاث حروب أقحم فيها العراق دون طائل لدرجة تسمح لى بالقول إنهم قد أتوا به خصيصا للقيام بمهمة تدمير العراق.

- **من تقصد بهؤلاء الذين جاءوا به ؟**

- بالطبع القوى الأجنبية فمن المعروف أن انقلاب عام ٦٨ قام به عبد الرزاق النايف رئيس الأركان وإبراهيم عبد الرحمن الداوود رئيس الاستخبارات العسكرية العامــة فــى عهد عبد الرحمن عارف وتعاون كلاهما مع حزب البعث من خلال

وسيط هو ناصر الحانى سفير العراق فى بيروت وقتذاك الذى تولى بعد ذلك منصب وزير الخارجية وقد كان لهؤلاء علاقات مشبوهة مع الأمريكيين فى حينه وهذه الوقائع مثبتة وموثقة فى تاريخ العراق واللافت أنه بعد الانقلاب قتل عبدالرزاق النايف وأبعد ناصر الحانى عن وزارة الخارجية وجرى اعتقاله ليقتل بعد ذلك وتم استبعاد إبراهيم عبد الرحمن الداوود ويمكن تقسيم حكم حزب البعث إلى فترتين الأولى امتدت ١١ عاما من ٦٨ إلى ٧٩ وتولى فيها الرئاسة أحمد حسن البكر وكان له ولقيادات الحزب بعض الاعتبار رغم أن صدام حسين كان نائبا للرئيس والرجل القوى فى النظام وقام الحزب فى تلك الفترة بضرب كل القوى الوطنية بمن فيهم من كرد وشيعة وسنة والليبراليين والإسلاميين والماركسيين بل وحتى الناصريين وما يدعونى الآن للدهشة هو ذلك الدفاع المستميت من قبل من يدعون أنهم ناصريون فى القاهرة عن صدام حسين رغم أنه أول من صفى الناصريين عام ٦٩ ودليل ذلك أن معظم الناصريين العراقيين يعيشون فى القاهرة منذ أكثر من ٣٥ سنة.

- **لكن هل تبقى من هؤلاء حاليا من يمكنهم أن يشكلوا حزبا ناصريا عراقيا فاعلا ؟**

– نعم فهناك الحزب الطليعى الناصرى ويتخذ من مدينة السلمانية إحدى مدن كردستان العراق مقرا له ويمارس نشاطه الفكرى والسياسى بكل حرية وقبل ٦ أشهر أعدم صدام حسين أربعة من خيرة ضباط الجيش العراقى الذين كانوا مرتبطين بالحزب الطليعى الناصري.

المهم أن الفترة الثانية بدأت عام ٧٩ باستلام صدام حسين الحكم وتوليه منصب الرئيس لقد بدأ حكمه بالقضاء على رجال البكر ورفاقه من قيادات حزب البعث فقد أعدم بعض هؤلاء بمن فيهم أعضاء من مجلس قيادة الثورة وبعض الوزراء وعددهم ستون شخصا أى كل الذين كانوا أقدم منه فى حزب البعث وأحدث بذلك انقلابا دمويا فى حياة الحزب بعد ذلك أدخل العراق فى حرب مع إيران استغرقت ثمانى سنوات متوهما أن إيران مازالت تعانى حالة عدم الاستقرار

بسبب الثورة الجديدة، ثم دخل مغامرة جديدة بغزوه للكويت فى اغسطس ١٩٩٠ ليدخل معه العراق حصارا اقتصاديا وسياسيا مدمرا لأكثر من عشر سنوات ولتنتهى حياته السياسية بهذه الحرب المأساوية ولمن يتهموننا بالخيانة أقول إن صدام حسين فى عام ٨٢ قام باعتقال ثمانية آلاف شخص من عشيرة برزانى كلهم من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢عاما و٦٠ عاما مازال مصيرهم جميعا مجهولا والمؤكد أنهم قتلوا جميعا وفى عام ٨٧ ضرب خمس عشرة قرية كردية بالسلاح الكيماوى فى منطقتى بادينان وباليسان وفى مارس ٨٨ ضرب مدينة حلابجة بالسلاح الكيمائى ليقتل ٥ آلاف شخص ويصيب أكثر من ٢٠ ألف شخص آخرين مازالوا يعانون من التأثيرات القاتلة لهذه الأسلحة الفتاكة كما شن فى ذلك الوقت عمليات عسكريا على منطقة كردستان راح ضحيتها أكثر من ١٨٢ ألف قتيل من الأكراد العراقيين واعترف النظام بمقتل مائة ألف كردى فقط أثناء مفاوضات الحد من إراقة الدماء التى أجريت فى بغداد وذلك على لسان على حسن المجيد الشهير بعلى الكيماوى فى معرض اتهامه للوفد الكردى بالمبالغة فى رقم ١٨٢ ألف شخص قائلا : إنهم مائة ألف فقط، لقد دمر هذا الرجل حينما كان حاكما عسكريا مطلقا فى شمال العراق أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة قرية كردية.

كل ذلك يمنعنا من أن نكون فى نفس الخندق الذى يضم صدام حسين مهما كانت الظروف والملابسات، ولقد حاولنا مرارا اسقاط هذا النظام بأيد عراقية وقدمنا فى ذلك آلاف الضحايا من الشباب الكردى والعراقى لكن آلته العسكرية كانت أقوى من كل ذلك خاصة وأن شعبنا لم يتلق أى دعم عربى أو دولى أو نجدة تخلصه من رحى هذا النظام الذى أجبر أربعة ملايين عراقى من مختلف الملل والاعراق العراقية للنزوح والقبول بمواقع اللاجئين إلى الخارج، ودعنى أسألك لماذا لم تتصد هذه الأقلام المدافعة عن صدام حسين لجرائمه؟ ولماذا سكتوا عنها طويلا؟ ولماذا لم يصفوه وقتها بمجرم الحرب كما يعتبرونه الآن رمزا للقومية العربية المدافعة عن معركة الإنسانية؟ إن الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين فتحتا للعراقيين أبوابهما وسمحتا لنا بالتواجد وأبدتا تعاطفهما مع قضايا الأكراد هما مصر وسوريا فيما أوصدت باقى الدول العربية أبوابها واحتفظت بعلاقات جيدة مع نظام صدام حسين.

- **لكن هل يكفى كل ذلك لتبرير التوجه الأمريكى للأكراد للخلاص من نظام صدام حسـين رغـم معرفـتكم بأن الولايات المتحدة هى التى جاءت به وهى التى أطاحـته وهى التى زودته بالسلاح الكيماوى ليضرب شعبكم وهى التى خانت انتفاضتكم عام ١٩٩١؟**

– لسـنا من جاءوا بالأمريكيين ولا من توجهوا إليهم وعليك أن تتساءل أولا عمن جاء بهم وتسبب فى هذه الحرب أصلا؟ وقبل ذلك من هو المتسبب فى الحالة الـتى وصـل إليها العراق؟ صدام هو من فعل كل ذلك وهو من غزا الكويت وكل أصدقاء العراق نصحوه بالانسحاب منها تفاديا لتلك الحرب المدمرة، لكنه لم يسمع لأحـد وأصر بجبروته على البقاء فى الكويت وأعطى الأمريكيين مبررا قويا لكى يـأتوا إلـى المـنطقة ويضعوا فيها قواعدهم العسكرية بعد أن كان تواجدهم على استحياء شديد، صـدام حسين كان أول من أقام علاقات جيدة مع الأمريكيين بدليل أن الخـبراء العسـكريين الأمريكيين وعلى رأسهم دونالد رامسفيلد تواجدوا فى العراق خلال الثمانينات وإبان حربه ضد إيران وكان رامسفيلد صديقا حميما له كما سـبق أن اعـترف صـدام بأن الأمريكيين هم الذين دفعوه إلى غزو الكويت عبر سـفيرتهم فى بغداد جلاسبي ، لماذا انصت للأمريكيين وهم يغررون به ؟ لقد فعل ذلك ليمنحهم المبرر للمجيء إلى المنطقة لسنا إذن مسئولين عن مجيئهم وها هو بعد ١٢ عامـا من الحصار يعطيهم مبررا إضافيا لغزو العراق، إذا كان العالم كله قد عجز عن منع الولايات المتحدة من غزو العراق فهل تعتقد أن الشعب الكردى قادر على ذلك.

- **لكـن كـان بإمكـانكم – على الأقل – أن تمتنعوا عن التحالف معهم كما فعل الشيعة العراقيون ؟**

– بكل صراحة كل ذلك لم يكن ممكنا فلقد وفر الأمريكيون لنا على مدار ١٢ عامـا مضت مظلة للحماية من ظلم صدام وقهره وصنعوا ملاذا آمنا فى كردستان لخمسـة ملاييـن مواطـن عـراقى فيهم العرب والتركمان والآشوريون والأكراد الهـاربون من ظلم صدام، هل تريدوننا بعد ذلك أن نغلق الأبواب فى وجوههم لم

نساعدهم لكننا استغللنا الفرصة لتحرير بعض المدن الكردية من ظلم النظام البعثى ولــم ندعم الأمريكيين وكل ما حدث أننا لم نقاومهم كما لم يقاومهم أحد من الشعب العراقى ما عدا ميليشيات صدام حسين.

- **لكــن ألا تتوجسون خيفة من هذه التقلبات الأمريكية من التحالف الشديد إلى العداء الشديد ؟**

– لاداعـــى لمثل هذه المخاوف ما لم تتحقق ثم إننا لسنا طرفا فى هذه الحرب الـــتى هى بين أمريكا والنظام البعثى – نحن موجودون على أرضنا ووطننا وجزء مـــن المعارضة العراقية التى تضم العرب شيعة وسنة والتركمان والآشوريين ولنا مشـــروعنا الخـــاص بغض النظر عن المشروع الأمريكى ومشروعنا يرتكز على إقامـــة نظـــام ديمقراطى برلمانى فيدرالى فى إطار العراق الموحد الذى يعيش فيه جميع العراقيين متساوين أمام القانون فى ظل دستور دائم ومؤسسات قانونية لإنهاء حالة الديكتاتورية والفوضى وعدم الاستقرار وإذا اتفق هذا المشروع مع التوجهات الأمريكية فمرحبا وإذا اختلف فنحن ماضون لتحقيقه.

- **لكن صدام حسين منحكم حكما ذاتيا ؟**

– مـــا أعطاه لنا صدام حسين هو تدمير ٤٥٠٠ قرية وقتل ١٨٢ ألف شخص وضربنا بالسلاح الكيماوى لنكون أول وآخر شعب يضرب من قيادته بهذا السلاح ، هـــذا هو الحكم الذاتى التى منحنا صدام حسين إياه، والاتفاق الذى عقد بين القيادة الكـــردية والنظام العراقى عام ١٩٧٠ منحنا الحكم الذاتى على الورق ولم ينفذ منه حرف واحد على الإطلاق بل جاء بشخصيات كارتونية صنع منها مجلسا تشريعيا مسئولا عن تنفيذ اتفاق الحكم الذاتى وظلت عمليات التطهير العرقى على حالها فلقد شـــهدت مديـــنة كـــركوك أخطر عملية ترانسفير «تهجير جماعي» لنحو ٢٥٠ألف مواطـــن كردى لتغيير الخريطة الديموجرافية للمدينة وما حولها وهم يعيشون الآن فـــى مخيمات على الأطراف بالقرب من مدينتى أربيل والسليمانية تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الكريمة ومنهم من هاجر حتى قادته خطاه إلى استراليا.

- **كيف تنظرون إلى العراق ما بعد صدام حسين ؟**

- ما نأمله هو التخلص سريعا من هذه الفوضى التى عمت مدن العراق بسبب فــراغ السلطة والقضاء على حالات السلب والنهب وإعادة الاستقرار إلى الأوضاع الأمنــية وتشــكيل حكومة وطنية عراقية انتقالية تضم رموز الشعب العراقى بكل طوائفــه وقومــياته ومختلف فصائل المعارضة فى الداخل والخارج بحيث تتولى شــئون العراق لفترة محددة تمهيدا لإجراء انتخابات حرة وديمقراطية تحت إشراف دولــي، هــذا هو هدفنا الذى نسعى لتحقيقه، يجب أن تفرض إرادة الشعب العراقى نفســها بتشكيل حكومة نابعة منها واجتماع مختلف فصائل المعارضة فى الناصرية والــذى تعقــبه عــدة اجتماعات مماثلة يعمل على تحقيق هذه الأهداف بعد أن يتم الاتفــاق بيــن ممثلى المعارضة ومختلف الطوائف والعشائر على صيغة للحكومة الانتقالية القادمة.

- **يشــكك الــبعض فى عراق ديمقراطى انطلاقا مما يشاع عن عنف الشخصية العراقية وحالة التشظى الاثنى والعرقى المميزة للبلاد ؟**

- صــحيح أن العــراق يتشكل من عرقيات وطوائف مختلفة لكنه دائما مزيج وطــنى متماســك لم يشهد طوال تاريخه أى صراعات أو حروب أهلية بين ابنائه وإنمــا الصراع الموجود صراع بين كل هذه الاثنيات والنظام الحاكم، لم نسمع أبدا عن صراع بين العرب أو الكرد أو بين السنة والشيعة وبالتالى ليس هناك مخاوف مــن هذا القبيل ولدينا تجربة فى كردستان العراق، فبعد عام ١٩٩١ بعد أن حصلنا علــى قــدر مــن الحرية وحدث نوع من الفراغ فى السلطة شكلنا إدارة مؤقتة من الأحــزاب الكــردية لتدير شئون مدننا وبعد ٩ أشهر أجرينا انتخابات حرة مباشرة وشكلنا برلمانا وبالتالى حكومة لإدارة شئون الإقليم كله ومن الممكن جدا أن يتكرر نفس النموذج فى العراق الآن.

- **إذا بمـــاذا تفسر اغتيال عبد المجيد الخوئى المرجعية الشيعية فور عودته إلى الـــنجف الأشرف من قبل عناصر شيعية وصفت بأنها متطرفة؟ وبماذا تفسر المناوشات بين العرب والقوات الكردية فى مدينة الموصل ؟**

– أولا مقتل عبد المجيد الخوئى لم يكن مرتبطا بصراع شيعى سنى أو عربى كـــردى وإنما بدأت المسألة عندما استنجد حيدر كليدار سادن الحوزة الشيعية وكان محســـوبا على النظام البعثى بالشيخ الخوئى لكى ينقذه ممن أرادوا قتله داخل مرقد الإمـــام علـــى وعندما هم الخوئى بنجدته تورط هو الآخر فحدث هرج ومرج فقتل كلاهما ولم يكن الخوئى هو المقصود بأى حال، إذاً هو حادث داخلى خاص بالشيعة لا بصـــراعهم مـــع طـــرف آخر، أما ماحدث مع الشيخ على السيستانى المرجعية الشيعية الكبرى الذى حوصر منزله بعدد من المسلحين الشيعة فسببه إصداره فتوى فى عز الحرب بضرورة الجهاد والدفاع عن النظام العراقى فكان أن حاصره هؤلاء للتعبـــير عن رفضهم للتعامل معه رغم معرفتنا أنه أصدر هذه الفتوى تحت ضغط مـــن الـــنظام الـــذى كان يحاصره، هؤلاء ليسوا سوى شباب ثائر أو متهور، أما الاشتباكات التى حدثت فى مدينة الموصل فمصدرها الفوضى وفراغ السلطة وتمت السيطرة عليها.

- **بعـــد هذه الخدمات الجليلة التى قدمتموها لقوات الغزو الأمريكى ما هو سقف مطالبكم ؟ وما المكافأة التى تنتظرونها ؟**

– كفـــاكم اتهاما للأكراد بأنهم قدموا خدمات جليلة للأمريكيين وخانوا الوطن فهـــذا الوطن وطننا وليس وطن أى شخص آخر ولن نقبل أى مزايدة على وطنيتنا لا مـــن مصـــرى أو مـــن خليجى ولا من مغربى أو أى شخص آخر يزايد على إخلاصـــنا لتراب العراق، لقد كنا بصدد اسقاط نظام صدام حسين وفعلنا المستحيل لتحقيق هذا الحلم منذ وقت طويل وقبل مجيء الأمريكيين ولسنا وحدنا من اضطلع بهـــذه المهمة بل كل فئات وطوائف الشعب العراقى العرب والأكراد ومن دافع أو

قاوم فى «أم قصر» وغيرها لم يكن عراقيا، كانوا من حثالة المجتمع العراقى الذين هـم ميليشيات صدام حسين والمجرمون الجنائيون الذين اخرجهم من السجون منذ فـترة ودربهم ليدافعوا عنه لأنه لم يبق على شعرة بينه وبين أحد ليدافع عنه الذين دافعـوا عـنه هم الحثالة التى كانت تقتل الشعب العراقى على مدى ٣٥ عاما، أما الشعب العراقى الحقيقى فلم يأت بالأمريكيين لكنه التزم الصمت حيال هذه المعركة ولم يقاتل دفاعا عن جلاديه، إنهم يريدون اسقاط نظام صدام حسين بأى ثمن والآن سـقط صدام وسوف يعود العراق عزيزا مقتدرا ومزدهرا وقويا بإرادة شعبه، أما عـن سـقف مطالبـنا فهى معلنة وواضحة وصريحة وهى الفيدرالية داخل عراق موحد.

نحـن لا نسـعى إلـى تفتيت أو تقسيم وطننا كما يشاع وأظنها حملة منظمة تسـتهدف الإسـاءة للشعب الكردي، كل ما نريده نظام عراقى ديمقراطى فيدرالي، بـرلمانى وتعـددى يتمـتع فيه الجميع عربا وأكرادا وآشوريين وتركمان بحقوقهم السياسية والإنسانية.

- **لكـنكم شعب يندرج تحت سمات اثنية ولغوية وثقافية واحدة فلماذا لا ترفعون شعار حق تقرير المصير ؟**

– نحـن كـأى شـعب لنا الحق فى تقرير مصيرنا وهو حق إنسانى ودولى وشرعى وقانونى فى كل التشريعات السماوية والوضعية وفى إطار القانون الدولى لكنـنا كأكراد عراقيين نرى أن من مصلحة أبناء شعبنا أن نستمر جزءا من عراق موحـد كـبلد كبـير وقوى نفتخر ونعتز بانتمائنا إليه، نتصور أن معيشتنا فى هذا الوطـن فى عزة وكرامة أفضل من أن تكون لنا دويلة صغيرة محاصرة من دول ستكون جميعها أعداء لها.

- **لكـن ألا يمكـن أن يكـون هذا السقف من المطالب مرتبطا بالضغوط التركية بشكل أساسي ؟**

- المؤكـد أن دولة كردية كبيرة هى حلم الشعب الكردى ولكن هناك ظروفا ذاتـية وأخـرى موضـوعية ودولية وإقليمية جعلت القيادات السياسية الكردية فى العـراق تسـتوعب استحالة تحقق ذلك الحلم على الأقل فى الوقت الراهن لذلك لم تـرفع شـعار حـق تقرير المصير أو دولة كردية ورأت أن المصلحة المثلى هى العـيش كجزء من عراق ديمقراطى وحر يمنحنا فيدرالية وأتصور أن الأمر ذاته ينطبق على أكراد تركيا وإيران وسوريا فلم يطرح أحد شعار الدولة الكردية وحتى عـبدالله أوجـلان مـا لبث أن تراجع عن هذا الشعار بعد أن تبين له استحالة ذلك ولذلـك فهـم يطرحون مثلنا حل الحكم الذاتى والفيدرالية خاصة فى إيران وتركيا وهناك اتصالات للتنسيق بيننا كأكراد عراقيين وبين اشقائنا فى باقى الدول فى إطار المسموح به رسميا غير أننا لا نتدخل فى شئونهم كما أنهم لا يتدخلون فى شئوننا .

- **لكن ماذا عن أعضاء حزب العمال الكردستانى المتواجدين على أراضيكم فيما لو تعرضتم لضغوط تركيا أو دولية لطردهم ؟**

- هذه افتراضات فرجال حزب العمال الكردستانى موجودون فى منطقة «جبل قنديل» فى كردستان العراق ولا توجد أى مشاكل بيننا وبينهم لانتدخل فى شئونهم ولا يتدخلون فى شئوننا.

- **مـنذ أيـام أعلن مسعود برزانى زعيم الحزب الديمقراطى الكردستانى عودة مديـنة كركوك كمركز لكردستان العراق كما كانت قبل عملية التطهير العرقى مما أزعج السلطات التركية فهل ستسمح بمنحكم فيدرالية ؟**

- كـل ما نرجوه ألا تتدخل تركيا وجميع الدول المجاورة فى شئوننا الداخلية نحـن نـتعهد من جانبنا ألا نتدخل فى شئونهم الداخلية وعليهم أن يلتزموا بقواعد القـانون الدولى وحسن الجوار، إنهم أصدقاء لنا وعليهم أن يتركوا مصير العراق للعراقيين.

- **غير أنه من الوارد أن تستجيب واشنطن للضغوط التركية حرصا على مصالح حليفها الاستراتيجى وهوما ترجمه انسحاب قواتكم من مدينتى الموصل وكركوك بعد التهديدات التركية ؟**

– حتى الآن لم يرضخ الأمريكيون لأى توجه تركى فى هذا الصدد أما انسحاب قوات «البشمرجة» من كركوك والموصل فهذا نهجنا فلا وجود لأى قوات عسكرية فى كل مدن كردستان العراق، إنها تدخل فقط لأداء مهامها العسكرية ثم تخرج سريعا تاركة إدارة شئون المدينة للمدنيين وهذا ما حدث فى كركوك حيث تم تعيين محافظ مدنى كردى لها هو فريدون عبد القادر وتم تشكيل لجنة من ٢٤ عضوا من جميع القوميات والاثنيات الموجودة ٦ عرب و٦ أكراد و٦ تركمان و٦ آشوريين وهو الوضع ذاته فى أربيل والسليمانية.

- **هناك من يتحدثون عن عودة الملكية ولكن دستورية .. كيف ينظر الحزب الوطنى الكردستانى لهذا الطرح ؟**

– هذه مسألة لا نقررها نحن وإنما إرادة الشعب العراقى فى استفتاء عام وما نرفعه نحن والحزب الديمقراطى الكردستانى هو شعار دولة ديمقراطية، برلمانية، تعددية، فيدرالية.

- **دعنا هنا نسألك ما أوجه التباين بين الحزبين الكرديين الكبيرين الوطنى والديمقراطي ؟**

– الحزبان لهما تاريخ نضالى طويل فى كردستان العراق وبينهما كأى أحزاب سياسية نقاط اتفاق ونقاط اختلاف لكنهما يتفقان على المبادىء السياسية العامة المصيرية بالنسبة للشعب الكردى مثل مطلب الفيدرالية والنظام الديمقراطى وهناك اتفاق حول إدارة شئون المنطقة والعلاقة مع الدول الصديقة والمحيطة بنا وحول التعامل مع الأحداث الجارية ولدينا حاليا قيادة سياسية وعسكرية موحدة وهناك اجتهادات متباينة فى بعض المسائل التفصيلية خاصة ما يتعلق بالشئون الداخلية وما يميزنا فى الاتحاد الوطنى الكردستانى إيماننا بالاشتراكية الديمقرطية ونحن أعضاء

مراقبون في الاشتراكية الدولية وقد يكون هناك تصور آخر في بعض المفاهيم والبرنامج العام للحزب بينما حزب العمال الكردستاني التركي حزب ماركسي.

- **كيف تنظرون لدور الأمم المتحدة والمحاولات الأمريكية لتقليصه ؟**

– الإشراف الدولي على إعادة الحياة الطبيعية للشعب العراقي مهم للإسراع بتقديم المساعدات التي تكفل تحقيق هذا المطلب وفي هذا السياق نطالب بدور أمني واقتصادي وسياسي للأمم المتحدة.

- **لكن ماذا عن الوجود الأمريكي؟ ما المدى الزمني الأقصى الذي تتوقعونه له ؟**

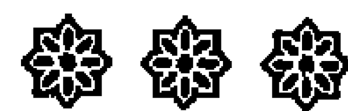
– نطالب أولا بتوفير اساسيات الحياة الطبيعية للمواطن العراقي بدءا من الماء والكهرباء والدواء والغذاء وانتهاء بالأمن وتشكيل حكومة وطنية عراقية هي التي تضطلع بمهمة صياغة سياسة العراق حيال التواجد الأمريكي وطبيعته ومداه.

- **وماذا عن الدستور العراقي؟ هل ستقفون مع أو ضد النص على عروبة العراق ؟**

– العراق جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والأمة العربية ونحن ملتزمون كأكراد بأن يظل عضوا في الجامعة العربية لكن المؤكد أيضا أن العراق دولة متعددة القوميات والعرقيات ويجب معالجة هذه المسألة في الدستور الجديد الذي ستضعه جمعية تأسيسية تمثل مختلف القوميات والعرقيات والطوائف العراقية وبالتالي ستكون الجهة الوحيدة المنوطة بتحديد نصوصه.

- **ماذا عن الشعب الفلسطيني؟ كيف تقيمون نضاله ؟**

– نحن مع الشعب الفلسطيني ومع حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وندعم في هذا الإطار السلطة الوطنية الفلسطينية ومطالبها فلقد عانينا كإخوتنا في فلسطين وما زلنا نآخيهم في النضال .





د. حسن حنفى

يطيب لنا ربما فى هذه اللحظة بالتحديد أن نجالس مفكرا بدرجة فيلسوف وفقيها بدرجة ثائر ومحافظا على الأصول بدرجة مجدد راديكالى فالمصاب جلل واللحظة جد عصيبة ونحسب أن التساؤلات الصعبة لا تحتاج إلى إجابات متلعثمة أو مترددة كما لا تحتاج إلى اطروحات خجول قدر ما تحتاج إلى حسم الشك باليقين وإلى براهين تفيض عن ذهن مبدع وعقل ناقد حتى لو اختلف معه الكثيرون، إنه الدكتور حسن حنفى أستاذ أساتذة الفلسفة بجامعة القاهرة والمفكر الذى أفنى العمر فى البحث عن جسر للحوار بين التيارات الفكرية الرئيسية الأربعة للأمة وما أحوجنا إليه.

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد؟**

– أصيب العرب بصدمة كبيرة بعد أن تضامنوا مع المقاومة بالرغم من تحفظاتهم على النظام وفرحوا بصمود أم قصر والبصرة لمدة أسبوعين وبدأ

الأمريكيون والبريطانيون يشعرون بالخيبة فسارعوا إلى بغداد بينما كانت التقارير السياسية والعسكرية تؤكد أن قوات الغزو لن تستطيع دخولها حيث ستجابه حرب شوارع ومن ثم خسائر كبيرة تؤثر على الرأى العام الأمريكى واستعد العرب لمعركة بغداد وقيل وقتها إن الحرس الجمهورى لم يدخل بعد وهو ثلث الجيش وكذلك المتطوعون العرب ولكن سلمت بغداد بخيانة أو تفاوض . اختفى الحرس الجمهورى والجيش وقبض على المتطوعين العرب واختفت القيادة العراقية، هذا ما أصاب الوعى العربى والذهن والأمل العربى وبدأ يتساءل يناضل لمن ؟ كذلك ٢٠ مليونا ممن اجتاحوا العالم بمظاهراتهم فى ١٥ إبريل رفضا للحرب ثم تسلم بغداد القضية فى رأيى ليست الهزيمة أو النصر، ليست الحرب أو السلام، القضية هى الإحساس بالإحباط العام والشعور بأنه لم يعد هناك فرق بين البطولة والخيانة ، لا أقول إننا إزاء سقوط بغداد بل تسليم بغداد ولا ندرى من هم أطراف الصفقة هل هى كوندوليزا رايس التى سافرت إلى روسيا خلال ٢٤ ساعة ؟ هل كان الموكب الروسى المتجه إلى دمشق والذى ضربته قوات التحالف يحمل القيادة العراقية؟ التاريخ سيكشف حقيقة تسليم بغداد وكيفية إجهاض المقاومة العربية، احتلال المدن وارد والأراضى وارد أما الفت فى العضد وطعن الكرامة والإصابة بخيبة أمل كبيرة كل ذلك يجعل المواطن العربى لا يصدق أى معركة قادمة مادامت النهاية هى الخيانة وتسليم العاصمة وهو ما قد يؤثر على مقاومتنا القادمة فى فلسطين وسوريا ولبنان، إن تسليم بغداد هو أكبر طعنة للنضال الوطنى العربى فماذا يصدق؟ وماذا يكذب؟

- **كيف ترى مستقبل الفكر القومى العروبى بعد تسليم بغداد ؟**

– ضرب الفكر القومى العروبى منذ ٦٧ حيث كانت الناصرية تمثل أملا وحلما كبيرا والكل تضامن معها باستثناء الحركة الإسلامية التى لم تستطع فهم طبيعة الثورة المصرية فى ١٩٥٢ ودخلت معها فى صراع على السلطة بينما التف القوميون والماركسيون والبعثيون حول المشروع الناصرى الذى كان يعبر عن آمال العرب فى دحر الاستعمار والصهيونية وتحقيق وحدتهم وأكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية رغم أنه لم يستطع تحقيق ما يسمى الحريات العامة ثم جاءت

هزيمة ٦٧ وكأننا كنا طبلا أجوف أو بالونا منفوخا بالهواء تكفى إبرة واحدة للقضاء علـيه، لقد كانت هذه أكبر هزيمة للناصرية والتى أرهص لها انفصال سوريا عن مصـر عام ١٩٦١ حيث فضل عبد الناصر عدم إراقة الدم على الوحدة وبعد ذلك جـاء الصـلح الـذى أبرمته مصر مع إسرائيل وزيارة السادات للقدس لتهز الفكر القومـى العربى بخروج مصر من جامعة الدول ومقاطعتها وبدأ الجسم يفقد رأسه فتشـازرت القومـية العربية وكانت الضربة القاضية من العراق عندما بدأ صدام حـربه ضـد الـثورة الإسلامية فى إيران بإيحاء من الولايات المتحدة لمدة ثمانى سنوات بلا قضية أو هدف رغم أن إيران كانت أكبر نصير للقومية العربية والثورة الفلسطينية وكان عبد الناصر أكبر داعمى الخومينى بل إن هذه الثورة جاءت لتجدد شـباب الناصرية لكن مع الإسلام، عبد الناصر أزاح الإخوان المسلمين كما أزاح الشـيوعيين فحكم فى فراغ لم يستطع ملأه بالاتحاد الاشتراكى أو القومى أو هيئة الـتحرير لأنه من الصعب أن تنشيء تنظيمات سياسية وأنت فى السلطة، إن حرب الخليج الأولى طعنة للفكر القومى حيث اظهرته عدوانيا لا يعرف كيف يتعاون مع الثورة الإسلامية فى إيران التى تشاركه أهدافه ثم كانت الضربة القاصمة فى غزو الكويـت حيث كان الخليج يخاف من إيران وإسرائيل وأمريكا لكن الضربة جاءته مـن قطر عربى وكانت هذه هى نهاية ما يسمى بالفكر القومي، إضافة إلى احتلال بـيروت عـام ١٩٨٢ حيث لم يسارع أحد لإنقاذها ثم تسليم بغداد ووقوف العرب عاجزيـن عـن الدفاع عنها وقبل ذلك حصار ليبيا وانفراد الولايات المتحدة بحل مشـكلة السودان فى مشاكوس، كل ذلك جعل الناس يتصورون أن عهد القومية قد انـتهى باستثناء المؤتمر القومى الإسلامى الذى يعقد فى بيروت والمؤتمر القومى العـربى الـذى يحـاول أن يجـدد نفسه بوجهة نظر نقدية ليفتح باب الحوار مع الإسـلاميين فيما لم يتم الحوار بعد مع الماركسيين والليبراليين وهذا سبب خلافى الرئيسى معهم فالقوميون كانوا يتصورون أن القوتين الفاعلتين فى الشارع العربى همـا القومية والإسلامية ولأنهما تمثلان اتجاها اشتراكيا فهم يرفضون الحوار مع الليبراليين مع وجود ليبرالية وطنية مثل طلعت حرب وغيره ويرفضون الحوار مع الماركسـيين باعتبار أن الماركسية تضامنت مع القومية العربية وبالتالى هى جزء منها ومع ذلك فإن الحوار يعز فى بلادنا بين التيارات الفكرية الرئيسية الأربعة .

- **غياب الديمقراطية هنا هل يعد مقتل الفكر القومى العروبي ؟**

– بطبـيعة الحـال الديمقراطـية أعمـق بكثـير فالمشكلة أننا حاولنا البدء بايديولوجـيات جاهزة سمها ليبرالية مرة أو قومية ، سمها ماركسية مرة أخرى أو الحاكمية لله وتطبيق الشريعة الإسلامية والإسلام هو الحل مرة أخرى وفى رأيى أن بـناء عمـارات كبـيرة يمثل كل منها تيارا على أرض غير ممهدة ودون أساس سرعان ما تنهار فلقد أنهار الصرح الليبرالى الذى بنيناه فى القرن التاسع عشر من صـحافة حرة وبرلمان قوى ومجتمع مدنى ولم يكن هناك رئيس يظل مدى الحياة وقوانيـن اسـتثنائية وطواريء إلى اخر ما شهدناه فى العهد القومى . انهيار هذا الصـرح سببه بقاء جذور التسلط ولنفس السبب انهار الصرح القومى وأى محاولة للبناء دون تمهيد الأرض واجتثاث جذور التسلط من الثقافة العربية لن تنجح .

- **لكن ما هذه الجذور ؟**

– أولهـا التصور الهرمى للعالم فلو فتشت فى عقل كل عربى لرأيته يتصور العالم باعتباره هرما له قمة وقاعدة وبينهمـا مراتب أى أن العـلاقة بين الطرفين علاقة رأسية بين الأعلى والأدنى وليست علاقة افقية بين الخلف والأمام وهى نظرة تقضـى على الديمقراطية والحرية رغم وجود تصورات أخرى «أنا شهيد على أن عـباد الله إخـوان» و«الناس سواسية كأسنان المشط» وهذه تصورات أفقية للناس لذلك أشدد على أهمية تمهيد الأرض وإرساء القواعد والأسس الصحيحة التى تحول الـثقافة العربية من التصور الرأسى إلى التصور الأفقى وهذا ما لم يفعله أحد لذلك تـنهار كل الأبنية على صخرة الديمقراطية والحرية وثانى هذه الجذور هو الفرقة الناجية فماذا تعنى بقولك ستفترق أمتى على ٧٣ فرقة كلها فى النار إلا واحدة هى ما أنا عليه وأصحابى وهى فرقة الحكومة فهى الوحيدة الناجية و٧٢ اجتهادا باطلا فهـل نحن إزاء مجتمع من المجانين والمخبولين ؟! وهذا حـديث يشكك فى صحته ابـن حـزم فهناك فى المواجهة تراث آخر «كلكم راد وكلكم مردود عليه» والذى يرسى حق الاختلاف وشرعيته وهو تراث يحيى التعددية «من قال لأخيه أنت كافر فقد باء بها .. هل شققتم على قلوبهم» أما الجذر الثالث فهو فقدان المبادرة التاريخية

وتصور أن التاريخ تحكمه إرادة خارجية تدفعه وهو ما يعيدنا إلى ما قاله الأفغانى عن عقيدة القضاء والقدر وتأويلها السيء حيث توقف الناس عن العمل وعزفوا عن التمسك بإرادتهم الحرة ، علينا إذن أن نبحث فى جذور الثقافة العربية الموانع التى تجعلنا غير قادرين على الإمساك بزمام المبادرة التاريخية مثل حد الحرابة والتكفير لكل المخالفين فى الرأى إلخ وهذا ما يحتاج إلى عمل طويل ، إن الذى يحكم ليس القائم فى قصر عابدين فالذى يحكم هو جذور هذه الثقافة وانظر إلى أجهزة الإعلام كيف تستخدم جيدا لتكريس التسلط والتصور الهرمى للعالم والفرقة الناجية عبر البرامج الدينية والثقافية وتلعب دور الحقنة المخدرة للناس بطرح قضايا الصبر والورع وحديث الروح لتخدير الناس قبل نشرة الأخبار ومجازر إسرائيل والمؤامرات الأمريكية ، ليست القضية من الذى يحكمنا وإنما من الذى يتحكم فينا وهو الثقافة الموروثة من خلال أجهزة الإعلام ولذلك فأخطر وزارة هى وزارة الإعلام وجهاز التليفزيون المصرى الذى يؤثر فى كل بيت من مسلسل إلى مسلسل وكلها تؤكد ثقافة السلطات.

- **نحن اذا أمام المشكلة الفلسفية التاريخية المادة أم الوعى فهل الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى هو المسئول عن إفراز وتكريس ثقافة الاستبداد أم أن ثقافة الاستبداد هى التى تكرس هذا الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادي؟**

– العلاقة جدلية بينهما فالواقع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى هو الذى يفرز ثقافة السلطة والقمع ثم تصبح ثقافة التسلط والقمع نظرا لتكرارها وتحويلها إلى برامج تعليمية وتعويد الناس عليها من خلال كتاب السلطان أمرا مستقلا بذاته لأنها قد تجمدت وتحجرت وأصبحت نموذجا لذلك نحن مطالبون بتفكيك ثقافة السلطان التى تقول «من خرج على السلطان فاقتلوه» هل يعقل هذا رغم أن الشريعة الإسلامية سنت وسائل للخروج على السلطان؟ علينا إذن تفكيك هذه البنية وإرجاعها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التى نشأت فيها ذلك أن هناك ظروفا اجتماعية وسياسية واقتصادية تحتم علينا إبداع ثقافة جديدة تقوم على التعددية

والحرية والشعبوية ومقاومة الطغيان على أن تتواصل تاريخيا مع ثقافة المعارضة القديمـة ثقافـة المعـتزلة والمعارضـة العلنية فى الخارج بالفكر والرأى والعقل والمعارضـة الشيعية تحت الأرض انتظارا لوقت الثورة والمعارضة المسلحة على حـواف المدن وهو ما تقوم به بعض جماعات العنف الآن غير أن هذه المعارضة السرية لم تعد ملائمة لأن عيون الدولة فى كل مكان ثم إن الدفاع عن الحرية ليس جـريمة كمـا أن المقاومـة المسلحة للدولة لم تعد مناسبة نظرا للثمن الذى يدفعه الأبرياء كما أنها لا تتغير كثيرا بل تشوه النضال الوطنى باعتباره نضالا مشروعا وبالـتالى يقع على عاتق المفكرين والكتاب والمثقفين مسئولية إبداع ثقافة معارضة جديدة بعد تفكيك بنية ثقافة القمع .

- **لكـن تغيـير الثقافة والتقاليد يتم ببطء باعتبارها جزءاً ثابتًا وعميق الجذور بيـنما التغيـير السياسى والاجتماعى يسهل عنها، فالثورة ضد الحاكم لتغيير الثقافة أسهل من تغيير الثقافة للإطاحة بالحاكم ؟**

– علـيك أن تختار بين طريقين إما العمل على المدى القصير أو العمل على المدى الطويل والجهد الرئيسى منذ فجر النهضة العربية حتى الآن هو العمل على الأمـد القصير بمعنى أن الطهطاوى عندما أراد عمل دولة ليبرالية فى عهد محمد على قرأ الثقافة من منظور الغرب والغرب من منظور الثقافة كما فعل فى تخليص الإبريـز وكمـا كتب فى مناهج الألباب عن الدولة الحرة التى تقوم على النموذج الليبرالى واستمر ذلك حتى ثورة ١٩١٩ إلى آخره ثم انهار فى ١٩٥٢ واقمنا ثقافة قومـية انهارت بعد ذلك على صخرة الحرية فالمهم ليس من فى القصر ولكن ماذا فـى العقل، ليس من يعطى الأوامر ولكن الأسس النظرية التى منها تصدر الأوامر وخلافـى مع أحزاب المعارضة أنها تتصور العمل السياسى على أن يكونوا سلطة بديلـة فكـيف يمكن أن يكونوا كذلك فى بنية القمع، هل منا من يتصور الأحزاب المصرية دون قياداتها التاريخية ، إن مشكلة هذه الأحزاب تصورها أن مهمتها هى استبدال قيصر بقيصر جديد.

- **فـــى هــذا السياق كيف تنظر إلى التفجيرات الأخيرة فى السعودية والمغرب؟ وهل أصبحت ثقافة العنف هى البديل الوحيد أمام الناس ؟**

- تفرق أدبيات السياسة والمقاومة فى أمريكا اللاتينية بين نوعين من العنف: العـــنف القاهر والعنف المحرر الأول هو الفعل والثانى هو رد الفعل الذى ينشأ فى نظم القهر كحل أخير فلو أن هناك منابر حرة تستطيع الاتجاهات المختلفة أن تعبر مـــن خلالهـــا عما تريد لما نشأ العنف فالرأى يواجهه رأى والحجة تواجه بالحجة وهناك التجاء لصناديق الاقتراع فأنت مرة فى السلطة ومرة فى المعارضة وبالتالى فـــإن منع الناس من حرية التفكير ومن وجود أحزاب شرعية لتنظيمات جماهيرية يفضـــى إلـــى ثقافـــة العـــنف مثل الإخوان الذين تتناول الصحافة اخبارهم وأخبار مرشـــحيهم ونوابهـــم ومرشـــدهم وصحفهم ورغم ذلك لا وجود لهم على المستوى القـــانونى فسلاح الحل مسلط عليهم منذ عام ١٩٥٤ حتى إذا ما خرجوا عن الدور المـــنوط بهـــم بـــدأت حمـــلات اعتقال لهم، هذه هى المفارقة بين حركة الشارع والتنظيمات السياسية فهناك ١٦ حزبا سياسيا لا وجود لها بينما لا تحرك الشارع إلا أربعة تيارات فكرية وما السياسة إلا فكر ومع ذلك فنحن فى مصر أفضل حالا من غـــيرنا، فـــالإخوان مازالوا يلتفون حول هامش من الحرية ويظهرون فى النقابات والأحـــزاب كما حدث فى الوفد أيام الشيخ عاشور لكن فى معظم البلدان العربية لا يجـــوز أن تـــنطق بفكـــر آخـــر فكتبى مثلا ممنوعة فى تونس بسبب تأثر الحركة الإســـلامية بكتاباتى وأذكر أننى منعت من دخول ليبيا لمناقشة رسالة دكتوراه عبر تونـــس لوجـــود اسمى فى القائمة السوداء وفى سوريا مثلا هناك مأساة حماة وفى العراق مأساة الشيوعيين والحركات الإسلامية البديلة فى السعودية مهاجر معظمها إلى لندن.

إن العـــنف يظهـــر خاصة فى وقت تضعف فيه الدولة الوطنية التى كانت فى الخمســـينات والســـتينات تقـــاوم الاستعمار والصهيونية ولديها مشروع اجتماعى وتصنيعى وعدالة اجتماعية تتفق أو تختلف معها لكنها تمتلك مشروعا أما الآن فقد

تهـرأت هذه الدولة بدءا من السبعينات والثمانينات فقد أصبحت ٩٩% من أوراق اللعبة فى يد أمريكا بعد أن كانت بالأمس القريب عدوا لدرجة أن وزراء الخارجية العـرب اختلفوا فى تعريف العدو البعض يقول العراق والآخر يقول إيران فيما لم تعـد أمـريكا وإسرائيل على البال هذا بخلاف ضعف الأحوال المعيشية للمواطنين وأزمـات الإسـكان والـبطالة والفسـاد وكلها قضت على شرعية الدولة وهنا بدأ الجـناحان الرئيسـيان فـى البلاد الإسلامى واليسارى فى عملية تنسيق حيث قاد اليسارى القومى والماركسى أحداث اليوم التالى لغزو العراق بينما قاد الإسلاميون المظاهـرات داخل الجامعات وأحاول أحيانا عقد حوار بينهما من أجل تنظيم قوى وطنية معارضة فى جبهة واحدة على غرار جبهة الطلاب والعمال فى عام ١٩٤٦ داخل جامعة القاهرة أثناء النضال ضد الملك والاستعمار، والكارثة أن يقع التصادم بيـن الجناحيـن ويتصور كل منهما أنه السلطة البديلة كما هو الحال فى الجزائر والدولة تفرح بمثل هذا الخلاف فبدلا من أن يقوى الجناحان بالحوار بينهما يضعفان بالخلاف تماما كما حدث عام ١٩٨٠ قبل اغتيال السادات حيث تضامن اليساريون والإسـلاميون فى وضع سياسات بديلة لرفض كامب ديفيد والخصخصة والارتماء فـى أحضان الولايات المتحدة وهوما قاومه السادات بأحداث سبتمبر ١٩٨١، نحن فـى مـأزق حقيقى لكن أحد الأسباب الرئيسية للعنف هو أن الطريق للحوار داخل الأوطان أصبح مسدودا إضافة إلى الكم الهائل من الفساد واهتراء السياسات والتبعية المطلقـة لأمـريكا وإسرائيل وكأن الحاكم لم يعد له هم سوى الحفاظ على الكرسى لدرجة تغيير الدستور ليبقى مدى الحياة أو يورث الحكم لأولاده من بعده .

- **كيف تثمن مقولة إننا بحاجة إلى ديمقراطية من نوع خاص ؟**

- فـى الأدبـيات السياسـية لا يوجد نموذج واحد للديمقراطية فالإسلام مثلا يطـرح نمـوذج الشـورى الذى يقوم على استشارة أهل الحل والعقد وهم العلماء المتخصصـون وليسـوا بالطبع رجال الدين أو مشايخ الأزهر فليس فى الإسلام رجال دين ولا أزهر إنه دين يطرح أهل الاختصاص بينما يطرح النموذج الغربى

الــناس والعامة والجمهور حيث الاعتماد على الأغلبية والأقلية فالأغلبية تصبح فى الحكم حتى لو حصلت على ٥١% من الأصوات وتصبح الـ٤٩% فى المعارضة لكن ما يعيب النموذج الإسلامى هو نخبويته حيث أهل الحل والعقد وسوء تفسيرهم وقصرهم على رجال الدين ويعيب النموذج الغربى التصور الكمى للديمقراطية رغم أن الإســلام لا يعــتد بالإجماع إلا عندما يكون ١٠٠% حيث يأخذ بعين الاعتبار الــرأى المخالف حتى لو كان ١% ثم دعنى اسألك هل الديمقراطية وسيلة أم غاية؟ هــل يكفى أن أفرح بالتعددية الحزبية والانتخابات الحرة والأقلية والأغلبية أم أنها وسيلة لتحقيق مجموعة من القيم والأهداف؟ وخذ الولايات المتحدة التى يضرب بها المثل فى الديمقراطية والحرية ما الفارق بين الجمهوريين والديمقراطيين فى مسألة نقــل السفارة الأمريكية إلى القدس وفى تأييد إسرائيل؟ إن كليهما يزايد على الآخر فى تأييدها لكن الكل مع العولمة والتسلط لدرجة أن بوش حصل على ٧٠% لتأييد العــدوان علــى العــراق مــن الجمهوريين والديمقراطيين وما الفارق بين العمال والمحافظيــن فى انجلترا وكلاهما مع الغزو؟ لو تركت الديمقراطية للمعيار الكمى لاضــطهدت الأقلــية ولربما نسيت أن الديمقراطية يحكمها مباديء من القيم العامة ولتــتذكر أن هتلر نجح بالأغلبية لكن من أجل النازية والعنصرية إذن الديمقراطية يحكمهــا نسق قيمى عالمى يتفق عليه مثل مقاصد الشريعة الخمسة التى لا يعرفها أغلــب الــناس فكلهم لا يعرفون إلا الأركان الخمسة وهذه المقاصد هى الدفاع عن الكرامة الإنسانية والدفاع عن ثروات الشعوب، إنها مجموعة من القيم العامة ليست الديمقراطية إلا وسيلة لتحقيقها والغاية هى تحقيق المصالح العامة للبشر والمساواة بينهم وحق العيش ورفض العنصرية.

- **فى هذا الإطار هل مازال نظام الشورى الذى يعبر عن واقع اجتماعى وسياسى واقتصادى اقطاعى يصلح مع دول تطرق العولمة أبوابها بكل قوة ؟**

– الــتجربة تجيب عن هذا السؤال فنظام الشورى ضد التسلط والتفرد بالرأى لكنك حر فى الطريقة التى تحقق بها نظام الشورى فى المجتمع ثم إن العولمة ليست سوى أحد أشكال الهيمنة الجديدة باسم السوق اوالصناعة والربح والمنافسة من أجل

إيجـــاد أيديولوجــية جديدة فى نهاية عصر الاستقطاب فهل تستطيع منافسة الدول الصناعية الثمانى الكبرى فلقد حاولنا فى مصر دخول سوق المنافسة بما ننتجه من صـــناعات نســيجية لكــن الولايات المتحدة اشترطت علينا تقديم شهادة عن وضع حقــوق الإنســـان وعن عمالة الأطفال ووضع المسجونين السياسيين وهل تستطيع مصـــر معاملة أمريكا بالمثل ومطالبتها بشهادة حول حقوق الإنسان الأسود وحقوق العمال، إن العولمة هى سيطرة القوى على الضعيف ودول المركز على الأطراف ومع ذلك فعلينا أن نطرح على الناس لمعرفة إلى أى حد تستطيع الدولة أن تتنازل عــن ســيادتها الوطنية باسم قوانين السوق ونظام الشورى يبحث مكاسب وخسائر دخــول هــذه العولمـــة ويمنع التفرد بالرأى واتخاذ الدولة قرارا بإسقاط حواجزها الجمركــية ورفع الدعم عن المواد الغذائية وتطبيق نصائح البنك الدولى وصندوق النقد وتعويم الجنيه دون استشارة أهل الاختصاص.

- **كـيف تــرى الهجمة الاستعمارية الحالية ؟ هل هى حرب صليبية كما يدعى البعض ؟**

– الممارسات السياسية تقوم على دوافع أيديولوجية وثقافية وفكرية والاستعمار فى حقيقته مادى اقتصادى يبتغى نهب ثروات الشعوب لكن لابد له من نظرية فمرة يرتكــز علـــى نظرية التفوق العنصرى فى القرن التاسع عشر وإسرائيل هى أحد تجلياتها وإن وضعت لها اساسا نظريا مختلفا مثل أرض الميعاد وشعب الله المختار والميـــثاق الـــذى عقـــده الله مـــع بنى إسرائيل والآن تعتبر هذه الهجمة استمرارا للاستعمار طالما أن المركز قوى والأطراف ضعيفة غير أن أساسها النظرى يكون مرة العولمة وإن كانت لا تحظى برضى الجميع وتكون مرة أخرى مرتبطة بالاتجاه المحـــافظ فى العالم الذى يبدو أنه تشبع بالتحديث والتصنيع والعقلانية فيرتد أحيانا إلـــى بعـــض القيم التقليدية فى الديانة المسيحية التى تغلغلت فيها الصهيونية لذلك عادت مرة أخرى فكرة الاختيار التى يعبر عنها بوش بقوله إن الله قد اختار أمريكا لتخلـــيص الشـــعوب وبالـــتالى نشطت الاتجاهات المسيحية الصهيونية داخل البيت الأبـــيض، ولا أقول إن هذه الحرب صليبية وإن كان العامل العقائدى والثقافى لدى

التـــيارات المحافظة أحد دوافعها لكن يبقى أن الغاية هى الحصول على نفط العراق والقضاء على الأوبك تمهيدا للاعتداء على إيران ولبنان حتى يكتمل مشروع إدخال المنطقة العربية فى النفوذ الغربى والاقتراب من الصين وحصار روسيا .

- **مـــا قولـــك إذن فى الرأى القائل إن الصراع القادم فى المنطقة العربية صراع بين الأصولية والعلمانية ؟**

– هذا ما يروج له العلمانيون فالصراع قائم بين القوى الوطنية والقوى التابعة فمـــن الحـــركة السلفية هناك قوى وطنية وكذلك الحركة العلمانية ومن السلفية من يضـــحون بالأوطان ومن العلمانية من يتحالفون مع الغرب، الصراع إذن ليس بين الأصـــولية والعلمانية لأن التعددية النظرية أمر مرحب به لكن السؤال هو لحساب مـــن تعمـــل؟ لحساب الغرب أم لحساب القوى الوطنية؟ فمثلا هناك من يرغب فى تحريـــر فلسطين لأن بها أولى القبلتين وثالث الحرمين والأراضى المقدسة والوقف الإســـلامى كما تقول الحركات الإسلامية وهناك من يريد تحريرها لأنها جزء من أراضـــى العـــرب بحسه القومى وهناك من يريد تحريرها من أجل حرية الشعب الفلســـطينى وحقوق المواطن مثل الليبراليين و هناك من يريد تحريرها دفاعا عن حقـــوق العمال والشغيلة مثل الماركسيين ، إذن تتعدد النظريات ولا تتخاصم متفقة علـــى هـــدف واحـــد بصرف النظر عن الإطار النظرى وعندما كان الصراع فى الجزائـــر بين الأصولية والعلمانية كان الخاسر هو الشعب الذى فقد مائة ألف قتيل والســـؤال لمـــاذا لا تتعدد الآراء والأطر النظرية مع الاتفاق على برنامج خلاص وطـــنى لشـــعب الجزائر ولا يوجد مؤمن وكافر فما زلنا كلنا ضحية «معالم على الطريق» حيث تقسيم العالم إلى نوعين إسلام وجاهلية، إيمان وكفر ، إله وطاغوت، نـــور وظلام، هذه أيديولوجية المضطهدين وللأسف يوحى الغرب لنا بهذا الصراع لينقل المعركة إلى داخل الأوطان وليس ضده هو فيروج للعلمانية باعتبارها سبيل الـــتقدم ولنســـتعيد مـــرة أخرى الحوار بين محمد عبده وفرح انطون عن العلمانية والإســـلام حيث يقول انطون « بالعلمانية تقدم الغرب وبالدين تأخر الشرق » ويرد عليه عبده قائلا « إن هناك إسلاما عقلانيا وتقدميا وشعبويا وإنسانيا » ، إنها معركة

وهمـــية اسقطت علينا من تاريخ الغرب الذى لم يستطع التقدم إلا بفصل الدين عن الدولـــة فتصـــور أن هذا هو النموذج الوحيد لتطور الشعوب واتساءل ما هى القيم العلمانـــية التى يدافع عنها العلمانيون؟ العقلانية إنها جوهر الإسلام « ألا تعقلون» والعقل أساس النقل عند المعتزلة وحديث قدسي يقول إن أول ما خلق الله خلق العقل أما الإنسان فهو لب الحضارة الإسلامية « لقد كرمنا بنى آدم فى البر والبحر».

أمـــا العلم فلا يوجد دين نصر العلم والعلماء عبر التاريخ كالإسلام، أما التقدم فـــالوحى مبنى على فكرة التقدم من اليهودية إلى المسيحية إلى الإسلام حتى يستقل الإنســـان عن سيطرة الطبيعة والطاغوت والفرعونية ويصبح قادرا بعقله فقط على أن يصـــل للحقيقة وبإرادته يحقق الخير على الأرض ، إن الإسلام علمانى بطبعه فالقيم العلمانية داخلة فيه وليس به رجال دين ولا كهنوت ولا كنيسة، وفى آسيا مثلا فـــى كوريـــا والـــيابان لا يوجد صراع بين الدين والعلمانية فلقد قسموا الحياة إلى نظاميـــن متناســـقين متناغميـــن فاليابانى من الاثنين إلى الجمعة علمانى تماما فى مصـــنعه لكـــنه يستدعى روح الإمبراطور يومى السبت والأحد فى معبد الشينتوى ويقـــرأ الكـــف ويلقـــى «البخت» عند بوذا وهو سعيد بالحالتين فلا يدخل بوذا فى المصـــنع ولا المصـــنع فى بوذا وهذا نموذج لا نهاجمه ولا ندافع عنه فلكل شعب طريقته فى الحياة، فكل تجربة تخص واقعها ولا يمكن تعميمها وتجربتنا تقوم على الاجتهاد حيث يخرج الجديد من القديم من أجل التواصل والتغير فى نفس الوقت فلا نقطـــع كالغرب ولا نجاور كالشرق ونقول إن المسيحية قراءة روحية لليهودية وإن الإســـلام قراءة للمسيحية ولليهودية عن طريق حرية الاختيار «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» هذه هى اليهودية «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» وهذه هى المســـيحية فالإسلام إذن هو حرية الاختيار بين موسى وعيسي، بين قوانين التوراة وفيها هدى ونور كما قال القرآن الكريم وبين حب الجار فليت لدينا من يطبق تعاليم موسى «لا تقتل لا تزنى لا تشهد شهادة للزور» وليت لدينا من يطلق تعاليم المسيح بحـــب الجار بدلا من القتل ولذلك فالاجتهاد مصدر من مصادر التشريع وهو يعنى أن تـــأخذ روح الإسلام مع روح العصر «لا تؤدبوا أولادكم بادابكم فقد خلقوا لغير

زمـــانكم»، «إن الله يبعث للأمة كل مائة سنة من يجدد لها دينها» بمعنى أن تكون هناك رؤية متجددة كل جيلين أى كل ٥٠سنة لكننا تصورنا أن التراث القديم مقدس وأن ما علينا هو التقليد.

- **لكـــن الصـــراع قـــائم بالفعل بين الأصوليين والعلمانيين متجسدا فى موجات التكفـــير الـــتى تجلـــت فى تطليق زوجة الدكتور نصر حامد أبو زيد بدعوى الحسبة ؟**

– هناك مليار و٢٥٠ مليون مسلم فلا تعدو هذه الحادثة كونها حادثا فرديا وخذ آراء مفكريـــن إســـلاميين مستنيرين مثل المستشار طارق البشرى والدكتور أحمد كمـــال أبو المجد ثم إن القدماء قالوا أكثر مما قال نصر أبو زيد عندما تحدثوا عن قضـــية خلق القرآن كما أن هذه القضية اثيرت لأسباب سياسية بين الحزب الحاكم والمعارضة.

- **فماذا عن حقوق الإنسان ؟**

– قضية مزيفة وصحيح أن الغرب يزهو بأنه قدم للعالمين مفهومين رئيسيين الأول هـــو الإنسان أى زمان محدد بالحياة والموت كقيمة والثانى هو مفهوم التقدم أى الـــزمان فى التاريخ ويعيب على حضارات الشرق ومنها الإسلام، أنهم غرقت فـــى الخلـــود والله والســـلطان أى غـــير الزمان المحدد بالزمان والمكان «ألوهية فـــرعون» وغير التقدم فى التاريخ واعتبروه عدما أتى وسينتهى ولا يحكمه قانون وأن الحقـــيقة ستتكشف بعد الموت وبعد التاريخ وبالتالى ادعى الغرب أن الإنسان قضـــية رئيســـية هو الذى اكتشفها منذ أيام اليونان فى الغرب الحديث حيث صدر الإعـــلان العـــالمى لحقوق الإنسان يجوز ذلك ويستطيع أن يجد المفكر براهين هنا وهناك كما يستطيع أن يجد براهين مناقضة لكن ما هى حقوق الإنسان، إنه حقه فى الحـــياة وفـــى المعرفة وحق الحركة والتعبير وحرية الفكر وحق العمل والحصول علـــى العلاج إلى آخر ذلك وهذه هى نفس مقاصد الشريعة الخمسة التى من أجلها جـــاء الإســـلام واتساءل إذا لم نستخدم لفظ حقوق الإنسان فلا وجود لمعناها لدينا؟

لا لفظ مقاصد الشريعة يعبر عن جوهر المعنى ونعيب على الإعلان العالمى لحقوق الإنســان تأكيده على الحقوق الفردية باعتبار أن الفرد هو ركيزة العالم كله ولذلك أعلــنا فــى ١٩٧٧ فــى الجزائر للإعلان العالمى لحقوق الشعوب وهو غائب فى الإعــلان الأوروبى إن مشكلة الغرب تصوره أن ثقافته وحدها هى التى تدعو إلى حقــوق الإنسان فى حين أن قراءة كونفوشيوس وبوذا تكشف عن نفس المعاني، ثم إن الإعــلان الغــربى لم يضع فى مقابل حقوق الإنسان واجباته وكأنه كان يتحدث فقط عن حقوق الإنسان الأبيض الذى قتل الإفريقى الأسود وألقى القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكى بل إنه ينتهك حق العلم باحتكاره المعرفة فأين حقوق الأقليات فى أوروبا؟ وأين حقوق ذوى الأصول الإسبانية والسود؟.

ولقــد شاركت هانز كينج ومفكرين آخرين فى عمل الإعلان العالمى لواجبات الإنســان لأنــه لا يوجد حق دون واجب فالثقافة الغربية أعطت لنفسها حقوقاً دون واجبات وأعطينا نحن لأنفسنا واجبات بلا حقوق، وانظر إلى عنوان كتاب محمد بن عــبد الوهاب «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» إذن أين حقوق العبيد؟ لا شيء، وانظر ليوم يقضيه المواطن عندنا بين افعل ولا تفعل حتى ينام. لا تسرق كيف وأنا عاطل لا تزنى كيف وأنا لا أملك نفقات الزواج. لا تشهد الزور والفساد قــد استشرى فى المجتمع فى الرشاوى ونواب القروض، وبالتالى فنحن فى حاجة إلــى تــوازن بيــن حقوق الإنسان وواجباته ومع احترامى لنضال منظمات حقوق الإنسان فى مصر والعالم العربى لكنها مازالت قائمة على التصور الغربى الفردى دون إضافة حقوق الشعوب ودون إضافة الواجبات.

- **أيــن أطروحة اليسار الإسلامى من كل ما يحدث؟ وما هى طبيعة العلاقة التى يمكن أن تنشأ بين الإسلام كدين واليسار كفكر؟**

– العلاقــة بيــنهما كمــا العلاقة بين الرئتين حيث تطرد الرئة الأولى الثانية ويطــرد القديم الجديد وهذا الذى يسمى بالسلفية وهذا قصر نظر لأن هذا الموروث القديــم نشــأ فى التاريخ وتغير الزمن والموروث لم يتغير، هذا هو وجه الصدام،

الخــلاف بيــن الرئتين لكنها نفس البنية فالعلمانى يرفض السلفى ليصب الزيت فى النار رغم أن المفترض أن التيارات الأربعة الرئيسية موجودة داخل بيت واحد ومن حق كل منهم أن يضع لافتته على باب حجرته أما إذا جاء أحدهم وقرر وضع لافتة لا إله إلا الله على باب البيت كله نقول له لا لأن بالبيت آخرين قوميين وماركسيين وليبراليين، المشكلة أن الرئتين اتفقتا على البنية فالإسلامى يقول إنه الفرقة الناجية والعلمانى ينازعه قائلاً: أنا الفرقة الناجية وما أطرحه فى اليسار الإسلامى هو هذا السـؤال: ألا اسـتطيع أن اتنفس بالرئتين فاليسار الإسلامى يرفض أن يتنفس برئة واحــدة ويرفض أن يرى العالم بعين واحدة حتى لا يصبح أعور أو أن يمشى بقدم واحــدة حتى لا يصير أعرج ومن هنا يأتى اليسار الإسلامى وبطريقة أخرى نحن أمــام خطابيــن أحدهمــا يعرف كيف يخاطب الناس فيتحدث عن الإسلام والدين والحاكمــية لكــنه لا يعرف ماذا يقول ويخوض معارك إيمانية سبق وأن كسبناها ولا يخــوض معارك حياتية لم نكسبها بعد كتحرير الأمة والقضاء على الاستعمار والاستبداد والفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية أى أن الخطاب السلفى ترك المعارك الحقيقــية لخوض معارك وهمية، أما الخطاب الثانى فيعرف ماذا يقول مثل حقوق الإنســان والحــرية والديمقراطية والعلم والحداثة والتكنولوجيا لكنه لا يعرف كيف يقول.





د. دلال البرزى

لا يـزال مجلـس الحكم المؤقت العراقى يثير حوله الجدل والتساؤلات بسبب تركيبـته الطائفـية والعرقية وعدم اتفاق أعضائه حتى الآن على من يتحدث باسم العراق أمام المجتمع الدولى ومن يمثله فى مجلس الأمن وجامعة الدول العربية التى لـم يعلـن اعضـاؤها حـتى الآن موقفا واضحا وصريحا إزاءه فالتجربة اللبنانية ما زالت ماثلة أمام أعينهم فهل سيجرى لبننة العراق وبأى كيفية ستتم؟

غـير أن السؤال الكبير الذى يطرح نفسه على هذا المجلس هو هل سيستطيع أن يكـون البديل الأمثل للعمليات العسكرية فى تحقيق مطالب العراقيين الوطنية أم أنـه سيغذى النعرات الطائفية والعرقية بسبب الصراعات الدائرة بين أطرافه ليلقى بالعـراق إلى دوامة حرب أهلية لنشهد النموذج الدموى للبننة.. كل هذه التساؤلات وغـيرها طرحـتها القاهـرة على شاهد عيان عاصرت الحرب الأهلية فى لبنان واصطلت بنار الطائفية وعرفت أبعادها ومداها ليس فقط بحكم المعايشة ولكن أيضا

لكونهـــا مشتغلة بعلم الاجتماع واستاذة جامعية سابقة بجامعة بيروت قبل أن يستقر مقامهـــا بالقاهــرة أول متخصصة فى دراسة جماعات الإسلام السياسى فى العالم العربى إنها الدكتورة دلال البرزى الكاتبة والمحللة السياسية بصحيفة الحياة اللندنية.

- **كَـــثُر الحديث مؤخرا على لبننة العراق فهل تتشابه الطائفية والإثنية العراقية مع الطائفية اللبنانية ؟**

– بداية لا يمكن القول إن العراق يشهد الآن صراعا طائفيا أو عرقيا وما يبدو علـــى السطح حتى الآن هو مجرد تمايز بين طائفتى الشيعة والسنة داخل المسلمين ولا أعــتقد أن أحـــدا خـــارج المشهد العراقى يستطيع معرفة ما إذا كانت الطائفية العراقـــية تتشابه مع الطائفية اللبنانية أم لا، فقد جمد صدام حسين طيلة فترة حكمه القوى المعبرة عن الطوائف والإثنيات العراقية ولم يسمح لها بالتعبير عن نزعاتها أو تنويعاتها، إن الدولة كانت قبلية تعبر فقط عن فخذ آل المجيد بقرية تكريت مسقط رأس صـــدام حسين ولم تكن انعكاسا بأى شكل من الأشكال للمجتمع العراقى وذلك رغـــم عـــنفه الذى ترجمه فى الصراع على السلطة منذ عام ١٩٥٨ وحتى تمكن صـــدام من فرض سيطرته باستيلائه على الحكم، وفى المقابل تعد الطائفية اللبنانية مـــن أوضـــح الطائفـــيات فى العالم فليس هناك مَنْ يخجل من التعبير عن انتمائه الطائفى مارونى أو سنى أو شيعى لذلك انعكس تشكيل المجتمع على تشكيل الدولة اللبنانـــية كما أنه لم يتم اضطهاد طائفة لحساب باقى الطوائف بنفس درجة القسوة الـــتى اضطهد بها صدام طائفة الشيعة فى الجنوب ومن ينتمون للعرق الكردى فى الشمال فلم يظلم شيعة لبنان عشية الحرب الأهلية إلا بتركيز الدولة لمعظم ميزانيتها واســـتثماراتها فى مجال الزراعة والتجارة فى المناطق التى كانت تسكنها الطائفتان المارونـــية والسنية ورغم ذلك أستطيع القول إن الجزء الذى يشبه فيه العراق لبنان هـــو الخاص بالمجتمع من حيث التكوين الطائفى وإن كان من الصعب الحديث عن لبنـــنة فى العراق على مستوى تشكيل الدولة العراقية الحديثة بسبب الغموض الذى مـــازال يكتنف الطائفية العراقية وقسوة الاضطهاد والظلم الذى تعرضت له مختلف الطوائف والإثنيات من قبل نظام صدام حسين.

- **لكن مجلس الحكم الوطنى المؤقت تم تشكيله على أساس طائفى وعرقى ؟**

– هـذه القـوى التى شكلت المجلس هى التى ظهرت على الساحة السياسية العراقـية بعـد زوال نظام صدام حسين ومجيء الاحتلال الأمريكى وكانت قوى اجتماعـية مجمـدة طـيلة الـ-٣٥ عاما الماضية كما أنها لم تستطع تعريف نفسها إلا بانتماءاتها الطائفية والعرقية فهذه تعرف نفسها بالقوى الشيعية وتلك بأنها ممثلة السـنة وأخـرى عرفت نفسها بانتمائها لعرقها الكردى أو التركمانى أو الآشورى خاصة أن صدام كان قد قضى على كل القواعد الجماهيرية للأحزاب السياسية ومن ثم كان من الصعب تشكيل المجلس على أساس قوى وأحزاب سياسية ومع ذلك فقد ضـم المجلس أيضا ممثلين عن الأحزاب السياسية الموجودة مثل الحزب الشيوعى والمؤتمر الوطنى العراقى وحزب الدعوة الإسلامية وغيرها وفى هذا السياق أشير إلـى أنـه لـم يغب عن المجلس إلا القوى التى أعلنت الكفاح المسلح ضد الوجود الأمريكى فى العراق وأبرزها مقتضى الصدر الذى أعلن عن تأسيس جيش المهدى ورفـض الـتعامل السلمى مع قوات الأحتلال وإن كان قد أعلن أيضا تأجيله لخيار الكفـاح المسلح وإعطاء الأمريكيين والمجلس المؤقت الفرصة فى إعادة بناء الحياة العراقـية وانتظارا لأن يفى الأمريكيون بوعدهم بشأن الجلاء عن العراق وتشكيل حكومة عراقية دائمة وهنا دعنى أقول لمنتقدى المجلس باعتباره لا يعبر عن جميع القـوى والأطـراف السياسـية فى العراق أن مقتضى الصدر نفسه أكد أنه رفض الاسـتجابة لدعوته بالانضمام للمجلس من قبل الأمريكيين ثم ما هو التشكيل البديل الذى يطرحونه ويعترفون به هل كانوا يريدون أغلبية سنية أم ماذا؟

إن معظـم الذيـن ينتقدون تشكيل المجلس المؤقت على أساس طائفى إما أنهم يسـقطون نوازعهم الطائفية على العراق أو أنهم يعبرون عن النظام العربى الذى لا يسـتطيع اسـتيعاب إمكانية أن يحكم الشيعة دولة عربية لأول مرة فى التاريخ الحديـث فالأنظمة العربية لم تستطع استيعاب الأقليات الطائفية والعرقية فى سياق الأمة الواحدة وإذا كان ليس مطلوبا الحديث عن التقسيم الطائفى والعرقى وتكريسه فإنه لم يعد وارداً الحديث عن محو وانصهار الطائفية داخل القومية العربية الكبيرة.

- **لكـــن المجلس المؤقت قام الأمريكيون بتشكيله عن طريق التعيين وليس عن طريق الانتخابات كما وعدوا وهو مايشكك فى شرعيته ؟**

– هـــل بالإمكـــان فـــى ظـــل هذه الظروف عمل انتخابات حرة وهل يسمح الأمريكـــيون بانتخابات يفوز فيها الإسلاميون بالسلطة.. تساؤلاتى هذه ليست دفاعا عـــن الأمريكييـــن ولا عن المجلس المؤقت ولكن دفاعا عن الحل السلمى بل إننى أعـــتقد أن الأمريكييـــن سيعدلون من سياستهم تجاه المجلس الانتقالى وأتصور أنهم ســـيمنحونه مـــزيدا مـــن الصلاحيات بل وهناك مؤشرات عديدة تدلل على أنهم قد يفـــتحون فى المستقبل نقاشا وحوارا حول الديمقراطية المسلمة فالأمريكيون لأنهم شـــعب نـــاجح يجـــيدون التعلم من أخطائهم ومن الواقع الذى يصر على معاندتهم ورفضهم وهو ما يتجسد فى العمليات العسكرية التى تشن ضد قواتهم ويوميا وتوقع فـــى صـــفوفهم القـــتلى والجرحى لذلك هم يحاولون الآن تدارك أخطائهم بإجراء اصـــلاحات عاجلة فى قضايا الأمن والغذاء والكهرباء والجيش الذى حل وثبت لهم خطـــأ قـــرار حلـــه وليس أدل على ذلك من أن الأمريكيين أرسلوا جنودهم للقوات البريطانـــية المقيمة فى البصرة ليتعلموا كيف يتعاملون مع الشعب العراقى وكيف يتفادون إهانتهم وكيف يتعاملون مع النساء والرجال والأطفال وما هو نوع الحوار الذى يجب أن يدور بينهم وبين العراقيين الذين يشعرون باعتداد بالنفس ويرفضون وقوعهم تحت سيطرة الاحتلال خاصة أن العمليات العسكرية لم تستهدف حتى هذه اللحظـــة القـــوات البريطانية واقتصرت على استهداف الجنود الأمريكيين ومن هنا أقول إن على العراقيين الانتباه إلى هذا التحول الأمريكى واستثماره لإنجاز مهامهم الوطنية فى أقصر وقت ممكن عن طريق المقاومة السلمية.

- **فماذا أذن عن دور المقاومة المسلحة؟ وكيف ترينه ؟**

– لا أعتقد أن المقاومة المسلحة أصبحت ملائمة أو مناسبة على الإطلاق لأنها ســـتقود لانسحاب الأمريكيين من العراق فهل نستطيع تصور العراق الآن فى حالة

انسحابهم؟ هل نستطيع تصور صومال أخرى هل نستطيع تصور انفلات كل القوى العراقية التى قُمعت طوال ٣٥ عاما.. لو حدث ذلك فسيدخل العراق فى دوامة تفوق بمراحل دوامة الحرب الأهلية التى شهدتها لبنان .

- **ولكـــن لــم تظهر حتى الآن أية بوادر حرب أهلية أو صراعات بين الطوائف والإثنيات العراقية ؟**

– حــتى الآن لم تتفق القوى السياسية العراقية على شيء فالكل يتصارع على السـلطة فــأرض الواقع العراقية محتدمة وبالأمس القريب تم اغتيال رئيس جامعة بغــداد ورئــيس أحد أحيائها وأضف إلى ذلك كله رواسب الثأر التى كرسها نظام صــدام حسين بين طوائف وإثنيات الشعب العراقى التى قد تطفو على السطح فجأة دون أن يعرف أحد إلى أى مدى ستصل .

- **لكــن العراقييــن أنفســهم يقــرون بأن العمليات العسكرية هى التى أجبرت الأمريكييــن علــى الإسراع بتشكيل المجلس المؤقت الذى أجلت تشكيله فى بداية الاحتلال أكثر من مرة ؟**

– قــد تكــون هــذه إحدى مفارقات التاريخ ففى الوقت الذى ترفض فيه هذه العمليات وتعتبرها سبيلا للحل النهائى تكون هى بذاتها التى تدفع الأمريكيين للتعلم مــن أخطــائهم لكــن إذا تصــاعدت وتيرة هذه العمليات فسوف تدفع الأمريكيين للانسحاب لأن المجتمع الأمريكى لن يستطيع تحمل مزيد من القتلى والجرحى من أجــل أسباب كشف الإعلام الأمريكى نفسه كذبها وتعلو الآن أصوات فى بريطانيا والولايات المتحدة تدعو إلى التحقيق مع بوش وتونى بلير ووزرائهما الذين رفعوا شــعارات الأسلحة الكيماوية والنووية لتبرير حربهم ضد العراق والتى كشف فيما بعــد كذب إدعائها بل قد تم تهميش البنتاجون ورامسفيلد وبدأ يبرز من جديد دور كولن باول .

- **هل تعتقدين أن عودة حزب البعث مرة أخرى وسيطرته على الحكم هو الخطر الحقيقى فى حالة انسحاب القوات الأمريكية ؟**

- البعث حزب ميت ولم يعد له وجود لكن الخطر الحقيقى يكمن فى انفلات المجتمع العراقى فى ظل غياب الأمن والانضباط .

والحديث عن قوة حزب البعث واحتفاظه بقواعده الجماهيرية كلام لا يردده سوى البعثيين من بقايا النظام.

- **لكن هناك من يرى أن البعث هو التعبير الحقيقى عن السنة ؟**

- ماذا فعل صدام بأزواج بناته عندما شعر بخيانتهم قتلهم، وهذه هى السياسة التى كان يتبعها صدام حسين، توقع معارضيه واستباقهم وإعدامهم لم يستفد من نظام البعث سوى الأوفياء لشخص زعيمهم وليس صحيحاً أن السنة ارتبطوا فكرياً أو سياسياً بالبعث فمن انضم منهم للحزب إما أنه كان يخشى بطشه أو يريد أن يضمن عيشه والدليل أن صدام اضطهد سنة سامراء بسبب معارضتهم له.

- **فمتى إذن يمكن الحديث عن وجوب المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأمريكى فى العراق ؟**

- ولماذا أسمى من سلك سبيل المقاومة المسلحة وهو ذاهب للموت بالمقاوم، إن المقاوم هو الذى يريد أن يعيش وعلينا أن نكسر هذه الفكرة القديمة عن طبيعة المقاومة، لماذا لا نقاوم الكذب والغش والفساد الذى كرس الاستبداد والطغيان وأتى بالاحتلال .

إن المقاومة المسلحة وتفجير الذات فى وجه العدو أسهل سبل المقاومة وأيسرها بينما المقاومة مع الاحتفاظ بالحياة أصعب وطريقها أكثر وعورة.

وأعتقد أن المقاومة الحقيقية فى العراق الآن هى مقاومة المواطنين العاديين الذين لا ينتمون لأحزاب سياسية أو غيرها ويحاولون العيش فى العراق بطريقة إنسانية وبشروط أفضل ويطالبون بحقوقهم المشروعة فى حياة أفضل وفى حكومة

وطنـــية وجلاء قوات الاحتلال عبر المظاهرات السلمية، فهم يوجدون إطاراً جديداً للمقاومة ويعيدون إحياء المجتمع المدنى وتقويته، إنهم أولئك النسوة والشباب الذين خرجوا فى مظاهرات طافت فى شوارع بغداد ومدن العراق يطالبون بالقضاء على الـــبطالة وإيجـــاد فرص عمل حقيقية لهم مثل هذه الحركة إذا استمرت وتصاعدت خـــلال العامين القادمين هى التى ستدفع الأمريكيين للجلاء وإجراء انتخابات حرة وتشكيل حكومة وطنية وعمل دستور دائم، كما أن المقاومتين المسلحتين الأشهر فى القـــرن الماضى وأعنى بهما المقاومة الفيتنامية والجزائرية لم ينتجا مجتمعاً إنسانياً قوياً فعندما يؤول مستقبلنا لإناس يطلقون الرصاص فهم لا يكفون أيضاً عن إطلاقه ضـــد مواطنـــيهم بعـــد نجاح مشروعهم التحررى فهم ينتمون لنوعيات مختلفة من البشر، إن الحرية المنتزعة بالعنف لا تولد إلا سلسلة عنف لا تنتهي .

- **لكن ما أوخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ؟**

– هذه هى عقيدة العرب وهم وحدهم المسئولون عنها، ولكن متى نجح العرب فى أن يستردوا حقاً من حقوقهم بالقوة ثم وهل لديهم قوة، دعنى أتساءل مرة أخرى لمـــاذا تـــم الاعـــتداء على العراق ألأنه الأقوى أم لأنه الأضعف من حيث الحجة والجيش والقدرة على الدفاع عن السيادة الوطنية.

إن توحـــد جمـــيع القوى السياسية العراقية على كلمة سواء هو السبيل الوحيد لإجـــبار قـــوات الاحـــتلال على الاستجابة للمطالب الوطنية العراقية بدلاً من أن يتنازعوا فيما بينهم على السلطة كما حدث مؤخراً فى المجلس المؤقت عندما اختلف وتصـــارع أحمـــد الجلبى وعدنان بجاجيه على من يمثل العراق فى الأمم المتحدة وفضحوا العرب أمام العالم.

- **لكن هؤلاء يتبعون المعارضة العراقية التى اتهمت بالعمالة للولايات المتحدة ؟**

– نعم هؤلاء ممن اتهموا بالعمالة والارتباط بالبنتاجون أو الفساد لكن من قال إن هناك ملائكة ستشكل المجلس المؤقت ثم إن معظم الدول العربية استقبلت عدنان البجاجى ولا أتصور أن اتهامات العمالة والارتباط بالمصالح الأمريكية كانت تعنيه أو تقصده.

- **فـــى هـــذا الســـياق هـــل يمكن الحديث عن عراق مستقل وغير تابع للهيمنة الأمريكية ؟**

– وأنــــا أتساءل بدورى هل باقى الدول العربية مستقلة عن هذه التبعية وكيف نـــتحدث عــــن عراق مستقل تماماً عن التبعية الأمريكية وهو واقع تحت الاحتلال المباشر.

- **وهـــناك أيضـــاً من يطرحون مخاوف من أن يعترف العراق بإسرائيل وتصبح أراضيه موطناً جديداً للاجئين الفلسطينيين ؟**

– أقول لهم إن مصر والأردن تعترفان بإسرائيل وترتبطان معها باتفاقية سلام فلمــــاذا يعيبون على العراق ذلك إذا حدث. والخوف الحقيقى هو أن تتسلل إسرائيل إلـــى العراق عبر كل أبوابه ومنافذه بما فى ذلك المنافذ الاقتصادية فى غيبة وجود سلطة مركزية ودولة قوية.. وعلى أى حال فإنه لا يمكن الحديث عن عراق مستقل إلا بعد الحديث عن أمة عربية مستقلة.

- **قلـــت إن الولايـــات المتحدة قد تطرح حواراً حول الديمقراطية الإسلامية فهل تعتقديـــن بحكـــم تخصصك فى دراسة الجماعات الأصولية الإسلامية أن هذه الجماعات قد تستجيب لمثل هذه الدعوة ؟**

– ما قد تطرحه الولايات المتحدة للنقاش هو الديمقراطية المسلمة لا الإسلامية لأنهـــا لا ترفضـــك لكونـــك مســـلماً، ولكـــن لكونـــك إسلامياً تحمل أفكاراً بعينها والديمقراطـــية المســـلمة تضـــم فـــى ثـــناياها جميع المسلمين وقد يكون من بينهم الإســـلاميون الذيـــن يرفعون شعارات الإسلام السياسي، وعلى هذه الجماعات أن تكـــون أكثر برجماتية وواقعية وتتعامل مع واقع يقر بأن هناك قوى عظمى مهيمنة وغاشمة، ومع ذلك فإن هناك تجارب للإسلاميين فى الحديث عن الديمقراطية أهمها كـــتاب راشـــد الغـــنوى زعـــيم حزب النهضة الإسلامى فى تونس، وكان بعنوان «الحـــريات العامة والخاصة فى الدولة الإسلامية» لكن علينا أن نضع فى الاعتبار أيضـــاً أن الحديـــث عن الديمقراطية المسلمة لا يعنى الاصطدام بالدين لأنه معطى

متجذر فى المجتمع العربي، فقد ثبت بالتجربة أنه يزداد قوة وتجذراً كلما اصطدمنا معــه رغــم هذه المفارقة العجيبة وكلما قوى الإسلاميون وكثروا انحطت الأخلاق وهذا هو واقع أمتنا اليوم.

- **فـــى هــذا السياق كيف تقيمين إذن الحوار الذى قام بين بعض قيادات جماعة الإخوان المسلمين فى مصر وبين دبلوماسيين أمريكيين وهو الحوار الذى لم تنكره تلك القيادات ؟**

– ليســت لدى معلومات مؤكدة عن هذه اللقاءات ولم اطلع على ما جرى فيها والحديــث عــن توجه حضارى فى تعامل المسلم مع هذه القوة الغاشمة التى تهدد هويــته باعتبارها واقعاً مفروضاً عليه خاصة أن هذه القوة المتجسدة فى الولايات المــتحدة الأمريكــية تنظر للعرب والمسلمين كبارود يحتمل انفجاره فى أية لحظة. والمشكلة أن مسلمينا عندما شعروا بتهديد هويتهم من قبل الهيمنة الأمريكية سارعوا لحماية آخر ما يعتبرونه مجسداً لهويتهم وهو نظام الأسرة وبالتحديد المرأة التى ما لبثوا وأن طالبوها بغطاء الرأس للتأكيد على هويتهم بعد أن انتهكتها القوانين المدنية السائدة فى الدول العربية فى معظم شئونهم الحياتية.

إذن الديمقراطــية هــى الصــيغة الملائمة التى يستطيع أن يتعامل من خلالها المسلم ويتعايش مع العالم المعاصر الذى هو القوة الأمريكية الغاشمة، ولا مجال هنا للمكابرة فى هذا الواقع.

- **وكيف يمكن الحديث عن صيغة تعايش ديمقراطية مع قوى غاشمة ؟**

– إن صـــياغة وبلورة ديمقراطية مسلمة يدخل من خلالها المسلم إلى العصر الحديث خيار لا بديل عنه وإن كان يعد قضية شديدة التعقيد تحتاج لنقاشات واسعة وجـــادة تتناول قضايا شائكة مثل الحدود والمرأة وغيرها وهى عملية ليست سهلة لأنهـــا ستســـهم فـــى نقـــل شعوب كاملة من عهود الظلام الدامس لعصر التنوير، الولايـــات المـــتحدة فى دعوتها للديمقراطية نصف صادقة ونصف كاذبة فهى فى الـــنهاية لا تقصد إلا مصلحتها، وهناك اتجاه قوى داخلها يدعو إلى التخلى عن هذه

الدعــوة وتــرك العرب والمسلمين يموتون فى ظلامهم لذلك أقول إن هذه الصيغة الديمقراطية المنشودة ليست للتعامل مع القوة الغاشمة وإنما درء لمخاطرها ومقاومة لمحاولاتهــا لتهميشنا وقتلنا، إننا الآن كمن وقع بين فكى النمر المتوحش ولا بديل أمامنا إلا هذا السبيل.

- **ولماذا الولايات المتحدة وحدها هى السبيل إلى العالم المعاصر رغم أنها ليست الوحيدة فهناك أوروبا والصين وروسيا وتباين مصالحهم معها ؟**

– ما تقوله بديهى وكل ما أدعو إليه وأفكر فيه هو ألا نغلق الباب على أنفسنا وننعزل بإسلامنا عن العصر وأوروبا والصين وآسيا جزء من هذا العصر فإذا كنت أدعــو الآن إلـــى فهم ثقافة أوروبا جيداً باعتبارها الأساس الذى بنيت عليه أمريكا الحديــثة، فإنـــنى أدعو أيضاً للانفتاح على الصين لأنها ستلعب دوراً كبيراً خلال العقود القادمة وهى المرشحة لوراثة إمبراطورية الولايات المتحدة.

- **فى هذا الإطار نتذكر حديث عبدالناصر عن دوائره الثلاث الشهيرة «العربية – الأفريقية – الإسلامية»، أفليس من الأجدر بنا أن نلتفت لها وننفتح عليها قبل أن نراهــن على الدائرة الأمريكية خاصة أن هناك تجارب ديمقراطية إسلامية فى ماليزيا وأندونيسيا ؟**

– قــبل أن نخرج إلى الدائرة التى هى خارج وطنك عليك أن تدخل أولاً إلى دائــرة وطــنك فالــناس فى بلادنا منعزلون ومنكفئون على أنفسهم وعلى همومهم الشخصية والذاتية ولا يجمعهم إلا شلة الأصدقاء أو نطاق العائلة والأسرة المحدود فـــلا أحزاب أو تجمعات سياسية أو حتى ساحات عامة لجمعهم إننا لا نعرف أنفسنا وعليــنا اكتشافها أولاً حتى نستطيع التعرف على التجارب المحيطة بنا بالطبع أن دراسة تجارب العالم كله عملية مهمة بل إنها أصبحت سهلة فلم يكن العالم مفتوحاً بهــذا القــدر على نفسه كما هو اليوم بسبب الإنترنت، ومع ذلك مازال الناس فى بلادنا منغلقين على أنفسهم ومشاكلهم الذاتية، لتنفتح أولاً الدائرة العربية على نفسها وتتعرف على بعضها البعض قبل أن تنفتح على غيرها من الدوائر.

- **وفى هذا السياق كيف ترين مستقبل القومية العربية ؟**

- هناك ثغرات فى قلب الوطن الواحد تسببت فيها مجموعة الهزائم التى تعرض لها ورغم هذا التناثر والتفتت إلا أن العرب يتوحدون بسبب لغتهم فى تعاطيهم لثقافة واحدة وأفكار متشابهة وهذا التوحد لا يعنى وحدة فى الإرادة بل على العكس فكل منهم يشعر بواحدية بمعنى الانعزال عن الآخر العربى وهنا أقول إنه لم يعد هناك مجال للحديث عن القومية الانصهارية لأنها مستحيلة وتخنقها الصراعات ومشاعر الكراهية التى تأججت فى نفوس العرب بسبب الحروب المتوالية منذ ٦٧ وحتى احتلال أمريكا للعراق لذلك فإن المراهنة الوحيدة على تقارب ثقافى عروبى وأساس هذا التقارب إجراء حوار ثقافى يراعى الاختلافات القطرية ولا يمحوها واستيعاب كل المرجعيات الفكرية الموجودة فى العالم العربى دون استثناء وهذا لا يأتى إلا إذا اعتدنا على ثقافة الاختلاف والتى يشكل غيابها أحد أهم اشكاليات وسمات الثقافة العربية والتى سعت الأنظمة العربية المستبدة دائماً إلى وئدها لذلك فنحن بحاجة إلى قرار واعٍ يتخذه المثقف العربى يدعم هذه الثقافة.

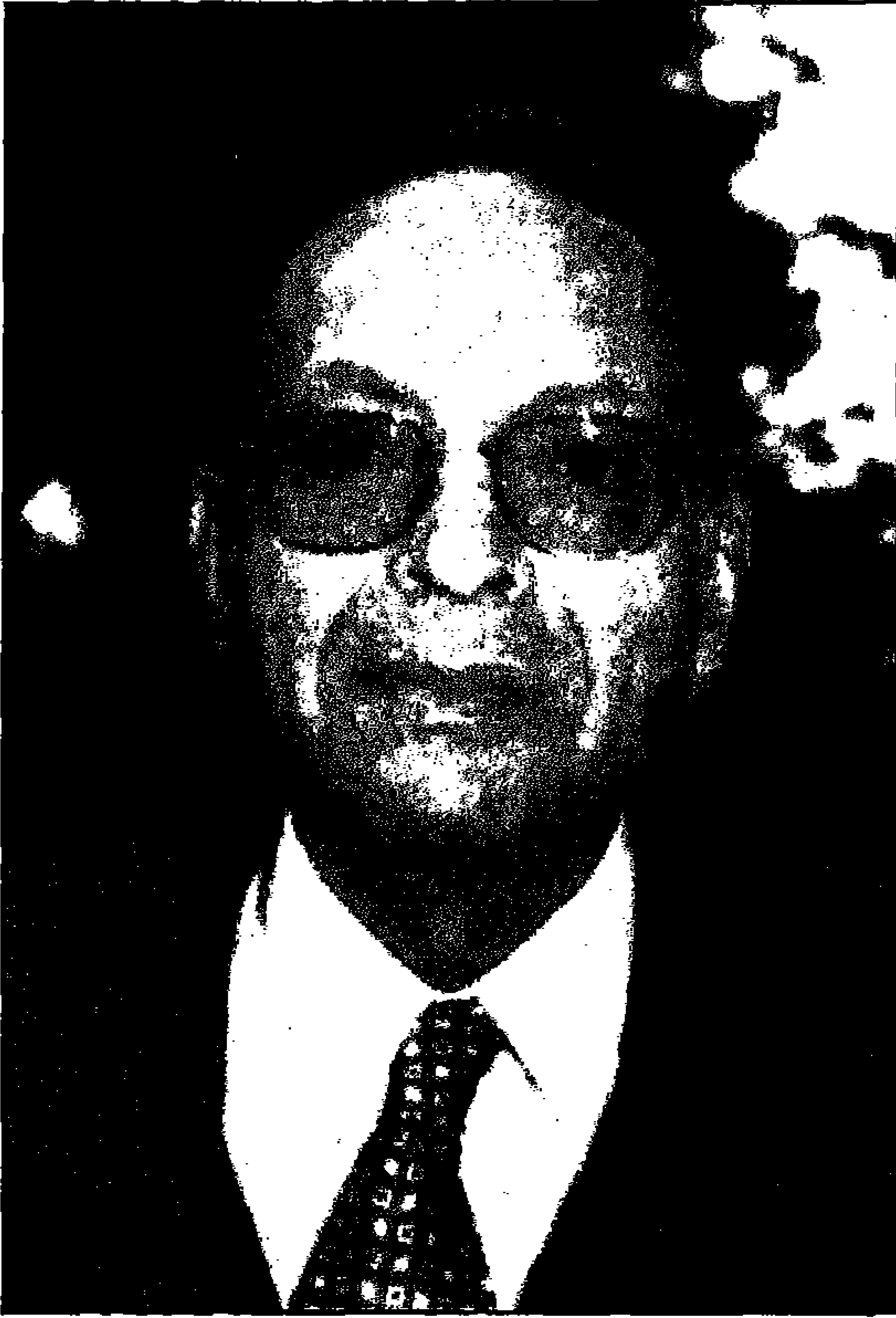
- **كيف تقيمين التيار القومى الإسلامى الذى طفا مؤخراً على السطح ؟**

- نوع من الممالأة السياسية من القوميين بسبب ضعفهم تجاه الإسلاميين الذين لم يتفقوا معهم إلا فى خيار المقاومة المسلحة ضد الوجود الأمريكى ولتفاعل هذا التيار مع حدث الاحتلال من الممكن أن يصبح تياراً فكرياً مع الوقت يعبر عن خيار المقاومة المسلحة.

- **كيف ترين الحديث عن الحاجة العاجلة والماسة للإصلاح الديني ؟**

- علينا أن نتعامل مع الدين باعتباره تراثاً يحتاج دائماً إلى ديناميكية جديدة فى المعالجة المستمرة للإشكاليات التى قد تستحدث علينا الاستفادة من تجارب الإصلاح الدينى السابقة مع التأكيد على ضرورة تجاوز تلك التجارب للخروج من وهم الغيبيات والظلامية التى توجد الخطاب الدينى رغم خروجه عن فصائل وتنويعات إسلامية متعددة ومختلفة . وهذا لا يتأتى إلا إذا وجد مشروع نهضوى عربى متكامل .





د. رفعت السعيد

كثيرة هى الاتهامات التى كيلت له وضارية هى المعارك التى خاضها وخيمت ضده لكن أحداً ممن اتهموه أو حتى انحازوا إليه لا يمكنه أن ينكر أنه باحث مدقق استحق عن جدارة لقب المؤرخ والمفكر الكبير، كما أن أحداً لا يمارى فى أنه نجح فى أن يصنع من حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الذى تقوده مؤسسة حزبية يهابها الجميع ويحسبون لها ألف حساب معارضة وحكومة.

إنــه الدكــتور رفعــت السعيد أمين عام حزب التجمع والباحث الفذ والمؤرخ الكبير الذى اعتبر أن سقوط بغداد مشهد دراماتيكى ليس بسبب السقوط فى حد ذاته لكن بسبب القراءات الخاطئة للموقف برمته قبل الحرب وبعدها والذى أكد أن توحد قــوى المعارضــة العراقــية قبل الغزو المخرج الوحيد لما جرى وأن اتفاقها على برنامج وطنى يستهدف مقاومة الاحتلال والعمل من أجل عراق مستقل وديمقراطى هــو الســبيل الوحــيد لتجاوز النعرات الطائفية والعرقية التى يعمل الاحتلال على تكريسها!

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

– المشـــهد دراماتيكى ليس بسبب سقوط بغداد، ولكن بسبب القراءات الخاطئة الـــتى قـــرأها الكثيرون لطبيعة نظام صدام حسين وإمكاناته وقدرته على الصمود واســـتدعاء مساندة شعبه له فى هذه الحرب ولقد بدأت هذه القـــراءات الخاطئة قبل وقـــوع الحـــرب عـــندما نظر صدام حسين وغيره للمعارضة العالمية إزاء الغزو الأمريكى متجسدة فى موقف بعض الدول الأوروبية ومظاهرات الملايين فى أوروبا والعـــالم العربى باعتبارها تأييداً لشخص صدام حسين، كذلك نظر البعض لموقف روســـيا وبعض الدول الأوروبية الرافض للحرب باعتباره موقفاً مبدئياً متناسين أن هـــذا الموقـــف كان فى حقيقته تعبيراً عن رفض القرار الأمريكى بالانفراد بالعالم ورفض صورة العولمة التى تحاول الولايات المتحدة فرضها على الجميع.

إن المظاهرات المليونية التى شهدتها أوروبا لم تخرج تأييداً للعرب أو لصدام حســـين بدليل أنها كانت أضعاف أضعاف المظاهرات التى خرجت دعماً للانتفاضة الفلسطينية.

كما أن الموقف الأوروبى توقف عند السؤال عمن سيأخذكم وبكم سيأخذ ومن هنا كانت معارضتها للغزو الأمريكى للعراق.

إن هـــذه القـــراءات الخاطـــئة جعلت بعض السياسيين حسنى النية يتصورون إمكانـــية الاستناد لهذه الحركة الجماهيرية الواسعة، بالإضافة إلى الموقف الروسى وبعض الدول الأوروبية فى هزيمة المخطط الأمريكي.

كما حدثت قراءة أخرى خاطئة بنت حساباتها على وقوف الشعب العراقى إلى جانب صدام حسين ضـــد الغزو الأمريكى وهو ما لم يحدث ، فصـــدام لم يترك له صديقاً حقيقياً فى العراق وكان يحرص دائماً على أن يكون الجميع خدماً له، والخدم هـــم دائماً ضعفاء، ومستعدون لخدمة أى سيد جديد، والطاغية لا يملك ولاء ولكن يمتلك الخوف منه.

ومــع ذلــك تبقى فى قراءة مشهد السقوط عشرات الأسئلة بدون إجابات منها الحــدود الفاصلة بين الكويت والعراق التى عبرتها القوات الغازية لم يكن فيها لغم واحد من الجانب العراقي، كذلك انطلقت أرتال الدبابات من الحدود إلى بغداد دون أن تلقــى أى مقاومة وكأنها سيارات سياحية تحمل سياحاً لا جنوداً غزاة ولم تظهر إلا جيوب صغيرة للمقاومة ممن قيل عنهم إنهم فدائيو صدام أو غيرهم ولا تتناسب مع ما أشيع عن قوة وحجم الجيش العراقي. والسؤال الأهم: هو لماذا بقيت الجسور المؤدية إلى بغداد ولم يتم نسفها رغم أن العراقيين عرفوا من أيام هولاكو أن جزءاً مــن حمايـــة بغداد هو نسف الجسور المؤدية لها، بل إن البعض تصور أن صدام حسين سيحرق آبار البترول ولم يفعل ورغم أننى ضد حرق البترول لكنى أرى أن صـــدام لم يكن إنسانياً إلى هذه الدرجة فهو لم يكن مستعداً للتضحية بجزء من أمنه أو قدرته على الاستمرار فى القتال من أجل عيون الشعب العراقى الذى قتل كل من نطق منه بحرف ضده.

لذلــك كله كان المشهد مثيراً للدهشة وبدا فيه المحللون العسكريون خفيفى الدم باســتخدامهم المــنطق فى تحليلهم للموقف العسكري، وذكرونى بمن كنت أسميهم جنرالات المقاهى فى صباى فأذكر أن والدى كان يصطحبنى إلى مقهى «أبومسلم» بالمنصــورة ، حيــث كــان يجلس مع بعض أصدقائه من عامة الناس الذين كانوا يهــوون ارتداء زى الجنرالات الوهمى ورسم خطط معارك قوات الحلفاء والمحور على الطاولة الرخام ببقايا فناجين القهوة .

إن أول درس تعلمــناه فــى علم المنطق هو أنه ليس من المنطق أن تستخدم المــنطق لفهم قضايا غير منطقية وما حدث فى العراق كان غير منطقى ومن ثم لم يكــن منطقياً تحليله بالمنطق وهو ما فعله الخبراء العسكريون. ومن هنا كان القائد العســكرى الكبير والمحترم جداً الفريق سعد الدين الشاذلى أحد ضحايا هذا العبث غير المنطقى فقد كان يؤكد أن القوات الأمريكية لن تستطيع البدء فى معركة بغداد قــبل أربعة أو ستة أسابيع بسبب انتشار فرق الحرس الجمهورى المتعددة فى بغداد وحاجـــة القوات الأمريكية لإمدادات سيستغرق وصولها من الولايات المتحدة وقتاً طويلاً، ثم لم يحدث كل هذا واستيقظ الجميع على نبأ سقوط بغداد.

إن ذوبان الجليد ينتج عنه الماء فأين تبخرت الدبابات والصواريخ والمجنزرات والطائرات وكل تلك الآلات العسكرية التى دفع الشعب العراقى ثمنها دماً.

وكما بقيت عشرات التساؤلات بدون إجابة فإنه من الصعب أيضاً الحديث عما قيل بعد السقوط حول سيناريوهات محتملة للخيانة أو الصفقة، حيث لا توجد وثيقة أو مستند نستطيع التحليل بناءً عليها وعلينا الانتظار حتى تتكشف الحقائق عبر الوثائق التى قد تظهر مستقبلاً.

- **كيف تقيم المقاومة العراقية الآن فى ظل وصفها من قبل البعض بأنها مقاومة صدامية وكيف ترى مستقبلها فى إطار سيناريوهات الاحتلال الأمريكى ؟**

– البعض يقول إنها مقاومة وطنية عراقية معادية للاحتلال والبعض الآخر يقول إنها مقاومة صدامية، ولتكن هذا أو ذاك أو كليهما معاً، لكن الأمر المؤكد أن الاستعمار الأمريكى يحمل فى جعبته عدة سيناريوهات يبدو بعضها منقولاً عن الاستعمار القديم ورأيى أن الأمريكيين درسوا جميع سيناريوهات ذلك الاستعمار للاستفادة منها فهذه هى أول مرة تحتل فيها الولايات المتحدة دولة مستقلة احتلالاً عسكرياً مباشراً ولهذا لجأوا إلى الخبرة الإنجليزية فى استعمار البلدان الأخرى وكدارس للتاريخ ، أعتقد أنهم الآن يطبقون السيناريو الذى استخدمه الإنجليز فى مصر بعد هزيمة ثورة عرابى مع الفارق الكبير بين الثورة العرابية وقادتها الوطنيين والنظام وبين نظام صدام حسين .

فبعد احتلال مصر سئل كرومر هل ستحكم مصر؟ فأجاب: لا، لكننى سأحكم من سيحكمون مصر، وهذا ما يحدث الآن فى العراق فعندما وجد الأمريكيون أن الجيش العراقى أخذ فى التفكك بعد السقوط تركوه ينهار من تلقاء نفسه وقد حدث فى مصر بعد هزيمة عرابى شيء مماثل عندما اختفى المحافظون وكبار الموظفين الذين أيدوا الثورة العرابية مع الفارق بين وطنيين كانوا يؤيدون عرابى وبعثيين كانوا يخشون بطش صدام وبين وطنيين قاتلوا حتى النهاية وبعثيين فروا منذ البداية، ولقد توقعت أن يعلن الأمريكيون حل الجيش العراقى وهو ما حدث فعلياً

كما فعل الإنجليز مع الجيش المصرى ، ثم أعادوا بناءه من جديد عبر ضباط لديهم قدر من الولاء للمحتل الإنجليزى .

هذا السيناريو الإنجليزى أضاف له الأمريكيون اختراعاً جديداً خاصاً بهم وهو ترويع جميع أطراف القوى السياسية العراقية من بعضها البعض، ففى البداية مدوا حبال الأمل للأحزاب السياسية باعتبارها قوى منظمة يمكن التعامل معها واستخدامها فى إعادة تصحيح الأوضاع داخل العراق وتبنى الأمريكيون هذه الأحزاب وجمعوهم فى مؤتمرات وعقدوا لهم اللقاءات مع بوش وكونداليزا رايس وقبل ذلك كلينتون وبدا زعماء تلك الأحزاب وكأنهم الحكام الجدد لعراق المستقبل وما إن وضع الأمريكيون أقدامهم فى بغداد حتى شرعوا فى تصنيع عرائس جديدة منها زعماء العشائر ، ثم رجال الدين السنة ورجال الدين الشيعة إلى جانب المستقلين والمؤتمر الوطنى وباقى الأحزاب السياسية كحزب الدعوة الإسلامى والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية والحزب الشيوعى العراقى وغيرها .

وفى هذا الخضم على كل طرف أن يعمل على إزاحة الآخرين لينفرد هو بلعب الدور الأساسى فى الحياة السياسية العراقية وفى سياق ذلك كله عاد إلى السطح من جديد أنصار عودة الملكية ، المهم أن جميعهم بالنسبة للأمريكيين عرائس تتناقض مصالحها والتقاؤها حول نقطة واحدة أمر يحتاج إلى وقت طويل خاصة وأن كل طرف يتم تخويفه وترويعه من باقى الأطراف الأخري ، فمثلاً يتم تخويف الساسة العلمانيين والمفكرين والمثقفين والأكراد والسنة من فوز الشيعة الأغلبية الذين تصل نسبتهم إلى ٦٠% من الشعب العراقى فى انتخابات حرة ونزيهة ولقد عمق الشيعة هذا الجرح بحماقة نادرة عندما خرجوا فى مظاهرات رفعوا فيها شعارات مثل شعار حوذتنا تمثلنا ، وبالتالى أصبح الصراع صراع الشيعة حول الحوذة ما يوجب على السنة البحث عن حوذة تمثلهم إن وجدت وعلى من لا حوذة لهم ألا يبحثوا عن نصيبهم وفى جامعة البصرة، حيث مارس الشيعة فيها سلطتهم طويلاً طبقوا هواية التأسلم عندما أجبروا الفتيات على ارتداء الحجاب بالإكراه حتى المسيحيات منهن وفصلوا بين الطلاب والطالبات معا جعل الجميع

يحتسبون ويتساءلون ماذا لو حكم الشيعة الآن؟ هل سيفرضون التأسلم على كل المجتمع العراقى بمسيحييه.

- **لكن قادة الحزب الشيعى «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» وعلى رأسهم أحمد باقر الحكيم يؤكدون دائماً على طرح شعارات سياسية تنادى بوحدة وطن العراق وبعيداً عن الشعارات والنعرات المذهبية ؟**

– كل الأطراف السياسية والطائفية ترفع مثل هذه الشعارات والولايات المتحدة نفسها تعلن دائماً حرصها على وحدة العراق والابتعاد به عن الصراعات العرقية والطائفية ليرفع إذن كل طرف الشعار الذى يريده، لكن دعنا نتساءل عن طبيعة العلاقة التى ستربط بين حكومة شيعية عراقية مع النظام الشيعى فى إيران، هل سنصبح إزاء بلوك شيعى سلطوى فى المنطقة وفى هذا السياق ما هو مصير الكويت والبحرين بشيعتهما وما هو مصير السعودية التى يمثل فيها الشيعة أغلبية فى مناطق الوجود البترولي، كل هذه التساؤلات تثير المخاوف لدى باقى الأطراف العراقية وتدفعها جميعاً للتحفظ إزاء الديمقراطية الحقيقية والانتخابات النزيهة وقد ترتفع بعض الأصوات مطالبة بحكومة معينة أو انتخابات مزورة وفى إطار هذا الخلل يجرى الحديث عن عودة الملكية ويقال إن أحد السيناريوهات ترى فى عودة النظام الملكى المخرج الوحيد من هذا المأزق، حيث يضم ويحتوى الملك الجميع تحت عباءته فيما تتغير الحكومات وتتعاقب سواء سنة أو شيعة أو أكراداً أو أحزاباً سياسية أخرى كل حسب أغلبيته التى تقرها الانتخابات، ومع ذلك يجرى التخويف والترويع من هذا السيناريو حتى يظل العراق يعيش هذه الدوامة أطول وقت ممكن، فالأمريكيون يشيعون أن النظام الملكى الهاشمى فى العراق قد يسعى إلى عمل ما يشبه الكونفيدرالية مع النظام الملكى الهاشمى فى الأردن الذى قد يرحب بتنفيذ سياسة الترانسفير بالنسبة للفلسطينيين حيث سيعمل ذلك على تقليل عدد الفلسطينيين فى الأردن، كما أن اللبنانيين سيرحبون أيضاً بهذه الفكرة، خاصة أنهم يعتبرون الفلسطينيين عبئاً على التركيب الديمغرافى للبنان، فالموارنة يخشون زيادة عدد المسلمين إذا اندمج الفلسطينيون فى المجتمع اللبنانى معا سيؤثر بعد ذلك فى

سجلات الناخبين ونفس المخاوف لدى الشيعة، حيث يخشون تغير النسبة بينهم وبين السنة، وفى نفس الوقت سيرحب العراقيون السنة بمجيء الفلسطينيين، لأنهم سيشكلون المدد اللازم لتغير وضعهم كأقلية إزاء الشيعة وبهذا يتم حل عقدة القضية الفلسطينية وهى حق العودة، وهو الأمر الذى ترفضه أطراف عربية وعراقية كثيرة.

إن الأمريكيين يطرحون سيناريوهات مختلفة، ثم يلعبون على تعقيدات معينة ويستغلونها لضرب تلك السيناريوهات وبهدف تأجيل الحل إلى أقصى مدة ممكنة إنهم يهدفون إلى وضع الشعب العراقى فى دوامة خيارات كل منها خاسر والمخرج الحقيقى والوحيد يكمن فى توحد كل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى العراق لمواجهة الاحتلال ومن أجل عراق مستقل وحر وديمقراطى يعترف بالتعددية، لكن هذه العملية تحتاج إلى صكوك غفران كثيرة ممن يحاولون الآن أسلمة السلطة وممن يحاولون تمزيق الصف المسلم إلى سنة وشيعة، وممن يعتمدون سلطة الحوزة فى مواجهة سلطة الجماهير وأتصور أن هذا المخرج كان واضحاً منذ البداية وقبل وقوع الحرب ولقد أخطأت القوى السياسية العراقية المعارضة عندما لم تعلن توحدها وبرنامجها السياسى الوطنى قبل غزو العراق فسمحوا للأمريكيين أن يتلاعبوا بهم جميعاً والعمل على تأجيل وحدتهم لدرجة أنهم لوحوا لزعيم المؤتمر الوطنى العراقى أحمد شلبى بأنه رئيس العراق المقبل، وبمجرد أن وطئت أقدامهم أرض بغداد استبعدوه.

- **لكن ألا يمكن المراهنة على الأحزاب السياسية العراقية ذات الجذور التاريخية وعلى شعاراتها التى تدعو إلى وحدة العراق فى توحيد الصف ؟**

– هذه مراهنة يبطلها فقدان الثقة بين جميع الأطراف العراقية وهذا ما عبرت عنه الصدامات التى وقعت بين العرب والأكراد عندما دخل الأكراد مدينة كركوك والموصل. تبطل هذه المراهنة أيضاً القطيعة التى طالت وامتدت عبر ثلاثين عاماً بين هذه الأحزاب وقاعدتها الجماهيرية فقد فقدت جميعها معظم أعضائها وهو الأمر الذى يجعل لافتاتها وشعاراتها اليوم تكتسب احتراماً تاريخياً ولكن دون عضوية

قـــادرة علـــى تبنى هذه الشعارات، وحزب مثل الحزب الشيوعى العراقى تم إعدام جزء من أعضائه وفر الباقون فيما لم يتبق إلا أعداد متناثرة هنا وهناك عاجزة، بل غـــير قـــادرة عـــن مجرد الإفصاح عن انتمائها السياسى وإلا نالها ما نال غيرها، الملفت أيضاً أن الأمريكيين يمنعون عودة آلاف من السياسيين والمثقفين والمفكرين الوطنيين العراقيين الذين قد يلعبو دوراً رئيسياً فى تنشيط الحياة السياسية والحزبية فـــى العـــراق. لذلـــك أعتقد أن هذه المقرات التى فتحت لبعض الأحزاب العراقية ســـتكون قـــد حققت إنجازاً غير مسبوق إذا استطاعت أحدها أن تجمع مائة عضو لحـــزبها كمـــا أن الأمريكيين يلوحون للأحزاب التى تمتلك لافتات وشعارات قوية وعضوية ضعيفة بالعشائر التى قد تمتلك واحدة منها فقط مليون صوت .

- **لكـــن الأمريكيين ما زالوا يؤكدون أنهم جاءوا لعمل نموذج عراقى ديمقراطى تقتدى به باقى دول المنطقة ؟**

– كان أولى بالأمريكيين صناعة هذا النموذج الديمقراطى عندهم وعند شارون لكـــنهم علـــى أية حال سيظلون فى العراق حتى يتمكنوا من صياغة قوى سياسية موالية لهم تستطيع أن تحكم العراق نيابة عنهم .

- **دعنا نسألك إذن ما هو البديل لما جرى وخاصة أن الشعب العراقى كان واقعاً تحـــت ســـيطرة حكم طاغية لم يشهد التاريخ مثيلاً له فى قهر كل من اختلفوا معـــه .. ألـــم يكن البديل صداماً جديداً يرث صدام الأب ؟ وهل نطالب الشعب العراقى بالاختيار بين الأسوأ والأسوأ ؟**

– إن الشـــعب العراقى شعب عريق بتاريخه وحضارته ويمتلك ثروات هائلة ومثقفين ومفكرين وعلماء ومن حقه أن يختار لنفسه حاكماً عادلاً أفضل من صدام والاحـــتلال والمشـــكلة فى جوهرها أن الجميع تلاعب بالجميع وأتصور أن البديل المحترم يكمن كما قلت فى توحد قوى المعارضة الوطنية وأعتقد أنها لو فعلت ذلك واتفقت على شروط محددة تخدم المصالح الوطنية للعراق بالدرجة الأولى وصممت علـــيها فـــى حالـــة قبولها التعاون مع الأمريكيين ربما أدى ذلك إلى تغيير الوضع

الحــالى وجعلــه لصـــالح العراق واستقلاله أولاً لكن المشكلة أنهم كانوا جزءاً من الأوراق الأمريكية فى اللعبة ولم يكونوا ورقة مستقلة وكان بإمكانهم إذا توحدوا أن يرسلوا مندوباً عنهم يعلن موقفهم وشروطهم إلى اجتماعات مجلس الأمن التى كانت تناقش شئون العراق بعيداً عن العراقيين وهناك سوابق لهذه العملية أبرزها وأهمها مــنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت دائماً ترسل مندوباً عنها إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن يعبر دائماً عن وجهة نظرها وعلى أية حال، فإن الشعب العراقى قد قدم تضحيات جسيمة فى مواجهة صدام حسين الذى كان ثقيلاً على أعناق العراقيين ومــن الخطــأ أن نلــوم المظلومين والمتهورين كما لا يمكن أن يكون هناك شعب عــبارة عــن مجموعة من الأبطال، وإنما هناك طلائع للأبطال تحتاج إلى مساندة جماهيرية واسعة وإلا كان من الصعب عليها أن تمارس بطولتها.

- **فهــل كــنا إذن بحاجة إلى عودة الاستعمار بشكله القديم لنستنفر داخلنا روح المقاومة للطغيان التى طالما غابت فى مواجهة أنظمتنا العربية المستبدة ؟**

– الاحــتلال الأمريكى للعراق رغم سلبيته الشديدة، إلا أن له جانباً إيجابياً من حيث كونه يشكل صفعة قاسية لهؤلاء المثقفين الذين يعلو صوتهم مؤكداً أن المخرج هــو الاستناد إلى ضغط الديمقراطية الأمريكية وهو صوت غير مصرى وإن تردد بحــناجر مصــرية فهــا هى الولايات المتحدة تدمر العراق ومستقبله وتصر على احــتلاله لــتقول بنفسها لهؤلاء المثقفين ها كم أصدقاؤكم.. فما من مصرى حقيقى يستطيع أن يراهن على الديمقراطية ويستخدم ضغوطها وأن ادعى استخدامها بشكل متوازن ليحصل على مكاسب ديمقراطية جديدة، فالديمقراطية الأمريكية تؤيد وتدعم ممارسات شارون واضطهاده للفلسطينيين بل وتعتبرها ممارسات ديمقراطية.

لكــن هذا لا يعنى أننا ننعم الآن بظلال الديمقراطية الوارفة فنحن إزاء معركة قاسية ضد قوى تريد أن تضيق هامش الديمقراطية وما أقوله هنا إن أسلمة السياسة تشكل ضغطاً مزدوجاً على قضية الديمقراطية وانظر مثلاً لحماقات أيمن الظواهرى فــى كــتابه الأخــير «فرســان تحت راية النبي» فهو يقول كل من قال إنه مسلم

ديمقــراطى كمن قال والعياذ بالله إنه مسلم يهودى وكل من قال إنه مسلم يدعو إلى قيام الديمقراطية كمن قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن مسيلمة رسول الله».

هــذه الحماقـــة تتوازى معها حماقات أخرى مختلفة مثل نفى الآخر السياسى ورفضه الآخر الدينى العقائدى .

إن هــذه الجماعـــات المتأســلمة بحماقــتها تلــك توجه ضربة قاسية لفكرة الديمقراطــية لأنهم ما زالوا يعيشون أوهام «حزب الله» وحزب الشيطان وبما أنهم حــزب الله، فإنهم مأمورون بقتالنا حتى نفئ إلى رشدنا، إنهم مازالوا ينظرون إلى العــالم ومن ثم إلى مصر من زاوية أن هناك فسطاطين :فسطاط الإيمان وفسطاط الكفــر وهذه أفكار تلوث المناخ الديمقراطى وتتيح للنظام فرصة الاستفادة منها فهو فـــى المقابل يعلن أنه يقلل من مساحة الديمقراطية خوفاً من صعود التيار الإسلامى وأنه يزور الانتخابات خوفاً من نجاح الإخوان المسلمين ويلغى انتخابات العمد فى القرى والعمداء فى الكليات خوفاً من الإخوان.

إنــنا إزاء معــركة مــزدوجة ضد التأسلم السياسى من ناحية وضد الضغط الحكومى على المسار الديمقراطى من ناحية أخرى وهى معركة مصرية – مصرية ولا مجال لأى تدخل أجنبى فيها لهذا أنا أناشد كل من يعملون فى منظمات المجتمع المدنـــى والجمعـــيات الأهلية أن ينأوا بأنفسهم عن تلويث سمعة الديمقراطية، وذلك بـــرفض التمويل والدعم الأجنبى وإلا أتوا إلى مصر بكرومر جديد وأمامهم نموذج الديمقراطية الأمريكية المطبقة الآن فى العراق.

- **إلـــى مـــتى فـــى رأيك سيظل النظام يستخدم الإسلاميين كفزّاعة فى وجه كل المصريين ولتعطيل عملية التحول الديمقراطى ؟**

– حتى يفئ الإخوان المسلمون إلى رشدهم ويعودوا إلى صحيح الإسلام، وقد ســألت أحــد قادتهم فى إحدى الندوات عن رأيه فى العمليات الإرهابية التى تمت مؤخــراً، فأجــاب «جرائم» ثم سألته وماذا عن رأيك فيما ارتكبته جماعة الإخوان

المسلمين من عمليات إرهابية فأجاب «كان ذلك منذ خمسين عاماً» متناسياً أن ما كان حلالاً فى شرعهم يبقى حلالاً أبداً وما كان حراماً يبقى أيضاً حراماً.. متجاهلاً أن الإسلام ليس كقانون العقوبات أى أن الجرائم لا تسقط بالتقادم - لذلك رجوته أن يعلن على الملأ انتقاده لعبارة قالها محمود الصباغ أحد قادة الإخوان المسلمين فى كتابه «حقيقة النظام الخاص» التى قد حمله المرشد العام السابق للجماعة المرحوم مصطفى مشهور وهذه العبارة تقول: «إن القتل غيلة من شرائع الإسلام والجهاز دون إذن من أحد أن يغتال عدو الدعوة»، وتقديم كتاب من رجل كان المرشد العام للإخوان المسلمين يعنى موافقته على هذا المنهج فى التفكير. لكن الرجل رفض انتقاد أو إدانة هذه العبارة على الملأ. رغم أنه إذا عرضت هذه العبارة على العالم ستؤكد مقولة إن الإسلام دين إرهابى .

سيظل الإخوان المسلمون خطراً حقيقياً على المجتمع وعلى الديمقراطية حتى يفيئوا إلى رشدهم، ولا تتم العودة إلى الرشد بمجرد أن يقول الإخوان إنهم توقفوا الآن عن ارتكاب الأعمال الإرهابية، وهذا هو منهج الإخوان يظلون على موقفهم القديم دون أن ينتقدوه ثم يقدمون موقفاً جديداً يعلنون فيه توقفهم عن الموقف القديم الذى قد يحتاجونه فى زمن مقبل .

لو أراد الإخوان أن يتحولوا إلى جماعة ديمقراطية فعليهم أن يعلنوا نقداً ذاتياً على الملأ لفكرة قيام الجهاز السرى للجماعة وهو جهاز إرهابى بكل المعايير ولا صحة لما ردده بعضهم أن هذا الجهاز أنشئ لمحاربة الإنجليز أو الصهيونية ولمن يريد أن يتأكد من صحة كلامى عليه أن يعود إلى كتاب «النقط فوق الحروب» لأحمد عادل كمال وهو أحد قادة الإخوان المسلمين وكتاب «حصاد العمر» لملاح شاهر وكان أحد قادة مكتب الإرشاد وكتاب «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش» لعبد المنعم عبد الرؤوف وكتاب «أيام من حياتي» للأستاذة زينب الغزالي، بالإضافة لكتاب الأستاذ محمود الصباغ «حقيقة النظام الخاص».

إن هذه الكتب تعكس صورة حقيقية لفكر جماعة الإخوان المسلمين مهما قالوا عكس ما جاء فيها، بل إنهم قتلوا إخوانهم فى الجماعة الذين اعتبروهم أعداء للدعوة وهو ما أكده محمود عبد الحليم مؤرخ الجماعة فى كتابه «فى تاريخ الإسلام» عندما كتب يقول لقد ثبت بالدليل القاطع أن الأخ عبد الرحمن الندى قتل سيد فايز، وحسن البنا، قال «سمى إخوانه رهبان الليل وفرسان النهار ولما انقلب عليهم قال عنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين»، كما يؤكد التاريخ أن الجماعة سارعت لإعلان ولائها للملك فاروق رغم اتهامها له بقتل مؤسسها حسن البنا عندما اصطحب حسن الهضيبى فور توليه منصب المرشد العام سعد الدين البليدى سكرتير حسن البنا وعبد الباسط البنا شقيقه وبعض قيادات الجماعة إلى قصر عابدين معلنين ولاءهم للملك قائد شيخهم، لذلك كله كيف نصدقهم ما لم يعلنوا بوضوح إدانتهم لكل ما ورد فى كل هذه الكتب ونقدهم الذاتي.

- **فى هذا السياق كيف تقيم الحوار الذى دار مؤخراً بين بعض قيادات الإخوان المسلمين ودبلوماسيين أمريكيين وأوروبيين فى القاهرة ؟**

- إذا كان الهدف من هذا الحوار هو الاستعانة بالأمريكيين والأوروبيين لإفساح الطريق لهم، فإننى أعلن أنها خيانة للوطن لأن معركتهم ضد النظام يجب أن تظل معركة مصرية - مصرية، أما إذا كان هدف الحوار شرح وجهة نظرهم وإفهام الآخرين أن الإسلام دين ينبذ العنف والإرهاب وأنهم ملتزمون بتعاليمه الصحيحة فمرحى به غير أن الذى يستطيع الحكم على صحة هذا الحوار أو خطئه فهو المحضر أو الوثيقة التى سجلت بها وقائع ما دار فى هذه الحوارات ما بين الإخوان والأمريكيين. وعلى أية حال، فإن مثل هذه الاتصالات ليست جديدة ففى عهد الرئيس عبد الناصر كانت للإخوان المسلمين اتصالات مع مستر أدمز فى السفارة البريطانية ويبدو أن الرئيس كان على علم بهذه الاتصالات ولديه بعض الوثائق الخاصة بها وعلى هذا الأساس حوكم الإخوان المسلمون عام ١٩٥٤، بل ويستطيع الآن أى شخص الاطلاع على وثائق أفرجت عنها مؤخراً وزارة الخارجية الأمريكية فى مكتبة الكونجرس تؤكد اتصال حسن الهضيبى المرشد العام

الأســبق مع المخابرات المركزية الأمريكية «C.I.A» عبر صهره المعروف باسم مســتر مخلــوف ومن هنا نستطيع القول إن اتصال الإخوان المسلمين بالسفارات الأجنبية أمر ليس جديداً.

- **نعود للحديث عن الديمقراطية لماذا ابتسر حزب التجمع مفهوم الثورة الوطنية مركزاً على وطنية النظام الناصرى ومتجاهلاً تغييبه للديمقراطية وهل بإمكاننا الآن أن نــتحدث عــن حــاكم وطــنى يقمع شعبه ويذله وهل يكتمل مفهوم الاستقلال الوطنى فى ظل الحاكم المستبد ؟**

- بداية لم ولن يحدث أن أيد حزب التجمع أية أفعال معادية للديمقراطية ونحن نعتــبر فى تحليلاتنا السياسية وممارساتنا اليومية أن الكارثة الحقيقية التى أحاطت بالنظام الناصرى هى غياب الديمقراطية ولو أن هذا النظام كان ديمقراطياً لما أمكن تحقيقه بعد ذلك بالكامل وإن كنا نسمو فوق جراحنا، فإن ذلك لا يعنى تغافلنا عن أن الــتجربة الناصرية كانت عرجاء تمشى على قدم واحدة فما كان لها أن تتقدم بدون الديمقراطــية وهــنا أدعو الباحثين والمنظرين الناصريين إلى دراسة التجربة بهذا الســياق وأن ينــتقدوا غــياب الديمقراطية فى النظام الناصرى علناً ويعترفوا بأن بــرنامجهم فــى مســألة الديمقراطية مناقض لما يحــدث فى عهــد عبد الناصر وألا يــبرروه وبمراجعة سريعة للتركيبة السياسية للنظام الناصرى تجد أن ٩٩% ممــن ظلوا يتملقون الناصــرية ويلعقون أقدامها هم الذين انقضــوا عليها فى أقل مــن دقــيقة عــندما أعلن السادات وصوله إلى الحكم وتحولوا إلى رجال للسادات وعــندما قــرر الســادات أن ينقض على حزب مصر العربى الاشتراكى ليؤسس الحزب الوطنى انقضــوا عليه وسارعوا إلى الحــزب الجديد وهؤلاء المنــافقون هــاجموا الناصــرية هجوماً مريباً حتى ينسى النظام الســاداتى ولاءهم الســابق لعبد الناصر.

وما أريد أن أقوله هنا إن الناصريين أقرب ما يكونون لنا وإننا فى حاجة إلى هــذا الحلــيف خاصــة فــى هذه اللحظة لذلك علينا وعليهم ألا نلجأ للفكر السلفى

ونعترف بأن عبد الناصر حقق مجداً عظيماً لكن المؤكد أيضاً أن له أخطاء كثـــيرة علينا أن ننتقدها نقداً شديداً لنبرأ أنفسنا ومستقبلنا من إمكانية تكرار ما حدث.

- **فـــى هــذا الســـياق كـــيف تثمن الحوار القومى الإسلامى الذى نشأ عنه فى السنوات الأخيرة تيار اصطلح على تسميته التيار القومى الإسلامى ؟**

– أعــتقد أنه نوع من الممالأة السياسية إذ كيف يمجد الناصريون كل ما فعله عــبد الناصـــر إلا موقفه من الإخوان المسلمين فيما سجن عبد الناصر الشيوعيين والنقابييـــن وكل خصومه السياسيين لماذا يصبح سجن واعتقال كل هؤلاء صحيحاً ويستثنى منهم الإخوان المسلمون .





د. سـعيد النجـار

فى ظل هذه الهجمة الامبريالية الشرسة التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية لصالح احتكارات النفط والسلاح وفى ظل تنامى ميول الجناح اليمينى المتصهين فى بورجوازيـــة أكبر مركز رأسمالى للعصف ليس فقط باستقلال شعوب العالم الثالث ولكن أيضا بالحريات المدنية التى رسخها الشعب الأمريكى طوال عقود من النضال بحجــة الحــرب على الإرهاب، فى ظل كل هذا هل ثمة نموذج ليبرالى يمكن أن نحتذى به فى هذا العالم؟ إذا كيف يمكن تفسير ما حدث وما سوف يحدث لاحقا من قــتل وتدمير وعذابات؟ هل هو ميل امبريالي، توسعى فطرى فى الرأسمالية كنظام اقتصادى وسياسى أم أنه مجرد ظاهرة استثنائية ستزول بانتهاء الإدارة الحالية التى اســتحدثتها؟ وأيــن موقعنا نحن العرب من كل ما سيحدث؟ هل يمكن الرهان على ليبرالــية مصــرية وعربية أم أن شمس الليبرالية لا يمكن أن تشرق فى ظل طبقة قوامهــا رجال أعمال «هلّيبة» وطفيليون؟ وإذا كان الأمل يدفعنا لعقد الرهان فهل نحن بصدد أفراد أم اتجاه أصيل وفصيل سياسى متماسك له اطروحاته ورؤاه؟

هــذه الأسئلة وغيرها لم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها، إنه الدكتور سعيد النجار أستاذ أساتذة الليبرالية ومفكرها الفذ ورائدها بلا جدال فى مصر والعالم العربي.

- **كيف تقرأ المشهد الحالى فى العراق ؟**

– ما أريد أن أشير إليه فى البداية هو أن البعض يفهمون الليبرالية والليبراليين مــن ثم على نحو خاطيء متصــورين أنهم يقبلون بكل ما تفعله أمريكا سواء كان خيرا أو شــرا رغم أن جوهر الليبرالية هو الدفاع عن حــق الفرد أياً ما كان وعن الديمقراطية وحقوق الإنســان ، أما موقفها بالنسبة للعالم الخارجى فهو نفس موقف أى تــيار وطــنى آخر بمعنى أنها تكيف موقفها بما تراه متفقا مع مصلحة الوطن ومــبادئها ورغم أننى كنت أعتبر الولايات المتحدة رمزا للنظام الليبرالى فى العالم إلا أنــنى أرفــض سياســاتها الخاصــة بمــنطقة الشرق الأوسط فى كل كتاباتى وممارســاتى وهو ما لا يتناقض مع كونى ليبراليا وأعترف أن الليبرالية محسوب علــيها أشــخاص كثــيرون يتجــاهلون ظلم السياســات الأمريكية إزاء الشــرق الأوســط ويؤيدون هذه السياســات سواء كانت صحيحة أو خاطئة والليبرالية براء من كل هؤلاء.

وفــيما يخص المشهد الحالى أرى أن أمريكا انطلقت من مقتضيات مصالحها وإســرائيل لتفتيت العراق والسيطرة على منابع النفط واعتقد أن السياسة الأمريكية تهــدف إلــى ليس فقط فرض الهيمنة الإسرائيلية ولكن أيضا إزالة كل ما قد يشكل خطــرا أو عــدوا لها فبعد أن حيدت مصر فى الصراع العربى الإسرائيلى بتوقيع اتفاقــية كامــب ديفيد وإبعاد دول الخليج العربى عنه بفعل النفوذ الأمريكى لم يتبق أمــام إســرائيل ســوى سوريا والعراق والأخيرة أهم من الأولى بسبب مواردها البترولــية وإمكانياتها البشرية الضخمة وارتفاع نسبة المتعلمين، خاصة وأن صدام حسين بكل معايبه استطاع تربية جيل من العلماء العراقيين فى كل المجالات العلمية وبشكل خاص فى الحرب البيولوجية والكيماوية وهو جيل شكل تهديدا حقيقيا للأمن الإســرائيلى وهنا أسجل موقفا واضحا كليبرالى ضد استبداد ودموية صدام حسين

والخراب الكبير الذى أحدثه بغزوه الكويت مما قضى على أى مفهوم للأمن القومى العربـــي، الأمـــر الذى دفع الكويت وباقى دول الخليج للاستعانة بالقوات الأمريكية لحمايــتها مـــن بطـــش صـــدام غير أن هذا لا ينفى معارضتى القصوى للسياسة الأمريكــية فـــى العـــراق وهى معارضة لا تعنى التعاطف مع صدام حسين لكن السياســـة الأمريكية التى عملت على إزالة هذا النظام بالقوة أدت إلى القضاء على أكـــبر دولة عربية شرق مصر وأخطر ما فى ذلك هو النتائج العملية لهذه الحرب فـــإن محاولة فرض نظام الحكم بعينه على العراق سيؤدى إلى تجزئته وتفتيته من الناحـــية العملية إن لم يكن من الناحية القانونية أيضا مما يمهد الطريق أمام فرض الهيمنة الإسرائيلية.

- **كيف تنظر إذن إلى مشروع الفيدرالية الديمقراطية العراقية ؟**

– هـــذا هـــو الفصـــل الأول فى مسرحية تجزئة العراق فمن يعرف العراق وطبيعة القوى المتطاحنة داخله يدرك أن هذه الفيدرالية ستؤدى فى نهاية الأمر إلى التجزئة الكاملة وقيام دويلات على نسق دويلات الخليج تضم كلا منها ما بين ثلاثة إلـــى أربعـــة ملاييـــن نســـمة هذا الخلاف الدويلة الكردية فى الشمال وبهذا يتيسر للولايات المتحدة القضاء على العراق كقوة عربية .

- **لكن العراقيين أنفسهم لايشاطرونك هذه المخاوف إذ ينطلق أغلبهم من بديهية أن الولايات المتحدة لن تغامر بحليفها الاستراتيجى التركى ومن ثم لن تسمح بإقامة أى شكل لدولة كردية ؟**

– أفهـــم طـــبعا أن تركيا لا تريد قيام دولة كردية فى شمال العراق وهذا هو الوضع الذى تفرضه موازين اللحظة الحاضرة وترفضه أمريكا أيضا لكننى أتحدث عـــن تفـــاعل الموقف برمته على مر الزمن فهذه التفاعلات ستؤدى إلى نتائج غير الأطـــروحات المعلـــنة حاليا فقد تنشأ علاقات جديدة بين الأكراد فى شمال العراق وبين تركيا قد تنهى العراق كدولة مركزية من الناحية العملية إن لم يكن من الناحية القانونـــية أيضا والخطر ذاته يهدد الشيعة والسنة اللذين يبدوان حاليا فى حالة اتحاد

بسبب مخاوفهما المشتركة من المحتل الأمريكى لكن تفاعلات الفيدرالية ستؤدى فى المستقبل البعيد إلى نشوء مشاكل بينهما تضغط فى اتجاه تحول هذه الفيدراليات إلى دويـلات وأعتقد أن هذه هى النتيجة النهائية للسياسات الأمريكية تجاه العراق، فلا أتصـور أن الولايـات المـتحدة قامت بهذه الحرب لإنشاء عراق قوى ديمقراطى وموحـد فهـذا لا يخدم مصالحها ولا مصالح إسرائيل فى المنطقة، لذلك لابد من قـراءة ما وراء الإعلانات الأمريكية فسوف تتبخر كل الادعاءات الأمريكية حول عـراق موحـد وديمقـراطى تحت نار الواقع وسوف تشجع كل القوى الانفصالية بوسـائل متعددة ودعنا نتساءل عن مصير بترول العراق وكيفية التصرف فيه فى ظـل الفيدرالـية؟ وما مصير بترول كركوك مثلا؟ هل ستصب عائداته فى الدولة العراقـية المركـزية أم أنـه سيصـيب فى الفيدرالية الكردية ؟ يمكن طرح نفس التسـاؤلات حول بترول الجنوب؟ المؤكد أن مصير العوائد البترولية سيكون عامل حسم فيما يتعلق بوحدة أو بتجزئة العراق.

- **فى هذا الإطار هل تعتقد أننا بصدد عودة الاستعمار بشكله الكولونيالى القديم ؟**

– المؤكـد أن ما تفعله إدارة جورج بوش – التى لا تمثل أمريكا الحقيقية من وجهة نظرى – حرب استعمارية وأن أحد مراميها وضع اليد على ثروات المنطقة لكن ليس فى هذا عودة إلى الشكل القديم للاستعمار حيث تبقى الجيوش والأساطيل فلقـد انتهـت هـذه الصيغ الاستعمارية وما سيحدث هو تحقيق الأحلام والمطامع الاسـتعمارية دون احـتلال عبر حكومات وكيانات موالية لأمريكا تنفذ السياسات الأمريكـية فى المنطقة وإذا ما ظهرت حركة تناهض هذه المصالح فستتصدى لها القواعـد الأمريكـية الموجودة فى المنطقة فهى لن تقبـل بقيام أى حكومات غير موالية لها .

- **لكـن الحكومـات الديكتاتورية العربية بما فيها نظام صدام حسين كانت تلبى المصـالح الأمريكية فى المنطقة طوال السنوات الماضية فما هو التغيير الذى طرأ على هذه الأنظمة لتغير واشنطن استراتيجيتها نحوها ؟**

– التغير الذى طرأ هو مجيء جورج دبليو بوش إلى السلطة محاطا بمجموعة من الصهاينة واليمين المتصهين الذين ينظرون إلى هذه المنطقة على أنها مخزون نفطـــى اســـتراتيجى ومحـــور ارتكاز للهيمنة الإسرائيلية فبنوا حساباتهم على أنه لا ضــــمان لبقاء واستمرار هذه الأنظمة المطيعة على نحو يهدد إسرائيل والمصالح البترولـــية الأمريكية فى المنطقة وذلك أنها لا تتمتع بأى شعبية فى بلادها وتواجه حركات شعبية قوية تطالب بإحداث تغييرات أساسية تهدد استمرار الوضع الخاص بعلاقـــة دول المـــنطقة بواشنطن أى أن هذا الوضع المواتى وضع مؤقت ومرتهن بموازين القوى الداخلية حيث حركات شعبية قوية ترفض هذا المنطق وترفض أن تعـــامل شـــعوبها من قبل الولايات المتحدة كما تعامل أنظمتها الآن، هذا هو التغير الكبـــير الذى طرأ أضف إلى هذا بعدا آخر متعلقا باليمين المتطرف الذى جاء إلى الســـلطة مـــع بوش الابن وتسيطر عليه كراهية طبيعية للعرب والمسلمين ومن ثم يمـــيلون إلى تجزئة هذه البلاد بحيث لا تقوم لها قائمة أبدا غير أن المؤكد أن هذه الكراهية لا علاقة لها بالشعب الأمريكى والقول بغير ذلك خطأ كبير فهذا هو موقف المجموعة الضيقة المحيطة بالرئيس الأمريكى التى أصبحت تملك مقاليد السلطة فى واشـــنطن وتـــريد أن تنـــتهز فرصة وجود مثل هذا الرئيس فى السلطة لكى تنفذ أغراضها الخاصة بها الصهيونية اليمينية المتطرفة المنسجمة معها وأملى أن تزول السياسات الأمريكية التى أقف منها موقف المعادى برحيل بوش وحاشيته عن البيت الأبيض فالإدارة الحالية لا تعبر عن أمريكا الأصلية فهى التى اعتدت على الحريات العامـــة بقوانين مقيدة واستثنائية كما أنها فتحت جوانتانامو التى جعلت أى مراقب لحالة سجنائه يقول إنها ليست أمريكا لكنها شيء آخر.

- **فـــى هذا الإطار كيف تثمن أطروحة سمير أمين حول عسكرة العولمة من قبل الولايات المتحدة بدءا بحربها على أفغانستان ؟**

– لا أحب أن أربط بين السياسات الأمريكية الحالية والعولمة فهى شيء آخر مخـــتلف لا تقـــف عن أمريكا وإنما هى وضع جديد بالنسبة للعالم كله بسبب التقدم وتكنولوجـــيا الاتصـــالات والمواصلات، أما ما يمكن ربطه بالسياسات الأمريكية

الحالـية فهو صعود التيار اليميني والصهيوني المتطرف إلى السلطة في واشنطن وأعتقد أنه إذا زال هذا النظام وجاء نظام آخر سيعمل على تغيير كل القوانين التي استحدثها هـذا النظام في أمريكا التي سمحت باقتحام الحياة الشخصية للمواطنين والتنصت على الهواتـف وإقامة شيء اسمه جوانتانامو يجسد الانتهاء الصارخ لحقـوق الإنسـان ولدينا تجربة المكارثية التي ازدهرت في أوائل الخمسينات من القـرن الماضي وكان ضحيتها مثقفون يساريون اتهموا بالترويج للشيوعية وزالت هذه المكارثية بزوال النظام الذي احتضنها .

- **البعض يرى أن أحداث ١١ سبتمبر هي التي دفعت الولايات المتحدة إلى تغيير سياسـاتها نحو الشرق الأوسط بعد أن اكتشفت أن الأنظمة الديكتاتورية التي تدعمها هي التي فرضت العناصر الإرهابية .**

– ممـا لا شـك فـيه أن أحداث ١١ سبتمبر التي ما زالت محاطة بعلامات استفهام كبيرة كان لها وقع الصدمة الكبيرة على الشعب الأمريكي وأستطيع أن أفهم أن إحـدى نـتائج هذه الصدمة الحرب ضد الإرهاب لكنني أعتقد أن هذه الحرب وسـيلة لتحقيق مآرب أخرى تحت هذا الغطاء فلا يمكنني القبول بفكرة أن الحرب الـتي شـنت على نظام طالبان سببها الحرب على الإرهاب بل كانت هناك أطماع وأغـراض أخـرى غير ذلك ، وكل ما هنالك أن الإدارة الأمريكية وجدت في تلك الصـدمة ظـرفا مناسـبا للحصول على تأييد ودعم الشعب الأمريكي لكي تذهب وتسـتولي علـى أفغانستان لتصبح على مقربة من منابع البترول في بحر قزوين وآسـيا الوسطى والحوش الخلفي للصين وروسيا وكذلك الحال بالنسبة للهجوم على العـراق فصـدام حسـين كان من أعداء طالبان وأعداء النفوذ الديني ويقود نظامًا علمانيا متطرفا. إن ما تسميه واشنطن بالحرب على الإرهاب حرب لا تنتهي على أفراد مستعدين دوما للموت وتفجير أنفسهم ، كيف يمكن لدولة كبيرة أن تتعقب مثل هؤلاء؟ فهي إن قتلت اليوم واحدا يسيخرج لها في الغد عشرة آخرون، إن كان هذا هـو الهـدف الأمريكي الحقيقي لكان من الأحرى بها أن تطالب الأنظمة بمطاردة وملاحقة هؤلاء. أحداث ١١ سبتمبر ليست سوى قميص عثمان لتحقيق مآرب قائمة

قبل هذا التاريخ فمن الثابت بالوثائق أن المحيطين بالإدارة الحالية كانوا يطالبون بغزو العراق قبل ١١ سبتمبر .

- **هل تعتقد أن هذه التوجهات الاستعمارية للمجموعة المحيطة بجورج بوش منبتة الصلة عن النزوع الامبريالى الفطرى للرأسمالية كنظام اقتصادى واجتماعى عالمى ؟**

– المؤكد أن الرأسمالية الغربية لها مصالحها وأطماعها فلا يغيب عن أحد أن لألمانيا وفرنسا وبريطانيا أطماعا استعمارية لكنها لم تعد بحاجة لاستخدام نفس الأساليب القديمة المتجسدة فى الاحتلال المباشر للحصول على مستعمرات لتسويق السلع والحصول على المواد الأولية اللازمة للنمو الاقتصادى فهى تملك حاليا القدرة على تحقيق أهدافها دون أن تنتهك سيادة الدول بشكل مباشر وحقوق الإنسان كما تفعل الولايات المتحدة حاليا فى ظل هذه الإدارة اليمينية المتصهينة.

- **ماموقف الليبراليين من الديمقراطية فى الأزمة الأخيرة؟ لماذا خفت صوتهم وذابوا تحت وقع صرخات لا صوت يعلو على صوت المعركة ؟**

– أعتقد أن الليبرالية فى مصر والعالم العربى لم تكف يوما عن المطالبة بالديمقراطية وضرورة تغيير الأنظمة الاستبدادية لكنها دائما فى مواجهة أنظمة غير ديمقراطية منذ بدأت الحركات العسكرية تستولى على السلطة بدءا من انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا حيث بدأت سلسلة من الأنظمة العسكرية تنشأ فى العالم العربى معتقدة أنها تستطيع تحقيق الطموحات الوطنية عن طريق نظام مركزى قوى يحتقر الديمقراطية والانتخابات معتمدة على مجموعة من الوطنيين تنفذ ما يوكل إليها من تعليمات وهذا النظام فشل فى كل الاتجاهات سياسياً واقتصادياً واجتماعيا ولم يحقق أى حلم من ذلك التى وعدنا بتحقيقها بل على العكس من ذلك فإن النظام العسكرى فى مصر كان هو المسئول عن أكبر هزيمة حاقت بمصر فى تاريخها كله فى عام ١٩٦٧ والتى مازالت حتى الآن ندفع فاتورتها، هذه الأنظمة الاستبدادية الموجودة فى كل أنحاء الوطن العربى هى التى مكنت الولايات المتحدة

الأمريكية فى أن تفعل ما تفعله الآن فى المنطقة دون أى تعاطف معها أو معنا فهى تشبه بالضبط الديناصورات المنقرضة، إن غياب الديمقراطية فى العالم العربى هو السـبب الرئيسـى فى هزيمة ٦٧ وفى الهزيمة التى نشهدها الآن فى العراق وفى الهزائم التى قد تأتى فى المستقبل فنحن نستطيع أن نتصور عندما تتعامل الولايات المتحدة مع بشار الأسد أنه يشعر فى داخل قلبه أنه لا يحق له الكرسى الذى يجلس علـيه وعلى ذلك تستطيع أن تتصور سرعة استجابته لكل المطالب الأمريكية لأنه جاء عن طريق التوريث الذى لولاه لما كانت له أى فرصة فى الوصول إلى الحكم، إنها نقطة الضعف الخطيرة التى تعانى منها كل الأنظمة العربية التى تشعر بتململ شـعوبها مـن تحتها ورغبتها فى الديمقراطية والإطاحة بها ولذلك فهى تؤمن بأنه لا مسـتقبل لها فى الحكم دون رضاء الولايات المتحدة لذلك فإن القول إن واشنطن تـريد أنظمة ديمقراطية فى العالم العربى أمر يحتاج إلى برهان خاصة أن مطالبها محققـة مـن خـلال هذه الأنظمة فهى تتعامل مع أفراد لا حكومات أو مؤسسات وهؤلاء يسهل التأثير فيهم ترهيبا وترغيبا أما إذا كان النظام ديمقراطيا فإنه لا مبرر لكى تخشى أى حكومة من الولايات المتحدة لأنها تعى أنها لن تبقى إلى الأبد ومن ثم يمكنها أن تلجأ إلى الجماهير عندما يحتكم الأمر.

- **لكـن الـبعض يـبرر هـذه الديكتاتورية بالتحديات الخارجية والداخلية التى واجهتها دولة ما بعد الاستقلال ؟**

– كما تعلمنا من دروس التاريخ فإن كل ديكتاتور يحتاج إلى عفريت يستخدمه كفـزّاعة يشهرها فى وجه الجماهير ليبرر أسباب استمراره فى السلطة فحتى هتلر برر ممارساته القمعية باجتماع الدول الكبرى على ألمانيا واقتطاعا أجزاء منها وأن لـه أعـداء فى الخارج ودعنا نفترض أن كل مخاوف هؤلاء الحكم الديكتاتوريين حقيقـية كـأن يكون عبد الناصر قد وجد نفسه محاطا بأعداء فى الدخل والخارج وهـؤلاء يتربصون به، فهل يعطيه هذا الحق فى أن ينزع من الشعب حقه فى أن يديـر نفسـه ويواجه هذه التحديات فهو كفرد ليس أقدر على مواجهتها من الشعب بل على العكس إنه الأضـعف دون الجمـاهير ولذلك كان طبيعيـا أن يوقعوا به

وأن ينجحوا فى نصب الفخ له بينما لم يكن بمقدورهم أن ينصبوا أى فخ للشعب المصرى كله ، وهم ما زالوا يستخدمون نفس العفريت لتبرير استمرارهم فى السلطة ألا وهو الحركة الإسلامية المتأهبة دائما للانقضاض عليها والسؤال لماذا لا نترك هؤلاء يأتون إلى السلطة إذا كانت هذه هى إرادة الجماهير؟! ولقد حاولنا فى جمعية «النداء الجديد» بحث أصول هذه المخاوف ومدى حقيقتها ووصلت إلى قناعة مفادها أن الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية بصفة عامة ليست من القوة التى تمكنها من الحصول على الأغلبية للوصول إلى الحكم فى انتخابات ديمقراطية وأعتقد فى الوقت نفسه أن الحركة الإسلامية بدأت تتغير بشكل كبير، الإخوان المسلمون فى عهد مأمون الهضيبى يختلفون عن عهد حسن البنا، الدنيا تغيرت والعالم تغير من حولهم وهم تغيروا أيضا، هذا لا يعنى تسليمى بضرورة تركهم يصلون إلى السلطة لكنى انطلق من رفضى أن يظلوا العفريت الذى عليه أن يحرمنا من حقوقنا ، دعونا نواجه التيار الإسلامى والتيار الشيوعى فنحن قادرون على مواجهتهم فى انتخابات مفتوحة تتزاحم فيها القوى السياسية المختلفة وتطرح كل منها برنامجا واضحا للخلاص الوطني، إن مثل هذه العفاريت تنجح وتنمو فى ظل الغموض الذى يفرضه الاستبداد والطريق الوحيد لمواجهتها هو الديمقراطية وفتح الأبواب التى تكشف حقيقة برامجهم لعلاج مشاكل مصر السياسية والاقتصادية أمام الجماهير الحاصل الآن أننا كلما طالبنا بانتخاب رئيس الجمهورية من بين أكثر من مرشح نواجه بمقولة أنكم بهذا تفتحون الطريق أمام استيلاء التيار الإسلامى على السلطة وهو فى الواقع «بعبع» لا يخيف ولا أرى وجودا حقيقيا له .

- **هل تعتقد أن البرجوازية المصرية الآن من القوة بحيث تستطيع أن تسترد السلطة وأن تحقق التنمية لقطاعات واسعة من الجماهير؟ هل الرأسمالية الكبيرة قادرة حاليا على أن تلعب هذا الدور ؟**

- الطبقة المتعلّمة فى مصر زادت زيادة كبيرة وإن كان تعليمها ليس على الدرجة المطلوبة وصارت هناك قاعدة كبيرة من الطبقة المتوسطة المتعلمة ولا أعتقد أن حركة سياسية مصرية تستطيع أن تحوز أغلبية الأصوات فى انتخابات

حـــرة دون بـــرنامج مقـــنع لهذه القاعدة وهنا دعنى أسألك ما هو برنامج الإخوان المسلمين؟ ألا نستطيع مواجهة هؤلاء فى انتخابات نزيهة ؟ ألا نستطيع أن نحوذ ثقة الناس بعيدا عن الحكومة كقوى سياسية مستقلة لها برنامج واضح لمواجهة مشاكل المجتمع المصرى السياسية والاقتصادية؟ أنا شخصيا لست متشائما لكن المشكلة أن الجالسين فى السلطة لا يريدون التغيير.

- **لكـــن ألا تـــرى أن الجالســـين فى السلطة يمثلون قطاعا مهما فى الرأسمالية المصـــرية ويعكسون توجهات البورجوازيين المصريين الكبار الذين يستندون إلى سلطة الدولة فى الاستحواذ على أكبر كم من كعكة الفائض الاجتماعي ؟**

– مما لا شك فيه أن الجالسين فى السلطة مجموعة لا مصلحة لها فى التغيير لكـــنهم قطـــاع صغير جدا بالنسبة لجماهير الشعب المصري، إنهم مجموعة تمسك بمفاتـــيح الســـلطة عـــبر الأجهزة الأمنية لكن السؤال هل يعبر هؤلاء عن رغبات قطاعات كبيرة من الشعب المصري، ربما يعبرون عن قطاع صغير من الرأسمالية المصرية الكبيرة التى لا تمانع فى استمرار هذا النظام غير أن مئات الآلاف إن لم يكن الملايين من الرأسماليين الصغار لا مصلحة لهم فى استمرار مثل هذا الوضع الـــذى تتناقض مصالحهم معه ويؤيدون الديمقراطية والتغيير، المشكلة أن الجالسين فـــى السلطة لا يريدون التغيير رغم ثبوت فشلهم فى تلبية مطالب الشعب المصرى بصفة عامة .

- **كـــيف تثمـــن مقولـــة البعض إننا فى حاجة إلى ديمقراطية تلائم خصوصيتنا الثقافية وإننا غيرمؤهلين لتطبيق النموذج الديمقراطى الغربى ؟**

– هـــذه المقولة من قبيل الأعذار التى ينتحلها البعض لتبرير استمرار الأنظمة غـــير الديمقراطـــية فلا توجد ديمقراطية غربية وأخرى غير ذلك فهى قائمة على مجموعـــة مـــن المـــباديء المرتبطة بالإنسان كإنسان وبقيمه فهى إطار قائم على المســـاواة بيـــن الأفراد من ناحية الحقوق السياسية وعلى مبدأ سيادة القانون على الجميع وعلى أساس تداول السلطة وعلى صحافة مستقلة لا على صحافة الموظفين وعلـــى قضـــاء مســـتقل هذه هى الديمقراطية وهذه مبادئها وأتساءل هل هناك من

يختلف على هذا المفهوم للديمقراطية ؟! ألا يتسق هذا المفهوم مع الحضارة العربية الإسلامية؟!

- **لكن أمثال هؤلاء يرون أن العراقيين لا تجدى معهم ديمقراطية بسبب طبيعتهم العنيفة مؤكدين أن صدام حسين والحجاج بن يوسف الثقفى أفضل من حكم العراق ؟**

– مثل هذا الكلام لا يستحق الرد لأن أسوأ من حكم العراق هما هذان الحاكمان فمن الذى قال إن النظام الديمقراطى لا يحافظ على تماسك الأمة ولدينا التجربة الديمقراطية منذ عام ١٩٣١ وحتى انقلاب عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ ولم يشهد صراعا بين السنة والشيعة أو غيرهما بل على العكس فهذه المسألة الطائفية استخدمها الحكام المستبدون لتثبيت أركانهم فى السلطة وابتدعوا الخلافات بينهما لخلق العفريت الذى يبرر الديكتاتورية وأذكر هنا أنه حتى الأنظمة الشيوعية كانت تعتمد على الحزب الشيوعى الذى يتمتع بأساس أيديولوجى قوى يمكنه ايصال كلمته للجالس فى السلطة بحيث يجبره على تغيير موقفه فى مسألة من المسائل أما نحن فليس عندنا من يجرؤ على الكلام منتقدا رئيس الحزب الحاكم، لقد آن الأوان لإجراء إصلاح سياسى جذرى فى مصر يبدأ بتعديل المادة «٧٦» فى الدستور التى تنص على اختيار رئيس الجمهورية عبر استفتاء ليصبح اختياره عبر انتخابات حرة بين أكثر من مرشح وعلى هنا أن أؤكد أننى لست ضد أو مع شخص بعينه لكننى مع حق الشعب المصرى فى اختيار رئيسه عبر انتخابات حرة.

- **ولماذا لا تكون البداية هى تغيير الدستور كله خاصة أننا نعيش فى ظل تناقض ضخم بين دستور يتحدث عن مجتمع اشتراكى وممارسة سياسية واقتصادية تنحو نحو أقصى اليمين ؟**

– تغيير الدستور عملية كبيرة لا نستطيع القيام بها فى الوقت الحالى وكل ما علينا الآن المطالبة بنقطة البداية التى ذكرتها لأنه من البديهى أن يكون الإصلاح السياسى الجذرى أحد عناصر المنافسة على منصب رئيس الجمهورية ودعونى فى هذه المناسبة أحيى جريدة القاهرة لتبنيها نشر دستور لجنة الخمسين التى شكلت بعد

قيام الثورة فى ١٩٥٢ فمثل هذا الدستور يمكن أن يكون أساسا للإصلاح السياسى فلقد اقترحته مجموعة من أكبر الشخصيات فى مصر وقتها وللأسف لم ير النور وأغلقت عليه الإدراج «بالضبة والمفتاح» لأنه ببساطة كان جادا فى إقامة نظام ديمقراطى يقوم على المباديء السابق ذكرها.

- **تشيع حاليا تحليلات تقول إن الولايات المتحدة تجرى حاليا حوارا مع الإخوان المسلمين كقوة إسلامية «عاقلة» على غرار حزب العدالة التركى يمكن أن تكون بديلا للنظام المصرى الذى لم يعد مرضيا عنه لرفضه مباركة الحرب على العراق.. كيف تثمن هذه الأطروحة ؟**

- أشك كثيرا فى هذه التحليلات أو المعلومات ولا يهمنى التحقق من مدى صحتها لكن ما يهمنى هو الطريقة التى سيصل بها الإخوان المسلمون إلى السلطة إذا كان سبيلهم إليها المساندة الأمريكية فهذا أمر أرفضه أما إذا جاءوا عبر انتخابات حرة ونزيهة فأهلا وسهلا لأن الطريقة الوحيدة لتعديل برامج هذه التيارات هو وصولها إلى السلطة فهم يتحدثون الآن مثلا عن الفوائد المصرفية باعتبارها ربا بكل ارتياح لأنهم خارج السلطة، أما إذا وصلوا إليها ورددوا نفس الكلام فسنقول لهم إن هذا تخريب للنظام المصرفى وللاقتصاد المصرى وقد نجد وقتها ستين محللا يبدلون اقوالهم مؤكدين أن الفوائد حلال وتتفق مع الشرع، علينا أولا أن نخلق الإطار الصحيح الذى تتفاعل فيه القوى السياسية المختلفة بحرية ونزاهة بحيث يطلق للشعب حق الاختيار ولا أعتقد أن ضررا سيمسه من ممارسته لهذا الحق.

- **ألا تتخوف كليبرالى من وصول الإخوان المسلمين إلى السلطة كتيار رجعى وظلامى قد ينقلب على لعبة الديمقراطية التى جاء عبرها ؟**

- قد تكون لدى بعض التخوفات لكن هناك إجابة على هذا السؤال حصلنا عليها بعد عام من البحث والنقاش فى جمعية «النداء الجديد» ومفادها أنه إذا كان الخوف من أن مجيء الإخوان المسلمين أو التيار الإسلامى بصفة عامة إلى السلطة

سيقضـــى على الديمقراطية فعلينا أن نفتح حوارا الآن مع القوى السياسية المختلفة والتيار الإسلامى وتعرض عليه مبادىء الديمقراطية الملزمة لجميع القوى السياسية فـــإذا اقروا بالالتزام بها فأهلاً وسهلا وإذا رفضوها فلن نسمح لهم بممارسة العمل السياســـى وهذا ما نسميه ميثاق الوفاق الوطنى وأعتقد أن على السلطة السياسية إذا ما أرادت إصلاحا حقيقيا أن تدعو القوى السياسية حول هذا الميثاق وتعلن رفضها لأى قوة تستخدم الشعارات الديمقراطية للوصول إلى السلطة لتنقلب بعد ذلك عليها.

- **لكـــن مـــن خلال قراءتك لمسيرة الإخوان السياسية هل تعتقد أنهم مستعدون بالفعل للالتزام بمثل هذا الميثاق ؟**

- مصـــر لها وضع خاص فهى ليست الجزائر ولا المغرب بسبب اعتبارات عـــدة أولها فهى تضم عددا كبير من غير المسلمين وفيها تقليد ليبرالى وديمقراطى يدين له عدد كبير من المثقفين المصريين ولا يستطيع الإخوان المسلمون إلغاء كل هـــذه الاعتبارات فور وصولهم إلى السلطة ويجبرون الجميع على الالتزام بالإسلام كما يفسرونه.. إنهم يقولون إن الأقباط سيكون لهم وضعهم الخاص ومثل هذا الكلام فـــى الواقـــع قضاء على مصر وهو أمر يجب أن يناقشوا فيه بصراحة فى الحوار الوطنى ويجب أن نسألهم عن ماهية نظام التعليم فى ظل حكومة إسلامية والإعلام والـــنظام المصـــرفى والضرائب والنظام الجنائى هل سيقطعون يد السارق المسلم ويكـــتفون بحبس المسيحي؟! كل هذه تساؤلات يجب طرحها كما أن علينا أيضا أن نســـتقبل تساؤلاتهم ونجيب على هذه التساؤلات وإجابتها ستدفعهم إلى تغيير أنفسهم أو يجابهون برفض الشارع المصرى ، هذا هو السبيل الوحيد للخلاص من عفريت الإخـــوان الـــذى حرم الشعب المصرى بسببه من الديمقرطية وهو حوار يجب أن يضم الشيوعيين أيضا لتطرح عليهم مخاوفنا منهم لنسألهم هل ما زلتم تتحدثون عن ديكتاتورية الطبقة العاملة؟ للأسف هذه الأسئلة كلها غير مجاب عنها، لقد دعونا فى جمعية «النداء الجديد» لهذا الحوار كل التيارات بما فى ذلك: الإخوان والشيوعيون والناصـــريون والليبرالـــيون ولم يتخلف سوى الحزب الوطنى وانتهينا إلى صياغة مجموعـــة من المبادىء الديمقراطية، صحيح أن الإخوان المسلمين لم يوافقوا عليها

فــى اللحظة الأخيرة لكن بإمكاننا إعادة طرح الوثيقة للمناقشة للوصول إلى إجماع وطــنى علـــى مباديء الديمقراطية وهذا الحوار ليس بدعة ذلك أن عددا كبيرا من الدول النامية حلت إشكاليات مماثلة بنفس الطريقة فالميثاق الوطنى يسبق فى أهميته الدســتور كما هو الحال فى الأردن حيث أتاح للإسلاميين الأردنيين الاشتراك فى السلطة دون أن يخربوا التجربة لأنهم ببساطة ملتزمون كباقى القوى السياسية بذلك الميثاق الوطني .

- **لكن تجربة الأردن تستند إلى الملكية كمرجعية بينما تستند التجربة التركية إلى المؤسســة العســكرية والتقالــيد العلمانية الأتاتوركية فما هى المرجعية التى تطرحها فى مصر ؟**

– المرجعــية هـــى – ببساطة – حقوق الشعب المصرى التى نتفق عليها فإذا مـــا جاء الإخوان سأسألهم هل ستطبقون الحدود الإسلامية على المسلمين والقانون الوضــعى علـــى غيرهم، والحوار سيكشف تناقضات كبيرة عند التيار الإسلامي، المشكلة فى نظرى ليست فيه ولا فى خيبة الأحزاب لكنها فى الجالسين على مقاعد الســلطة الذيــن لا يعــتقدون فـــى حق الشعب المصرى فى أن يكون ديمقراطيا ولا يؤمنون بتداول السلطة.

- **كــيف تقيم إذا الدعوة المطروحة حاليا لتشكيل جبهة وطنية عريضة لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية ؟**

– مـــثل هـــذه الجـــبهة يجب أن تقوم على أساس اتفاق بين القوى السياسية المخــتلفة علـــى المـــباديء التى تحكم العمل السياسى فى مصر دون أن يعنى هذا تـــنازل أى فصـــيل سياســـى عن هويته وبرنامجه الخاص وأعتقد أنها بهذا الشكل ســـتكون مكملة لسعينا نحو علم ميثاق وطنى وللحوار الدائر بين مختلف التيارات السياســـية بلجنة الدفاع عن الديمقراطية التى يجلس فيها الليبرالى بجوار الناصرى والتجمعي.

- **لكــن الدعــوة إلـــى جــبهة وطنية وحوار دعوة قديمة فمتى - فى نظرك - تستجيب لها الأحزاب السياسية ؟**

–عــندما يتبــنى أحد الأحزاب السياسية هذه الأفكار بقوة ويعمل ناشطا على تجمــيع بــاقى القوى السياسية حولها لأننا بحاجة لاجتماع كل الأحزاب حول هذه الأفكــار خاصــة وأن أعضــاء لجــنة الدفاع الديمقراطية ليسوا إلا افرادا يمثلون توجهــات سياســية شتى لكنهم ليسوا كيانات تنظيمية وإذا كانت الأحزاب ضامرة وهزيلة فبسبب البيئة المحيطة بها فلا يمكن لأى حزب أيا كانت مبادئه أن يزدهر وتكون له قاعدة شعبية فى ظل المناخ المقيد للحريات .

- **لكــن الإخــوان المسلمين وهم جماعة محظورة استطاعوا تجاوز هذا المناخ والتحموا بالجماهير وشكلوا قاعدتهم الشعبية ؟**

– الإخوان لهم مزايا لا تتمتع بها باقى الأحزاب الشرعية وهى المساجد وهم يعملــون داخلهــا لتجمــيع الشباب حولهم دون حاجة إلى تصاريح أمنية مثل باقى الأحــزاب الشــرعية التى تحتاجها لمجرد عقد اجتماع علاوة على ميزة أخرى فى نشــاطهم وهـــى قدرتهم على تقديم خدمات اجتماعية فنية وتعليمية للمطحونين من الشعب المصرى بسبب إمكانياتهم الهائلة التى لا تتوفر لسواهم.

- **كيف ترى مستقبل الاقتصاد المصرى فى ظل حالة التهميش الواسعة لقطاعات كبيرة من المصريين بما فى ذلك الطبقة الوسطي؟ هل نحن مقبلون على أزمة اقتصادية كبيرة بعد تعويم الجنيه الذى تحفظت عليه ؟**

– لــم أعــترض علـــى تحرير العملة لكننى كنت أرى أنها عملية تحتاج إلى سياســات أخرى مصاحبة لكى نتجنب الآثار الجانبية السلبية وأنا انطلق من قناعة راســخة بــأن الــنظام الحــالى غير قادر على تحقيق التنمية والأخذ بيد الطبقات المطحونــة الـــتى ســتظل فريسة لمجموعة من المتربحين الذين يشكلون أهم قوة اقتصـــادية والطريقة الوحيدة لمواجهة هذا التطور فى حياتنا السياسية والاقتصادية

هــو أن يحدث تغيير ديمقراطى حقيقى لا أقول ابعدوا هؤلاء لكننى أقول إن عليهم فقط الالتزام بمقتضيات النظام الديمقراطى .

• كيف تنظر إلى مستقبل أى كيان اقتصادى عربى فى ظل الديكتاتوريات القائمة ؟

– لا مستقبل على الإطلاق ما دامت كل العلاقات الاقتصادية وحتى السياسية العربــية مرتهــنة بالعلاقــات الشخصية للسادة الملوك والرؤساء وليس بتفاعلات الشــعوب والمؤسسات وبالتالى تظل الديمقراطية التى تمثل الشعوب لا الأفراد هى السبيل الوحيد لنجاح أى تجمع عربى سياسى أو اقتصادى .





د. سليمان العسكرى

تكتسب شهادة هذا الرجل أهمية خاصة ليس فقط لأنها تصدر من موقع جغرافى يتماس مع الجغرافيا العراقية إلى حد التداخل بل والتماثل وليس فقط لأنها تأتى من مسئول كويتى سابق يشتبك تاريخ بلاده وحاضرها بل ومستقبلها مع تاريخ وحاضر ومستقبل الشعب العراقي، ولكن أيضاً - وبالأساس - لأنه مثقف عربى فذ مغمور ـ حتى النخاع ـ فكراً وممارسة فى جيشانات الحركة الوطنية والقومية العربية صعوداً وهبوطاً، نصراً وهزيمة، طموحاً وإحباطاً ولأنه من فرط ولعه بالمسألة العراقية يكاد يكون باحثاً متخصصاً فى الشأن العراقي، إنه الدكتور سليمان العسكرى الرئيس السابق للمجلس الوطنى الثقافى الكويتى ورئيس تحرير مجلة العربى الكويتية التى ساهمت فى صياغة عقل عدد من الأجيال العربية.

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

- عليك أولاً أن تضع بعين الاعتبار فى قراءتى لمشهد سقوط بغداد أنى أنطلق مــن موقــع جغرافى مختلف ألا وهو الكويت أى أن رأيى ربما يختلف كثيراً عن غيرى ممن يعيشون ويحللون بعيداً عن موقع الحدث خاصة أننى بصفتى كويتياً قد عانيت كثيراً من نظام البعث السابق فى العراق كما أن دراسة ما جرى فى العراق خــلال ربع القرن الماضى قد شغلت الحيز الأكبر من اهتماماتي، لذلك فإن قراءتى لســقوط بغــداد مــرجعها خلفية الواقع العراقى خلال الثلاثين عاماً الماضي، وفى تقديرى أن الذى أدى لهذا السقوط السريع هو فراغ سلطة الدولة فلم تكن هناك دولة حقيقــية فــى العــراق وإنما نظام أمنى يدير شئون البلاد بطريقة أمنية صرفة بل أستطيع القول إنه لم يكن فى العراق مجرد مشروع دولة ولو قارنا ما بين الذى كان فــى بغــداد قــبل مشــهد السقوط مباشرة وبين ما كان موجوداً فى العراق خلال الثلاثينــيات والأربعينــيات والخمســينيات سنجد أن هذه الحقبة الأولى قد شهدت مشــروع دولة قائمة على نظام معين فيه تراتبية فى السلطة وانتخابات تجرى كل أربع أو خمس سنوات ينتج عنها مجلس نيابى ومن ثم تتشكل الحكومة وكان هناك ديــوان للمحاسبة وميزانية معلنة للدولة وإلى جانب ذلك كله كان هناك الملك، وإذا قلنا بأن تلك الفترة قد شهدت تأسيس النواة الأولى لمشروع الدولة بعد تحرر العراق مــن التبعية للدولة العثمانية ثم تحرره من الاحتلال البريطاني، فإننا نقول أيضاً إن تلك النواة قد تحولت فى عهد النظام البعثى إلى ما أسميه «شيء أمني» حيث يدير كــل شئون الدولة رجل واحد وبإرادته المنفردة دون استشارة أحد أو الاستناد إلى مرجعيات مؤسسية يتخذ فيها القرار بشكل مؤسسى لا فردى ووصل الأمر إلى حد أن صدام حسين كان الشخص الوحيد الذى يعرف حقيقة دخل العراق المالى السنوى والوحــيد الذى يتحكم فى كيفية صرف ميزانية الدولة، كما كان صدام هو الشخص الوحــيد الــذى يتخذ قرار الحرب أو وقفها وانتهى الأمر إلى أنه كان الوحيد أيضاً الــذى اتخــذ قــراراً بالتنازل عن أراضى الدولة فى شط العرب للغير بعد حرب اســتمرت ثمانى سنوات وراح ضحيتها مليون عراقى وإيراني، لذلك أقول لم تكن

فى العراق دولة أو مؤسسة قادرة على إدارة شعب بحجم الشعب العراقى ولكن كان هناك شعب مقهور لا يملك أى سلطة ولا حتى سلطة الرأى واختصر الأمر برمته فى شخص صدام حسين الذى سخر كل وسائل الإعلام لتمجيده ومدحه فقط، وعمل على محاصرة أى صوت مختلف أو نغمة نشاز إلى حد أنه كان يحكم بالإعدام على كـل مـن يمتلك جهاز استقبال للقنوات الفضائية «الدش» ويسجن من يضبط معه جهاز التليفون المحمول.

وقـد أدى هذا الوضع إلى انهيار التعليم والقيم وانتشار الفساد والرشوة وزيادة نسـبة الفقـر، لذلك كله وجد الأمريكيون سهولة فى دخول بغداد دون أدنى مقاومة وهـنا نذكر أن المقاومة العراقية العشائرية غير المنظمة قتلت فى عام «١٩٢٠» أكـثر مـن «١١ ألـف» جـندى إنجليزى فيما لم يتجاوز عدد القتلى فى صفوف الأمريكيين والإنجليز فى هذه الحرب «١٥٠» قتيلاً بل إننى أتصور أن الأمريكيين قد فوجئوا بهذه السهولة التى دخلوا بها بغداد بالنظر لحجم الآلة العسكرية العراقية التى تكونت خلال سنوات حرب الخليج الأولي.

إن سـقوط بغـداد على هذا النحو وعلى أيدى قوات أجنبية يعد فاجعة للعرب جميعاً فقد كنا نأمل فى الكويت طوال السنوات العشر الماضية أن يسقط نظام صدام حسـين وأن يتحرر شعب العراق من ظلمه بأيد عربية وبعمل عربى مشترك بعيداً عن أيدى الغزاة لكن العرب كعادتهم التزموا الصمت بل وتعاملوا مع صدام حسين تجاريـاً ونفطـياً وداخل جامعة الدول العربية رغم أن كل الدلائل خلال السنوات الماضـية كانت تشير إلى حتمية التدخل الأجنبي، لقد أحبطت الأنظمة العربية آمال الشـعب العـراقى فى الخلاص من طغيان صدام الذى قتل ودفن كل من فكر فى مقاومـته وفـر من العراق على مدار عشرين عاماً أكثر من أربعة ملايين مواطن بيـنهم علمـاء وأطباء ومهندسون وأساتذة جامعات منتشرون فى أمريكا وأوروبا والعـالم العربى بل إن أهم الأدباء والروائيين والشعراء العراقيين نبغوا فى المنفى ولـك أن تعلـم أن أكثر من مائتين وخمسين شاعراً عراقياً من أهم شعراء العرب كـانوا يعيشون فى المنفى هرباً من بطش صدام وأعتقد أن هذا العقل العراقى الذى

ظــل منفــياً طيلة العقود الثلاثة الماضية هو الضمانة الوحيدة لإعادة إحياء العراق وعودته قوياً إلى المنظومة العربية.

- **تحدثــت معظم التكهنات والتوقعات عن سيناريو الصفقة والخيانة فكيف ترى المشهد من الكويت المطلة على العراق ؟**

– لقد انبنى الجهاز الأمنى الذى أسسه صدام على الارتزاق لذلك فإن أعضاءه إما مجموعة من المتربحين من النظام أو مجموعة ممن ارتبطوا بالنظام خوفاً منه وهــؤلاء وجــدوا أنهم ليسوا طرفاً فى هذه المعركة الخاسرة إذ كيف يدافعون عن نظام كانوا يتكسبون منه وهو الآن فى طريقه إلى الزوال فتخلوا عنه بكل بساطة، والمشــهد الحالى فى العراق يؤكد عدم وجود اعتراضات حقيقية على وجود قوات أجنبية ولكن وجود تساؤلات عن سبب وتأخر عملية إعادة البناء والإصلاح وإيجاد فرص عمل وحل المشاكل اليومية، وهذا هو ما يشكل جوهر الاعتراضات الشعبية واعتراضات بعض أطراف القوى السياسية التى كانت ضمن التحالف الأمريكى – البريطانى على طريقة أداء إدارة الاحتلال.

- **لكــن المقاومــة العراقــية فى تصاعد ملفت حتى أن «تومى فرانكس» القائد الســابق لقــوات الاحــتلال صرح بأن القوات الأمريكية أصبحت تتعرض إلى عشــرين أو خمسة وعشرين هجوماً عسكرياً يومياً، فكيف تنظرون إلى هذه المقاومة ؟**

– القوتان المنظمتان والقادرتان على قيادة مقاومة عسكرية منظمة ضد قوات الاحــتلال همــا الأكــراد والشيعة بأحزابهما التاريخية والعريقة أما بقية العراقيين فليســت لديهــم أى تنظــيمات مؤهلة لقيادة مثل هذه المقاومة، أما ما يحدث الآن ونحسبه مقاومة فتقوده مجموعات من ضباط الجيش الذى تم تسريحه مؤخراً بقرار أمريكى وهو القرار الذى يدرك الأمريكيون الآن مدى خطئه فهؤلاء القادة وجنودهم مــن الحرس الجمهورى وغيره كانوا يتمتعون بمزايا ونفوذ السلطة ورواتب عالية وفجأة حرموا من كل ذلك بسبب القرار الأمريكى بحل الجيش وهم فى ذات الوقت

يمتلكون كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة والذخائر التى عجز الأمريكيون حتى الآن عـن جمعها وحصرها فقرروا استخدامها ليس بهدف المقاومة ولكن بهدف البحث عـن مكان لهم فى الحياة العراقية وإجبار الأمريكيين على التفاوض معهم لإفساح المجـال لهـم فـى عـراق المسـتقبل. وفى تقديرى أن هذه المقاومة لن تستطيع الاسـتمرار طويـلاً لأنها تفتقد الاحتضان الشعبى لها بل إن الشيعة الذين يشكلون الغالبـية العظمـى مـن الشعب العراقى يقفون موقفاً محايداً من هذه المقاومة وقد طالبهم زعيمهم محمد باقر الحكيم بالاكتفاء بالتظاهر السلمى دون اللجوء للعنف فى مقاومـتهم للاحـتلال خـلال الفـترة الحالية على الأقل، كما أن انسحاب القوات الأمريكية الآن سيحول العراق إلى صومال جديد.

- **كـيف تقيم موقف دول الخليج وعلى رأسها الكويت من نظام صدام حسين؟.. وهـى التى أيدته فى حربه ضد الثورة الإسلامية فى إيران واعتبرته حارس البوابة الشرقية بل ودفعت له ثمـن استمراره فى هذه الحرب ثم ها هى الآن تدفع للأمريكيين ثمن الخلاص منه ؟.**

- هـذه هـى لعـبة السياسة ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن موقف فكرى وعقائدي، ومن الطبيعى أن تتعامل الأنظمة السياسية بمنطق المصلحة حيث تتقلب وتتغير فيه السياسة من ظرف إلى ظرف، وصدام أيضاً مارس لعبة السياسة بشكل انتهازى ومتقلب وفقاً لمصلحته.

- **لكـن ألا تـرى أيضـاً أن المثقفين شاركوا الأنظمة السياسية نفس الموقف والدور، وهو ما تجلى فى الروايات والأشعار التى كتبت عن صدام وكتبت له أيضاً؟**

- لا أستطيع إنكار حقيقة أن غالبية المثقفين والإعلاميين فى دول الخليج كانوا يـنظرون لصـدام حسين باعتباره آخر ما تبقى من العصر الذهبى للحركة القومية والناصرية والوطنية وكانوا يرون فيه أملهم الأخير، واستطاع صدام استغلال تلك

الحالة فى إقناع هؤلاء المثقفين بأن الثورة الإيرانية هى التى بادرت إلى الاصطدام به للقضاء على هذا الأمل العربى الوحيد المتبقى من العصر الذهبى لحركة القومية العربـية لذلك وقف المثقفون فى الخليج إلى جانب صدام فى حربه ضد إيران ومع ذلك فليس من الموضوعية استبعاد إرث هواجس الخوف لدى الخليجيين من إيران الذى خلفه «نظام الشاه» السابق على الثورة الإسلامية حيث كان يطالب يومياً مثلاً بضم البحرين باعتبارها جزءاً من إيران واستولى على الجزر الإماراتية الثلاث فى الخلـيج العربى وطالما هدد العراق وتنازع معه على تقسيم شط العرب، وفى ذات الوقـت لم تكن ملامح الثورة الإيرانية قد اتضحت بعد ورفع الجناح المتطرف فيها شـعار تصدير الثورة الإسلامية إلى العراق والخليج باعتبارهما مناطق شيعية مما أوجـد نوعـاً مـن الرعب فى نفوس الخليجيين إزاء الثورة الجديدة وقتذاك، لذلك الـتحموا مع صدام فى حربه ضد إيران وقد دفعوا له مليارات الدولارات بلا حدود وعلـى الأخص من السعودية والكويت والإمارات وهذه المبالغ أدرجت الآن ضمن ديون العراق لهذه الدول.

- **لكـن الـثورة الإسـلامية فـى إيـران بادرت بإعلان موقفها الداعم للقضية الفلسطينية والعربية ووقوفها ضد المخططات الإمبريالية الأمريكية فى المنطقة بيـنما كـان صدام حسين يمارس سياسة البطش والقتل ضد شعبه ويخوض حربه ضد إيران بدعم أمريكي ؟!**

- بالطـبع ذلـك الموقف الداعم لصدام من قبل المثقفين كان يعبر عن نظرة قاصرة لكن دعنى أقول إن هذا الموقف لم يكن قاصراً على مثقفى الخليج لكنه كان موقف معظم المثقفين العرب الذين كانوا أصحاب الصوت العالى وقتها، وهذا يعنى وجـود قطاع آخر من المثقفين العرب لم يكن صوته مسموعاً وهنا أذكر أننى كنت واحداً من المثقفين الكويتيين الذين لم يتعاطفوا مع صدام حسين وانتقدنا حربه ضد الثورة الإسلامية فى إيران واتهمنا وقتها مرة بالعمالة لإيران ومرة أخرى بالخيانة، وكـنا نطالب الأنظمة العربية باحتضان الثورة الإيرانية بسبب موقفها العدائى تجاه إسـرائيل والمؤيـد للشعب الفلسطينى لكن صوتنا كان خافتاً أمام الأصوات العالية

المؤيـــدة لصدام والتى اتضح لها فيما بعد أنه خاض تلك الحرب خوفاً على زعامته للمـــنطقة وخشية من استمرار مد الثورة الإسلامية فقد كان صدام يخطط كى يكون بديلاً لجمال عبدالناصر فى المنطقة العربية.

- **تلـــك المخاوف الخليجية القديمة من تصدير الثورة الشيعية فى إيران أين هى الآن مـــن احتمالية فوز الأغلبية الشيعية وتمثل ٦٠% من الشعب العراقى فى حالة إجراء انتخابات ديمقراطية نزيهة فى العراق ؟**

– مـــثل هذه المخاوف لها وجود حقيقى لدى قطاعات كبيرة فى بعض مناطق الخلـــيج حيث يخشى من أن يشكل الشيعة فى العراق مستقبلاً حلفًا مع إيران يهدد مصـــالح دول الخليج، وإن كنت أرى أن العراق الشيعى مختلف تماماً عن الإيران الشـــيعية فـــرغم مرحلة الفوضى التى يمر بها العراق الآن.. فقد برز فى كربلاء والـــنجف تيار شيعى عراقى عربى يؤكد عروبة العراق وانفصاله عن المرجعيات الشيعية الإيرانية بل وهددوا الفصائل الشيعية الأخرى فى العراق التى مازالت تتخذ مـــن إيـــران مرجعياتها الدينية.. بأنهم لن يتخذوا المرجعية للشيعة العراقية طالما أصروا على ارتباطهم بإيران، كما أن ٩٥% من شيعة العراق ينتمون لقبائل عربية ومـــازالوا مرتبطين بتنظيماتهم القبلية والعشائرية أى أن الشيعة العراقيين الذين هم مـــن أصل إيرانى يمثلون قلة وسط الأغلبية العربية.. ومدرسة الصدر هى مدرسة شـــيعية عربية فى النجف، ثم إن معظم زعماء الشيعة العراقيين يؤكدون الآن على أن العراق سيتجه نحو الدولة المدنية لا الدولة الدينية المذهبية، والأهم من ذلك كله أن شيعة العراق أنفسهم لديهم هواجس ومخاوف كبيرة من إقامة دولة شيعية عراقية خشية أن تلعب اليد الإيرانية فيها وتحاول فرض هيمنتها عليها.

- **كـــيف تـــرون مشهد الفوضى الحادثة فى العراق الآن والتى يبدو أن الولايات المتحدة تستخدمها فى تأجيل الحل النهائي ؟!**

– الولايـــات المتحدة لا تؤجل الحل ولكنها تتعثر فى طريقها إليه.. والفوضى الحادثـــة الآن هى أمر طبيعى بعد انهيار نظام ديكتاتورى كان الناس فيه يتنفسون ويأكلون بأوامر منه.. وفجأة يسقط دون وجود بديل مباشر له ولقد كان من المتوقع

أن تحدث بلبلة وفوضى تفوق الواقع الحالى بعشرات المرات، وكانت معظم التكهنات تتحدث عن وقوع حرب أهلية بين السنة والشيعة فور سقوط صدام حسين حيث كانت السنة يده الباطشة فى اضطهاد الشيعة ومع ذلك لم تحدث هذه الحرب ولم يحدث أن قتل مواطن عراقى واحد سنى بسبب طائفى أو مذهبى أو حتى ثأر باعتباره يد صدام الباطشة.. والأمر ذاته بالنسبة للعرب السنة والأكراد حيث استخدم السنة أيضاً فى قمع انتفاضة الأكراد عام ١٩٩١، وفى ارتكاب المذابح والمجازر الهائلة التى كشفت عنها المقابر الجماعية سواء فى الجنوب أو الشمال، ومع ذلك كله أثبت العراقيون وعيهم بجوهر قضيتهم الوطنية ولم يرفعوا الأسلحة فى وجه بعضهم البعض رغم بذور العداء المذهبى والعرقى الذى زرعه صدام حسين بينهم.

- **لكن الإدارة الأمريكية المدنية فى العراق برئاسة بول برايمر عملت على تأجيل موعد انعقاد المؤتمر الوطنى العام الذى ستنبثق منه الحكومة الوطنية المؤقتة شهراً بعد شهر!!**

– نعم حدث ذلك لأن القوى السياسية العراقية الوطنية التى من المفترض أن تعقد هذا المؤتمر لم تتفق حتى الآن على برنامج عمل مشترك.. كما أنها لا تتمتع بوجود كبير فى الشارع العراقي، ولا وجود حقيقى ومنظم فى الشارع العراقى إلا للحزبين الكرديين الكبيرين وهما الاتحاد الوطنى الكردستانى والحزب الديمقراطى الكردستانى وحزب المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الشيعى الذى يرأسه محمد باقر الحكيم أما باقى القوى والأحزاب السياسية فهى قوى غير منظمة لأن نظام صدام حسين عمل على تصفيتها وملاحقتها على مدار الـ ٤٠ عاماً الماضية وقتل أو سجن كل من ينتمى إليها أو يحاول إعادة بنائها وتنظيمها، ومع ذلك فلا يمكن الحديث عن عملية إصلاح وإعادة بناء مجتمع بكامله بعد مرور شهرين فقط على انهيار نظام استمر أكثر من أربعين عاماً وعمل على تفريغ المجتمع من كل الحركات الفكرية والسياسية التى من الممكن أن تصنع بديلاً فى لحظة السقوط.. كما أن الميزانيات المطلوبة لإعادة بناء وترميم البنية التحتية

كالكهــرباء والمــاء وتوفــير فــرص العمل وإعادة تشغيل الموظفين غير متوفرة والأمريكــيون يدفعون الآن من جيبهم الخاص فى هذه العملية لكن ذلك غير كاف، وحــتى إذا تحسن إنتاج النفط العراقى خلال عام قادم فلن يتجاوز معدل ٣ ملايين برمــيل فــى اليوم، ووفقاً لأسعار النفط الحالية والتى تعتبر معقولة نسبياً فإن هذا المعدل لا يكفى إلا لتسيير الحياة اليومية مثل دفع رواتب الموظفين وتوفير الخدمات للمواطنيــن لكنها لا تكفى أيضاً لعملية إعادة البناء والإصلاح، فالعراق يحتاج إلى مليارات الدولارات لاتمام مثل هذه العملية والأمريكيون عاجزون عن توفيرها.

- **هل هذا يعنى إطالة أمد الاحتلال ؟!**

– لا أحد يستطيع توقع ما سيحدث فى العراق بالضبط وكيف ستتطور الأمور فيه، ولكن يبقى أن هذا الأمر يتوقف بالأساس على العراقيين أنفسهم ومدى قدرتهم على تنظيم صفوفهم فى أسرع وقت ممكن وخاصة عراقيى المهجر فإذا عادت منهم أعداد كبيرة من الأطباء والمهندسين والسياسيين والعلماء وشرعوا فى إعادة تنظيم الحــياة المدنية فى العراق فسوف تسرع هذه العملية بإعادة احياء البنية المجتمعية والسياســية فى العراق وهذا ما سيحدد مستقبل العراق ومصيره وسيحدد كم ستبقى القــوات الأجنبــية على أراضيه، وحتى إذا قرر الأمريكيون أن يظلوا فى العراق عشــر سنوات فسيظل قرارهم هذا مجرد كلام لأن من يعرف الشعب العراقى حق المعــرفة يدرك تماماً أن هذا الشعب لن يحتمل العيش تحت سلطة الاحتلال كل هذا الوقت فليست هذه طبيعة العراقيين.

- **وعلى ذكر الاحتلال الأمريكى للعراق ماذا عن القواعد العسكرية الأمريكية فى الكويــت وبــاقى دول الخليج والتى يعتبرها البعض شكلاً من أشكال الاحتلال المباشــر خاصــة أن الولايــات المــتحدة دخلت المنطقة لتحرير الكويت من الاحتلال العراقى ثم أبت إلا أن تكون بديلاً له ؟!**

– دعــنى أقول أولاً أن أهم وأكبر القواعد العسكرية الأمريكية التى بنيت فى منطقة الخليج بعد طرد صدام من الكويت كانت فى قطر، أما باقى القواعد الأخرى

الموجـــودة فى البحرين وفى السعودية فوجودها قديم وقبل احتلال الكويت من قبل صــــدام وقــبل ٢ أغسطس ١٩٩٠ وهو تاريخ احتلال الكويت لم يكن فى الكويت جـندى واحـــد أجنبى حتى أثناء التدريبات العسكرية وبعد التحرير وانتهاء مرحلة إعـــادة الاعمـــار بقيت قاعدة عسكرية أمريكية صغيرة فى الكويت لا يتجاوز عدد جنودها أكثر من ٣ آلاف جندى أمريكى معظمهم من الفنيين.

- **أى أن الولايات المتحدة رفضت الرحيل.. وهذه القاعدة ممثلة للهيئة العسكرية الأمريكية ؟!**

– لم ينته هاجس الإحساس بالخطر من وجود نظام صدام حسين لدى الكويتيين نظاماً وشعباً طيلة الثلاث عشرة سنة الماضية وكان جميع الكويتيين يشعرون بخطر يومـــى وكان صدام يطلق تهديداته بضم المحافظة التاسعة عشر «١٩» كل عامين وكـــان يصر على نغمة أن الأجيال القادمة من العراقيين لن تسكت عن حق العراق فى الكويت.

- **لكنـــنا جمـــيعاً شـــهدنا عمليات فدائية قام بها مواطنون كويتيون ضد الجنود الأمريكيين المتواجدين على أرض وطنهم الكويت ؟!**

– هـــذه الحــــوادث قامـــت بها تنظيمات إسلامية معروفة موجودة فى الكويت والســـعودية وهى التى قامت بتفجيرات الرياض والخبر وليس يخفى على أحد أنها جماعـــات تابعـــة لتنظيم القاعدة وزعيمة أسامة بن لادن وأنها تأسست إبان حرب أفغانســـتان فى الثمانينيات، ومن المعروف أيضاً أنهم شباب جندوا أساساً لمحاربة الســـوفيت فـــى أفغانستان ثم عادوا لبلادهم العربية ورفعوا شعار محاربة الولايات المـــتحدة.. وجزء كبير مما يسمى الآن بالمقاومة العراقية ينتمى إلى هذه الجماعات وأغلبهم ليسوا عراقيين فمنهم العرب والأفارقة والباكستانيون والأفغان المتطوعون.

- **أعلنت السعودية ضيقها بالقواعد العسكرية الأمريكية ومارست ضغوطاً أفضت إلى نقل القاعدة الجوية من أراضيها إلى أراضى دولة قطر فمتى تعلن الكويت**

ضيقها من القواعد العسكرية الأمريكية خاصة أنه قد تم استئصال نظام صدام حسين مصدر تهديد استقرارها ؟

– أعتقد أنه بمجرد استقرار الأوضاع فى المنطقة ستبادر جميع الدول العربية إلى مطالبة الولايات المتحدة بسحب جميع قواتها المتواجدة فى كل الأقطار العربية سواء فى العراق أو دول الخليج.. وهناك أكثر من تصريح رسمى صدر عن مسئولين كويتيين أكدا أن القوات الأجنبية لن تبقى على أراضى الكويت ولا أتصور أنه ستكون هناك مشكلة بين دول الخليج والولايات المتحدة بشأن انسحاب قواتها وتصفية قواعدها العسكرية فى المنطقة.

- **كيف تثمن مقولة بعض المثقفين عن نشوء حاجز نفسى بين الكويت وباقى الشعوب العربية بعد حرب الخليج الثانية صنعه التواجد العسكرى الأمريكى طيلة الثلاث عشرة سنة الماضية وكرسه اليوم احتلال العراق عبر الأراضى الكويتية؟**

ـ كل بلد عربى مر بظروف معينة تصرف دائماً حسب مصالحه، والكويت عندما تعرض للاحتلال وتحول شعبه إلى مجموعة من اللاجئين فى أكثر من ٣٠ دولة تصرف وفقاً لمصلحته خاصة أن الدول العربية لم تستطع مجتمعة إيجاد مجرد أمل لحل لذلك الواقع المرير، وبالتالى كان من حق الكويت أن تلجأ للاستعانة بالقوى الأجنبية لتستعيد استقلالها واستقرارها الذى عجز العرب عن حمايته وإعادته.. وهنا أقول إن الرئيس السادات عندما زار إسرائيل وعقد معها اتفاقية صلح لم يسأل ما هى مصلحة العرب وإنما اهتم فقط بمصلحة مصر وهذا من حقه.

نحن لا نتحدث عن المصالح العربية المشتركة إلا كعنوان مجرد من أى مضمون فلا توجد مصالح مشتركة بين الأنظمة والدول حتى هذه اللحظة، لكن المؤكد أن هناك مصالح مشتركة بين الشعوب العربية لا تستطيع تحقيقها بسبب تضارب وتناقض مصالح أنظمتها.

- **لكننا سمعنا أصواتاً كويتية علت مؤخراً داخل البرلمان الكويتى ورفعت شعار الكويـت للكويتييـن!! بـل وتردد أن بعض أعضاء الحكومة الكويتية راحوا يهـددون الدول العربية بقطع المساعدات والقروض التى كانت تدفعها الكويت لهم؟!**

– بدايـة نحن فى الكويت لدينا نظام ديمقراطى وأعضاء منتخبون فى مجلس الأمة ولديهم حصانة.. ولا يستطيع أحد مهما كان أن يمنعهم من التعبير عن أنفسهم وعن وجهات نظرهم.. وهناك تيار شعبى فى الكويت لديه احساس قوى بأن العرب ظلمـوا الكويتيين لحساب صدام حسين بل إن العرب وقفوا إلى جانب صدام حسين ودعمـوه مـنذ تحريـر الكويـت وحتى سقوط نظامه ولم يطبقوا ضده أى عقوبة والمفارقـة أن العـرب طردوا مصر من جامعة الدول العربية عندما عقد السادات اتفاقـية الصلح مع إسرائيل ولم يتخذوا موقفاً مماثلاً ضد صدام حسين عندما احتل دولـة عربية مستقلة عضواً فى جامعة الدول العربية وعضواً فى الأمم المتحدة بل واسـتمرت بعـض الصحف العربية والشعراء والأدباء يمدحون ويمجدون صدام حسـين، كـل هذا خلق حالة نفسية لدى الكويتيين وتساءلوا لماذا تخلى عنا العرب رغم أننا لم نتخل عنهم أبداً وفى تقديرى أن هذه الحالة لا تخرج عن كونها رد فعل سـرعان مـا سينتهى مع الوقت، أؤكد هنا على حقيقة أن الكويت دولة عربية وأن التيار العروبى متغلغل فى الشارع الكويتي، وسرعان ما تذوب فيه كل الحساسيات التى نشأت كرد فعل لأحداث سياسية طارئة.

- **كـيف تـرى مستقبل الفكر القومى العربى فى ظل الأنظمة العربية المستبدة القائمة على اشتداد الفردية ؟**

– فـى رأيى أن القومية العربية هى هذا الكيان والتكتل لهذه الأمة الموجودة بثقافتها المشتركة وبهذا المعنى فإن القومية العربية لن تنتهى أبداً، وأكبر دليل على ذلـك تلـك الحروب الكبيرة التى خاضتها دول هذه الأمة ضد بعضها البعض ومع

ذلــك لــم تنته هذه الأمة ولم تسقط فكرة قوميتها ويعنى تلاحمها الذى قد يزيد تارة ويقــل تــارة أخري.. وأعتقد أننا بعد سقوط صدام حسين دخلنا مرحلة اضمحلال الســلطة الفــردية فــى العالم العربى ومن لم يصلح نفسه بيده فسوف يفرض عليه الإصلاح بيد أجنبية.

- **لكن هل تعتقد أن هذه الأنظمة التى اعتادت الاستبداد مستعدة للتنازل ومن ثم التغيير الحقيقى نجد الإصلاح الديمقراطي ؟**

– أعــتقد أن مــا جرى فى السعودية ممكن أن يعتبر مثلاً على بداية خطوات التغيــير.. فمــا حدث هناك يعد ضخماً جداً فهناك طرح حقيقى لرؤية جديدة نحو الإصـــلاح تتماشـــى مـــع الواقع غير أنه ليس من الموضوعى أن نتصور مجتمعًا ديمقراطياً فى السعودية على غرار ديمقراطية لبنان.

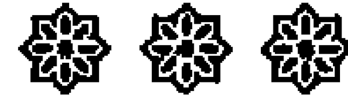
ودعنى أقوى هنا فى العالم العربى نحتاج إلى تحول هادئ وبطيء ومقسم إلى مراحل لأن التحول الفجائى لا يفضى إلا إلى نكسات كبيرة وخاصة فى المجتمعات الخليجية.

- **ألا تــرى أنـــك تكرر نفس ادعاءات الأنظمة الاستبدادية حول ضرورة التغيير البطيء خوفاً من القلاقل والانقلابات والفوضى لينتهى الأمر إلى تجميد وتكبيل أى خطوة نحو التحول الحقيقي ؟!**

– لا يمكننا أن ننكر أن هناك تحولات حقيقية حدثت وما حدث فى الكويت من تحــول ديمقراطى حقيقى يعد نموذجاً، ومن يعرف المجتمع الكويتى جيداً قبل العهد الديمقــراطى الحديــث الذى لم يتجاوز عمره ٤٠ عاماً يدرك حجم التحولات التى حدثــت وعلينا أن ندرك أن كل تحول يواجه عثرات وأن النظام الديمقراطى يعمل علـــى إصـــلاح ذاته تلقائياً عبر آلياته ، ولقد حدثت تحولات ديمقراطية أخرى فى البحرين ومؤخراً فى قطر التى أعطت المرأة حق الانتخاب.

- **وهــل يمكن إقامة ديمقراطية حقيقية فى ظل نظام قبلى وعشائرى يعتمد على حكم الأسرة؟**

– نعــم من الممكن وإلا فما هو البديل هل هو نظام مثل صدام حسين يفرض استبداده وطغيانه بحجة أن العراق مجتمع عشائرى وقبائلى وبالتالى لا تصلح معه الديمقراطية.. لا حل أمامنا إلا اللجوء للتحول الديمقراطى ضمن الكيانات الموجودة فأنــت لا تستطيع إلغاء كيان القبيلة أو العشيرة بقرار لكن التطور الاجتماعى الذى تحدثه الديمقراطية هو الوحيد الكفيل بإذابة القبيلة والعشيرة وتحويل ولاء المواطن من قبيلته وعشيرته إلى وطنه الكبير.





ضياء الدين داود

على الرغم من أن كل حقائق التاريخ تؤكد أن هذا الرجل محض صورة نقية لرجال ثورة يوليو والتيار القومى والناصرى صعوداً وهبوطاً، وزيراً ومعارضاً، إلا أنه متهم دائماً ممن نصبوا أنفسهم مرجعيات نحسبها هشة لناصرية مدعاة بأنه يقود حزباً يمينياً رغم أن أحداً منهم لم يكن على يساره قط ممارسة وأطروحات وهو متهم أيضاً بأنه ذو ميول سلطوية رغم أن عقله منفتح على نقدهم وحزبه مفتوح لشراذم كوادرهم ذات الميول الإسلامية وهو فى كل هذا يرفض أن يعتبر نفسه أو حزبه ممثلاً وحيداً للفكر الناصرى قانعاً بلقب السياسى وبدور المحامي. إنه ضياء الدين داود رئيس الحزب العربى الديمقراطى الناصرى وأمين عام المؤتمر القومى العربى الذى اعتبر أن تشبيه صدام بجمال عبد الناصر كرمز للمواجهة مع الصهيونية والإمبريالية مبالغة ممقوتة لا تخرج إلا عن دب قرر أن يقتل صاحبه مشدداً على أن رفضه للعدوان الأمريكى وتغيير الأنظمة العربية الاستبدادية بقوات

أجنبية لا يعنى بالضرورة إغفال المسئولية الحقيقية التى تقع على عاتق نخب دولة ما بعد الاستقلال فيما جرى وفيما سيجرى لاحقاً.

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

- لحظـــة الســـقوط كانت من أفجع اللحظات التى مرت بى لأنها جاءت لتعيد العالم مرة أخرى لعهود الاستعمار الغربى الذى كان قد استشرى فى أفريقيا والوطن العربي، وإن كان أقل بشاعة من الاستعمار الأمريكى الحالى فاحتلال بغداد ما هو إلا مقدمـــة لاحـــتواء الوطن العربى وإخضاعه واستغلاله بجميع الأشكال السياسية والاقتصـــادية لخدمة الأغراض الأمريكية والصهيونية التى سبق التخطيط لها منذ سنوات بعيدة.

وإذا كانت احتمالات الخيانة وعقد الصفقات لإسقاط بغداد واردة فإن المؤكد أن خبـــث المســـتعمر الأمـــريكى قد بدا جلياً فى التعامل مع هذه الأحداث ليكشف أن الاستعمار القديم كان أكثر شرفاً لأن غايته وأهدافه كانت محدودة ومعروفة كما أن الجانـــب الإنسانى والثقافى لازمة كما هو الحال فى الاستعمار الفرنسى الذى ترك بصـــمات ثقافية ملموسة على الشعوب التى احتلها وفى المقابل تغيب هذه العوامل عن الاستعمار الأمريكى الذى يغلب عليه طابع الاستغلال الكامل لثروات الشعوب، بالإضـــافة إلى أنه استعمار تقف وراءه إسرائيل وقوى الصهيونية العالمية فيما لم يرتـــبط الاســـتعمار القديم بالمصالح الصهيونية والإسرائيلية بأهدافها الخبيثة التى تسعى لتمزيق الأمة العربية.

والدلـــيل علـــى ذلـــك أن الدول العربية أثناء وقوعها تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى والفرنسى كانت قادرة على اتخاذ مواقف عربية مشرفة وواضحة، بل إن مصر مثلاً استطاعت أن تشارك وهى تحت الاحتلال الإنجليزى بجيوشها فى حرب ٤٨ وفـــى ظل الاستعمار الأمريكى الحديث والتلويح بالضغوط الأمريكية ها نحن نعجز عن اتخاذ موقف مستقل وعقلانى لمواجهة ما يجرى .

- **لكن البعض يرى أن إسقاط نظام ديكتاتورى مثل نظام صدام حسين كان مستحيلاً بدون قوة عسكرية هائلة مثل قوة الولايات المتحدة الأمريكية بالنظر إلى كم المجازر والجرائم التى ارتكبها فى حق الشعب العراقى ؟**

– قد يرى الكثيرون أن إسقاط نظام صدام حسين إنجاز مهم لكننى أقول إن إسقاط نظام صدام ليحل محله احتلال أمريكى أمر مرفوض حتى إذا كان من يحكم العراق هم شياطين الأرض فلا يمكن المساواة بين إزاحة حاكم وطنى مهما كانت درجة ديكتاتوريته باحتلال العراق ونهبه من قبل القوات الأمريكية كما يحدث الآن، ومهما كان طغيان صدام حسين، فالعراق فى نهاية الأمر دولة مستقلة وبها جوانب تقدم علمى وتكنولوجى واقتصادى .

أما الآن وهى تحت الاحتلال الأمريكى فقد أصبحت دولة ممزقة يفرض عليها التخلف والضعف ، بل والتخلى عن جيشها الوطنى والوقوف إلى جانب المصالح الصهيونية.

- **ألا ترى أن مثل هذا الكلام يصب فى خدمة الأنظمة الاستبدادية ويخدم شعار يعيش العراق والعراقيين مش مهم ؟**

– وهل تطالبنى إذن برفع شعار الغاية تبرر الوسيلة ؟

هذا الكلام مرفوض ، فالشعوب وحدها هى القادرة على تغيير أنظمتها الاستبدادية وهى الوحيدة المكلفة بهذه المهمة حتى يكون التغيير لصالح الشعب لا لصالح المستعمر الأجنبي، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها هى التى كرست مثل هذه الأنظمة الاستبدادية عندما كان ذلك يخدم مصالحها كما فعلت مع نظام الشاه فى إيران، بل إنها هى التى دعمت نظام صدام حسين فى حربه ضد إيران، ثم إن صدام حسين على كل مساوئه وبرغم طغيانه استطاع الحفاظ على وحدة العراق وإذابة كل الحساسيات الطائفية والإثنية التى تطفو اليوم على السطح فى ظل الوجود الأمريكى والتى تهدد بتفتيت العراق إلى عدة دويلات صغيرة تديرها الصهيونية العالمية، كما أن ثروات العراق أصبحت تحت أمر السيد

الأمريكي يوزعها هنا وهناك بينما كانت في الماضي ملكاً للشعب العراقي حتى لو نهب نظام صدام وأعوانه نصفها.

- **كيف تنظر إذن إلى مفهوم الاستعمار الوطني الذي طرح مؤخراً على خلفية جرائم ومجازر صدام حسين ونهبه هو وحاشيته لثروات الشعب العراقي على نحو لم يشهد له التاريخ مثيلاً ؟**

– هذا الطرح ليس جديداً، فقد عانت مصر أثناء وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي والإنجليزي من مثل هذه الدعاوى التي روج لها العملاء وهي تعبر في حقيقتها عن النزعات الاستعمارية للقوى الطبقية المهيمنة التي كانت تروج للاستعمار بالدعاية لإنجازاته الحضارية والثقافية وأنت إذا ما خيرت أي مواطن عراقي بين نظام صدام حسين وقوات الاحتلال الأمريكية فمن المؤكد أنه سيرفض الاحتلال كبديل لنظام حكم وطني مهما كانت درجة طغيانه كما أنه سيرفض أيضاً القبول باستبداد نظام صدام.

- **إذن كيف تقيم مسئولية بورجوازية دولة ما بعد الاستقلال عن عودة الاستعمار بشكله الكولونيالي القديم ؟**

– لا يمكن إعفاء هذه النخب أو البورجوازيات كما تسميها من مسئوليتها عن عودة الاستعمار مرة أخري، لكن لا ينبغي أن نذهب بالحديث عن هذه المسئولية إلى حد تفضيل المستعمر كبديل لها ودعنا نحاول تقييم الأمر على نحو أعمق. فجميع أدبيات السياسة الأمريكية السابقة على عهد جورج بوش الابن والتي نشرت في الكتب والصحف تذكر أن العدوان على العراق هدف استراتيجي للولايات المتحدة وكان سيحدث بغض النظر عن طبيعة النظام الحاكم في العراق ديكتاتورياً كان أو ديمقراطياً فهذا العدوان ببساطة يحقق المصالح الأمريكية ومصالح الصهيونية العالمية التي تقف وراء العقل الأمريكي المدبر له والتي عملت طويلاً على تشويه الوجه العربي وإبرازه ضعيفاً وعاجزاً عن حل مشاكله والخلاص من تخلفه بحيث يصبح وضعه تحت وصاية وولاية الاستعمار أمراً مشروعاً وطبيعياً

لإنقــاذه مــن الــتخلف. وإذا كان هدف الاستعمار القديم هو توفير معطيات ثورته الصــناعية وحضارته على حسابنا كما فعلت إنجلترا وفرنسا فإن الولايات المتحدة تريد اليوم أن تفرض هيمنتها وسيادتها على العالم بما فى ذلك دول الاستعمار القديم الــتى يحتمل أن تخاطر بالعودة إلى حلبة المنافسة الاستعماريةوهى لا تخصنا نحن فــى الشرق بهذه السياسة لكنها تستخدمنا كجزء من آليات تحقيقها لهيمنتها المطلقة إلى جانب محاولتها لاستخدام العولمة فى فرض هذه السيادة على الجميع.

- **بصفتك رئيساً لحزب معارض ألا ترى أن النخب المثقفة والتيارات المعارضة فــى العــالم العربى قد تخلت عن دورها الرئيسى فى إصلاح مجتمعنا العربى والتصدى لاستبداد النخب الحاكمة ؟**

– لا أنكــر هــذه الحقيقة، بل وأضيف أن الشعوب العربية تعيش الآن أقسى لحظات التخلف والتراجع فهى لم تقاوم الاستبداد ولم تبذل التضحيات اللازمة لتنال الحد الأدنى من حقوقها ونحن الآن إزاء تخلف شعبى لم نشهد له مثيلاً لكن كل ذلك لا ينبغى أن يكون مبرراً لمعاملة هذه الشعوب معاملة المريض الميئوس من شفائه ولا عــلاج إلا المــوت، فهــذه اللحظة تشهد أيضاً ضعفاً غير مسبوق فى النخب الحاكمــة لــيس ضــعفاً فى قدرتها، بل إنه ضعف فى إرادتها وإحساسها الوطنى والقومي. إنه ضعف معنوى وداخلى جعلها عاجزة عن المواجهة حتى بالكلمة وهى لا تكــتفى بتقاعســها عــن مواجهة الأطماع الاستعمارية، بل جعلت الحديث عن الاســتعمار مشــجباً تعلق عليه مبرراتها لغياب الديمقراطية وهذه هى أهم أمراض مجتمعاتنا العربية الحالية وهنا أقر بأننا فى مرحلة ضعف شامل للحكام والمحكومين لــم نشهده من قبل فالملك فاروق نفسه قاوم – فى لحظة من اللحظات – الاحتلال الإنجليزى وعبدالناصر استطاع أن يحرك جميع الشعوب العربية بالميكروفون وأن يجعــل مــنها قــوة لا يستهان بها يضعها الحكام العرب فى ميزان حساباتهم عند اتخــاذهم للقــرارات وهذه هى ميزة عبدالناصر الحقيقية التى يغفل عنها الكثيرون وانظــر كيف تحرك العالم العربى كله إبان حرب ٥٦ مع عبدالناصر المعادى لكل النظم العربية فى ذلك الحين بينما لم يحرك هذا العالم ساكناً عندما احتلت العراق إن

ارتكاز عبدالناصر على الشعوب العربية كقوة ضغط فى مواجهة الأنظمة المتخاذلة دفعت تلك الأنظمة لاتخاذ مواقف إيجابية مع مصر بعد نكسة ٦٧ فقد استجابت جميعها لدعوة عبدالناصر لعقد قمة عربية بعد الهزيمة فيما عجزت الأنظمة الحالية عن أن تدعو ثلاثة رؤساء للاجتماع فى موقف لا يقل تعقيداً عن موقف ٦٧.

- **على ذكر الملك فاروق كيف تثمن مقارنة البعض بين قبول النخب العراقية إزاحة نظام صدام حسين بأية وسيلة حتى لو كانت القوات الأمريكية وبين قبول مصطفى باشا النحاس رئاسة الحكومة على أسنة الحراب البريطانية إثر حادث فبراير ٤٢ ؟**

– ما جرى فى ٤٢ قضية مختلفة تماماً، فمصطفى النحاس كان زعيماً لحزب الوفد وهو – بلا شك – حزب الأغلبية الذى كان يعبر عن القطاعات العريضة من الشعب المصرى وكان ينجح دائماً فى الفوز بالأغلبية فى كل الانتخابات التى خاضها، ومصر كانت واقعة – بالفعل – تحت الاحتلال الإنجليزى كما أن الحرب العالمية الثانية كانت فى أوج اشتعالها والقوات الألمانية موجودة فى العلمين وإنجلترا لا وقت لديها للتهاون والملك كان فى أقسى وأقصى لحظات ضعفه ولا يحتمل أية ضغوط إضافية، كل ذلك جعل الكلمة العليا للموقف العسكرى وهو ما أخذه مصطفى النحاس باشا بعين الاعتبار. ومن وجهة نظرى الشخصية فإن رفض النحاس تولى رئاسة الحكومة يعنى عزل الإنجليز للملك فاروق وتعيينهم حاكماً آخر بدلاً منه، من هنا رأى النحاس أن قبوله برئاسة الوزارة هو الحل الأمثل إتقاءً لمخاطر أكبر متعلقة باستقلال مصر والدور الذى يمكن أن يلعبه الإنجليز فى ذلك الحين كما أن ظروف الحرب جعلت الإنجليز يلجأون لمصطفى النحاس لتمتعه بالأغلبية، ومن ثم قدرته على التحكم فى حركة الجماهير وهو ما أدركه النحاس باشا وبناءً عليه اتخذ قراره الذى أعتقد فى صحته فالمخاطر التى كانت ستنجم عن رفضه أكبر بكثير وأشد ضرراً بحكم ظروف الحرب المعقدة وقتئذ، أقول هذا رغم أننى لم أكن – وقتها – وفدياً وإنما كنت منتمياً للحزب الوطنى القديم بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد لكننى لا أستطيع القبول بهذه الحسابات فى حالة العراق

فقد كانت – قبل الغزو الأمريكى – دولة مستقلة ذات سيادة ولم تكن تحكمها سلطة أجنبية كما كان الحال فى مصر عام ٤٢ حيث كانت الدبابات البريطانية تحاصر قصر عابدين .

الفارق بين الحالتين – شاسع وكبير فالقوى العراقية التى جاءت على أسنة الحراب الأمريكية تمت تربيتها فى الأحضان الأمريكية وارتبطت مصالحها بمصالح الولايات المتحدة بينما كان النحاس باشا رجلاً وطنياً وزعيماً للأغلبية التى كانت تجيء دائماً إثر انتخابات حقيقية ولم يكن مدعياً أو مرتبطاً بمصالح بريطانية.

- **لكن القوى والتيارات السياسية الوطنية العراقية ذات الجذور التاريخية كالتيار القومى وحتى الحزب الشيوعى وحزب الدعوة الإسلامى والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية كلها تتعامل مع سلطات الاحتلال ؟**

– نعم لكن بشروطهم التى لم يقبلها الأمريكيون لذلك تم استبعادهم فهم يريدون العمل لحساب استقلال شعبهم لا لحساب المحتل لذلك رفضوا أن يضعوا أيديهم فى أيدى الأمريكيين ثم إن هناك فرقاً بين أن أتدخل لإنقاذ شعبى والحفاظ على استقلاله وبين أن أدخل كأداة من أدوات الاستعمار الأمريكي.

- **لكن صدام لم يترك أمام القوى الوطنية وأحزاب المعارضة العراقية بديلاً آخر فقد رفض عرضاً من الحزب الشيوعى وحزب الدعوة الإسلامى لعقد مصالحة وطنية تقوم على أساس المشاركة السياسية فى نظام حكم ديمقراطى وعودة جميع أطراف المعارضة فى الخارج لمواجهة الغزو الأمريكى ؟**

– ليس من الطبيعى – بالنسبة لى – أن أدافع عن صدام، فهو لم يحظر – فقط – الأحزاب الناصرية بل حاكم وأعدم القيادات الناصرية فى العراق ومن ثم فمن الطبيعى إذن أن أتخذ حياله موقفاً مضاداً لكن الطبيعى أيضاً كمواطن عربى وقارئ للتاريخ أن يتقدم رفضى للعدوان الأمريكى قائمة أولوياتى خاصة أن الأهداف الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة العربية واضحة وضوح الشمس.

- **هـنا دعـنا نسألك هل يمكن الحفاظ على الاستقلال الوطنى دون الحفاظ على إنسانية وكرامة المواطن ؟**

– نعم ، ممكن لكنه سيكون وقتها استقلالاً ناقصاً ومعرضاً لأن يتأثر بسهولة بـأى خلـل كما يحدث اليوم وقد يؤدى إلى عودة الاستعمار كما حدث فى العراق وإلـى عـودة الفوضى لكن ذلك كله لا يبرر التعاون مع الأمريكيين ضد أنظمتنا الحاكمـة المعـروفة باسـتبداديتها فمحاربتى لها ومقاومتى ضدها وحملى السلاح لتغييرها يكون فقط لحسابى وحساب شعبى لا لحساب قوات الاحتلال.

- **كـيف يمكـن – فى رأيك – أن نحل المعادلة الصعبة التى نشأت عن ارتباط مواجهة الاستعمار ارتباطاً شرطياً بغياب الديمقراطية ؟**

– بعـيداً عـن الشـعارات والحمـاس المبالغ فيه علينا أن ندرس أولاً مسار الديمقراطـية فى الدول والمجتمعات التى تتباهى بها فتاريخ أوروبا قد شهد – على سـبيل المـثال – مراحل متعددة عانت فيها تلك الشعوب من الاستغلال والاستعباد وغاصـت فـى بحـار من الدماء وصولاً إلى الديمقراطية فيما لم يحدث هذا فى مجتمعاتنا العربية حتى الآن .

الديمقراطية إذن ليست «طبخة» يتم إعدادها بمقادير معينة ثم تُقدم على المائدة علـى طبق من فضة.. إنها ثقافة وتطور اجتماعى طبيعى عميق الجذور ونحن – للأسـف – لا نعرف الديمقراطية حتى اليوم ولا نستطيع أن نجادل بعضنا البعض ولا نحترم الرأى الآخر رغم أن القبول بالآخر واحترامه من أبجديات الديمقراطية ومع ذلك لا تخجل الأنظمة العربية من المحيط إلى الخليج من أن تصف نفسها بأنها أنظمـة ديمقراطية وأنا أتساءل لماذا الحديث فقط عن ديكتاتورية صدام فى العراق فهـل هـناك ديمقراطية فى سوريا أو السعودية أو قطر أو البحرين أو الكويت أو إيـران أو مصـر وسـائر الـدول العربية فى شمال أفريقيا.. نحن نعيش مرحلة حضـارية مـتخلفة يزور فيها كل شيء حتى انتخابات مجالس الآباء فى المدارس والـنوادى الرياضـية الـتى طُعن فى معظم انتخاباتها بالتزوير والأمر ذاته داخل

النقابات المهنية فحتى هذه التنظيمات الأهلية – التى تضم نخبة من المثقفين – تشهد ممارسات استبدادية لأننا لم نعتمد الديمقراطية كأسلوب حياة فإنك لا تكاد تجد أسرة تعلم أبناءها احترام الرأى الآخر عبر حوارات صحية. إن الديمقراطية سلوك حياة وليست صناديق انتخابية فقط.

- **فـى هـذا السياق كيف تُقيم المرحلة الليبرالية التى عاشتها مصر قبل ثورة يوليو ؟**

– أريـد أن أتسـاءل هـنا عـن عـدد السنوات التى عاشتها مصر فى ظل الديمقراطـية قـبل الثورة فحزب الوفد صاحب الأغلبية بلا مراء لم يحكم إلا سبع سـنوات منذ عام ١٩٢٣ وحتى قيـام الثورة عام ١٩٥٢، فأين هى الديمقـراطية إذن ؟ وأذكـر أن أحـد المرشحين فى محافظة الدقهلية ظل يخوض الانتخابات مع أحـزاب الأقليات دون أن يحقق أى فوز ومع آخر انتخابات عام ١٩٥٠ دفع مبلغ خمسـة آلاف جنـيه ورشـح نفسـه باسـم حزب الوفد واستطاع وقتها الفوز فى الانتخابات .

- **لكن مصر عرفت – وقتها – التعددية الحزبية التى أوجدت نوعاً من الحيوية فـى الشـارع المصـرى والتـنافس على هذا الشارع بين أحزاب مثل الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين مصر الفتاة وغيرها ثم جاءت الثورة لتقضى على هذه التجربة كنواة لحياة ديمقراطية أنضج؟**

– هـذه الحياة التعددية كانت بدائية جداً ثم إن الثورة لم تقتلها أو تقض عليها، بـل قامـت بتطويرها نوعياً بإتاحتها الفرصة لإسهام وفكر سياسى جديد يعبر عن قوى سياسية كانت مهمشة وبعيدة عن الحياة السياسية التى كانت تسيطر عليها قبل الـثورة – حسـب الإحصاءات – ما يقرب من مائة عائلة فقط، لقد فتحت الثورة الـباب لكـل فـئات المجتمع المحروقة وأعادت لها حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصـادية حتى أننى أصبحت أرى اليوم قضاة ومحامين ومستشارين وقيادات حزبـية ينتمون لأسر لم تكن تأمل – قبل الثورة – أن يخرج من بين أبنائها حتى خفير نظامي.

ثـم إن هذه هى الثورة التى اصطلح على تعريفها فى كل القواميس السياسية بأنهـا التغيير بالقوة لا بالديمقراطية أو الاستفتاء فهى ببساطة عبارة عن مجموعة «المتآمرين» إذا نجحوا، فنحن إزاء ثورة وإذا فشلوا تحولوا إلى مجرمين وحوكموا وعوقبوا بتهمة التآمر، ولا يمكن بهذا المعنى أن يجرى استفتاء لنزع الأراضى من كبار الملاك لإعادة توزيعها على الفلاحين، ولكن دعنى أقول إن فكرة الديمقراطية بمعناها التعددى لم تغادر ذهن جمال عبدالناصر خاصة أن جزءاً كبيراً من مكونات الـثقافة السياسية لدى عبدالناصر يعود لجولاته بين الأحزاب التى كانت قائمة قبل الثورة ومنها حزب مصر الفتاة والإخوان المسلمين وتعاطفه مع حزب الوفد وغيره وشـأنه فـى ذلك شأن أبناء جيله والجيل الذى تلاه وكان يعتقد أن الثورة ضرورة لإحداث تغييرات اجتماعية جذرية تهيئ مناخاً صحياً لديمقراطية أفضل خاصة أن الديمقراطـية الحقيقية لا يمكن أن تقوم فى ظل إقطاع يستغل الناس ويستذلُّهم وفى ظل توزيع سيئ للثروة وحرمان قطاعات كبيرة من حقها فى التعليم والعمل وتولى وظـائف كبيرة، ومن ثم فإن عبد الناصر كان يهيئ مصر لحياة ديمقراطية تعددية حقيقـية، لكنه كان ينتظر اللحظة التى يتحقق فيها قدر كبير من المساواة السياسية والاجتماعية وتكافؤ الفرص لذلك حرص على تخريج جيل جديد من أبناء الطبقات الـتى فـرض عليها الفقر والجهل والمرض والتى حرمت من المشاركة فى الحياة السياسـية حـتى لا يكون التمايز بين أبناء الوطن على أساس معايير الفنى والفقر ولطالمـا طرح عبد الناصر فكرة الحزبية من حين لآخر والتنظيم الطليعى جاء فى هـذا السـياق لأنه كان يريد تأسيس حزب للثورة يكون قادراً على المنافسة عندما يعلن عن السماح بوجود أحزاب أخرى مختلفة وهذا الكلام قاله عبد الناصر علانية ومثبـت فى وثائق الثورة لكن الظروف التى حكم فيها عبد الناصر لم تكن سهلة أو ميسـرة فهو لم يكمل حلقات المساواة والعدل الاجتماعى فى مصر بالشكل المناسب كمـا أنـه لـم يحقق المناخ الملائم على المستوى العربى والذى يكون قادراً على احتضـان الثورة وحمايتها هذا بخلاف الحروب المتلاحقة التى دخلها عبد الناصر والضغوط الأمريكية التى استنفدت جهداً كبيراً ولم تكف للحظة.

• **فـــى هذا السياق كيف تنظر إلى هذا التشبيه الذى أشاعه البعض مؤخراً بين عبد الناصر وصدام حسين من حيث أن كليهما رمز لمواجهة الامبريالية ؟**

– هـــو نوع من المبالغة الممقوتة التى تذكرنى بقصة الدب الذى قتل صاحبه من حيث أراد أن يهش عن وجهه ذبابة وهنا دعنى أقول إن أعداء عبد الناصر فى مصـــر – للأسف الشديد – أكثر بكثير من أعدائه فى الوطن العربى رغم هذا الكم الهـــائل من الإصلاحات الداخلية التى قام بها فى مصر وأذكر أن «أولبرت» زعيم ألمانـــيا الشرقية حملنى عندما كنت فى زيارة إلى هناك رسالة إلى عبد الناصر قال فـــيها: قل لعبد الناصر لا يفرح كثيراً بأبناء الطبقات التى انتشلها من الفقر والجهل والمرض ووضعها فى صدارة المجتمع لأنه سوف يكون من بينهم من يعاديه عداوة تفـــوق عـــداوة أبـــناء الطبقات التى قضى عليها ما لم يثقفهم طبقياً ويجعل ولاءهم للطـــبقات التى نشأوا فيها وللأسف هذا هو ما حدث فقد انفصل أبناء هذه الطبقات عـــن أصـــولهم إذ لم يسعف الوقت عبد الناصر والثورة للقيام بهذا الدور التثقيفى ولذلـــك فـــإن معظم من يهاجمون عبد الناصر الآن فى الصحف والمجلات هم من أبناء تلك الطبقات رغم أن عبد الناصر هو الذى أوجدهم فى هذا المستوى المعيشى والطبقى وهو الذى مكنهم من الوصول إلى مناصبهم الجديدة .

• **كـــيف تثمن التجربة الناصرية الآن؟ وهل يحتاج الفكر الناصرى إلى مراجعة فى ظل معطيات الواقع الحالى ؟**

– التجربة الناصرية كانت مناسبة جداً ومطابقة للواقع الذى ارتبطت به أما إذا تحدثـــنا عن واقع مغاير فقطعاً سوف تشهد شكلاً من أشكال التغير خاصة أن تغير الظـــروف الاجتماعـــية والسياسية محلياً وإقليمياً وعالمياً يقتضى بالضرورة إعادة الـــنظر فـــى الفكر الناصرى حتى يتلاءم مع المتغيرات الجديدة ويصبح قادراً على مواجهـــتها وهذا أمر طبيعى مع الوضع فى الاعتبار أن التجربة الناصرية تجربة إنسانية أى أنها لا تخلو من السلبيات، كما أنها لا تخلو من الإيجابيات وعبد الناصر نفســـه أقر مبدأ إعادة النظر فى «الميثاق»، كل عشر سنوات لإعادة تقييم الجوانب

التطبيقـــية المتغيرة والنظرية الثابتة لمعرفة ما هو القابل للتغيير والتطور وما هو قابل للثبات.

- **كـــيف تـــرى مستقبل القومية العربية بعد سقوط بغداد فى ظل ارتفاع النعرات القُطرية ؟**

– الإسلام ازدهر فى أوقات وانحسر فى أوقات أخرى وهُزم ونُصر ومع ذلك لم تتغير قيمه ولا قرآنه ولا سنته ولا رسوله ولا أئمته ولا تعنى هزيمته إلا عزوف المســلمين عـــن الأخـــذ بأســـباب الحضارة والتقدم وانكفاءهم على الكتب القديمة وابتعادهم عن الاجتهاد وإعمال العقل أى أن العيب ليس فيه وهو أمر ينسحب على القومية العربية فلا يعنى هزيمة العرب وتفرق حطامهم أن نبحث عن قومية أخرى أو أن ننسى عروبتنا فليس هناك ما يجمع العرب سواءً فى الماضى أو الحاضر أو المســـتقبل إلا الفكـــر القومي، ثم إن الفكر القومى هو فى جوهره فكر استراتيجي، فالأمن القومى لأى بلد عربى مرتبط بالأمن القومى العربى لكل بلدان هذه المنطقة مـــن هذا المنطلق ذهب عبد الناصر إلى الجزائر واليمن وقوى روابطه مع القوى السياســـية فى مختلف البلدان العربية ونحن فى أشد الحاجة اليوم أكثر من أى وقت مضى لتطبيق القومية العربية التى لا شك فى نتائجها على جميع الأصعدة السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية وها هى أوروبا قدمت لنا نموذجاً عندما أسست الاتحاد الأوروبـــى غـــير أن خـــروج الفكر القومى العربى من الإطار النظرى إلى حيز التطبـــيق لا يتأتى إلا فى ظل أنظمة عربية ديمقراطية تستجيب لإرادة شعوبها فى الاتجـــاه نحـــو التكامل القومى العربى ففكرة القومية العربية فكرة أصيلة ومرتبطة بالأمن العربى السياسى والاقتصادى والعسكرى وهى ضرورة لمواجهة دولة قارة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى الصين أو الهند وعناصرها لم تتوافر لأى قومية أخرى ، فالعرب معظمهم ينتمون لجنس واحد تقريباً أو متقارب وتجمعهم لغة واحـــدة وحضارة واحدة ولديهم دين واحد يجمع أغلبيتهم وأعتقد أنها الملاذ الوحيد أمام العرب للخروج من مأزقهم الحالي.

- **لكـــن هـــناك مـــن يـــرى أن بعض من يرفعون شعارات القومية العربية الآن ينطلقون من مقولات عروبية عنصرية تضطهد الأقليات العرقية الموجودة فى وطنـــنا العـــربى مـــثل الأكراد فى شمال العراق وهم مثال صارخ للاضطهاد العنصرى الذى مارسه نظام البعث العروبى ضدهم ؟**

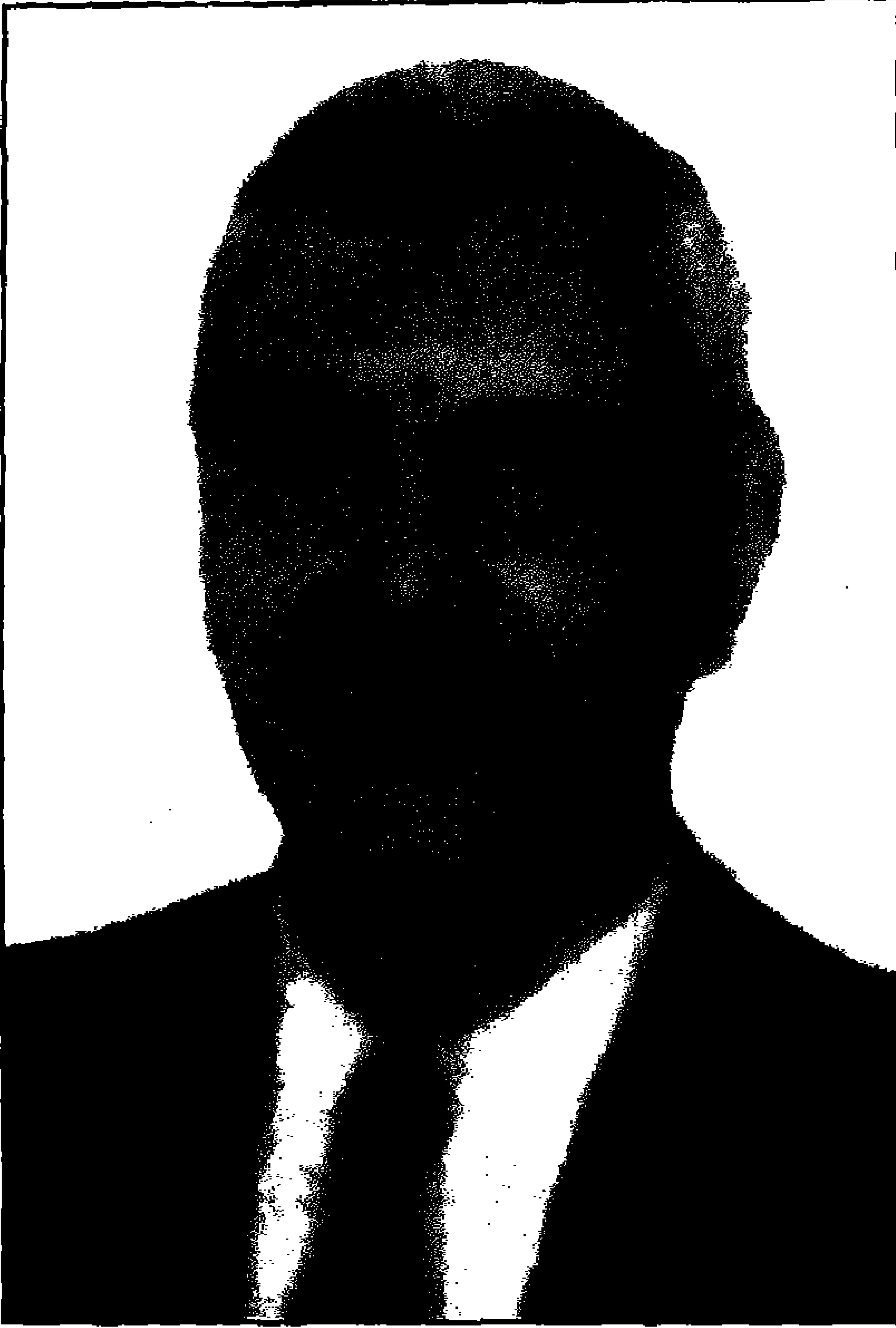
- هـــذه مبالغة كبيرة فالأكراد مضطهدون فى تركيا وغيرها أكثر من العراق واحترامـــنا لخصوصية الأكراد وثقافتهم ولغتهم لا يعنى - بأية حال - أنهم ليسوا مواطنيـــن عراقييـــن فالأرض قاسم مشترك في المواطنة بين الجميع مهما اختلفت أعـــراقهم أو أديانهم كما أن الأكراد كانوا دائماً جزءاً من المجتمع الإسلامى الممتد من المحيط، حيث المغرب حتى الخليج وبلاد العراق وحدود فارس ولم تكن لديهم هـــذه الـــنعرات العرقية أو إحساس بالغربة فهى نزعات لم تظهر إلا بسبب طبيعة أدوات الحكم والسيطرة والاضطرابات الخاصة بالنظام الحاكم .

ولقد أكد لى زعماء أكراد كثيرون تمسكهم بعراقيتهم وقالوا نحن عراقيون قبل أن نكون أكراداً ومع ذلك لا يوجد هناك ما يمنع منحهم حكماً ذاتياً يضمن لهم قدراً من الاستقلال فى إدارة شئونهم الداخلية وفقاً لخصوصيتهم.

- **قرأنا وسمعنا فى السنوات الأخيرة عما سمى بالتيار القومى الإسلامى ، فكيف يمكن المزج بين النقيضين ، فالقوميون يتحدثون عن منطقة بعينها ممتدة من المحيط إلى الخليج فيما تتسع رؤية الإسلاميين إلى العالم كله ؟**

- لا أرى ضرراً فى مثل هذا التحالف مادام سيتعامل كلاهما بسماحة المفكر، حيـــث الـــرأى بالرأى والحجة بالحجة ونتفق أو نختلف دون تعصب ولا ينبغى أن نضـــع جبلاً من العداء بين كلا التيارين لمجرد أن أحدهما مهموم بالمنطقة العربية مـــن المحيط إلى الخليج وأن الآخر يذهب برؤيته إلى العالم كله فالشيوعيون مثلاً كانوا يقولون وينادون بوحدة الطبقة العاملة فى العالم حتى أن بعض الشيوعيين فى مصـــر كـــانوا يرون العامل الصهيونى المحتل للأراضى العربية أقرب إليهم من المواطـــن العـــربى الذى يشاركهم فكرهم ، المهم أن يجرى حوار بالعقل يبتعد بنا جميعاً عن التعصب والتزمت .





د. عبد المنعم أبو الفتوح

رغم أن تاريخها ممتد عبر ٧٥ عاماً، مازال شبح اللامشروعية يطارد جماعة «الإخـــوان المسلمين» لكنها نجحت فى استثمار هذا الشبح وجعلت منه وقوداً يثرى وجودها، ويزيد من قواعدها الجماهيرية فى امتداد جغرافى واسع.

غير أن هذا الامتداد شكل مصدراً للقلق والمخاوف لدى النظام السياسى جعلته يستغل ارتكاز الجماعة على الدين فى جعلها فزاعة فى وجه باقى التيارات السياسية والفكـــرية، تهـــدد أى إصلاح ديمقراطى ودستورى خاصة أن بعض تلك التيارات تعـــتقد أن الجماعـــة تؤمن بديمقراطية المرة الواحدة، وعلى الجانب الآخر يثير رد فعـــل الجماعة إزاء تلك المخاوف الذى يتمثل فى تكتلاتها إما داخل أحزاب كما فى الماضـــى فى حزبى الوفد والعمل وكما يحدث الآن داخل النقابات المهنية عدداً من التســـاؤلات المشروعة حول استثمار الجماعة للدين فى جذب أنصارها السياسيين واحـــتكاره بتبنيها شعار الإسلام هو الحل الذى طرح بدوره تساؤلات أخرى حول

مـــا يميز الجماعة فى برنامجها السياسى إزاء القضايا الاجتماعية والاقتصادية عن بـــاقى الأحـــزاب وتمـــتد المخاوف من رفع هذا الشعار إلى حقيقة إيمان الجماعة بمفردات الديمقراطية مثل حرية الإبداع والتفكير والتعبير عن الرأى .

كـــل هـــذه القضـــايا وغيرها ناقشناها مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح أحد الـــرموز اللامعة والجديدة التى تعبر عن فكر الإخـــوان وتوجههم ، وعضو مكتب الإرشاد فى الجماعة وأمين عام اتحاد الأطباء العرب والذى طرح فى البداية وجهة نظـــر الإخوان فيما جرى ويجرى فى العراق وفيما أثاره من إشكاليات على العقل العربى والمسلم .

- **كـــيف تـــنظر إلـــى مجلس الحكم الانتقالى فى ظل الموزاييك العراقى الطائفى والإثني ؟**

– المؤكد أن من يحكم العراق عملياً وفعلياً هو سلطة الاحتلال الأمريكي، لذلك لا أرى أن المجلـــس المؤقـــت يمثل إشكالية حقيقية ، فهو لا يحكم العراق كما أن أعضــــاءه لـــم يأتوا عن طريق الانتخاب الديمقراطى الحر حتى نستطيع القول بأنه المعـــبر الحقـــيقى عـــن الشعب العراقى وإن كان مثل فى تكوينه معظم الطوائف والإثنـــيات العراقـــية مـــن أكراد وعرب وتركمان وسنة وشيعة، بل إنه مثل أيضاً مخـــتلف القـــوى السياسية والتيارات الفكرية من إسلاميين ويساريين وغيرهم لذلك لا أرى مـــن المناســـب أيضاً التشكيك فى وطنية أعضائه أو فى ولائهم المخلص للعراق ولا أتفق مع من يقذفون أعضاءه بتهم الخيانة والعمالة غير أنهم لا يحكمون العـــراق، وبالـــتالى لا تصبح مسألة الاعتراف بالمجلس من عدمه قضية ذات بال فنحن إزاء قضية أهم وهى وقوع العراق تحت الاحتلال الأمريكى المباشر، الذى لم يـــف حتى هذه اللحظة بوعوده التى أطلقها قبل الحرب عن أنه سيأتى بالديمقراطية والحـــرية للعراقيين بعد إسقاط نظام صدام حسين، فما حدث فى واقع الأمر لم يكن مجرد إسقاط النظام وإنما تدمير كامل وشامل للدولة العراقية واستئصال لمؤسساتها لأن إسقاط النظام كان من الممكن حدوثه بطريقة أبسط مما جرى .

من هنا أقول إن المجلس الانتقالى ليس إلا امتداداً لسلطة الاحتلال التى فرضته على الشعب العراقى أى أنه لا يمثل العراقيين مثلما كان صدام حسين لا يمثلهم أيضاً، وهذا لا يعنى كما أشرت تشكيكاً فى ولاء أو وطنية أعضائه .

- **لكن المجلس المؤقت يتمتع بصلاحيات إدارة شئون العراق وتعيين الوزراء، بل إن سلطة الاحتلال أعلنت أنها ستوكل مهمة الحفاظ على الأمن وضبطه للشرطة العراقية ومن ثم تصبح مسألة الاعتراف بالمجلس ضرورة لدعم مطالب العراقيين الوطنية ؟**

- نعم يتمتع المجلس ببعض الصلاحيات ولكن تحت مظلة حق الفيتو لسلطة الاحتلال على قراراته أى أن الكلمة النهائية للأمريكيين وليست للعراقيين.

كما أن الاقتصاد والبترول العراقى سيتم توجيهه بشكل كامل ليصب فى مصلحة الشركات الأمريكية التى تسعى لاحتكار معظم عقود إعادة الإعمار ومن ثم لا يمكن القول بأن الأمريكيين قد خاضوا هذه الحرب وأنفقوا عليها كل تلك المليارات من أجل مصلحة الشعب العراقي .

- **لكن الرياح لا تأتى دائماً بما تشتهيه السفن الأمريكية بدليل سعى الولايات المتحدة لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن يعترف بالمجلس الانتقالى ودعوتها للدول العربية بالمشاركة فى قوات حفظ السلام بالعراق ؟**

- فعلت ذلك الولايات المتحدة عندما شعرت بأنها فى ورطة حقيقية وهذا ما عبر عنه نائب وزير الدفاع الأمريكى بقوله إن الأمريكيين لم يحسنوا تقدير الموقف بعد سقوط صدام حسين فقد فوجئ الأمريكيون كما فوجئنا نحن أيضاً باشتعال المقاومة العراقية فى هذا الوقت القصير خاصة بعد تلك الصدمة التى تلقاها الشعب العراقى فى الشعارات التى كان يرفعها النظام السابق بالسقوط السريع عبر سلسلة من حلقات الخيانة وصفقات التسليح ، فلولا هذه المقاومة لما لجأ الأمريكيون للأمم المتحدة ولما وجهوا دعوتهم تلك

للـدول العربـية ولما طلبوا العون من الأوروبيين فالولايات المتحـدة كانت تريد الانفراد بالعراق.

- **على ذكر المقاومة هناك من يتحفظ فى تسميتها بالمقاومة الشعبية أو الوطنية خاصـة أنها لا تلقى احتضاناً من الشعب العراقى أو تأييداً من مختلف القوى السياسـية العراقية كما أن الشعب العراقى لم يبد أى مقاومة لقوات الاحتلال أثناء الحرب وتركوا النظام يسقط وحده ؟**

– ومـن قال إن الشعب العراقى كان من الممكن أن يدافع عن نظام مثل نظام صـدام حسين طالما عانى من استبداده وطغيانه فقد وجد نفسه أمام خيارين كلاهما سـيئ الاسـتبداد الوطـنى أو الاحـتلال الأجنـبى وللأسف هما نفس الخيارين المطروحين على المـواطن العربى الـذى لم تتح له الفرصـة أبداً لاختيـار نظام ديمقراطى وطنى حر.

لذلك لم يقاوم الشعب العراقى فى بداية الغزو، لأنه كان سيقاوم من أجل نظام مسـتبد ودكـتاتورى ، أما الآن فها هو يقاوم دفاعاً عن وطنه وحريته هو لا عن صـدام حسـين الذى خاض حرباً ضروساً ضد إيران طيلة ثمانى سنوات ثم غزا الكويت وبدد ثروات بلاده لا لشيء ، إلا لإرضاء شهواته ونزواته الشخصية .

إن المواطن العربى صار فى موقع المستغيث من الرمضاء بالنار فهذه النظم المستبدة المسلطة على رقاب العباد مرفوضة ويجب أن ترحل ولكن بأيدى الشعوب العربـية لا بصـواريخ المحتل الأجنبى فلا تاريخ الأمريكيين ولا أدبيات مفكريهم تقول إنهم يسعون إلى نشر الديمقراطية والحرية والعدالة فى العالم فهى التى دعمت هذه الأنظمة عندما كان ذلك يتفق مع مصلحتها.

لذلـك كلـه لا يوجد بديل أمام الشعوب العربية سوى المقاومة ودفع الدم ثمناً لحريـتها وإسـقاط تلـك الأنظمة الديكتاتورية التى تبيع شعوبها فى سوق النخاسة بأبخس الأثمان ولأنها أفقدت شعوبها القدرة على المقاومة فالشعب المستعبد لا يقاوم وما حدث فى العراق خير دليل على ذلك .

•في هذا السياق كيف تقيم مقولة بعض من يقارنون بين ما حدث في «١٩٦٧» وسقوط بغداد من أن إسرائيل فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي من الحرب رغم الهزيمة وهو إسقاط نظام جمال عبد الناصر ؟

– هــذا نــوع من الهزل الفكرى والسياسي ، فالهزيمة لا تكون فقط لشخص رئــيس الدولة ولكنها هزيمة الوطن والأمة وهذا ما حدث فى «١٩٦٧» ولا يمكن القــول بأن بقاء الحاكم واستمرار نظامه مرادف للنصر فلا يعنينا مصير أى حاكم لأن المهم هو مصير الوطن والأمة .

- **لكن المصريين جميعاً خرجوا إلى الشوارع فى مظاهرات عارمة رافعين شعار «لا تتنحى» ؟**

– لأنها ببساطة كانت جماهير مخدوعة ولا تعرف أنها قد نالت هزيمة قاسية، وكــان ذلــك بفضــل الإعــلام الناصرى الذى أسقط بصوت أحمد سعيد عدداً من الطائــرات يفــوق العــدد الذى تمتلكه إسرائيل لقد كانت هزيمة مهينة بسبب فساد قــيادات الجــيش المصــرى وقــتها وليس بسبب عدم وطنية المؤسسة العسكرية المصــرية فهــى مؤسسة عريقة وأصيلة لا يمكن التشكيك فى وطنيتها وهى نفس المؤسســة التى حققت انتصار «١٩٧٣» وهو الأمر ذاته الذى ينطبق على الجيش العراقــي، فالخيانة كانت من قيادات الجيش وليس جنوده وأفراده لذلك ليس مقبولاً الطعن فى وطنية هذا الجيش العربي.

- **نعود للحديث حول تحفظات البعض فى اعتبار العمليات العسكرية داخل العراق الآن مقاومة شعبية ووطنية ؟**

– بدايــة يبدو لى أن زعماء الأكراد والمرجعيات الشيعية لم تعتمد حتى الآن المقاومــة المســلحة بإعلانها اعتماد المقاومة السلمية فى هذه المرحلة ، غير أنهما لا يرفضان المقاومة المسلحة وكل ما هنالك أنهما لم يقررا اللجوء إليها بعد .

وفى المقابل اختارت السنة المقاومة المسلحة منذ اللحظة الأولى ولا يعنى هذا أن فلــول أو رجال صدام حسين هم الذين يقودونها إذ عن ماذا يدافعون ثم ألم يكن أحــرى برجال صدام الدفاع عنه أثناء الغزو ومن هنا لا يمكن نزع صفة الشعبية والوطنــية عــن هــذه المقاومــة ومحاولة ربطها بصدام حسين ليس إلا محاولة لتشويهها.

أما لماذا السُنّة بالذات فالسبب ببساطة لأنهم يفتقدون القيادة على عكس الشيعة فــى الجــنوب الذيــن يأتمرون بمرجعياتهم الدينية والأكراد الذين تخضع حركتهم لزعماتهم السياسية ولا يعنى هذا بالطبع أن الأكراد والشيعة راضون عن الاحتلال وإنما فقط رأوا تأجيل الخيار المسلح إلى حين.

وفــى هــذا السياق لا يمكننا الحديث عن دور تنظيمى لقيادات القوة السياسية فوجــود معظمها حتى الآن مازال رمزياً بســبب القهر والاضطهاد الذى تعرضت لــه طــيلة « ٣٥ ســنة » أثــناء حكم صدام حســين بما فى ذلك تنظيم الإخوان المســلمين الذى مازال يعد وجوده فى العراق رمزياً لا وجود حقيقياً وفاعلاً ، لذلك أتصــور أن تأجيل الخيار المسلح خاصة من قبل القوى الإسلامية ، بالإضافة إلى باقى القوى السياسية راجع فى الأساس إلى حاجة هذه القوة جميعاً وقتاً طويلاً حتى تتمكــن مــن إعـــادة لملم وتنظيم صفوفها لتكون قادرة على قيادة مقاومة مسلحة ومنظمة.

- **لكــن هــل تعــتقد أن المقاومــة المسلحة قادرة بالفعل على إزاحة الاحتلال الأمريكى رغم كل الآلة العسكرية المتقدمة التى يتسلح بها خاصة أن هناك من يرى أن المقاومة السلمية بأشكالها المتعددة بدءاً من التظاهرات وحتى إعادة تنظيم المجتمع المدنى قد تنجح فى تحقيق ما يفشل الخيار العسكرى أمامه ؟**

– مــادام هــناك احتلال عسكرى أجنبى يصبح من المستحيل تغييب المقاومة المسلحة لكن هذا بالطبع لا يلغى الدور الحيوى والفعال لكل أشكال المقاومة السلمية غــير أنها ليست قادرة على إجبار المحتل على الرحيل، فذلك لا يتحقق إلا بالخيار العسكرى الذى يضمن تحرير العراق وجعله مستقلاً.

- **كـيف يمكـن تصوّر عراق مستقل تماماً عن التبعية للهيمنة الأمريكية حتى لو خرج الأمريكيون تحت ضغط العمليات العسكرية فى ظل أمة عربية تخضع معظمها إن لم يكن كل أنظمتها للهيمنة الأمريكية بشكل أو بآخر ؟**

– المؤكد أن المقاومة المسلحة لا تكفى لتحقيق هذا الهدف ذلك أنها لم تؤد إلى تحريـر العراق من المحتل الأجنبي، أما إقامة عراق مستقل فيحتاج إلى إعادة بناء المجـتمع المدنـى وتقويته ونشر التثقيف والوعى الديمقراطى لإعادة بناء الإنسان العـراقى نفسـه وهذا لا يتأتى إلا فى ظل نظام ديمقراطى وطنى تم اختياره عبر انتخابات حرة.

لكـن المؤكد أيضاً أن الأمريكيين لم ينفقوا كل تلك المليارات ويدفعوا بأبنائهم إلـى المـوت ليتركوا العراق فى نهاية الأمر دون أن تكون فيه حكومة تعمل على خدمـة مصالحهم خاصة أن الولايات المتحدة تكاد تحكم معظم الدول العربية بشكل غير مباشر ليصبح الفارق بين حكمها للدول العربية من ناحية ووجودها فى العراق مـن ناحـية أخـرى هو أنها تحكمه عن طريق الاحتلال المباشر لذلك نحتاج إلى مقاومـة شاملة فى جميع أنحاء أمتنا العربية ضد الأنظمة الاستبدادية وضد الهيمنة الأمريكية التى ما كانت تجد مكاناً لها لولا وجود هذه النظم الجاثمة على صدر أمتنا العربية.

ومـن هـنا أقـول إن علينا العودة إلى الإسلام العظيم الذى جاء بقيم الحرية والعـدل والمسـاواة وحقوق الإنسان وحرره من عبودية المادة والأشخاص ونظم الحكم وكل أشكال العبودية إلا العبودية لله.

- **علـى ذكـر القيم الإسلامية ألا ترى أن الدولة الإسلامية فى بداية نشأتها قد اتفقت مع الولايات المتحدة الأمريكية فى رفع شعار الحرية وتخليص الشعوب مـن مسـتعبديها ثـم اسـتأثرت بحكم الدول التى دخلتها بجيوشها وانفردت بـثرواتها وخـيراتها لـتملأ بها خزائنها فى المدينة المنورة أولاً ثم عواصم الخلافة الإسلامية فيما بعد ؟**

– المســاواة بيــن ما فعلته الدولة الإسلامية وتفعله الولايات المتحدة مساواة ظالمــة وعلى أية حال يمكننا تقييم الحالتين، فالفتح الإسلامى قد منح بالفعل الحرية للشــعوب ولا أحــد يخــتلف على أن الفتح الإسلامى قد أنقذ الشعب المصرى من الاحــتلال الــرومانى وأنه أعطى للمصريين جميع حقوقهم كما أن الفتح الإسلامى ترك للشعوب حرية الدين والعبادة وحرية التعبير عن الرأى والفكر.

- **لكــن الولايــات المــتحدة ترفع شعارات الديمقراطية وتجديد الخطاب الدينى وتحديــث مناهج التعليم ورغم أنها قضايا ملحة إلا أننا كشعوب عربية نفتقد حتى هذه اللحظة أجندة وطنية تحدد ما نحتاجه بالضبط وكيف نحققه بالنسبة لهذه القضايا ؟**

– هــناك مــن يقول إننا نرفض أى خير يأتينا من أمريكا فقط لكونها أمريكا، وهــذا ليس صحيحاً فنحن نقبله بشرط أن يكون خيراً مخلصاً سواء كان أمريكياً أو أوروبياً لكن هذا لا يحدث وليس منطقياً أن يفعل المحتل الأجنبى خيراً مخلصاً ولا يعنى تقصيرنا فى وضع أجندة وطنية لاستعادة الاستقلال الوطنى وتحقيق حريتنا أن نستعين بأجندة المحتل الأجنبي، ثم إن هذه الشعارات التى ترفعها الولايات المتحدة الآن وضعناها نحن على قائمة مطالبنا الوطنية منذ زمن بعيد.

ولقــد أجمعت كل فصائل القوى السياسية المصرية الإسلامية منها واليسارية والليبرالــية علــى قضية الديمقراطية باعتبارها السبيل الوحيد للوصول للحكم وأنه لا يجوز لأى فصيل وطنى أن يستخدم العنف أو قوة السلاح للوصول للحكم ونحن كــإخوان مسلمين نعتبر هذا المبدأ مسألة عقائدية فى فكرنا كما نرفض إغلاق باب الاجــتهاد والبحــث لتجديد وتطوير الخطاب الدينى فليس منا من يرضى عن حال الخطــاب الديــنى السائد اليوم ولكن بشرط أن يقوم الاجتهاد على الأسس العلمية الصــحيحة بأن يضطلع به أهل الاختصاص وليس كل من «هب ودب» كما يحدث الآن، والاجتهاد العلمى مطلوب لمحاصرة كل أشكال التطرف التى ظهرت مؤخراً وهى بالمناسبة لا تمثل جسم الأمة الإسلامية فلا أحد يرضى عنها أو يتفق معها.

- **ألا ترى أن الإخوان المسلمين رغم ما يدعونه عن فكرهم المتسامح قد فشلوا فـــى مواجهـــة التطرف الدينى الذى شاع فى العالم العربى وعانت مصر من إرهابـــه فـــى الماضى وتعانيه الآن دول مثل: السعودية، والمغرب بالعمليات الانتحارية التى شهدتها مؤخراً كل من الرياض والرباط ؟**

– دعنى فى البداية أختلف معك فى أن الفكر الدينى المتطرف وأعمال العنف الـــناتجة عنه التى تمت فى العالم العربى والإسلامى يشكل ظاهرة شائعة أو معبراً عـــن الإســـلام فالفكـــر الإســـلامى الوســـطى والمعـــتدل الذى يحترم قيم الحرية والديمقراطـــية هـــو الأســـاس فى جسم الأمة العربية والإسلامية، من هنا أقول إن المتطرفيـــن فـــى العـــالم العربى والإسلامى لا يتجاوزون أعداداً قليلة وجماعات صـــغيرة، وهو أمر عادى وموجود فى كل المجتمعات ولا أدرى لماذا يعاب على المجـــتمع الإســـلامى وجودهـــم وينسى أن الإخوان المسلمين لعبوا دوراً كبيراً فى تحجـــيم هذا الفكر المتطرف ولولا وجودهم لانضم إلى جماعات التطرف والعنف الدينى أضعاف أضعاف الشباب المنتمين إليه الآن بفضل ما طرحوه من فكر معتدل ووطنى ولقد نجح الإخوان بالفعل فى هذه المهمة ولا يعنى وجود أعداد صغيرة من المتطرفين هنا أو هناك فشلهم.

- **كيف يستقيم هذا الكلام فى حين أن من المعروف لدى الجميع أن أجهزة الأمن المصـــرية هى التى قضت على جماعات الإرهاب الدينى كما أن أجهزة الأمن السعودية والمغربية هى التى تلاحق عناصر التطرف ؟**

– لا يجـــوز القـــول بـــأن أجهزة الأمن وحدها هى التى قضت وحدها على الإرهاب فى مصر فلولا نشاط الإخوان المسلمين الذين يعبرون عن الدين الوسطى المعتدل منذ السبعينيات ونجاحهم فى استيعاب التيار الإسلامى الذى اجتاح المجتمع المصرى فى العقود الماضية لصب ذلك التيار فى مصب واحد هو بوتقة الإرهاب.

ولا شـــك أن الجهـــاز الأمنى قضى على جزء من الإرهاب ولكن استخدامه العـــنف بالاعتقال أو القتل أو المحاكمة يلفت الانتباه ويجذب الأضواء ليبرز دوره

كسبب رئيسى لا معاون وما أريد التأكيد عليه هو أن المجتمع المدنى المصرى كله وليس الإخوان فقط إلى جانب الشعب المصرى المعروف بوسطيته واعتداله صاحب الفضل الأول والأكبر فى محاصرة الإرهاب.

- **لكن هناك من يرى أن منابع التطرف الدينى والإرهاب توجد فى أدبيات الإخوان المسلمين وكتابات أعمدتهم مثل «الشيخ سيد قطب» الذى وصف المجتمع المعاصر بمجتمع الجاهلية ؟**

– هذا نوع من التحامل على الإخوان المسلمين فلو أن منابع التطرف والعنف توجد فى ثقافتهم لمارسوا العنف بأنفسهم ولاتخذوه سلوكاً فى ممارساتهم العملية كما أننا نرفض أية عبارة أو مقولة حتى لكبار مفكرينا تخرج عن مفهومها الشرعى الصحيح ومن هذا المنطلق كإخوان مسلمين نرفض وصف الشيخ سيد قطب للمجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات جاهلية ونعتبره تعبيراً غير موفق وأدبياً أكثر من كونه فقهياً.

- **لكن يأخذ عليكم كإخوان مسلمين أنكم تكتفون بإدانة العمليات الإرهابية التى يرتكبها غيركم دون أن تدينوا ما جاء فى أدبياتكم من فتاوى وعبارات تسوق معتنقها إلى الإرهاب بل إنك تتحفظ فى استخدام كلمة إرهاب فى هذا الحوار وتستبدل بها كلمة عنف ؟**

– لست معك فى أن ثقافتنا وأدبياتنا تؤدى إلى العنف ومن يقول هذا عليه أن يقدم الدليل ثم لا يجوز التركيز على فتاوى وعبارات رفضناها ونرفضها ونتجاهل ما قدمه رموز علماء الإخوان بدءاً من الإمام الشيخ حسن البنا والشيخ محمد الغزالى والشيخ سيد سابق والشيخ القرضاوى الآن.

ثم إن الشيخ سيد قطب الذى وصف بعض المجتمعات الإسلامية بالجاهلية لم يستخدم العنف ولم يكون تنظيماً عسكرياً، كما أن الجماعة التى قبض عليها فى عام ١٩٦٥ لم تكن من الإخوان المسلمين ولقد قتل الشيخ سيد قطب وأعدم ظلماً وعدواناً وهنا أتساءل هل ما يطرحه الشيخ يوسف القرضاوى والدكتور محمد

عمــارة ومــا طرحه الإمام البنا وعمر التلمسانى يعبر عن ثقافة عنف وتطرف ثم ما هو تاريخ الإخوان المسلمين على مدار «٧٥ سنة» فى مجال العنف.

- **لكنكم اتهمتم فى حادثتى المنشية والخازندارة ؟**

– مــثل هذا الكلام «نصب وكذب» وقد ثبت تاريخياً أن اتهامنا فيهما نوع من التلفيق ومع ذلك لا أنكر أن هناك بعض الأخطاء البسيطة لكن ماذا تساوى فى حجم جماعة مثل جماعة الإخوان المسلمين عبر هذا الامتداد الزمنى والجغرافى الطويل وهــذه الأخطاء طبيعية لأننا فى النهاية جماعة بشرية ولسنا مجموعة من الملائكة وحينما تكون أخطاؤنا بهذه البساطة فى مقابل كل هذه الإيجابيات لا تستطيع القول بــأن ثقافتــنا ثقافة عنف إلا من باب تشويه الحقائق والإساءة المتعمدة التى لا يدفع ثمنها إلا الوطن.

- **فــى سياق حديثنا عن الإخوان المسلمين كجماعة سياسية هل نستطيع القول إنهــم يطــرحون خطابــاً دينياً مقابلاً أو مناقضاً للخطاب الدينى الذى تطرحه مؤسسة «الأزهر» عبر وسائل الإعلام ومؤسساتها التعليمية ؟**

– نحن لا نطرح خطاباً مضاداً لخطاب الأزهر، بل خطاباً مكملاً وامتداداً له.

- **رغــم كونكم جماعة سياسية تطرح فى الأساس برنامجاً سياسياً فيما الأزهر لا يعنى بذلك ؟**

– لســنا جماعة سياسية باختيارنا فالإسلام الذى ننتسب له سياسى بطبعه فهو ديــن ودولة ولو أن الإسلام مثل المسيحية لما كنا سياسيين وليس للمسلم أن يختار مــادام يؤمن بدين الإسلام بين أن يكون سياسياً أم لا وإلا كان فى موقع من يختار ديــناً آخــر غير الإسلام بمعنى أن المسيحى إذا قدم نفسه باعتباره مسيحياً سياسياً نقولــه له لا لأن المسيحية نفسها تعلن ألا علاقة لها بالسياسة وهذا ليس تقليلاً من شأنها أو قدرها، ولكن هكذا جاءت مبادئها، وإذن من يقول إنه مسلم لا يجوز له أن يقول إنه ليس سياسياً، فالسياسة جزء من الدين الإسلامي، وهنا أسأل علماء الأزهر الشريف هل يستطيع واحد منكم أن يقول لا سياسة فى الدين؟!

- **ألا يخلق طرحكم هذا نوعاً من الازدواج فى الخطاب الدينى خاصة أن الأزهر لا يتحدث عن الإسلام باعتباره ديناً سياسياً بشكل صريح؟**

– علـــى العكــس من ذلك، فكلام الأزهر كان صريحاً وأكد أن الإسلام دين ودولـــة وهـــذا ما قاله وأعلنه بوضوح كل من الشيخ عبدالحليم محمود والشيخ جاد الحـــق وهنا أعيد وأترك الفتوى للشيخ سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وأسأله هـــل الإســـلام دين لا علاقة له بالسياسة؟ فإذا أجاب بنعم سيكون قد خالف الإسلام الـــذى يمـــثله وإذا لـــم يعجـــب هذا الكلام بعض الناس فعليهم أن يعلنوا بوضوح وصراحة عدم إعجابهم بالإسلام، وهذا حقهم.

- **مادمـــتم ترون الإسلام ديناً وسياسة فلماذا إذن لم نشهد نشاطاً يذكر أو ذا بال لمجموعة الـــ «١٧» من الإخوان المسلمين داخل مجلس الشعب عدا ما أثير بقيادة جمال حشمت من جدل حول حرية الإبداع عندما استجوبوا وزير الثقافة بســـبب صـــدور ثـــلاث روايات اتهموها بخرق القيم العامة ، ثم هل هناك ما يســـمى بالطرح الإسلامى لحل مشكلة الاقتصاد مثلاً أو أزمة البطالة أو أزمة الإسكان والمواصلات ؟**

– ومـــن قال إن الإسلام يدخل فى التفاصيل ، نحن نتعامل مع الاقتصاد كعلم لكنـــنا نمارســـه بمرجعية إسلامية أما القول بأن مجموعة الـــ «١٧» من الإخوان المســـلمين داخل مجلس الشعب لا تهتم إلا بقضايا الجنس فافتراء وظلم، والرجوع إلـــى الإحصائيات الدالة على عدد الاستجوابات وطلبات الإحاطة والأسئلة الخاصة بمخـــتلف قضـــايا الوطن ومشاكله يكشف أنهم من أنشط أعضاء المجلس فى إثارة المسائل الجادة والحساسة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مشكلة بحيرة المنزلة الـــتى أثارها الدكتور أكرم الشاعر ومشروع قانون إصلاح الأزهر الذى خرب ولم يتبق منه إلا صورة متخلفة وقد تقدم به الدكتور على لبن وغيرها الكثير، ومع ذلك فإن الدكتور جمال حشمت عندما أثار قضية القصص الثلاث كان محقاً لأنه انطلق

من مبدأ أساسى وهو أن مال الشعب المصرى لا يجب أن يستخدم فى الإنفاق على مثل هذه التفاهات التى لا يرضى عنها الشعب المصرى نفسه لأنها تصطدم مع قيمه وأخلاقياته .

- **لكن أسلوباً كهذا فى التعامل مع حرية الإبداع يثير مخاوف الآخرين منكم ويشكك فى إيمانكم بقضية الديمقراطية التى تقول إن الشعب هو الذى يرفض أو يقبل إبداعاً ما وفقاً لقيمه ومعاييره هو لا القيم والمعايير التى تفترضونها أنتم كإخوان مسلمين ؟**

– دعنى أقول أولاً إننى أرفض أن يضع الإخوان المسلمون أو غيرهم قيم ومعايير الشعب المصري، لأن القيم هى قيم الدين ولا شيء آخر، ولا يستطيع أحد بالطبع أن يتجاهل أو يتجاوز إجماع المصريين على الإسلام وإلا لاتخذ موقفاً معادياً من الديمقراطية. وهب أن شعباً ما مثل الشعب الألمانى قد أجمع على رفض النازية فهل من حق أحد باسم الحرية والإبداع أن يؤسس حزباً نازياً.

وهذا ما نرفضه بأن تستغل حرية الإبداع فى إفساد الناس وضرب قيمهم وجرح عقيدتهم وسب رسولهم ودينهم وأتساءل هل حرية الإبداع مطلقة دون أى ضوابط؟!

لذلك أتصور أننا فى حاجة لإعادة تعريف الإبداع لأننا نعانى مشكلة لجوء بعض المتخلفين فكرياً وثقافياً إلى «سب الدين ورموزه وقيمه» لأنه الوسيلة السهلة للحصول على الشهرة السريعة وعندما يغضب الناس ويعترضون عليهم يصبح ذلك مواجهة للإبداع فى نظر بعض العلمانيين.

- **لكنكم أحياناً تستخدمون هذا الأسلوب فى إثارة مشاعر الناس كما حدث مع رواية «وليمة لأعشاب البحر» حينما خرجت صحيفة «الشعب» بمانشيتات تطالب بالجهاد دفاعاً عن الله كما أن هذا الأسلوب يجعل من كتب مغمورة رفضها القارئ تلقائياً كتباً مشهورة وتجد لها مكاناً فى السوق السوداء ؟**

– على من تعيب ؟ هل على الذى كتب ونشر كلامًا فيه مساس بالدين أم أنك تعيب على من ثار لدينه وربه ، ثم ما هو واجب الإعلام أليس نشر ونقد مثل هذه الكتب وكيف للمسلم أن يثور على كتاب لم يعرف به قبل النشر .

- **ترفعون دائماً شعار «الإسلام هو الحل» فى خطابكم العام ودعايتكم الانتخابية سواء فى مجلس الشعب أو النقابات المهنية ألا ترى أن ذلك نوع من اختصار الدين ونوع من الاستغلال له فى جذب الأنصار السياسيين ؟**

– ليس ذلك احتكاراً للدين، فالإسلام ليس دين الإخوان المسلمين وحدهم، بل هو دين الأمة جمعاء ونحن ندعو كل المثقفين المسلمين للدفاع عن الإسلام باختلاف مشاربهم الفكرية سواء كانوا فى اليسار أو اليمين أو حتى فى الحكومة ولو رفعوا هم شعار الإسلام هو الحل لن نعتبر ذلك احتكاراً للإسلام، والمشكلة أن هؤلاء المثقفين تركوا الإسلام للجماعات الإسلامية، ثم دعنى أتساءل مرة أخرى لو رفعت إحدى الفصائل السياسية شعار «الديمقراطية هى الحل» هل نعتبر ذلك احتكاراً للديمقراطية.

أما عن استغلال الدين من أجل مصالح حزبية وسياسياً فهذا أمر مرفوض وينهينا عنه الإسلام.

- **قلتم إن الإسلام لم يعن بالتفاصيل وإنكم تشتغلون فى السياسة والاقتصاد بمرجعية إسلامية وإذا كان بإمكانى أن أكون مسلماً أرى العالم من وجهة نظر اشتراكية أو رأسمالية فما الذى يجعلنى إذن أنتخب مرشحكم وما هو البرنامج السياسى والطرح الفكرى المميز لكم كجذب سياسى ؟**

– دعنى أقول بشكل واضح وصريح إن الإسلام ليس ضد أى نظرية اقتصادية ما لم تختلف مع قيمه الأساسية وأنه ليس بأية حال من الأحوال برنامجاً اقتصادياً تفصيلياً، لكنه يرفض «الربا» والاستغلال والاحتكار ويأمر بالتكافل الاجتماعى وفى إطار هذه الأصول والقيم يقبل أى نظرية اقتصادية لا تخل بها. ومن هنا يمكن

تصـــور مسلم رأسمالى أو اشتراكى ولكن بشرط ألا تقضى الاشتراكية على رأس المـــال الخاص لصالح الآخرين وبشرط ألا تعنى الرأسمالية حرية الفرد فى التهام المجـــتمع أى أنـــك تستطيع أن تكون من الإخوان المسلمين ولك فكرك الاقتصادى الخـــاص المنضبط فى إطار تلك الأصول والكليات العامة، ثم إننا كإخوان مسلمين مازلـــنا فـــى المعارضة ولا نستطيع سوى تقديم حلول جزئية وربما نستطيع تقديم حلول كلية إذا وصلنا إلى الحكم .

- **ألا تـــرى أن كلامك هذا يعنى أنكم تفتقدون لجهد نظرى وإبداع فكرى حقيقى يقدم أطروحة إسلامية متماسكة للقضية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟**

– نعـــم هـــناك بعـــض القصـــور، وهنا أعتب على جميع المثقفين المسلمين لتقصيرهم فى أداء واجبهم إزاء فكرهم وثقافتهم الإسلامية.

- **لكن هذا هو دور الإخوان المسلمين إذا أرادوا أن يصبحوا حزباً سياسياً حقيقياً؟**

– وهـــل الإسلام حكر على الإخوان المسلمين وإذا كنت رأسمالياً أو اشتراكياً مسلماً فماذا قدمت لخدمة دينك!

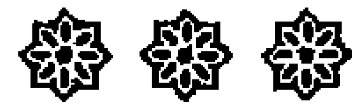
- **ولكن لكل النظم الاقتصادية والسياسية مرجعياتها القيامية ومعاييرها الأخلاقية وهـــذا شـــىء مختلف عن خصوصيتها النظرية والفكرية ثم لا يوجد نظام فى العالم لا يرفض قيم الاحتكار والغش والاستغلال والظلم ؟**

– وهـــذه هى المشكلة، الكل يرفض تلك القيم لكنه لا يترجم رفضه ذلك عملياً وأفضل مثال على ذلك الولايات المتحدة التى ترفع شعار «حرية الشعوب» ثم تقوم بمصـــادرتها، أما المسلم فيطبق كل قيمه ومبادئه الدينية لعلمه ويقينه أنه سيحاسب عليها بين يدى الله .

- **اتفقـــتم مـــع معظـــم القـــوى السياسية على رفض الأجندة الأمريكية للتحول الديمقـــراطى لكـــنكم تفردتم عنها بقبولكم الجلوس مع دبلوماسيين أمريكيين**

وغربيين لتتحاوروا معهم في مسألة الديمقراطية عبر وساطة الدكتور سعد الدين إبراهيم.. كيف تعلق ؟

– هذا الكلام يحمل نوعاً من الفبركة الصحفية فما حدث هو أن دعوة وجهت للدكتور عصام العريان ومحمد عبد القدوس ومحمد مرسى ولى للتحاور مع بعض الدبلوماسيين الأوروبيين ولم يكن بينهم أمريكى واحد كما ادعى بعض الصحفيين الذين ادعوا أيضاً أننى رفضت الدعوة لاعتراضى على الاجتماع لكن الحقيقة أننى اعتذرت عن حضور الاجتماع لأسباب خاصة فلا أرى فى مثل هذه الاجتماعات ذنباً أو جرماً وما دار فى ذلك الاجتماع حوار فكرى بحت، وهذا كل ما حدث ، أما ما كتبته الصحافة عن هذا الموضوع فلم يكن إلا محاولة من بعض فصائل العلمانيين لتشويه صورة الإخوان تقرباً للشيطان .





د. عبد المنعم سـعيد

لا شـىء يمكـن أن يوقفهـا فقد بدأت الحرب ولم يعد هناك وقت لمزيد من الصـراخ أو التـباكى أو حـتى إطلاق الشعارات، إنه إذن وقت التحليل الهادىء والنقاش الموضوعى والقراءة الواعية لما حدث ولما سيحدث بحثا عن أرض صلبة يقـف عليها الفكر الاستراتيجى العربى فى هذه اللحظة التاريخية التى قد تتقرر - علـى أساسـها - مصائر هذه الشعوب ومستقبل ذلك الوطن الممتد من البحر إلى الـبحر، ومن هنا تأتى أهمية مثل هذا الحوار فالرجل مفكر عقلانى وباحث مستنير ومحلـل سياسـى مـن طراز خاص وهى السمات التى دفعت محترفى «الزعيق» وحراس السخونة و«الشعللة» إلى أن يقاذفوه بكل أنواع الاتهامات، فهو تارة رجل الـنظام الحـاكم وتـارة عمـيد المطبعين وأخرى الممثل الأول لما أسموه اللوبى الأمريكى فى مصر، وهى الاتهامات التى ظل الدكتور عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام هادئا ومبتسما إلى آخر لحظة حتى ونحن نبادره بها وندفعها إليه.

- **فى ضوء كل هذه التعقيدات والمواقف الدولية والعربية الملتبسة .. كيف ترى المشهد الخاص بالأزمة العراقية ؟**

– المشـــهد الدولى ملتبس فى العالم العربى لأن المعلومات ليست كافية ولأننا تعودنا على منطق إما .. أو، إما تطابق أو صراع ولم نعتد كلمة الخلاف وهى أمر معـــتاد فى كل أسرة بين الرجل وزوجته وداخل أعضاء الحزب الواحد والحكومة الواحـــدة وحـــتى فى المجال الدولى كثيرا ما نطابق بين الخلاف والصراع ويصل الأمـــر بالبعض إلى حد تصعيدها إلى كلمة استقطاب التى تعنى وجود تحالف بين دول تدخـــل معركة مصيرية فكرية وسياسية وعسكرية متعددة الجبهات للاستحواذ علـــى العالم والهيمنة عليه، وفى هذا السياق تتحدث معظم التحليلات عن الموقفين الفرنســـى والألمـــانى فى خلافهما مع الولايات المتحدة حول قرارات مجلس الأمن والشـــرعية الدولية بشأن العراق دون أن تذكر أن ألمانيا تقاتل مع الولايات المتحدة فى أفغانستان فى هذه اللحظة بقوات خاصة وأنها أرسلت فرقا خاصة بأسلحة الدمار الشـــامل إلى الكويت كما بعثت أطقم الدفاع الجوى إلى إسرائيل وتركيا كما سمحت لواشنطن باستخدام قواعدها والأجواء الألمانية بحرية كاملة ففى حين يوجد خلاف سياســـى بين البلدين يوجد أيضا تطابق استراتيجى كامل مع الولايات المتحدة وهو نفـــس ما حدث مع فرنسا التى ليست عضوا فى اللجنة العسكرية لحلف الأطلنطى ولو كانت فرنسا عضوا فى هذه اللجنة لما تغير موقفها عن الموقف الألمانى كما أن العلاقـــات الاقتصادية بين هاتين الدولتين والولايات المتحدة بالغة العمق، فالتجارة البينـــية والإنـــتاج الصناعى المشترك تقطع بدرجة هائلة من اليقين بأن هذه الدول ليســـت أقطابـــا مناوئة لكنها أقرب إلى الأطراف الموجودة داخل الولايات المتحدة لكنها تختلف فى طريقة إدارة الأزمة.

- **لكـــن بعـــد الموقـــف الفرنسى المتشدد انطلقت دعوات أمريكية لمقاطعة أكبر معـــارض صـــناعة الطيران فى باريس بل وسن قانون من الكونجرس يجرم اســـتيراد بعض السلع الفرنسية ألا يعتبر ذلك نوعا من الصراع وليس مجرد خـــلاف؟**

- مــن الملاحظ أن المادة الأساسية التى نعتمد عليها فى تحليل الأمور مجرد تصــريحات متطايرة فلا أحد يخبرنا ما الذى نتج عن هذه التصريحات؟ وهل أدت إلى إصدار الكونجرس أو الإدارة الأمريكية قرارا بعدم المشاركة فى هذا المعرض أو مقاطعــة العطــور الفرنسية مثلا؟ علينا أن نميز فى مثل هذه الأزمات ما بين الــتوجهات الاستراتيجية الأساسية والتصريحات المتطايرة التى يطلقها السياسيون أحــيانا لخدمــة أهداف محلية صغيرة للغاية ، ورأيى أن الخلاف الراهن حول هذه الأزمــة أقل بكثير من الخلاف الألمانى - الأمريكى فى عهد نيكسون حول مسألة «الإيســت بولوتيك» عندما بدأ المستشار الألمانى «فيلى برانت» وقتها فى تدشين توجه جديد للتعامل مع الكتلة الشرقية عبر علاقات تجارية، معتبرا أن ذلك من شأنه تقلــيل عدوانــية المعســكر الاشتراكى، كما نشب خلاف حاد على نشر صواريخ بيرشنج فى بداية الثمانينات وبالطبع كان هناك خلاف حاد بين فرنسا شارل ديجول والولايــات المــتحدة فيما يخص قدرات فرنسا النووية، كما أن مثل هذه الخلافات لا تنطلق بالضرورة من محبة العرب، فألمانيا مثلا هى أقل الدول الغربية من ناحية رصــيدها فى التصويت لصالح القضية العربية بالأمم المتحدة ورغم ذلك فمع أول بادرة خلاف بينها وبين الولايات المتحدة اعتبرناها ممثلا للعرب، إن الاختلاف بين فرنسا وألمانيا من جهة وبين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى خلاف فى الإطــار الغــربى أقرب إلى الاختلاف بين إدوارد كيندى وجورج بوش فى إدارة الأزمة الراهنة، ففى ظل تقاليد ديمقراطية يمكن أن توجد حلول مختلفة لقضايا يتفق الجميع على أهميتها الاستراتيجية فلا يوجد خلاف بين شرودر وشيراك وبوش على ضرورة نزع اسلحة الدمار الشامل من العراق ولم يقل شرودر ولا شيراك انزعوا اســلحة الدمــار الشامل عن إسرائيل مثلهم فى ذلك مثل الولايات المتحدة وبالتالى فــالخلاف بين شرودر وبوش كالخلاف بين بوش وكيندى ولكن أياً منهما لا يقوم بقطع الطريق على الآخر ، إنهما يريدان فقط أن يتم ذلك فى إطار الشرعية الدولية وهــو ما يعكس خلافا فى وجهات النظر حول طريقة إدارة النظام الدولى، فالدول الأوروبــية اعــتادت العمــل مــن خلال مؤسسات متعددة الأطراف مثل الاتحاد الأوروبــى وهى تريد أن تطبق هذا النموذج على المستوى العالمى بينما أصبحت

إدارة بــوش وبالـــتحديد بعد أحداث ١١ سبتمبر أقل حماسا لوجهة النظر هذه وهى ترى أن على الدول الغربية أن تقود العالم، مشيرة إلى وجود دول وجماعات تستغل الشرعية الدولية للتغطية على قدراتها فى مجال استخدام القوة وهى تعطى على ذلك مـــثالا يقول إن الكثيرين يطالبون الولايات المتحدة بالحصول على تصريح لضرب العـــراق وفى المقابل لم يحصل أسامة بن لادن على مثل هذا التصريح ولم يطالب أحـــد بالحصـــول علـــيه لضـــرب أمريكا، والعراق أيضاً لم يحصل على مثل هذا التصـــريح عندما غزا الكويت ولم يسأله أحد لماذا لم يلجأ إلى مجلس الأمن، معنى ذلك وفقا لوجهة النظر الأمريكية أن هناك شرعيتين فى العالم: شرعية تمثل الدول الـــتى تقـــبل الخضـــوع للقانون الذى يطبق على الصغير والكبير، وشرعية الدول والجماعات السياسية التى ترفض القانون الدولى من الأصل وتعتمد شرعية أخرى إمـــا ثوريـــة أو قانونية أو دينية لم يتوافق عليها العالم، ومن هنا فلا يمكن التعامل معهـــا إلا بـــالقوة، هذه هى نقطة الخلاف لكن أحدا لا يختلف حول ضرورة قيادة المعســـكر الغربى للعالم فى المرحلة الراهنة ولا حول أن النظم الموجود فى كثير مـــن دول العالم الثالث وبالذات فى المنطقة العربية والإسلامية تشجع على كراهية المعســـكر الغربى وتولد عناصر مناهضـــة له ولا يوجد خلاف حـــول ديكتاتورية النظام العـــراقى ولا على ضرورة حرمانه من أسلحة الدمار الشامل، والخلاف فقط حـــول وســـائل تحقـــيق ذلك فألمانيا وفرنسا تريان ضرورة تحقيق ذلك من خلال شرعية دولية متراكمة لا تستبعد استخدام السلاح والقوة فى مرحلة متقدمة .

- **لكـــن الـــبعض يـــرى أن فرنسا وألمانيا ترفضان المحاولة الأمريكية للانفراد بالكعكـــة العراقـــية وأنهما ترغبان فى الاستحواذ على نصيب من كعكة النفط العـــراقى وأن مواقفهما المتشددة لا تعدو كونها مساومة على نصيب أكبر من هـــذه الكعكـــة أى أن الخـــلاف يـــتعلق بالمصالح الاقتصادية وليس الشرعية الدولية؟**

- قبل أن نتكلم عن كعكة عراقية علينا أولا أن نتساءل عن حقيقتها فهناك من يـــنظر إلـــى هذه الكعكة على أنها ثانى أكبر احتياطى عالمى للنفط بعد الاحتياطى

الســعودى وأنــه إذا استولت عليه الولايات المتحدة فستتمكن من التحكم فى سوق البترول العالمية والضغط على القوى المناوئة لها فى النظام الدولى رغم أننا أثبتنا تــوا أنها ليست قوى مناوئة وأن بمقدورها الحصول على البترول بأسعار رخيصة والمعلومــات الموثقــة تشير إلى أن العراق لا يملك ثانى أكبر احتياطى نفطى فى العــالم وأن روسيا هى التى تحتل هذه المرتبة ويصبح العراق الدولة الثالثة فقط إذا مــا تم حساب الاحتياطى غير المؤكد حيث إن هناك نوعين من احتياطى البترول مؤكد وغير مؤكد، المؤكد هو المتيقن من وجوده بعد عمليات حفر وتنقيب، أما غير المؤكــد فهو أن تكون دولة ما متمتعة بتكوينات چيولوچية بترولية قد تحتوى على بــترول وقد لا تحتوى فربما ينتج عن عمليات الحفر فيما بعد غاز طبيعى أو مياه جوفــية، وإذا اجــتمع الاثنان يصبح العراق فى المرتبة الثالثة من حيث الاحتياطى ويصبح احتياطيه نصف أو أقل من نصف الاحيتاطى السعودى الذى يتجاوز ٢٦٥ مليار برميل بينما يبلغ الاحتياطى العراقى المؤكد ٥٠ مليار برميل فقط وإذا أضفت إلــيه مــا بيــن ٧٠ و٧٨ مليار برميل من الاحتياطى غير المؤكد يصبح إجمالي الاحتــياطى ١١٢ ملــيار برميل تقريبا، والأهم من ذلك أن العراق ينتج حاليا ٢% فقــط من الإنتاج العالمى أى ما يوازى مليوناً و٦٠٠ ألف برميل يوميا كانت تأخذ منها الولايات المتحدة ٨٠٠ ألف برميل قبل بدء العمليات العسكرية وتشير التقارير إلى أن إنتاج العراق ما بعد الغزو سيصل إلى ٤% من الإنتاج العالمى وبعد ثلاث ســنوات وبعد الاستثمارات الجديدة فى مجال إنتاج النفط قد يصل إنتاج العراق إلى ٦% أو ٧% مــن الإنــتاج العــالمى علــى الأكثر هذه هى الكعكة العراقية وهى لا تقــارن بالكعكــة السعودية التى تضم حاليا ١٠% من الإنتاج العالمى يمكن أن ترتفع إلى ١٢% فورا وإلى ١٥% بقليل من الاستثمارات، ومن هنا فإن نسبة تحكم العــراق فى البترول العالمى ليست كما يتصورها البعض كما أن البترول العراقى لــيس بديــلا عــن البترول السعودى على الإطلاق والأهم من هذا أن الامتيازات العراقــية النفطية موزعة حاليا على عدد من الشركات العالمية تشمل شركة BHB الاســترالية وباســفيك البريطانــية وشل البريطانية الهولندية وداو الكندية ونوفال

الفرنســية و CLPC وجابكو اليابانية وآنى الإيطالية وهناك خمس شركات روسية وتركــية وفيتنامــية أى أن أغلبية الشركات غربية، ومن ثم فلا يمكن لأمريكا بعد الغــزو أن تطــردها وإلا ســتحدث فوضــى عالمية وفى الغالب ستبدأ الشركات الأمريكــية العمــل فى الأماكن الجديدة البكر أى أنه لا خلاف على توزيع الكعكة العراقية فهى موزعة بالفعل، وبالمناسبة صدام حسين ليس لديه اعتراض على عودة الشــركات الأمريكــية مــثل ISO و Mobil والسؤال الذى ينبغى طرحه هو: هل سيمكن ذلك أمريكا من التحكم فى سوق النفط العالمى؟ والواقع أن أى مهمة استثمار جديــدة علــى المــدى القريــب ستقع على عاتق الشركات الموجودة بالفعل وليس الشــركات الجديــدة الأمريكــية التى يتوقع لها أن تعمل فى خلال من ٥ إلى ١٠ ســنوات وإذا تصــورنا أن نصــيب الشركات الأمريكية سيكون ٣% من البترول المصــدر مــن العــراق فــإن أمريكا تمتلك أكبر من هذا فى السعودية وأندونيسيا وفــنزويلا والمكســيك، وبالــتالى أنــا لا أفهم الحديث عن الاستيلاء على الكعكة العراقية.

- **لكــن البعض يجد فى دعوة فرنسا لإنشاء قوة ردع أوروبية بديلة عن قوات حلف الناتو تأكيدا على حالة الصراع مع الولايات المتحدة ؟**

– هــناك شيء يسمى إدارة التحالف فإذا كنت أنا ضعيفا جدا وأنت قويا جدا لكنــنا متحالفان لأسباب كثيرة وتاريخية وقلت لى اذهب لتحضر لنا الطعام سأسمع كلامك ولكن بمجرد أن أستشعر بعض القوة سأقول لك أنا ذهبت مرتين وعليك أن تذهــب مرة بمعنى أن نبدأ تقسيم العمل وهذا ما نسميه إدارة التحالف وليس إدارة الصــراع فأن يريد طرف ما فى التحالف إبراز قوته الداخلية حتى يكون له صوت أعلى داخل التحالف فهذا جائز لأن أمريكا تلعب دائما دور المنقذ لأوروبا، مثلا فى الحرب العالمية الأولى تدخلت وأنهت الحرب وهو نفس ما حدث فى الحرب الثانية وكذلــك فــى الحــرب الباردة ولذلك فمع بروز مشاكل الأقليات فى البلقان وتدخل أمــريكا لضبط الأوضاع لجأت فرنسا وألمانيا إلى إنشاء قوة ردع أوروبية اتسعت

حالــيا لتشمل رومانيا وبلغاريا والناس لا تعرف أن القوات الأمريكية الموجودة فى أوروبــا موجــودة بطلب أوروبى. إن فرنسا تحاول أن تجعل لأوروبا داخل حلف الأطلــنطى صوتا أعلى بتشكيل قوة عسكرية أوروبية وأعتقد أن الولايات المتحدة ترى أهمية الاستفادة من كل القوى العالمية أضعاف أضعاف استفادة هذه القوى من قوتها، ذلك أن زيادة القوة تعنى زيادة الطلب على البضائع والتكنولوچيا، والأفكار وأمريكا تمتلك آلية لا تنضب والفارق الكبير بين الاستعمار البريطانى والاستعمار الأمريكى أن بريطانيا فى أوج قوتها كانت تمثل ٨% من الإنتاج العالمى بينما تنتج أمــريكا الآن نحــو ٣٠% مــن الإنتاج العالمى أى ما يقرب من الثلث ومثل هذا الطــرف لا يهــتم أن يزيد إنتاجه بنسبة ١ أو ٢% فمشكلة أمريكا الأساسية ليست الهيمــنة ولا الســيطرة ولكن أن تتسع الأسواق بعرض العالم لما تنتجه من أفكار وســلع وتكنولوچــيات، فمثلا لدى واشنطن اليوم طائرات تستطيع أن تصل ما بين أمريكا واستراليا فى ثلاث ساعات لكنها مكلفة ولذلك فمن سيركبها إذا أنتجتها لكن لــو تضاعف الإنتاج العالمى عدة مرات فيمكن – من ثم – مضاعفة من يسافرون علــى مــثل هــذه الطائرات، إن ما يوقف أمريكا عن مضـــاعفة إنتاجها هو حجم الســوق العالمية، فمن بين ٦ مليارات إنسان هناك مليار واحد يمكنه أن يستوعب الســلع الأمريكية أى أن ما يسميه الناس بالهيمنة الأمريكية ليس إلا الرغبة فى فتح أسواق جديدة فهي تريد عالما قويا وشركاء أقوياء وهذا هو ما ينبغى أن نفهمه فى الــنقاش العــام ما بين حالة الامبريالية الآن وامبريالية القرن التاسع عشر، فطبقا لامبريالــية القــرن التاســع عشر كانت هولندا تذهب لماليزيا مثلا وتسقط الشجر لتحصــل على المطاط لكن الأمريكيين يبحثون الآن كيف يمكن جعل ماليزيا سوقا كبــيرا يشــترى منها بـــ ٣٠ أو ٤٠ مليار دولار فى السنة وليس مهما أن يكون العجز لصالح من.

- **مــاذا عــن المشــهد داخــل العــراق؟ كيف ستكون المقاومة العراقية للغزو الأمريكى؟**

– لا أتوقع أن تحدث مقاومة من الجيش أو حتى الشعب العراقى لكننى أتوقع مقاومة تالية للوجود الأمريكى من قبل القوى الإسلامية التى سيزعجها كثيرا وجود نظام ديمقراطى علمانى، فالجيش العراقى قوة نظامية تعتمد فى مواجهتها على قوة نيران أمام قوة نيران، تشكيلات فى مواجهة تشكيلات، وهو لهذا غير جاهز فعليا لمثل هذه المواجهة بسبب عدم التكافؤ وبفعل تآكل قواه، فلا يمكن أن ننظر إلا إلى ١٠٠ ألف جندى من جيش يبلغ قوامه مليون جندى باعتبارها قوة عسكرية حقيقية وهى قوة تدرك أن هذه المعركة خاسرة كما أن أفرادها غير مدربين على حرب العصابات، هل سيعود كل منهم بسلاحه إلى قريته التى جاء منها؟ هل سيتجمعون ويتعاملون مع الحكومة الجديدة باعتبارهم جيش العراق؟ هل سينقلبون فى آخر لحظة على النظام؟ لا أعرف ولكننى أتصور أن الشعب العراقى سيلتزم الصمت وينتظر ما ستسفر عنه الأمور، وجزء أساسى من الجيش العراقى سيفعل هذا أيضا لكن ليس معنى هذا أن مهمة الأمريكيين ستكون سهلة فهم يدركون أن عليهم الإجابة على سؤال خطير وهو: كيف سيتعاملون مع الانتقام؟ خاصة أن الشعب العراقى لديه ثقافة سياسية معينة، فعندما حدث انهيار للسلطة فى جنوب العراق حدثت مجازر من البعثيين فى مواجهة المجازر المضادة التى حدثت لهم وهو نفس ما حدث فى الشمال أيضا. هل ستحدث عمليات انتقام جماعى؟ هل ستنجح أمريكا فى أن توقفه؟ لكن المؤكد أنه بعد أن يستقر غبار الحرب بعد أسبوعين أو شهر من الاحتلال الأمريكى ستبدأ القوى الإسلامية فى تجميع قواها وستحاول أن تركب على موضوع الاحتلال خاصة إذا ارتكبت أمريكا أخطاء فادحة كأن تحابى قوى سياسية على حساب أخرى أو ألا تهتم بخلق مصدر للشرعية السياسية داخل العراق يقبل به معظم العراقيين أو أنها لم تقدم غذاء أو دواء ومساعدات للشعب العراقى الذى عانى طويلا من سنوات الحصار .

- **ماذا عن الأكراد؟**

– الأكراد لديهم قناعة بأنهم لن يحصلوا على شيء لكنهم يتحدثون عن نظام كونفيدرالى ، فبعد أن قبلت فكرة الفيدرالية بدأوا يتحدثون عن نظام كونفيدرالى

ولكـــن هل يعد هذا تحضيرا كرديا للانفصال بعد خمسين عاما مثلا؟ رأيى أن أحدا لــن يعطـــى للأكراد الفرصة لتحقيق هذا الهدف لكنهم سيساومون بشدة فيما يتعلق بـــتوزيع العوائد الاقتصادية وهو ما تعيه الإدارة الأمريكية جيدا، فتحليلهم يقول إن جـــزءاً من أسباب استمرار الديكتاتورية فى العراق وكثير من الدول العربية راجع إلـــى النفط، فالدولة هى التى تنتج النفط وهى التى توزع عوائده على الناس وهى الـــتى تطعمهـــم وبالتالى تسيطر عليهم، العراقيون لا يدفعون ضرائب تقريبا وإنما يـــأخذون من الحكومة مقابل الولاء ولذلك يسعى الأمريكيون إلى أن يأسسوا نظاما يـــتم بمقتضـــاه توزيـــع الثروة بين ثلاثة أقسام هى الحكومة والسلطات الفيدرالية والقطـــاع الخاص لإنعاش السوق القومية والجزئية وخصخصتها وإذا ما حدث ذلك ســـتكون هذه أول مرة يحصل فيها الأكراد على جزء من الثروة البترولية ولحسن الحظ أن البترول العراقى موزع بين الشمال والجنوب، وللعلم فإن الخطط والوثائق الأمريكـــية الخاصـــة بمســـتقبل العـــراق تؤكد أهمية الحفاظ على وحدته والتكامل الإقليمى للدولة.

- **تحدثـــت عـــن قوى إسلامية ستركب مستغلة وجود قوات الاحتلال هل تقصد جماعات إسلامية داخل العراق أم فى المنطقة العربية ككل ؟**

- أقصـــد أن القوى الإسلامية فى المنطقة بشكل عام ستعتبر العراق قضيتها الخاصـــة القادمـــة مـــثلها مـــثل القضـــية الفلسطينية وستثور ثائرتهم عندما يقدم الأمريكـــيون علـــى خلـــق دستور غربى علمانى، وهنا علينا أن نتساءل ما درجة الحساسية لدى الأمريكيين للتعامل مع قضايا مهمة مثل موقف الدستور من الشريعة وعلاقـــة الدين بالدولة وحقوق المرأة؟ وفيما يتعلق بالعراق هناك قوتان إسلاميتان بالـــتحديد همـــا قوة الشيعة فيما يعرف بقوات بدر فى الجنوب وبعض قوات السنة «قـــوات أنصـــار الإســـلام» التى تكونت بالفعل فى شمال العراق وهى خليط من الأكـــراد والعـــرب وبعضـــهم مرتبط بتنظيم القاعدة وفيما يتعلق بالشيعة أعتقد أن الأمريكييـــن سيحاولون الضغط على إيران رغم أنهم يتصرفون إزاءها بحماقة فهم مصرون مثلا على استمرار فرض العقوبات عليها .

- **رغم ما أبداه الرئيس الإيرانى محمد خاتمى من إشارات لإمكانية إجراء حوار مع الولايات المتحدة ؟**

– لا أعتقد أن خاتمى هو صاحب اليد العليا فى إيران فهو لا يسيطر على الجيش ولا على المخابرات ولا على أجهزة الأمن، اليد العليا للخمينى مرشد الثورة، أما دور خاتمى فينحصر فى إلقاء الخطب والمحاضرات حول حوار الحضارات.

- **إذا كان هدف أمريكا حقا هو الإطاحة بنظام صدام حسين فلماذا لم تبادر إلى تحقيق ذلك خلال حرب الخليج الثانية التى كانت تتمتع فيها بكامل الشرعية ؟**

– الفارق الأساسى بين المرحلتين يكمن أولا فى قوة إيران بمعنى زخم الثورة الإيرانية عام ١٩٩١ وهو الزخم الذى قل كثيرا حاليا ويكمن ثانيا فى الرفض الأمريكى لسيناريو الفوضى التى ستنتج عن الانتفاضة ورغبة واشنطن فى تنظيم انتقال منظم سلمى للسلطة العراقية وثالثا تجيء الضغوط العربية القوية من جانب مصر والسعودية اللتين كانتا تريان أن الحرب ترتبط بتحرير الكويت فقط وكان صوتهما مسموعا لأنهما شاركتا في الحرب ولقد حدث اتفاق فى صفوان حول الطاقة العسكرية العراقية بما يسمح ببقاء العراق كقوة عسكرية لإحداث توازن إقليمى .

- **ولكن ألا يعتبر هذا خيانة أمريكية للانتفاضة التى طالب جورج بوش الأب الشعب العراقى بها ؟**

– انتفاضة ١٩٩١ فاجأت الجميع وخاصة الأمريكيين الذين تصوروا أن ما سيحدث انقلاب عسكرى ضد صدام أما الانتفاضة الشعبية فقد ظلوا متخوفين من أن تكون مرتبطة بإيران كما كانت مصر والسعودية متخوفتين من قيام دولة شيعية أصولية ثانية بعد إيران، لقد انطلق الموقف الأمريكى من معلومات أكدت لهم أنه سيحدث انقلاب داخل الجيش العراقى .

- **لكن ألا ترى تناقضا فيما تزعمه أمريكا بالنسبة لمستقبل العراق وباقى النظم العربية فهى تتحدث عن ضرورة خلق نظم ديمقراطية ورغم أن ذلك لا ينبغى**

أن يحـــدث إلا بإرادة شعبية إلا أنها تطرح استبدال صدام بصدام آخر، جنرال سنى بجنرال آخر؟

- أمريكا لا تخفى خطتها تجاه عراق المستقبل فهناك وثيقتان مهمتان: الأولى مـــن نائب وزير الدفاع الأمريكى والثانية من نائب وزير الخارجية وهما موجهتان لمجلـــس الشيوخ والنواب أى أنهما وثيقتان رسميتان ولا يوجد فيهما أى كلام عن جنرال سنى وإنما تتحدثان عن ثلاث مراحل، الأولى مرحلة الاستقرار وتتراوح بين شـــهرين إلى ثلاثة وفيها تتم إزالة أسلحة الدمار الشامل والقضاء على أى نوع من أنـــواع العـــنف والحفـــاظ علـــى الـــتكامل الإقليمى العراقى وإعادة فتح الإذاعة والتليفزيون وإصلاح النفط الذى يمكن أن يدمر أثناء الحرب والسماح للأمم المتحدة ومجلـــس الأمـــن بإصدار قرار ينظم عملية المرحلة الانتقالية للعراق والتشاور مع القـــادة العراقيين حول مستقبل بلادهم واعتقال أهم القيادات البعثية والتحضير لعمل جمعية تحت إشراف الأمم المتحدة وكذلك مجلس استشارى، أما المرحلة الثانية فهى المـــرحلة الانتقالية وفيها يتم تكوين قيادة عراقية مؤقتة تعمل مع سكرتير عام الأمم المـــتحدة وممـــثل أمـــريكى والإشراف على عملية تدريب الجيش العراقى وتكوين شـــركة قابضـــة عراقية للإشراف على النفط والعمل على الوصول إلى مستويات إنـــتاج مـــا قـــبل عـــام ١٩٩٠ وإعـــادة جدولة الديون العراقية وإعادة النظر فى التعويضـــات وتحديـــد الأشـــخاص الذين يمكن محاكمتهم كمجرمى حرب وعمل انتخابات محلية، أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة التحول وتحكم فيها حكومة عراقية منتخبة ذات سيادة وخلق دستور على أسس ديمقراطية.

- **لكن الأنباء تشير إلى وجود نوايا أمريكية لتعيين جنرالات عسكريين أمريكيين لحكم العراق فى الفترة الأولى ؟**

- الحـــاكم العسكرى الأمريكى فقط فى مرحلة الاستقرار ولكن بعد شهرين أو ثلاثة ستنتقل المسألة إلى مجموعة من الأمم المتحدة والعراق والأمريكيين والمرحلة الثانـــية مـــن ثلاثة أشهر إلى ٢٤ شهرا والمرحلة الثالثة تمتد من ثلاث إلى خمس سنوات.

- **هل ثمة مشاركة عربية ؟**

– إذا أردنـــا المشـــاركة فســـوف نشارك، فعندما سافرت إلى أمريكا فى وفد رســمى وشــعبى مؤخــرا سمعت أنه من الممكن أن تكون هناك مشاركة عربية ومصــرية فــى عملــية إعادة تشكيل العراق والدليل الترحيب الأمريكى بالمبادرة الإماراتــية الــى كانت ستغنيهم عن الحرب وتضع الموضوع برمته فى يد العرب طالما أنها ستتيح الالتزام بالمبادىء العامة للديمقراطية بالمعنى الغربى من انتخابات ودستور تتحدد فيه مدة الرئاسة وما إلى ذلك.

- **لكن معظم الأصوات الرسمية والشعبية العربية ترفض فرض النموذج الغربى للديمقراطية بالقوة ؟**

– التقاليد الديمقراطية العامة واحدة فى العالم بأشكال مختلفة إما نظام رئاسى أمــريكى أو برلمانى أو يجمع بينهما، لكن هناك أمرين يشكلان جوهر خصوصية المــنطقة العربــية وهمـــا دور الشريعة الذى يمكن التعامل معه بأكثر من صيغة، فالصيغة المصرية يقول الدستور فيها إن الشريعة أحد مصادر التشريع ثم أصبحت المصـــدر الرئيســـى للتشريع، لكن المدنيين هم الذين يحددونها بينما يتكلم الدستور الســـودانى عن الشريعة والعرف والتقاليد والنقطة الثانية هى حقوق الإنسان فهناك خلاف بيننا وبين الغرب فيما يتعلق بعقوبة الإعدام مثلا التى ألغتها أوروبا أما نحن فنتمســـك بالقصـــاص وهـــناك مثال آخر هو حقوق المرأة فهى مساوية للرجل فى الميراث فى الدساتير الغربية هذه هى جوانب الخصوصية فيما يتعلق بالديمقراطية إلا إذا كنا نتحدث عن ديمقراطية بمعنى آخر مثل الديمقراطية الشعبية أو ديمقراطية الحزب القائد أو التحالف الشعبى العام .

- **لكن مبادرة باول تحدثت عن مقرطة كل الأنظمة .. كيف تتصور أن يحدث ذلك فى إطار الحديث عن تداعيات الحرب ؟**

– أتصور أن أمريكا ستخرج منهكة من الحرب المكلفة وفى تصورى أن الأمم المتحدة ولجان حقوق الإنسان والعهود الدولية التى وقعت عليها تقول إن على الدول

أن تكـــون ديمقراطـــية وأهـــم مشاكل المنطقة أنها لا توجد بها دولة نموذج فالذين جـــربوا القومـــية العربية ظلوا متخلفين والذين جربوا الإسلام السياسى فى إيران والســـودان ظلوا أيضا متخلفين فهل يمكن أن تكون هناك تجربة عربية يمكنها أن تحقـــق نمـــوا؟ الديمقراطية شرط من شروط التقدم لكنها ليست شرطا وحيدا فهناك الـــثقافة السياسية الموجودة والعلاقات الخارجية مع العالم وتوفر الموارد والقدرات الإدارية، إذن التقدم فكرة متعددة الأبعاد .

- **كيف تنظر للإجراءات الأخيرة التى تبنتها لجنة السياسات بالحزب الوطنى مثل إلغـــاء محـــاكم أمن الدولة وإنشاء المجلس القومى لحقوق الإنسان فى إطار تجديـــد الحكومة لقانون الطوارئ؟ هل هذا صدى للدعاوى الأمريكية لمقرطة الأنظمة العربية؟**

– هذه الخطوات امتداد لأسلوب الرئيس مبارك للإصلاح لكن السؤال: أما آن الأوان لكـــى يكون هناك إصلاح شامل بدلا من خطوات جزئية كل عام أو حسب الاحتياج؟! فى تصورى أننا نحتاج إلى نقلة كيفية وهى تحدث فى المجتمعات عندما يبدأ النقاش حول القانون العام الذى يحكم حركتها. والنخبة المصرية حاولت كثيرا مناقشـــة هـــذا الموضـــوع خصوصـــا صلاحيات رئيس الجمهورية والتوازن بين السلطات وصناعة دستور جديد لكنها فشلت مرتين: مرة فى الحوار الذى دعا اليه الحـــزب الوطـــنى والثانـــية فى حوار المعارضة، فقد حاولت القوى الإسلامية أن تسيطر على الأمر لأنها تريد أن تحكم بالفتوى لا بالتشريع فهل من الممكن أن تدار الدولة وأمنها القومى عن طريق مجلس الشئون الإسلامية .

- **وماذا إذا أجريت انتخابات ديمقراطية فى مصر وفاز فيها التيار الإسلامى كيف ستتعامل معه النخبة العلمانية وفقا لمبادىء الديمقراطية ؟**

– نحـــن أما مأزق تاريخى وعلينا أن نخوضه بهذه الأدوات الديمقراطية وكل مـــا علينـــا أن نطـــرح المسألة للرأى العام، وهناك وسائل للتعامل مع الجماعات المـــتطرفة فـــى كـــل مجـــتمع دستوريا وديمقراطيا كما يحدث فى حالة ألمانيا مع

الجماعـــات الـــنازية، وفـــى أمريكا نفسها حينما تعاملت مع الجماعات العنصرية البيضـــاء، وفى تصورى أن التجربة المصرية حققت نجاحا نسبيا فى هذا المجال عـــندما جعلـــت مجلـــس الشعب هو السلطة المنوط بها تفسير ما هو إلهى وليس الإخوان المسلمين وبالتالى لم يجد الأخوة المسيحيون مشكلة فى تطبيق قانون الخلع والأحـــوال الشخصية ولدينا تجربة الشيخ على عبد الرازق المستنيرة، ففى تقديرى أن الشريعة جزء مهم من ضمير الناس ينبغى مراعاته .

- **أشرت إلى التجربتين الألمانية والأمريكية فى التعامل مع الجماعات الأصولية المـــتطرفة لكن المسألة مختلفة فى مصر فاتجاهات الرأى العام تذهب باتجاه الإخوان المسلمين ؟**

– إذا كـــان الإخوان المسلمون الديهم الاستعداد للتعامل كحزب ديمقراطى مع باقى الأحزاب فليس عندى مانع على أن يكون الحوار الدائر بيننا منطلقا من كوننا بشـــرا لا متحدثيـــن باســـم آلهة، فما المانع مثلا من أن أكون مسيحيا وديمقراطيا كأعضـــاء الأحـــزاب الديمقراطـــية المسيحية فى أوروبا، فليس هناك مانع من أن أســـتهدى بكلمـــات الإنجـــيل أو القرآن وأنا ذاهب إلى مجلس الشعب وأقبل بحق الآخرين فى أن ينطلقوا من مبادىء علمانية وعلى أية حال فالإخوان تيارات أحدها مؤمن باللعبة الديمقراطية ويسعى لكى يصبح حزبا وهناك تيار فاشى وبينهما تيار وســـطى غـــير أن المشكلة الحقيقة هى أن المناخ فى مصر غير صالح لإدارة أى حوار أو نقاش، ولا أدرى كيف يصبح كذلك فعند أى حديث عن الإصلاح السياسى والديمقـــراطى يـــزجون بقضية إسرائيل وأمريكا وتبدأ مباراة التقاذف بالاتهامات المتـــنوعة وتجد نفسك أمام نخبة لا تجيد سوى الكلام الساخن وليس لديها استعداد لمناقشة أى قضية بطريقة عقلانية وللأسف غزت الفضائيات العربية الساحة الثقافية بهذه الجراثيم، فنجومها من محترفى السخونة.

- **يرجع البعض آراءك هذه إلى عضويتك فى لجنة السياسات فى الحزب الوطنى وهـــى إشارة لا تخلو من اتهام، فلماذا لم تتخذ موقفا واضحا من تجديد العمل بقانون الطوارىء ؟**

– أعـتقد أن لـدى رسالة أحاول أن أطرحها بوسائل كثيرة وأقولها فى لجنة السياسـات كما أقولها فى نادى السيارات، فلقد اعلنت موقفى من قانون الطوارىء وأشرت إلى أن هناك وسائل كثيرة لحماية الأمن القومى للمجتمع.

- **فى هذه السياق دعنا نسألك: كيف تثمن قانون الجمعيات الذى انتقده الكثيرون باعتباره مقيدا لحركة المجتمع المدنى ؟**

– إنه قانون قاصر وأقل مما سبقه وطموحاتنا أكبر، ففى رأيى أن على مصر أن تنظر إلى العالم المتقدم لكى نفعل مثلما يفعل، فنحن البلد الوحيد فى العالم الذى يحدث به «عك» مثل الذى حدث فى موضوع تحرير سعر العملة. نحن دائما نأخذ الطريق الطويل ونصر على ألا نتعلم من الذين سبقونا. العمل الأهلى فى العالم كله يزدهـر بيـنما يـتحول عندنا إلى جريمة حيث تتعامل الدولة مع الناس باعتبارهم جماعة من القصر وأى موظف فى الشئون الاجتماعية يفهم أحسن منهم.

- **لكـن ألـيس على الدولة أن تحل تناقضها الخاص حينما تعمل على مزيد من الخصخصـة وتحـرر سعر العملة فى نفس الوقت الذى تعمل فيه على فرض قيود جديدة على حركة المجتمع المدنى ؟**

– الدولـة جـزء منا وتعانى من نفس التخبط، فالمجتمع لم يحسم بعد طريقة تعامله مع الأخ الأكبر ومازال البعض يتصور أن على الدولة أن تحل كل المشاكل رغـم أن هـذه هى مشكلة النخبة التى تبدأ من أول صحفى ينشر خبرا إلى رئيس الجمهورية.

- **لكنـنا نلمح فى ثنايا كلامك خلطا ما بين المجتمع السياسى والمجتمع المدنى أليسـت هناك خصوصية ما للمجتمع السياسى الذى هو الدولة بكل ما لها من تأثير متعاظم خصوصا فى دول الأطراف الرأسمالية ؟**

– لا أخـتلف معـك، فالدولة عليها دور القائد ولها نفوذ أكبر فى التغيير إلى الأفضـل لكـن المجـتمع ليس جاهزا لذلك فلقد استمعت لوزراء كثيرين فى لجنة السياسـات، يعرفون المشاكل والحلول ومع ذلك لا يستطيعون تطبيقها، فعندك مثلا

مشـكلة الدروس الخصوصية تريد أن تجرمها يثور عليك المجتمع فهو لا يتواضع علـى الأشـياء التى بها مكسب على المدى الطويل وخسارة على المدى القصير، وتصـورى أن حل مشاكل المجتمع المصرى يكمن فى تحقيق معدل نمو يصل إلى ٧ أو ٨% سـنويا، فمعـدل النمو الحالى الذى قد يصل إلى ٢ أو ٣% يضيع مع الزيادة السكانية.

- **كيف ترى تأثير الحرب الدائرة الآن على مستقبل القضية الفلسطينية فى سياق تجديد كل من بوش وبلير كلامهما لتفعيل خطة الطريق ؟**

– مستقبل القضية الفلسطينية مرتهن بما نريده نحن فأمريكا وأوروبا مشغولتان بأولوياتهمـا وتصـورى أن الحل يعنى أن ندفع الثمن فهل نحن على استعداد لأن نكون جزءا من الحل أم جزءا من المشكلة؟ فالكلام عن خريطة الطريق كلام فارغ مـا لـم يتوافر فى إسرائيل من يؤيدها، فهل أنت على استعداد لأن نكوّن مجموعة داخـل إسرائيل تؤيد خريطة الطريق وتعتبرها حلاً لمشاكلهم كما هى حل لمشاكل الفلسطينيين؟ وهل نحن نؤيدها فقط على مستوى الدول بينما تنقسم النخبة بين مؤيد وطـارح لخريطة أخرى هى إزالة إسرائيل؟ هل نحن على استعداد لعمل هدنة مدة سـنة أو سنتين على الأقل بالنسبة للمدنيين الإسرائيليين؟ المفاوضات التى اشرفت علـيها مصر وجمعت بين الفصائل الفلسطينية كانت جيدة لكنها لم تحقق شيئا لأن شـارون يـدرك خطـورة تكوين معسكر للسلام داخل إسرائيل، ولذلك راح ينفذ عملـيات اغتـيال لقادة حماس لترد عليه بعمليات انتحارية وهكذا تظل القضية فى دائـرة مغلقـة، لسنا ضد حق الشعب الفلسطينى فى المقاومة فهى واجب غير أن أشكال المقاومة تتعدد، وظنى أن عسكرة المقاومة هى سبب ما نحن فيه، ودليل ذلك أن الانتفاضـة الأولى حققت نتائج أفضل من الثانية وللأسف يكتفى العرب بطرح المـبادرات فى شكل تصريحات لكنهم لا يستغلون الأطراف الدولية التى يمكن أن تدعـم مـبادراتهم بل إنهم عجزوا حتى عن استغلال مليون ومائتى ألف فلسطينى يعيشون داخل إسرائيل.

- **لكـــن عســـكرة الانتفاضة جاءت ردا على استفزازات شارون المتواصلة حتى اليوم .. فى هذا الإطار ما هو مستقبل جماعة كوبنهاجن للسلام التى كنت أحد مؤسسيها ؟**

– قلـــت مرارا إن وسائل المقاومة تتعدد، منها الوسائل الدبلوماسية والتطبيع، والاقتصـــاد والحـــرب والاغتيالات والتدمير والتخريب، ولم أقل أبدا بالتطبيع بل طرحـــت فى معظم مقالاتى مشروعين للحل: أحدهما للسلام والآخر للمقاومة لكى يعـــرف المواطـــن الإسرائيلى أن هناك خيارا آخر غير الصراع الأبدى كما يحلو لشـــارون أن يصـــور له، وفى تصورى أن الانتفاضة الثانية فى بدايتها ردت على اســـتفزاز شـــارون ولم يكن هناك ما يدعو لعسكرتها التى جاءت بشارون وقلصت معسكر السلام فى إسرائيل، التجربة الإنسانية غنية بأشكال المقاومة فهناك الأسلوب الجزائرى وهناك أسلوب غاندى فى الهند ومانديلا فى جنوب إفريقيا وكل ما علينا هـــو أن نتخـــير أنســـب الأساليب والوقت المناسب لتنفيذه، لذلك قلت إن انتفاضة الحجـــارة نجحت فى تحقيق أهدافها أكثر مما حققته الجبهات الشعبية والديمقراطية وحماس وغيرها، وفى هذا السياق لا أرى أى مستقبل لجماعة كوبنهاجن .





فخـرى كـريم(*)

نظـــرة واحدة إلى وجهه الذى مازال يحمل آثار محاولة اغتيال فاشلة نفذها ضــده زبانــية نظــام صدام حسين فى بيروت وقراءة سريعة فى تاريخه الممتزج بتاريخ بلاده تكفيان لكى نكتشف الأهمية القصوى لشهادة هذا الرجل الذى خرج من بغداد إلى بيروت محاولاً تضميد جراح الحزب الشيوعى العراقى الذى تعرض فى منتصف السبعينيات لأشرس هجمة دموية فى تاريخه.

إن أهمــية شــهادة فخــرى كــريم لا تنبع فقط من عضويته السابقة بالمكتب السياســى للحــزب الشيوعى أكبر وأعرق الأحزاب العراقية والذى أثخنه الطغيان البعــثى بالجــراح قدر ما تنبع من كونه مثقفاً ومفكراً عراقياً لعب دوراً كبيراً فى إثراء الحياة الثقافية العربية فهو مؤسس مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية الذى تصــدر عنه «مجلة النهج» الفكرية وهو أيضاً مؤسس «دار المدي» و«بيت المدى

(*) مثقف عراقى وعضو بالمكتب السياسى للحزب الشيوعي العراقى سابقًا .

للـــثقافة والفنون» ومجلة المدى الثقافية، والكتاب للجميع، وهو يستعد حالياً لإصدار أول صـــحيفة يومية مستقلة فى بغداد، أما قفزته الجبارة فهو استعداده لإطلاق أول فضائية عراقية بعد سقوط صدام حسين.

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

– أى سياسى أو مثقف يعرف طبيعة النظام فى بغداد يدرك أن مثل هذا النظام بحكم عزلته عن الشعب ونهجه الدموى لا يمكن أن يقاوم أو يصمد أمام قوة غازية بحجم الولايات المتحدة، وبالتالى فإن سقوط بغداد بهذا الشكل الدراماتيكى كان أمراً متوقعاً ولقد قلت قبل وأثناء وبعد الحرب إننى أتوقع بكل أسف سقوط عاصمة بلدى لـــيس بفعـــل الصـــواريخ والأسلحة، ولكن بفعل النظام الفاشى الذى يكبل الشعب العـــراقى ويصـــادر إرادته وينتهك حرماته، وبالتالى فلابد من الافتراض أن شعباً مكبلاً لا يمكن أن يدافع عن بغداد أو أى مدينة أخري. إن الخلط بين النظام والوطن قـــبل وأثـــناء الحرب كان وراء الأوهام التى سادت فى الشارع العربي، وأدى إلى حالـــة الذهول بسبب السقوط العاصف غير المتوقع مع أنه جاء أسرع مما تصور الكثيرون.

- **لكن هل كانت هناك وسيلة أخرى لإسقاط هذا النظام غير العدوان الأمريكي ؟**

– لقـــد حاولت الجماهير الشعبية المعزولة إسقاط هذا النظام بمختلف الوسائل، ومـــا انتفاضـــة آذار عام ١٩٩١ إلا أكثرها نضوجاً ، لكن تواطؤ الولايات المتحدة وأنظمـــة إقليمـــية وعربية كان وراء إجهاضها . كما أن الجـــرائم والمجازر التى كانـــت ترتكـــب بحقـــه والـــدم البارد الذى كان يخيم على مشاهد القتل الجماعى والاســـتهانة بـــروح الإنسان وقيمته تكشف كم كان صعباً إسقاط هذا النظام بدون وســـيلة تتضافر فيها الجهود لمواجهة قدرة النظام على الفتك بمن يقاومه مع الأخذ بالاعتـــبار أن القضـــية العراقية بكل تفاصيلها أصبحت بحكم حروب صدام حسين قضية دولية.

- **إذا كنـــت تـــرى أن مثل هذا السقوط ما كان ليحدث دون مثل هذه القوة فهل تـــتفق إذن مـــع مـــن يقولـــون إننا لسنا إزاء احتلال وإنما إزاء قوة محررة فرضتها قوانين العالم الجديد ؟**

– علينـــا أن نسمى الأشياء بأسمائها بغض النظر عن نتائج الأمور ومآلها فما حدث حرب والوجود الأمريكى على أرضنا احتلال والولايات المتحدة نفسها أسمت إدارتها للعراق بإدارة احتلال. وما ترتب على ذلك من إطاحة صدام حسين إنما هو «توافـــق» مـــع طموح الشعب العراقى جاءت للأسف عبر وسيلة سيئة نجم عنها الواقـــع الحـــالى المتمـــثل بالاحتلال ولا يمكن فى هذا السياق الحديث عن السيىء والأســـوء، فالنظام لم يكن سيئاً فقط لكنه كان كابوسياً بكل المعايير يصعب أن تجد مثيلاً له فى التاريخ وأتحدى من يجد توصيفاً لأى نظام فى تاريخ البشرية مثل هذا التوصـــيف الخـــاص بنظام البعث الصدامى فهو نظام زلزل أركان الوطن العراقى ودمـــر نســـيجه الوطنى وارتكب بحقه قدراً من الجرائم يصعب أن تجد لها مثيلاً، والمؤكـــد أيضـــاً أن الاحتلال إنما هو نتيجة سلبية. على شعبنا أن يناضل لتقصير اســـتمراره وتحديـــد أدنى سقف زمنى له عبر الإسراع فى تحقيق المهام الأساسية المباشـــرة المـــتعلقة بأمن المواطنين واستقرار الأوضاع وتكريس الحريات وعودة الحـــياة الطبيعـــية اعتماداً على إرادة العراقيين لنضع الولايات المتحدة بعد ذلك فى مواجهة شعارها باعتبارها محررة لا محتلة.

- **هل تعتقد أن الولايات المتحدة صادقة فى ادعاءاتها تلك ؟**

– لا يمكـــن لأى دولـــة كبرت أو صغرت أن تشن حرباً وتستخدمها كوسيلة سياســـية إلا إذا كان ذلك تعبيراً عن مصالحها سواء كانت تلك المصالح سياسية أو اقتصادية، لذلك فالحرب لم تكن استجابة لتطلعات الشعب العراقى فى الخلاص من الديكتاتور، السفاح بل تعبيراً عن المصالح الاستراتيجية العولمية للولايات المتحدة، ولكـــن قد يحدث فى السياسة ما يسمى بتوافق المصالح، وقد تم هذا «التوافق» عند نقطـــة واحـــدة وهـــى التخلص من النظام الدموى ، لكن المؤكد أيضاً أن الاحتلال

سيعمل على تحقيق مصالحه حتى لو تقاطع مع مصلحة الشعب العراقي. ما حدث إذن «توافق» في نقطة واحدة واختراق في باقي النقاط .

وسيتركز الصراع في المرحلة القادمة حول القضية الوطنية المحورية المتمثلة في التعجيل ببناء مؤسسات الدولة بمختلف المستويات وصولاً إلى انبثاق حكومة وطنية وإرساء أسس النظام الديمقراطي التعددي الفيدرالي القادر على تهيئة مستلزمات إنهاء الاحتلال.

- **في ظل هذا الخلط بين النظام والوطن والاشتباك بين الخلاص من الديكتاتور وجلب الغزاة كيف تقيم موقف المثقفين العرب أثناء الحرب واتهامهم للمعارضة العراقية في الخارج بالخيانة والعمالة ؟**

– أعتقد أننا إزاء صنفين من المثقفين والسياسيين وشارعين عربيين. أولهما مثقف كان يلوي الشعار السياسي في كل ظرف ليتناسب مع طبيعة علاقته مع هذا النظام العربي أو ذاك وبشكل خاص نظام الاستبداد الصدامي، ولم يكن معنياً بأن يأخذ في اعتباره احترام إرادة الشعب المبتلى بحكامه، مضفياً على شعاراته تارة أهدافاً قومية عليا، وتارة أخرى ادعاءات يسارية أو إسلامية، فهذا المثقف السلطوي وقف إلى جانب صدام حسين بشعره وقصصه ورواياته ومقالاته أثناء حربه الدموية على الحركة الديمقراطية العراقية بمختلف مكوناتها سواء تمثلت في الحزب الشيوعي أو الشعب الكردي أو حتى العناصر القيادية داخل حزب البعث. وهلل هذا المثقف بدعاوى معاداة الإمبريالية لصدام عندما أعلن الحرب الكارثية على الثورة الإسلامية في إيران التي أسقطت أهم مراكز النفوذ الأمريكي – الصهيوني في المنطقة زاعماً بأنه حارس البوابة الشرقية . هذا المثقف وقف عملياً مع النظام الذي كان ينفذ إرادة الولايات المتحدة بدعم من غالبية البلدان العربية ودول الخليج التي كان ينعتها بالرجعية . ونفس هذا المثقف وهذا الشارع المتواطئ وقف إلى جانب قوات التحالف الدولي في عاصفة الصحراء لتحرير الكويت من قوات صدام ، وها هو اليوم يقف مرة أخرى لاوياً شعاراته دفاعاً عن النظام في بغداد، بل وشخص

صدام بدلاً من أن يدافع عن الشعب العراقي، بل حول صدام أمام الجماهير إلى «بطل قومي» يدافع عن مصالح الأمة فى مواجهة الولايات المتحدة التى لم يكن بطله المزعوم إلا دميتها وصنيعتها. هذا هو المثقف المتواطئ الذى وقف إلى جانب الاحتلال الداخلى للعراق من قبل صدام وزبانيته وهو احتلال لم يشهد له التاريخ مثيلاً فى سلب إرادة الوطن والمواطن ومصادرة أمواله وثرواته وإخضاعه كلياً لطاعة السيد الأوحد الذى لا ينازع إرادته أحد. ودعنى أتساءل : هل هذا المثقف حامل قضايا الأمة والمعبر عن تطلعاتها ؟ هل يمكن اعتبار المثقف المتواطئ مع الديكتاتورية والاستبداد تحت أى واجهة، أداة تغيير وكفاح؟، هل التصالح مع الاستبداد ومصادرة إرادة الشعب وسرقة ثرواته وتصفية مئات الآلاف من أبنائه «حالة وطنية» وموقف تنويرى للمثقف؟ هل المثقف المتواطئ عاجز عن توجيه ثقافته ووعيه لصالح سمو الإنسان والدفاع عن كرامته؟ هل يجوز تبرير مواقف هذا المثقف بحجة حماية المبدع؟ وهل للمبدع حصانة فى الانحدار والانحطاط السياسى والأخلاقى؟ ألا يساعد ذلك على تكريس خرابه وإعادة إنتاجه وتسويقه فى كل مرحلة، وتحويله إلى أداة قمع لا أداة تنوير وإيغاله فى خراب روح الأمة، بل وإلى حرف نضالاتها ودفع الشارع العربى لارتكاب خطايا بحق نفسه وحق أمته كما حدث فى حالة العراق عندما أوحى للشعب العربى بأن هذه الحرب إنما هى حرب الشعب العراقى فى حين أنها كانت حرب بوش وصدام حسين دون تفويض لا من الشعب الأمريكى للأول ولا من الشعب العراقى للطاغية الذى خاضها دفاعاً عن نظامه، بل إن هذا المثقف اعتبر أن أى حديث عن ديكتاتورية النظام تواطؤ مع الولايات المتحدة. وها هو يلملم اليوم بقايا النظام من مخابراته وقتلته ليسميهم مقاومة الشعب العراقى ضد الولايات المتحدة ، أما المثقف الآخر والشارع الآخر فهو الصامت إما بسبب تكبيل إرادته أو بسبب حالة اليأس والإحباط التى تسيطر عليه وإحساسه بالعجز الكامل واستلاب إرادته من قبل نظامه. وقد حاول هذا المثقف على قدر إمكاناته أن يسمى الأشياء بمسمياتها إما عبر البيانات أو وسائل أخرى محدودة فى ظل ترهيب مثقف السلطة الذى لاحقه بتهمة العمالة والخيانة عندما أدان الحرب ودعا الديكتاتور للتنحى تجنباً لويلات الحرب والاحتلال.

- **تحدثت عن الشارع المتواطئ فهل يجوز مثل هذا الاتهام لهذه الملايين العربية التى خرجت فى مظاهرات حاملة صور صدام ؟**

– أنا لا اتهم هذا الشارع والمواطن البسيط الذى تدفعه مشاعر وطنية وقومية ولكـــنى أتهـــم تلك القوى السياسية القومية واليسارية والإسلامية التى حرضت هذه الجماهير ودفعتها بالاتجاه الخاطئ وأوحت لها بأن هذه هى معركتها وأن صدام هو رمـــزها فـــى المواجهـــة مع الولايات المتحدة وهو ما قادها إلى حالة من الذهول والـــيأس بعد السقوط اللائق بصدام حسين ولا أدرى إلى أين سيقودنا هذا الإحباط والـــيأس فـــى معاركنا المقبلةإذا استمرت نفس الأجواء، وأعتقد أن مثقفى السلطة يـــتحملون المســـئولية الأولـــى فـــى هزائمنا فى كل المراحل السابقة ساهموا فى تصـــويرها كأنهـــا انتصارات، بل والاحتفال بها أيضاً فى المرابض وفى الحملات الســـياحية لطائـــرات «الشارتر» التى دشنت التضامن مع الديكتاتور، وشارك فيها فنانون وفنانات لم يكن تضامنهم دائماً لوجه الله .

- **لكن هذا الشارع لم يجد سوى نظام صدام رمزاً للمواجهة مع الولايات المتحدة وإسرائيل لذلك لم يجد بداً من رفع راياته ؟**

– المضحك المبكى أن بعض المثقفين الذين هللوا لصدام لم يدركوا أنهم مجرد خـــدم لأنظمـــة هى نفسها خادمة للولايات المتحدة، فكيف يمكن لعاقل أن يعتقد أن طاغـــية اســـتباح أرواح شعبه وثرواته وكرامته يمكن أن يحافظ على استقلاله فى معركة ضد الاســـتعمار؟ وكيف يمكن أن نعـــتبر استخدام السلاح الكيمـــاوى لقتل ٥ آلاف كـــردى موقفـــاً ضد إسرائيل؟ وكيف يمكن اعتبار ذبح ٧٥% من قيادات الحـــزب الحـــاكم موقفاً فى مواجهة إسرائيل؟ وهل التنازل عن الأراضى العراقية للشاه فى اتفاقية الجزائر هو تعزيز لموقف الأمة ضد إسرائيل؟ وهل استباحة أرواح مـــا لا يقل عن مليون مواطن عراقى ما بين مشوه ومقعد وتبديد ألف مليار دولار مـــن ثـــروات العـــراق ضد مصالح إسرائيل؟ وهل التعنت والرفض المستمر فى الـــتعامل مـــع قـــرارات مجلس الأمن ثم الانبطاح المستمر أمام رغبات الولايات

المتحدة الأمريكية ضد مصالح إسرائيل؟ هل يمكن لعاقل أن يتصور أن هذا السفاح خدم القضايا القومية العربية ضد إسرائيل ؟

- **مــاذا عن المشهد الحالى فيما يتعلق بالقوى السياسية الوطنية العراقية ومدى ارتــباطها بالشــارع السياسى العراقى من ناحية وبجيش الاحتلال من ناحية أخرى ؟**

– لا يمكــن الحديث عن القوى السياسية العراقية الآن بمعزل عن النتائج التى ترتبــت علــى ممارسات الديكتاتور خلال ثلاثة عقود مضت. فقد دمر بنية الحياة السياســية وتمكن من إلحاق أكبر الأذى بالقاعدة التنظيمية لأغلب القوى والأحزاب السياسية، بل إنه دمر بنية الحزب الحاكم نفسه وحوله إلى قطيع مرتبط به كل ذلك قاد إلى تدمير الدولة العراقية وإحالتها إلى مجرد «خردة» ملقاة على قارعة الطريق وأحدث فراغاً سياسياً انعكس بجلاء بعد ذلك الانهيار الدراماتيكى للنظام. لقد اتيحت الفرصــة اليوم للأحزاب والقوى الوطنية التى تمثل التيارات الأساسية، لإعادة بناء تنظيماتها وفتح مقرات لها فى سائر أنحاء البلاد وإصدار صحافتها، والانخراط فى الجهــد المبذول لإشراك المواطنين فى حل مشاكلهم والمشاركة فى الحياة السياسية لمواجهــة تحديات البناء الديمقراطى والاحتلال والتيارات التى لها جذور تاريخية تتمــثل فــى التيار الشيوعى والتيار القومى العربى والديمقراطى والتيار القومى – الكــردى والتــيار الإســلامى وهناك أحزاب وقوى سياسية مستحدثة تأسست فى الخارج. ترك السقوط المدوى للنظام وغياب الأحزاب والقوى السياسية الفاعلة فى لحظــة السقوط، فراغاً سياسياً، تعمدت قوات الاحتلال الانفراد فى التحكم بمساره، ولــيس غريــباً أن تسعى قوات الاحتلال للانفراد فى المرحلة الحالية على الأقل، لإدارة شئون البلاد، مستهدفة من ذلك بالدرجة الأولى خلق قاعدة سياسية اجتماعية لها بين العراقيين، وإيجاد محيط سياسى موال لها. وأفضل بيئة سياسية لتحقيق هذا الهــدف يتمــثل فــى حزب البعث وقاعدة النظام المنهار. وقد يفسر هذا تجنبها أو تــرددها فى تصفية وتعقب منتسبى أجهزة الأمن والمخابرات والرجالات المتهمين بارتكــاب الجــرائم البشعة واقتصار الملاحقة على حفنة محدودة من قيادات البعث والنظام.

- **هـل تعـنى بهذا أن سلطات الاحتلال يمكن أن تعمل على إعادة إحياء النظام السابق، لكن هذه المرة تحت قيادتها مستبعدة باقى القوى السياسية ؟**

– لا أقصد ذلك، وإنما أقول إنها تريد أن تشكل وضعاً سياسياً جديداً موالياً لها ومرتبطاً بها بشكل مباشر وهى لن تتعفف عن استخدام بقايا النظام والكثرة الكثيرة مـنها مستعدة، لأن تضع نفسها تحت تصرف المحتل لكى تصبح جزءاً من الوضع الجديـد. إن الاحـتلال لا يريد إعادة نظام البعث ولكنه يريد توظيف بقاياه لخدمة وجـوده. ولابـد مـن الحـذر واليقظة فى هذا السياق – من مغبة خلط الأوراق والانسياق وراء دعاوى أنصار صدام حسين بين المثقفين والسياسيين العرب والتى تشـيع كمـا لو أن منتسبى حزب البعث هم كتلة موالية للرئيس المخلوع، وعليها الاعـتماد فـى تنظيم مقاومة ضد الاحتلال. إن مثل هذا الادعاء يلحق أكبر الأذى بمـئات الآلاف من المواطنين الذين انخرطوا فى هذا الحزب بدوافع خاصة سواء الحصـول على الوظيفة أو الالتحاق بالجامعة أو الخلاص من المساءلة أو المتابعة ولم يتورط كل هؤلاء فى جرائم النظام ولا يجوز ملاحقتهم أو اقصاؤهم عن الحياة السياسـية شـرط تخلـيهم وإدانـتهم للعقيدة التسلطية والاستبدادية لصدام ونظامه واستعدادهم للتفاعل مع الحياة الديمقراطية.

- **لكن ليس بقايا النظام فقط هى التى تحرص على الاتصال بسلطات الاحتلال ؟**

– إن شـعبنا وقـواه السياسية، سواء الرافضة للاحتلال أو الموالية للولايات المـتحدة، أمام لحظة تاريخية شديدة التعقيد والتشابك والالتباس. وهذه اللحظة تؤثر علـى المشـهد التالي: بعد أكثر من ثلاثة عقود انهار النظام الديكتاتوري، لكن هذا الانهـيار رافقه انهيار الدولة العراقية بكل أركانها، وخلافاً لكل التجارب التاريخية، بمـا فـى ذلك انهيار الدولة النازية فى ألمانيا، فإن انهيار الدولة العراقية والنظام البعثى لم يرتبط ببديل يحل مكانه بل بقوات احتلال أصرت على رفض إشغال قوى المعارضـة للفراغ الناجم عن السقوط والانهيار. وكما يبدو حتى الآن، فإن الإدارة العسكرية المدنية للاحتلال مصممة على الانفراد أطول فترة ممكنة فى إدارة البلاد وإعادة بناء النظام والدولة بكل تفاصيلها.

وفـــي ظل الفوضى وانعدام أبسط أشكال النظام، بما فى ذلك تنظيم المرور!، ليس أمام القوى الوطنية والسياسية العراقية إلا التعامل بعقلانية مع هذا الواقع. إن الطـــابع العشـــوائى للانفلات، وانفجار الغضب الجماهيري، يرافقه استمرار وجود الأجهزة القمعية للنظام وهى مدججة بالسلاح والأموال المنهوبة، تشكل عامل تهديد جـــدى للمواطـــن ولوحدة البلاد ومصائره، وللحيلولة دون استمرار هذه الأوضاع وإطفـــاء بؤرهـــا، ولنقل البلاد إلى الحياة الطبيعية وفرض حكومة وطنية عراقية انتقالـــية ثم ديمقراطية منتخبة لا مناص فى انتزاع ذلك كله من المحتل عبر أشكال المقاومـــة السياســـية لـــنهجه وإجراءاته وتسلطاته المناقضة لتعهداته وادعاءاته ، ولا يمكـــن لذلـــك أن يتحقق دون التنسيق معه باعتباره وفقاً لاتفاقية جنيف وقرار مجلـــس الأمـــن المســـئول عن إدارة البلاد وحماية أمنه واستقراره، ولا بأس فى الإشـــارة إلى أن قرار مجلس الأمن المذكور حاز على اجماع أعضاء المجلس بما فى ذلك الدولة العربية الممثلة فيه.

إن أى خـــيار آخـــر لا يعـــنى سوى دفع الأوضاع إلى انفجارات وصدامات وفوضى عاصفة مفتوحة على كل الاحتمالات.

وفـــي هذا الاتجاه وحده يمكن أن تنمو الإرادة الوطنية السياسية السليمة لبناء عراقى ديمقراطى يعود إلى بيئته العربية، متحرراً من العبودية والاحتلال.

- **وما هو إذن ثقل هذه الأحزاب الوطنية فى الشارع العراقي ؟**

– هناك الأحزاب القومية العراقية والحزبان الكرديان وحزب الدعوة الإسلامى والمجلـــس الأعلـــى للـــثورة الإســـلامية والحـــزب الشيوعى العراقى ولم تستطع الممارســـات الديكـــتاتورية القضاء على نفوذ هذه الأحزاب وقواعدها الجماهيرية. وهى تسعى الآن لإعادة بناء تنظيماتها بعد أن سارعت إلى فتح مقار لها فى مختلف محافظـــات العراق للاتصال بالناس وأصدر بعضها صحفاً خاصة بها وتصدر الآن حوالـــى خمسين صحيفة ومجلة كان أولها صحيفة «طريق الشعب» التى أصدرها الحزب الشيوعى العراقى والصحف والمطبوعات تصدر دون إجازة من أى جهة،

وليست هناك أى عوائق يضعها الاحتلال تمنع هذه الأحزاب من ممارسة نشاطاتها.. إن سلطات الاحتلال باختصار لا تمنع ولا تساعد.

- **ولكــن كيف تستقيم الحياة السياسية فى ظل الشعارات المذهبية والعرقية التى ترفعها أحزاب الأكراد والسنة والشيعة ؟**

– هكــذا تكونـــت الحياة السياسية فى العقدين الأخيرين فقد عمل صدام على تشـــكيل الحياة السياسية على أسس طائفية ومذهبية وعشائرية وعرقية فى محاولته لتدمـــير البنـــية الأساسية القائمة على التيارات الأساسية فى المجتمع العراقي، لكن الولايات المتحدة وحلفاءها عملت أيضاً فى الخارج على دفع الحركة السياسية نحو إعـــادة تشكيلها على نفس الأساس المشوه، واجهضت لجنة العمل التى انبثقت بعد انتفاضة مارس ١٩٩١ على أساس تمثيل التيارات الأساسية: التيار القومى العربي، والتيار القومى الكردي، والتيار الديمقراطى والتيار الإسلامي، ومع ذلك ففى صلب هذه الحياة السياسية نجد ممثلى التيارات الأساسية فى المجتمع فهناك أحزاب قومية عربـــية وأخرى ديمقراطية، وهناك حزبان كرديان بنيا على أساس قومى وهو أمر طبـــيعى وهنالك حركات واسعة جداً تحاول أن تعبر عن هذه الشريحة أو تلك من الشـــارع العراقى وفيما يتعلق بالأحزاب المذهبية «الأحزاب الشيعية والسنية» فقد أكدت جميع الأطراف الأساسية فيها فى المؤتمرات التى عقدت فى الخارج والداخل أهمـــية تشكل الحياة السياسية العراقية على أساس ديمقراطي، ليبرالى بعيدًا عن أى نزعة مذهبية أو دينية وأكدت أغلبيتها على علمانية الدولة العراقية وتجنب أى توجه شمولى سواءً كان تحت شعار قومى أو إسلامى أو اشتراكى أو غيره.

- **لكـــن مـــا هـــى إمكانية تحقيق هذا الحلم فى ظل المخاوف من قدرة الأغلبية الشـــيعية علـــى استغلال صندوق الانتخابات لفرض سطوتها وفى ظل نشوء حزبين كرديين على أساس عرقى ؟**

– أعتقد أن جميع القوى السياسية العراقية قد اتفقت على حق الشعب الكردى فـــى تقريـــر مصيره واكتشاف ذاته والتعبير عنها بإقامة فيدرالية عراقية فى إطار

نظام ديمقراطى تعددى أما الحالة الشيعية فإن الأحزاب الشيعية تعبر مثل أى حزب سياسى آخر عن إرادة أعضائها ولا تدعى تمثيل الشيعة ككتلة أخري.. سياسية. إن الشيعة تضمهم أحزاب عراقية كثيرة. إن المظاهرات المليونية للشيعة كانت تعبيراً عن سقوط الطغيان، وعودة إلى ممارسة شعائر دينية، منعها النظام المبتور بأعتى الأســاليب الدموية. ومشاركة مليون أو أكثر اليوم ليس وضعاً استثنائياً. فقد كانت هذه المناسبة تستقطب فى الستينيات عندما كان عدد سكان العراق ستة ملايين أكثر مــن ربــع مليون والمشاركون نسبة إلى ٢٥ مليون عراقى لا يشكلون أى تحد أو استفزاز لطائفة أخرى أو تهديد بإقامة نظام إسلامي.

- **مــاذا عــن الرأى القائل إن الحزب الشيوعى العراقى هو أقدر الأحزاب على تمثيل كل الفسيفساء الإثنية والطائفية العراقية ؟**

– الحــزب الشــيوعى كان – بهذا المعنى – موحداً دائماً فلم يكن أبداً طائفياً ولا دينياً ولا عرقياً وقوته ومصدر استمراره تكمن فى طابعه الوطنى العراقي .

- **هل انسحاب قوات الاحتلال هو مطلبكم العاجل أم أن هناك أولويات أخرى ؟**

–ســبق أن حــددت موقفــنا من الاحتلال، وأساليب مقاومته، والشرط الأول لتقريــب انهائــه ، هــو إعادة البلاد إلى الحياة الطبيعية ، والتعجيل بإقامة نظام ديمقراطى وحكومة تعبر عن إرادة الشعب .

- **وهــل بلــغ العجــز بالقوى الوطنية العراقية إلى حد أنها لا تستطيع أن تدير العراق وتعيد بناءه دون بقاء سلطات الاحتلال ؟**

– الواقــع يقول: إن العراق اليوم بلا دولة وبلا مؤسسات وبلا شرطى مرور يــنظم الســير. الــوزارات والمؤسسات محترقة والموظفون مشتتون وبقايا النظام السابق تحمل السلاح وبقايا الأجهزة القمعية تجوب الشوارع وهى مسلحة والقبائل مسلحة والأحزاب كذلك ألا يحتاج هذا الوضع إلى إجراءات تتخذها سلطة ما تحول دون انفجــار الأوضـــاع. هذا ما تحاول الوصول إليه الأحزاب السياسية مع إدارة الاحتلال.

- **فى هذا السياق ترى هل تغيرت فكرة الوطن والاستقلال الوطني ؟**

– علينا أن نتفق أن مفهوم الوطن المجرد عفا عليه الزمن، فالوطن هو إرادة المواطـــن وحريـــته وكرامته وشرفه وإنسانيته الاعتزاز مثلاً بالوطن الثاني، يشير دائماً إلى ما ينبغى أن يكون عليه الوطن الأصلي، فهو يحتضنك لاجئاً أو هارباً من ظـــروف الاستبداد السياسى ويحترم كرامتك وإنسانيتك ويهيئ لك متطلبات العيش فمـــاذا ينبغى أن ننتظر من الوطن الأول؟ لقد خضعت الشعوب العربية خلال عقود عديـــدة لأنظمـــة اســـتبدادية أسهمت فى مزيد من اغتراب المواطن عن ذاته وعن حقوقـــه بحجـــة الدفاع عن الوطن ضد الامبريالية وتحولت هذه الأنظمة إلى جلاد يصـــادر الحد الأدنى من حرية الفرد. لقد افرغت الديكتاتورية والأنظمة الاستبدادية الوطـــن والوطنـــية من مضامينها وقيمها واختزلتهما فى كرسى الحاكم فى محاولة لفصم عرى الارتباط الوثيق بين قيم الوطنية والديمقراطية والحرية وإرادة المواطن ولا قـــيمة لأى حـــرية عن السيادة والاستقلال والمصالح العليا دون التسيد المطلق للمواطن وللشعب وللحرية بكل تجلياتها، وفى هذا المنعطف لابد للعراقى من فرصة لاستعادة وطنه، وتمثل القيم التى بها يسمو هو بالوطن ويسمو الوطن به.

- **فـــى ســـياق إقـــراركم بحـــق الشعب الكردى فى تقرير مصيره.. كيف ترون توصيف الدستور الجديد لدولة العراق؟ هل ستصرون على عروبتها ؟**

– دعـــك مـــن التوصـــيفات ، فهناك إمارات وممالك وجمهوريات فى العالم العربى تحمل أعلاماً وشعارات عربية وما عليك إلا أن تدخل إلى مضمونها لترى مقـــدار بعدهـــا عن كل ما يمت للعروبة بصلة ، والعراق فى ظل نظام صدام كان يـــرفع شـــعار العروبة والإسلام فهل كان ذلك تعبيراً عن طبيعته وحقيقته أم أنها محض شعارات جوفاء.

- **كمثقف عراقى كيف ترى مستقبل فكرة القومية العربية ؟**

– أعـــتقد أن التيارين الكبيرين فى العالم العربى القومى والاشتراكى قد سقطا بفعـــل هزيمتهما الداخلية وعدم قدرتهما على التعبير عن نبض مجتمعاتهما، وإذا لم

تجـدد الحركـتان أسـاليبهما ومضمونيهما فستظلان على هامش الحياة السياسية والفكرية ما سيدفع الأمة لمزيد من الخراب والهزائم.

إن تحقـيق المصـالح القومـية العربـية تمـر عبر العمل على إقامة أنظمة ديمقراطـية تجعـل المواطـن سـيد وطنه، وخلق ظروف تنمية مستدامة وتطور اجـتماعى اقتصـادى يفـرز إمكانية كل قطر عربي، ويقلل تفاوت التطور بينها، ويرسـى ويعزز علاقات التشارك والتبادل فيما بينها، ويؤسس كل أشكال التقارب والاندماج بين مؤسساتها القومية.

إن التحول من القطرى إلى القومى وبالاستناد إلى تطور اقتصادى واجتماعى يفضـى إلـى إنشاء سوق عربية موحدة هو الطريق إلى أى صيغة وحرية وليس العكس السائد حتى الآن.

- **نعـود للمشهد العراقى كيف تثمن الرأى القائل إن الصراع المقبل فى العراق صراع بين الأصولية والعلمانية ؟**

– لـم يـبرز مـثل هـذا الصراع فى العراق فهناك تأكيد على نزعة العمل المشـترك بين مختلف القوى السياسية، وأعتقد أن ما يبرز من نزعات عقلانية فى الأحـزاب الإسلامية العراقية سيغلب ما هو وطنى عام على ما هو مذهبى محدود واسـتناداً إلى ما يحدث فى الجزائر وإيران ، فإن السياق العالمى سيدفع إلى تغليب كل ما هو إيجابى فى الظاهرة الدينية.

- **تحدثت الولايات المتحدة عن تقديم العراق الجديد كنموذج يحتذى لباقى الدول العربية والإسلامية.. ما هو تقييمك لحقيقة الموقف ؟**

– باسـتثناء إسـقاط صدام حسين، فإنه إلى جانب آخر من وعود المحتل لم يـتحقق. بل التسويف فى إشراك الأحزاب السياسية فى إدارة البلاد هو السائد حتى الآن.

وإذا مـــا تحقـــق الوعد بالتسامح فى إقامة نظام ديمقراطى بإرادة عراقية، فإن ذلـــك لـــن يكون متعارضاً مع مصالح الولايات المتحدة، إذا لم تكن هذه المصالح تتعارض وتتناقض مع مصالحنا الوطنية.

وفـــى كـــل الأحـــوال، فـــإن حرص الولايات المتحدة على ديمقراطية الحياة السياسية فى هذا البلد العربى أو ذاك، يأتى هو الآخر «متوافقاً» مع توق وطنى فى غالبـــية البلدان العربية لتجاوز الأوضاع الراهنة المقيدة للحريات وللإرادة الشعبية، والغارقـــة فى كل مظاهر الفساد والتفسخ وتبديد الثروات وتوسيع دائرة الامتيازات على القلة والنخبة والتضييق وشظف العيش على الأكثرية المنهوبة والمسحوقة.

فـــإذا لـــم يتحقق البديل الديمقراطى بإرادة وطنية، فالبديل الآخر، سواء بقوة النماذج المفترضة، ومنها النموذج العراقى الموعود، يهدد بالتغيير. إن تغييب مئات الآلاف من المثقفين والتكنوقراط ورجال الأعمال من مراكز القرار والمسئولية فى العديـــد مـــن الـــبلدان والأنظمة، يشكل البديل الذى لا يبدو متعارضاً مع المصالح الأمريكـــية، لكـــنه يمكـــن أن يكـــون قاعدة وطنية، إذا ما تم التغيير دون انتظار إملاءات.

والعـــراق مرشـــح لتأثير مزدوج فى المحيط العربى والإقليمى ومفتوح على الاحتمالين!.

- **كـــيف ترى مستقبل جيش الاحتلال الأمريكى فى العراق؟ وهل سيسعى للبقاء عبر اتفاقيات أمنية مشابهة لتلك التى أبرمها مع دول الخليج ؟**

– إذا أصـــرت قـــوات الاحتلال على البقاء فسيجد الشعب العراقى نفسه فى مواجهـــة هذا الوضع وسيعبر عن ذلك بأشكال سياسية مختلفة. وأؤكد أن استمرار بقـــاء هـــذه القوات مرفوض من قبل كل القوى الوطنية وعلى الولايات المتحدة أن تدرك ذلك أما شكل علاقتها بالقوى الوطنية فهو أمر مرهون بقدرة هذه القوى على إجـــراء انـــتخابات حرة تأتى بحكومة وطنية كما أنه مرهون بسيرورات الأوضاع الإقليمية والتطورات التى قد تلحق بالصراع العربى – الإسرائيلي.

- **باعتبارك مثقفاً عراقياً كيف تأثر المشهد الثقافي بحكم الطاغية ؟**

– إذا كانـــت البنـــية التحتية فى العراق قد تعرضت لتدمير شامل عبر ثلاثين عامـــاً متصـــلة من الاستبداد، فإن إعادة بنائها أمر يسير ولا يحتاج إلا إلى بضعة ملـــيارات دولارات مـــن خزائنـــنا، أمـــا الكارثة الحقيقية التى لا يمكن تعويضها وإصلاحها بإنفاق آلاف المليارات فهى كارثة تدمير الإنسان والمجتمع العراقى الذى سـلب النظام البعثى روحه وجرده من حياته وإرادته بتسييد ثقافة الاستبداد وهيمنة المثقف السلطوى ونفى الإبداع الحقيقي .

- **مـــاذا تقصد بثقافة الاستبداد؟ هل هى سيطرة المثقف السلطوى أم أنها سيادة ثقافة التسلط على الذهنية العراقية ؟**

– مـــا أقصده هو هذه الثقافة التى اصطدم بها المواطن العراقى الذى ولد قبل ثلاثة عقود وهو يواجه هذا الكم الهائل من تماثيل صدام حسين التى تزيد على ألفى تمـــثال فـــى شوارع العراق المختلفة وآلاف الصور الخاصة بالقائد، وهو يصطدم بمخابـــرات النظام وأجهزته القمعية التى صورت له سلوكياتها اليومية القتل كحدث عابـــر والاغتـــيال كأمر بديهى لا يستدعى حتى لحظة اندهاش. لقد صار الاستبداد ثقافـــة المواطـــن حتى فى زوايا البيت فالأب مستعد للوشاية بابنه والمرأة بزوجها والنظام يكافئها ويسميها «الماجدة» ويكافئ الأب الذى يضرب ابنه بالرصاص، لأنه هـــرب من الجندية والنظام عود الطفل فى المدرسة كتابة تقارير بصيغة موضوع إنشـــائى مدرســـى عما يقوله والده عن شخص السيد الرئيس. ثقافة الاستبداد التى أعنـــيها هى ابتسار الأدب العراقى فى أدب الحرب وابتسار الشعر فى قصائد مديح القـــائد مهيب الركن وابتسار الرواية العراقية فى الروايات التى تمجد صدام حسين وحراس البوابة الشرقية فكان طبيعياً أن تظهر إلى السطح ترهات ثقافة النظام، وأن تغييب مشهد الثقافة والابداع الحقيقى الكافيين.

- **فــي ظــل سيادة هذه الثقافة الاستبدادية أليس من الصعب الحديث عن حياة ديمقراطية، تعددية آنياً على الأقل ؟**

– إن اعترافنا بشيوع ثقافة الاستبداد يجب ألا يدفعنا لتكريس المقولات الخاطئة التى يحاول البعض إشاعتها عن أن المواطن العراقى تعود على الأنظمة الاستبدادية والحكــام الأكــثر دموية كالحجاج بن يوسف الثقفى وصدام حسين ذلك أن التغيير ممكــن وقــائم بعــد زوال الدولة الاستبدادية كما أن تغيير الذهنية العراقية مرتهن بتغيير البنية المادية والأساس الاقتصادى والاجتماعى الذى يولدهما.

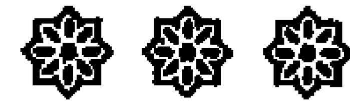
- **ما هى حقيقة الصور التى رأيناها على الفضائيات لعمليات السلب والنهب بما فى ذلك نهب التراث العراقى ؟**

– عاشت المدن العراقية، بعد سقوط النظام البائد تحت رحمة أكثر من خمسين ألــف لص وقاتل محترف اطلق سراحهم صدام حسين بفرمان رئاسى قبل الحرب ببضــعة أســابيع، وعدد مماثل كان مطلق السراح أصلاً. وقد أنضم إليهم عشرات الآلاف من منتسبى الأجهزة القمعية الذين شاركوا فى النهب والحرائق العبثية التى لم يكن لها غير تفسير واحد، هو تدمير ما لم يدمره صدام والاحتلال، وإثارة المزيد مــن الفوضـــى والخــراب، والانتقام من الشعب الذى اطلق مشاعر الفرح بنهاية الطاغــية. ولا يعــنى هذا أن الحرافيش والعصابات وعديمى الذمة لم يشاركوا فى العملــيات المذكورة، وحتى مواطنين وجدوا بسبب ضعف وعيهم فى سرقة البنوك والمؤسسات وبيوت المسئولين عملية انتقام من جلاديهم.

لكــن وقائع عديدة منها ضبط مهربات فى ميناء باريس ونقاط حدودية أخرى فــى زمــن قياسى بعد الحرب دليل على مشاركة لصوص السلطة قبل وأثناء وبعد الحرب فى نهب المتاحف والمكتبات والجامعات. كما أن حالات كثيرة تشير إلى أن اللصوص كانوا يعرفون بالضبط، ما الأشياء واللقى التى يريدونها ويعرفون أماكنها ألا يدلــل علـــى ذلك سرقة قصى لثلاث شاحنات تحمل السبائك الذهبية من البنك المركــزي، وملــيار دولار وغير ذلك من موجودات الدولة. إن الأهمية التأريخية

لمـتحف بـابل بالنسبة لليهود لا تستبعد تواطؤ عصابات محترفة مع الإسرائيليين لسرقة موجوداتها وتبيعها لوسطائهم.

الفضـائيات العربـية لم تكتف بتواطؤها مع صدام حسين طوال عهده وحتى سـقوطه ، بـل واصـلت ذلك بصـيغ جديدة ، منها تحقيق أكبر قدر من الإثارة وتوجيه الأنظار نحو النهب والفوضى كما لو أنها مؤشر على طبيعة العراقيين.





فهمى هويدى

هذه الحوارات التى أثارت - ولاتزال - الكثير من الجدل والتراشقات لا تستهدف الانتصار لفكرة بذاتها ولا لأطروحة بعينها أو حتى لفصيل سياسى أو فكرى دون آخر قدر ما تستهدف - وبالأساس - طرح المسكوت عنه فى النقاش العام فى لحظة نحن أحوج ما نكون فيها إلى تلاقح كل الآراء والأفكار والاجتهادات من مختلف مشارب الوطنية المصرية دون المبادرة تخوين أو الانزلاق إلى اتهام إيماناً منا بأن نقاط الخلاف أكثر إثراءً لواقعنا السياسى والفكرى من نقاط البداهة والاتفاق ولذلك تحرص القاهرة على ألا تستبعد منها مفكراً مهماً أو باحثاً جاداً مهما اختلفنا مع آرائه ومنطلقاته ومهما حاصرته التهم والشائعات.

صارت المقاومة الوطنية العراقية بضرباتها المتوالية ونجاحاتها المذهلة معقد آمال ليس فقط الشعب العراقى الذى يطمح للخلاص من غزاته ولكن - وبالأساس - معقد آمال أمة بأسرها تتوق إلى غد أفضل وتطمح إلى مناخ من الديمقراطية

والحـــريات الأمـــر الذى من شأنه أن يعيد طرح تساؤلات الهوية والوجود وعلاقة الأمـــة ليس فقط بالمستعمر المتربص، ولكن أيضاً بأنظمتها الديكتاتورية التى كانت ممارساتها القمعية بمثابة المبررات الظاهرية التى أدت إلى عودة الاستعمار بشكله الكولونـــيالى تحـــت زعـــم مقـــرطة الأنظمة وتحرير الشعوب، كما يطرح أيضاً التســـاؤلات حـــول شـــكل العلاقة ليس فقط بين الحاكم والمحكوم ولكن أيضاً بين التيارات السياسية المختلفة فى المجتمع.

هذه الأسئلة المهمة والقضايا المهمة طرحتها القاهرة على المحلل السياسى الفذ والمفكر الوطنى الكبير فهمى هويدي..

- **كـــيف تـــرى المشهد الحالى فى العراق فى ظل تصاعد المقاومة الباسلة التى فاجأت الجميع ؟**

– فى البداية لا يمكن توقع إلى أى السيناريوهات ستنتهى هذه الحرب خاصة أن كـــل الحســـابات التى وضعتها الولايات المتحدة قبل بداية الحـــرب قد اختلفت ســـواء مـــا تعلق باعتقادها أنها تستطيع شن حرب سريعة قياساً على ما جرى فى أفغانســـتان أو مـــا تعلق بإمكانية حدوث انتفاضة شعبية عراقية ضد الرئيس صدام حسين على غرار انتفاضة ١٩٩١ فلقد جاءت المقاومة الباسلة للشعب العراقى لتغير كـــل هذه الحسابات ولتثير جدلاً داخل الولايات المتحدة حالياً حول حسابات دونالد رامســـفيلد وزيـــر الدفـــاع الأمريكى وخططه العسكرية وهل استجاب لرؤية قادته العسكريين أم لا؟.

لا نعـــرف كيف ستتبلور الأحداث خلال الأيام القادمة وما هو حجم المفاجآت القادمـــة لأن الناس فى العراق نسوا نظام صدام حسين ودمويته وتذكروا فقط هذا الوطـــن الجـــريح الـــذى يجرى اغتياله، وهو الأمر الذى ساعد عليه غباء الحرب الأمريكـــية باستهدافها للمدنيين وسواء كان ذلك متعمداً أو خطأ غير متعمد إلا أنه جعـــل العراقيين يلتفتون إلى جرائم الأمريكان التى برزت على شاشات التليفزيون فى العالم لتفضح جرائمهم أمام الدنيا.

الموقف مازال حافلاً بالمفاجآت، فلقد كانوا يتحدثون عن حرب ثلاثة أو أربعة أيـــام وجاءت المقاومة لتقلب الموازين وبدأوا الآن يتحدثون عن أسابيع وعن حرب طويلـــة وصـــعبة قد تدوم لأكثر من شهر أو عدة شهور وهو ما يعنى أن فظائعها كفـــيلة بـــتحريك الحجر العربى واستثارته وملئه غضبا وإشعاله بكراهية الولايات المـــتحدة والأنظمة الغربية المتحالفة معها التى سمحت بهذه الحرب بل وقدمت لها التسهيلات وعجزت عن أن تفعل شيئاً، نحن الان فى منتصف الطريق نستطيع فقط تحلـــيل ما مضى من أحداث هذه الحرب لكن الصعوبة كل الصعوبة فى تحليل ما ســـيأتى فهل تنجح قوات العدوان الأمريكى فى محاصرة فدائيى صدام فى البصرة وتقضى عليهم؟، وهل سينجح الحرس الجمهورى الذى يدور الكلام عن تركيز قوته حول بغداد فى أن يفعل شيئاً باعتباره سلاح العراقيين الأخير؟ وهل هو فعلاً كذلك؟ فلقـــد فاجأ العراقيون الأمريكيين بسلاح جديد من نوعه وهو حفر الخنادق وملؤها بالبترول وإشعال النيران فيها فهل يقبل صدام - بامتداد هذا المعنى - على تفجير آبـــار النفط؟ وما الذى سيحدثه هذا على مستويين أولهما النقص فى إمدادات النفط وهـــو مـــا سيهدد أوروبا وآسيا والأمريكتين وثانيهما ما سينتج عنه من آثار بيئية خطيرة، وهل يمتلك صدام فعلياً أسلحة دمار شامل يستعد لاستخدامها كسلاح أخير فـــى لحظـــة ما قبل النهاية؟ خلاصة القول إن الكلام عما سيجرى فى هذا الحرب اســـتباق للأحداث ومغامرة غير محسوبة فربما يتغير كل شيء وتتجه الأمور نحو سيناريوهات غير متوقعة.

- **نحن إذن فى مرحلة تفتحنا على مختلف السيناريوهات رغم فارق القوة الهائل بين العراق وقوات العدوان الأمريكى - البريطانى ؟**

- الحســـابات العقلـــية تقول إن هزيمة صدام حسين واقعة لا محالة فى نهاية المطـــاف لكن المخططات الأمريكية كانت تراهن على هزيمة غير مشرفة لصدام حسين ووصل الأمر إلى حد أنهم صوروا للجماهير وكأن تايسون الملاكم الأمريكى الشهير سيخوض هذه المعركة لينهيها بين لكمة وأخرى غير أن الواقع الذى فرضته المقاومـــة العراقـــية الباســـلة غير الصورة تماما فحتى لو هزم صدام حسين اليوم

فســتكون هزيمته مشرفة وحتى اليوم نستطيع أن نقول إن العراق لم يهزم كما أن أمــريكا لــم تنتصر فها هى الولايات المتحدة تبدو عصبية وتمارس سلوكيات دول العالم الثالث بطردها للمراسلين الصحفيين بسبب ما ينشرونه فى صحفهم من أنباء يــرون أنها محايدة وبدا بوش وكأنه أحد حكام العالم الثالث الذين ينفون كل صوت مغايــر لهم لدرجة أنه أعلن بقوة عن نفسه كمرشح لزعامة إحدى دول العالم ثالثية وهذا ما يكشف توتر الولايات المتحدة وعدم قدرتها على التعامل مع الموقف كدولة عظمى واثقة من نفسها لا تهزها بعض التقارير أو البرامج التليفزيونية والنتيجة أن أمريكا قد صغرت بسبب هذه التصرفات ، قد تلحق الهزيمة فى نهاية الأمر بالقوات العراقــية لكــن المشهد الحالى يجعلنى أقول إنه لا يبدو أن أمريكا ستنتصر النصر الذى كانت تتطلع إليه وهو نصر الضربة القاضية وبلا حرب.

- **كيف تفسر هذه النقلة النوعية للمواطن العراقى من الانتفاض فى وجه صدام حســين عــام ١٩٩١ بعد الهزيمة غير المبررة فى حرب الخليج الثانية إلى الانــتفاض فــى وجه قوات العدوان الأمريكى وهم الذين عانوا وما زالوا من طغيان صدام حسين ؟**

– الاســتراتيجية الأمريكــية كانـــت مـــن الغــباء إلى حد أنها اعتمدت على افتراضات وهمية تقول إن الشعب العراقى سيقف بجانب قوات التحالف ضد صدام حســين، وكولـــن باول أعلن ثلاثة أهداف لهذه الحرب هى إسقاط النظام فى بغداد وإعـــادة رســم الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وفقا للمصالح الأمريكية وغلــق ملف القضية الفلسطينية ورغم هذا يكررون ادعاءاتهم بأنهم قادمون لعمل عراق ديمقراطى وحر وهو مالا يصدقه أحد فكيف تدعى أمريكا أنها جاءت لتحرير الشــعب العــراقى ثــم تقصــفه وكأنهــا تقول للعراقيين سأقتلكم بطائرات الشبح وبصــواريخ كــروز لأحــرركم، هذا ما جعل الشعب العراقى ينسى جرائم صدام ويلــتف حول الوطن العراقى واستفاد – بالطبع – صدام من هذا الوضع لأنه وجد نفسه فى قلب هذا الوطن أى أن انتفاضة الناس جاءت نتيجة علاقتهم بوطنهم وليس نتيجة مشاعرهم تجاه صدام حسين.

- **ولكـــن هل تعتقد أن نسيان الشعب العراقى لجرائم صدام حسين نسيان مؤقت مرتبط بوجود الغزاة على أرضه أم أنه عفو عام ؟**

– لا يمكـــن أن يكـــون عفوا عاما فصدام حسين ارتكب جريمة فى كل بيت عراقى ولم يكفر عن جرائمه رغم الفرص التى اتيحت له أكثر من مرة ولم يستغل صـــفة التســـامح ونســـيان الظلـــم التى تميز شعوبنا إذا ما أبدى الحاكم رغبته فى الإصلاح أو أظهر أى نية للمصالحة الوطنية، لقد كان بإمكانه أن يفتح الباب لبعض الحـــريات ويجـــرى انتخابات نزيهة لكنه لم يفعل بسبب جبروته وغروره وبطش المستكبرين .

إن هـــذا النســـيان لا يمكن أن يكون نسيانا مطلقا لكنه مؤقت فهم يرون سفينة الوطـــن تغرق ويريدون أن يحولوا دون ذلك أما حسابهم مع صدام حسين فسيأتى فيما بعد فلكل مواطن عراقى ثأر عند صدام حسين.

- **هـــل تعـــتقد إذن أن العراقييـــن بعد أن ينتهوا من مواجهة الغزاة سيلتفتون لحاكمهم الطاغية ؟**

– كل الاحتمالات ممكنة لكننى أعتقد أننا الآن إزاء نهاية صدام حسين مع هذا الغـــزو لكـــن الأمريكيين قد يحولون بتصرفاتهم الغبية من قبيل استهداف المدنيين صـــدام حســـين إلى بطل خصوصا لو قتل فى الحرب سيكون بطلا لأنه ظل واقفا ورفـــض كـــل دعاوى التنحى والهرب إلى منفى آمن، كما أن الصورة التليفزيونية لمشاهد الحرب سيطرت على الإدراك، فهو شعب تصوره المشاهد كأشلاء وهو ما يدفـــع إلـــى النســـيان المؤقـــت لجرائم ومذابح صدام حسين ويصور موته كموت الأبطال، فالصورة حاليا هى احتراق بغداد وتجويع البصرة وتتابع انفجارات القنابل فى الناصرية هذه الصورة هى التى تهيمن على الرأى العام وتتحكم فى توجيهه أى أن هـــذه الصـــورة جعلت الناس تلتف حول الوطن وتنسى صدام وتطوى صفحته الدامية ولو بشكل مؤقت.

- **بمناسـبة ذكر الرأى العام كيف تفسر هذا الاندفاع الجماهيرى الضخم المتمثل فى الخروج إلى المظاهرات فى بداية الحرب ثم فى خفوته وهدوئه حاليا وهو نفـس مـا حدث تقريبا مع بداية الانتفاضة الفلسطينية؟ هل هو مجرد انفعال سرعان ما يخفت ؟**

- اعـتقد أن الأمـر أكـثر تركيبا وتعقيدا ولا استطيع أن أصفه بالانفعال أو الـركود أو الخفـوت فأمامـنا الشعب الفلسطينى مثلا الذى يقاوم جبروت المحتل الإسرائيلى منذ خمسين عاما وهذه العمليات الاستشهادية التى يقوم بها شباب وفتيات فـى سن الـ ١٦ بكل ما تمثله هذه السن من انطلاق وأحلام وطموحات، مثل هذا الشعب لابد أن أراهن عليه ولا يمكن أن أقلل من قدر انتفاضته وحركته ومقاومته.

أمـا بالنسـبة لباقى الشعوب العربية فليس صحيحا أن هناك خفوتا كاملا فى حركـتها قد تكون المظاهرات فى مصر هدأت بعض الشيء لكننى فوجئت بشباب فى الإسكندرية يوزعون منشورات على الطلاب يدعونهم لاقتناص خمس دقائق من وقـتهم والاتصال بأى أسرة عراقية بكارت قيمته خمسة جنيهات فقط لإبلاغهم أننا نقف معهم بخلاف حملات جمع التبرعات المختلفة لصالح الشعب العراقي، وعلينا فـى كل الأحوال أن نضع فى الحسبان شراسة القمع التى واجهت حركة الجماهير فـى مختلف البلدان العربية وهى شراسة مبالغ فيها وما كان لهذه الأنظمة استخدام كـل هـذه القسوة فى قمع متظاهريها إلا لإحساسها بأن هناك شيئا ما يتحرك فى المجتمع.

لا أعـرف إلـى أين ستنتهى غضبة الجماهير، صحيح أنها هدأت قليلا لكن المؤكـد أنهـم يختزنون غضبهم ضد الولايات المتحدة وضد الأنظمة التى قمعتهم وأشـعر بقلق شديد من أن يؤدى هذا الاختزان إلى عنف يتسرب داخل المجتمعات العربية، وأعتقد أن المراهنة على الشعوب حقيقة وإن لم يكن ذلك صحيحا فلا بديل أمامـنا سوى هذا الرهان حتى لو افتعلنا هذه المراهنة وعلى أية حال فالذى أشهر إفلاسه علنا هو الأنظمة العربية، أما الشعوب فلقد بقيت على غناها وثراها.

• **لكـن لمـاذا لا توجد قوى سياسية قادرة على الاستفادة من هذا الغضب الجماهيرى واستيعابه وتنظيمه ؟**

– هـذه القـوى السياسـية التى تتحدث عنها تتعرض دائما لعمليات إجهاض مستمرة طوال الوقت وبالتالى نبحث عنها فى لحظة الامتحان فلا نجدها تماما كما يحدث للتلميذ الخائب الذى لم يستعد لامتحان نهاية العام فلديك ١٦ حزبا ورغم ذلك فـلا توجـد ديمقراطية، الدولة تمارس نوعا اعتياديا من الإخصاء للحالة السياسية لذلـك لـن تجدها فى لحظة الاحتياج للفحولة السياسية ولهذا يتصرف الشارع الآن بعـيدا عن الأحزاب تماما كما حدث فى مظاهرة الجمعة الشهيرة، لقد كان المجتمع هـو الذى يتحرك، إن الشجر الأخضر لا يتواجد إلا فى حديقة المجتمع بينما يظل الجدب والتصحر من نصيب الحياة السياسية.

• **العـدوان الأمـريكى يسـتند – على الأقل من زاوية التبرير– على مثل هذا التصحر والجدب ففى تصورك كيف يمكن أن نطالب مواطنا يعانى كل صنوف القهر والعوز بحمل السلاح دفاعا عن هذه الأنظمة؟بعض المواطنين البسطاء يـتحدثون عن أنهم واقعون بين نارين نار الفرعون أو نار القيصر وأنهم فى الحالتين عبيد ؟**

– معك حق لكن يبقى هناك الحس الوطنى ودعنى أقول إننا لا نرى مجتمعنا جـيدا فليسـت لدينا الشفافية التى تمكننا من معرفة مع من أوضد من يقف الناس، الخريطة السياسية الظاهرة مزيفة ومغشوشة وهى لا تمثل حقيقة المجتمع فالأحزاب سياسـية لا تعدو كونها نوادى للمثقفين نحن نتحدث عن شيء لا نراه وهذا ما يثير القلق، فأنت تجهل دائما ماذا سيحدث؟ وما هو رد الفعل؟ ومن أين سيأتي؟ وصوب مـن يـتجه ؟ هـل سـتكتفى الجماهير بالتظاهر أم تلجأ إلى العنف والاغتيالات والتنظـيمات السرية؟ وأعتقد أن ما يحدث – بكل جسامته – لن يمر مرور الكرام دون أن يحدث شيء فى العمق خاصة فى المجتمع المصري، إن ما حدث فى عام النكـبة عـام ١٩٤٨ مرشـح للتكرار مرة أخرى بعد ما يحدث فى العراق فليس صحيحا أن الأمن القومى المصرى لن يتأثر بما يجرى فى الساحة العراقية فقوات

الغــزو إذا مـــا سيطرت على العراق ستسمح لإسرائيل بفرض شروطها وتنفذ كل مـــا تطمح إليه من مخططات، فالحديث الآن يدور حول إنشاء محور سياسى جديد يضـــم إسرائيل والأردن والعراق بينما تتحدث أنت عن الولايات المتحدة باعتبارها حليفا استراتيجيا وتقدم لعدوانها مختلف أنواع التسهيلات .

- **لكن إلى متى تظل هذه الشعوب فى انتظار عدوان خارجى لتنتفض ضد طغيان انظمتها ؟**

– هذه هى الأحداث التى تصدم الإدراك العام للجماهير وتشكل اختبارا حقيقيا للحالـــة السياسية فى المجتمعات، فسفينة الوطن تغرق بدون عدوان فلديك كل هذا الكم من الفساد والانهيار الاقتصادى .

- **رغم ذلك لم نر حركة جماهيرية ضد هذا الفساد أو الانهيار الاقتصادى ؟**

– المنطق يقول إن الذى لا تراه لا يعنى بالضرورة أنه غير موجود خصوصا فـــى هذه المجتمعات التى تعيش فى ظل هذا التعتيم والإظلام أو بالأحرى الانسداد السياسي، هل هذا السكون تعبير عن هدوء حقيقى أم أن هناك غليانا تحت السطح، إن عـــدم قدرتـــنا على الرؤية ومتابعة ما تحت السطح يدعونا لمزيد من القلق فأنا أخـــاف مـــن الاختزان فلو خرجت الجماهير كل يوم إلى الشارع لتعبر عن آرائها ربما شعرت بالاطمئنان.

- **هـــا أنت تتحدث عن احتمالية تكرار سيناريو ما بعد النكبة فى ٤٨ فإذا أمكننا إزاء عودة جديدة للاستعمار بشكله الكولونيالى القديم استعمار العسكر وليس مجـــرد الســـلع فكـــيف تتوقع شكل التغيير القادم فى دولنا؟ هل هى انقلابات يقودها عسكر آخرون مرة أخرى أم هبات جماهيرية؟**

– كـــل مـــا استطيع أن أقوله إن المنطقة مقبلة على حالة من عدم الاستقرار، كيف سيترجم هذا اللا استقرار؟ هذا ما لا استطيع معرفته أو توقعه لكن لا شك أن مرحلة ما بعد الحرب ستكون مختلفة تماما عن المرحلة التى سبقتها.

- **يـرفع جزء من النخبة شعار أن الوقت غير مناسب للحديث عن الديمقراطية والإصلاح السياسى لهذه الأنظمة بحجة وجود عدوان ؟**

– دعـنى أولا اتحفظ على مصطلح النخبة ففيه كثير من التدليس والاصطناع فما هى النخبة؟ ومن الذى أفرزها؟ هل هو المجتمع أم أنها صناعة حكومية؟ أم أنها إفراز تليفزيوني؟ فهناك من لا يتمتعون بأى شرعية ويصنفون مع ذلك ضمن النخبة لمجرد أن الأنظمة الحاكمة نصبتهم فى مواقع قيادية بوسائل الإعلام أو لأن أضواء الفضـائيات والتليفزيونات تسلط عليهم أغلب الوقت، هذا موضوع ملتبس فأجهزة الإعـلام قادرة على تزوير مصطلح النخبة، فقبل ثورة الاتصالات كان من الممكن أن تعرف المثقف بكتبه وإبداعه أما الآن فيكفيه الظهور على شاشة التليفزيون لمدة أسـبوع ليضـمن الانضمام إلى النخبة وهناك شعارات زائفة ترفع مثل «مصلحة الـبلد» رغـم أن المقصـود منها هو مصلحة الحكومة، فهى إذاً شعارات مخادعة ومدلسـة وإذا كانـت النخبة المعارضة الموجودة فى نطاق الأحزاب السياسية هى التى ترفع مثل هذه الشعارات، فهى نخبة غير موثوق فيها ولا تتمتع بشرعية كافية فماذا يقصدون عندما يطلبون منا الصمت عن قضية الديمقراطية والاكتفاء بمواجهة العـدوان، النتيجة أننا لن نواجه العدوان ولن نتحدث عن ديمقراطية، ما لم نتحدث عن ديمقراطية فى هذه اللحظة بالذات فسنواجه مستقبلا أخطر من أى وقت مضى فالديمقراطية هى وسيلتنا الوحيدة لامتصاص غضب الناس والإصلاح السياسى هو القشـة الوحـيدة التى يمكن أن تتعلق بها الجماهير كطوق نجاة، هل المطلوب أن اكـتفى فقط بالحديث على شاشات التليفزيون والفضائيات كى أكون مواطنا صالحا ومرضـياً عنه، فعندما تتحدث عن إلغاء محاكم أمن الدولة وتقوم فى نفس اللحظة بتجديد العمل لقانون الطوارىء لمدة ثلاث سنوات متتالية فأنت تتجمل سياسيا ليس إلا وعـندما تعين قاضية فى المحكمة الدستورية العليا كأول امرأة فى هذا المنصب بينما يجرى لغط كثير من جانب عدد كبير من القضاة أنفسهم حول حقيقة استقلالية القضاء فأنت تتزين ليس إلا.

وعـــندما تتحدث عن إلغاء الأشغال الشاقة فى وقت تمارس فيه داخل سجونك كل أشكال التعذيب فأنت تتجمل ليس إلا، كيف لنا أن نسكت عن الديمقراطية بحجة مواجهـــة العـــدوان رغـــم أنه لا مستقبل لنا دون عملية إصلاح، فلو سددت المنافذ ورفعـــت شعار لا صوت يعلو على صوت المعركة فأنت تغلق الباب أمام المستقبل ينـــبغى ألا نتوقف عن مطلب الإصلاح السياسى فى أى وقت وإذا كنا نعيش اليوم أزمة فلن تمر بسلام إلا بالإصلاح السياسى الذى سيمكننا من رؤية ما يجرى تحت الســـطح ويدفعـــنا إلـــى الاطمئـــنان إلـــى أن الناس لن تتجه إلى العنف والتكسير والاغتـــيالات والتنظـــيمات السرية لأن ذلك سيتيح الفرصة أمام الجماهير لاختيار حـــزب شـــرعى تســـقطه أيضـــا بالانتخابات إذا قصر فى أداء واجبه، إن غياب الإصلاح السياسى يفتح الباب واسعا أمام العنف والإرهاب.

- **لكن هل تعتقد أن مثل هذه النظم التى تعرفها واعية بضرورة هذا الإصلاح ؟**

– للأسف هذه أنظمة غير واعية ودليل ذلك القمع الذى مارسته ضد الجماهير فى المظاهرات المؤيدة للشعب العراقى .

- **لـــنعد إلى العدوان هل تعتقد أن الولايات المتحدة قد توسع حربها بعد قليل أو حتى كثير لتشمل سوريا وإيران ؟**

– الولايـــات المتحدة تستهدف من عدوانها تحقيق مصالحها ومصالح إسرائيل بشـــكل مواز من قبيل التطبيع وفتح الحدود معها وغلق الملفات الشائكة كالجولان وحـــزب الله ومراكـــز المقاومـــة فـــى دمشق بل وربما نحاسب جميعا كعرب فى المســـتقبل على تأييدنا لحق الشعب الفلسطينى فى المقاومة والعمليات الاستشهادية وعلـــى أية حال هناك فارق بين ما يريدونه وبين ما سيحدث فربما تحدث مفاجآت جديدة تحول دون تنفيذهم لمخططاتهم.

إنهـــم يســـتهدفون – بعـــد الانتهاء من العراق – القضاء على تواجد مراكز المقاومة الفلسطينية فى سوريا وحزب الله فى لبنان وهم لن يجازفوا بدخول حرب مـــع إيـــران وســـيكتفون بمحاصرتها وممارسة الضغوط عليها باتهامها مرة بدعم

الإرهـــاب ومـــرة أخـــرى بامتلاكها مفاعلا نوويا وأخرى بانتهاك حقوق الإنسان خصوصـــا وأن إيـــران - بعـــد ســقوط العراق - ستجد نفسها فى حالة حصار اســـتراتيجى مهـــم، وقـــد يفـــتح ملـــف الجزر الثلاث مرة أخرى أو عربستان أو خوزستان، إنهم لن يعملوا على قلب النظام الثورى فى إيران وإن كانوا يتمنون ذلك خاصـــة وأن المعارضـــة الإيرانـــية فى الخارج بدأت تقوى وهذا ما ينعش آمالهم خاصـــة أنهـــم نجحوا فى إسقاط نظام طالبان فى أفغانستان وتقليص سلطات ياسر عرفات وها هم الآن يعملون على إسقاط نظام صدام فى العراق حتى أن المحطات التليفزيونية الموجهة ضد النظام الإيرانى زاد عددها إلى سبع محطات بعد أن كانت محطتين فقط، ومن هذه المعارضة من يدعو إلى عودة الملكية. هناك سيناريوهات مفـــتوحة تصطدم بالواقع الحالى الذى يقر بتمتع النظام الإيرانى بشرعية أكبر من شـــرعية باقى الأنظمة الأخرى فهناك مجتمع قوى ونظام مستقر وعلاقة قوية بين المواطـــن الشـــيعى والمراتب الدينية العليا المهيمنة على النظام ولذلك فهم يكتفون حاليا بمحاصرتها من أفغانستان وتركيا وأواسط آسيا ومن العراق والخليج العربي.

- **وماذا عن الموقف السورى ؟**

- بعـــض الصحف العبرية تتحدث اليوم عن أن النظام السورى لن يحتاج إلى الكثـــير مـــن الضـــغوط بل ربما تكفى مكالمة تليفونية لإسقاطه ولذلك تفتح سوريا حدودهـــا للـــدروع البشـــرية والمتطوعيـــن الراغبين فى مشاركة الشعب العراقى مقاومـــته. ســـوريا تشعر أنها رقم «٢» فى أجندة الأهداف الأمريكية بعد العراق، الـــنظام الســـورى فى خطر بشكل عام فربما يحدث انقلاب فى دمشق وربما يبادر النظام نفسه بالتسليم وربما يسعى بشار الأسد إلى استبدال الحرس القديم بآخر لكن مـــا ننساه دائما ونحن نتحدث عن هذه القوارب الصغيرة هو حديث واجب عن قائد الســـفينة وهو الدور المصري، أين عاصمة الأمة العربية؟ إن الموقف الذى تتخذه مصـــر ســـيؤثر بالضرورة فيما سيجرى فى إيران وسوريا والأردن ولبنان وباقى الدول العربية، إن مصر بما تحوزه من ثقل وتأثير فاعل أساسى فى كل التفاعلات السياســـية الـــتى تجرى فى المنطقة العربية، ولذلك يجب الحديث أولاً عن استرداد

مصـــر لعافيــتها كقلب للجسد العربى فإذا ما حدث ذلك لاستعاد الجسد كله عافيته الطبيعية.

- **وفـــى هذا السياق.. كيف ترى مستقبل النظام العربى متمثلا فى جامعة الدول العربية ؟**

– الجامعـــة العربية انعكاس لمجموعة إرادات دولها، وينبغى أولاً أن تستعيد هذه الدول إراداتها حتى يمكن الحديث فيما بعد عن نظام عربى إلا إذا كان الغرض إنشاء بناية شاهقة بداخلها ديكورات فاخرة وميثاق منمق، والسؤال الأولى بالطرح هو: ما أعمدة النظام العربي؟ ومصر هى العمود الأساسى له ومن هنا نعود للحديث مــرة أخرى عن قضية الإصلاح السياسى كقضية محورية ليس فقط بالنسبة لمصر بل ولباقى الدول العربية حيث ستتم إعادة بناء أساس جديد للنظام العربي.

إن أى إصــــلاح للـــنظام العربى يجب أن يبدأ أولا فى مصر وسيمتد بعد ذلك تلقائــيا إلـــى باقى دول المنطقة، فالمسألة ليست مواثيق أو اتفاقات لكنها وببساطة إدارات تتمتع بكامل عافيتها وحيويتها السياسية.

- **كــيف تــنظر إلـــى الموقــف التركى بما فيه من تعقيدات يفرضها التباين فى المصالح الاستراتيجية بينها وبين الولايات المتحدة ؟**

– بداية يجب التأكيد على أن تركيا استطاعت أن تأخذ موقفا أكثر شجاعة من الموقــف العـــربى ورفضت تنفيذ بعض المطالب الأمريكية، فهى على الأقل قالت «لا» للأمريكيين فى بعض مطالبهم فيما لم يستطع العرب قولها على الإطلاق غير أن السياســـة ليست فقط قرارات فهى أيضا تفاعلات، فالموقف التركى كان يتطلب موقفا عربيا مساندا لها فلا يمكن المراهنة عليه بمفرده، أعتقد أن الأتراك لو وجدوا موقفا عربيا قويا لكان موقفهم أفضل بكثير مما هو حاصل الآن.

- **.. وماذا عن الأكراد ؟**

– إنهـــم يواجهـــون مشكلة أساسية فهم موزعون على ثلاث دول رئيسية هى إيران وتركيا والعراق، ومن حق الشعب الكردى أن يقيم دولته المستقلة كأى شعب

آخر له ثقافته وسماته ولغته وحدوده السياسية والجغرافية لكننى أرى أن حدوث ذلك شـــبه مستحيل لأنه يتطلب إعادة رسم خريطة المنطقة، فالجزء الذى يشغله الأكراد فـــى تركـــيا تتركز فيه الزراعة وموارد المياه بالنسبة لتركيا، لذا هى على استعداد كـــامل لأن تخـــوض حربا حتى لو طال أمدها إلى مائة عام لتحول دون قيام دولة كردية مستقلة، والأمر ذاته بالنسبة للعراق حيث يوجد النفط بوفرة فى الجزء الذى يشـــغله الأكراد فى شمال العراق والجزء الموجود فى إيران وإن كان افقرها يضم أراضـــى زراعـــية، ومـــع ذلك فإننى من حيث المبدأ أقر بحقهم وأدعو له، والحل الأمثل للمشكلة الكردية هو إعطاء هذا الشعب حق تقرير المصير غير أن هذا غير ممكـــن وقـــد يتطلـــب حربا عالمية جديدة حتى يمكن اقتطاع أجزاء من الأراضى الإيرانـــية والتركية والعراقية لإنشاء دولة الأكراد المستقلة، لذلك أرى أن الحل هو منحهم حكما ذاتيا يحترم هويتهم ويشعرهم بأنهم جزء من المجتمع وليسوا مواطنين من الدرجة الثانية ويعترف بلغتهم وخصوصيتهم الثقافية بما فيها من عادات وتقاليد وأزياء وما إلى ذلك على أن يكون هذا الحكم الذاتى فى إطار علاقة فيدرالية تسمح لهم بمشاركة حقيقية فى وطن هم شركاء فيه وليسوا مجرد تابعين.

- **وكيف تثمن ما يتردد حول نية الولايات المتحدة الأمريكية مكافأة الأكراد على تعـــاونهم معها فى حربها ضد العراق وذلك بمنحهم قدرا كبيرا من الاستقلالية تـــتفق مـــع ما يسمح به النظام الكونفيدرالى أى أوسع من الحكم الذاتى الذى تتيحه الفيدرالية ؟**

– السياســـة دائمـــا ما تتيح لك القدرة على الاختيار بين الحلول المثلى وتلك الممكنة ، والقهـــر التاريخى الذى تعـــرض له الأكراد دفعهم للتعـــامل مع الروس والأمـــريكان والإنجلـــيز والإســـرائيليين والفرنسيين حتى أن ميتران كان يستخدم قضـــيتهم سياسيا ومازالت زوجته راعية حقوق الأكراد فى أوروبا حتى اليوم، كل ذلك ظنا منهم أن أحد هؤلاء سيقدم لهم دعما ما.

لكـن السـؤال: هـل الولايـات المـتحدة على استعداد للتضحية بمصالحها الاستراتيچية مع تركيا؟ لا أعتقد أن الأخيرة تحتمل كونفيدرالية أو حتى حكما ذاتيا وهو ما منحه لهم صدام حسين لكن جبروته وإجرامه دفعاه إلى مواصلة قهرهم.

أعـتقد أن الولايات المتحدة فى هذا الموضوع ستوازن بين مصلحتين الأولى مـع حلـيف مهـم هـو تركيا «العضو فى حلف الناتو» منذ زمن وهى مصلحة اسـتراتيچية وبيـن مصلحة مؤقتة مع الأكراد وأتصور أنهم سيعملون على تقديم مكافأة للأكراد بالقدر الذى لا يسبب وجعا أو إزعاجا لتركيا.

- **فـى سياق تفاعلات الحرب وهذه العلاقة الاستراتيچية بين أمريكا وتركيا هل تعـتقد أن الولايـات المتحدة ستسمح للقوات العسكرية الكردية «البشماركة» بدخول مدن مثل كركوك والموصل؟ وهل نتوقع وقتها تدخلا عسكريا تركيا ؟**

– يجـب أن نـتوخى الحذر فى الحديث عن تفاعلات الحرب لأن المفاجآت واردة فصحيح أن أمريكا تريد فتح الجبهة الشمالية لشعورها بأن عدم فتحها يضعف موقفها السياسى والعسكرى غير أن الأكراد يجدون أنفسهم فى موقف صعب وبعيدا عـن تفصـيلات المجريات العسكرية فإن تركيا لن تسمح لهم بإقامة كيان مستقل متصل وقوى فى شمال العراق وذلك بحجتين هما وجود تركمان فى شمال العراق مـن ناحية وجزء من الأكراد فى جنوب تركيا من ناحية أخرى وهذه هى الخطوط الحمراء التى لن تسمح تركيا بتجاوزها، وعلى أية حال أعتقد أن الولايات المتحدة لا تريد إشعال جبهة قتالية بين الأتراك والأكراد تضعف موقفها فهى تريد أن تركز بشـكل كـامل علـى حسـم المعركة فى بغداد قلب العراق.. نحن أمام حسابات وتقديرات نظرية ربما تؤيدها حسابات الواقع وتضيف إليها أو تختلف معها.

- **كيف ترى مستقبل القضية الفلسطينية فى ظل هذا العدوان ؟**

– مـا أريد تأكيده هنا هو أن ثلاثة من اليهود الصهاينة فى الولايات المتحدة الأمريكـية قاموا بعد أحداث ١١ سبتمبر بتشكيل لجنة سياسية عسكرية عملت على

التجهيز لهذه الحرب وخططوا لعمل «خريطة الطريق» وإحيائها فور اندلاع الحرب على العراق لشغل الرأى العام العربى وإيهامه بأن هناك حلا ما لقضيتهم الرئيسية، ومـن ثـم بـرز دور إسـرائيل فى تخطيط وتنفيذ هذه الحرب عبر عمل أجهزة المخابرات وفرق الاستطلاع لتوفير المعلومات اللازمة قبل شنها.

وعلـى أية حال فإن من أهداف العدوان التى أعلنها «كولن باول» إنهاء ملف القضية الفلسطينية بعد إسقاط النظام العراقى وإعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة بما يخدم المصالح الأمريكية.

وإنهاء القضية الفلسطينية يعنى - فى تصورى - وضع إطار اتفاق يتم التوقيع علـيه مـن قـبل القـيادة الفلسـطينية وهو فى الغالب إطار يستجيب للمخططات الإسرائيلية ليعطى للفلسطينيين «مجرد كلام» ولإسرائيل كل ما تريده ومن الممكن أن يعـد بدولة لكنها غير مستقلة، فقد طالب الإسرائيليون برفع كلمة «مستقلة» من كـل بـنود «خارطة الطريق» وهذه الدولة ستجعل من الضفة الغربية وقطاع غزة مجـرد بلديات تعطى اسم الدولة لها سفراؤها وعاصمتها لكنها بلا حدود ومنزوعة السلاح وأجواؤها مخترقة وأراضيها ومواردها تخضع للسيطرة الإسرائيلية أى أن هـذا الإطـار سيعطى الفلسطينيين شكل الدولة فيما يبقى المضمون فى يد إسرائيل وستصبح القدس عاصمة لإسرائيل، وقد تمنح هذه الدولة الفلسطينية الشكلية ضاحية يسمونها أيضاً القدس لتكون عاصمتها .

هـذا هـو المخطط الذى يحلمون به لكن ليس من الضرورى أن يكون نهاية للصـراع الذى لن ينتهى بدون حل عادل يعطى حق العودة لأربعة ملايين لاجيء فلسـطينى ويعيد القدس كاملة ويضع حدودا سياسية وجغرافية غير منتهكة من قبل الصـهاينة، أى أن مدى نجاح المخطط الإسرائيلى يعتمد بشكل أساسى على إرادة المقاومة الفلسطينية التى قد ترى فيه عاملا مفجرا للصراع لا نهاية له.

وإذا سـقط العـراق سـيمنى العرب بهزيمة ساحقة كما حدث فى نكسة ٦٧ وستسـتطيع إسرائيل فرض أشياء كثيرة عليهم منها طبعا إنهاء المقاطعة والقضاء

على مراكز المقاومة الفلسطينية الموجودة فى سوريا وتحويل حزب الله فى جنوب لبـنان إلـى حزب سياسى ليست المقاومة من ضمن عمله وأهدافه، فى هذا السياق سيتم عمل محور سياسى واقتصادى جديد يضم إسرائيل والأردن والعراق تكون فيه الحكومـة العراقـية الجديدة صديقة لإسرائيل باعتبار العراق سوقا كبيرا يضم ٢٦ ملـيون مستهلك وستمد أنابيب البترول الخام رخيص الثمن من الموصل إلى حيفا وهناك دراسات بالفعل تجرى الآن لعمل هذا الخط.

- **هل تعتقد أن أوروبا ستدعم مثل هذا المخطط الخاص بالملف الفلسطينى الذى قـد يكـون مفجـرا للصراع، خاصة أنها تتأثر بشكل مباشر بدرجة أكبر من الولايات المتحدة بتداعيات الصراع ؟**

– عليـنا أن نفهم غضب فرنسا وألمانيا قبل الحرب فى سياق مصالحهما التى سـتتأثر بفعلهـا حيث ستؤدى إلى انفراد الولايات المتحدة بالقرار الدولى والهيمنة على مصادر النفط وهو ما حاولنا الوقوف ضده، أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فلن تحارب أوروبا من أجلها أكثر من العرب، خاصة أنها تؤكد خطط التسوية التى لا تراها متعارضة مع مصالحها ولا ينبغى أن ننسى أن القوى الإسرائيلية والصهيونية فى فرنسا وألمانيا قوى لا يستهان بها، لهذا لا أعتقد أن أوروبا ستعترض على هذه الخطط خاصة إذا لم تجد موقفا معارضا لها من قبل الأنظمة العربية.

- **فى إطار هذا التحليل الذى تقدمه للمشهد السياسى الراهن هل تتفق مع الذين يصـرون علـى وصـف هذا العدوان بأنه حرب دينية وصليبية جديدة وضد الإسلام ؟**

– المؤكـد أن هذه الحرب ليست دينية أو صليبية جديدة وليست ضد الإسلام وهـناك فـارق بين كونها صليبية فعليا وبين أن بعض البروتستانت فى الولايات المتحدة يريدون وصفها بذلك فكيف يمكن تطبيق هذا الوصف ومعظم شعوب العالم المسـيحى هـى الـتى قادت المظاهرات ضدها وأعلن بابا الفاتيكان وكل الكنائس الأوروبـية حتى فى إنجلترا احتجاجها على هذه الحرب وإن شئت التسمية الدقيقة

فســمها حربا صليبية بدون صليب، إنها حرب من أجل المصالح والنفط وليس ضد الإســلام وإن كان اتهام أشخاص مسلمين فى أحداث ١١ سبتمبر قد دفع بالقلق إلى نفوس الأمريكيين تجاه المسلمين بشكل عام.

- **إذن كيف تنظر إلى مصطلح الصهيونية المسيحية الذى شاع مؤخرا ؟**

– لا توجــد صهيونية مسيحية ولكن هناك مسيحية ذات صبغة صهيونية وهذا يــرجع إلى أن بعض البروتستانت من أوائل المهاجرين إلى الولايات المتحدة كانوا يعتبرون أنفسهم من بنى إسرائيل وأنه يجب دعم دولة إسرائيل حتى تقوم معركتهم ضــد العرب الأشرار الشهيرة بمعركة «هرمجدون» وفقا لتفسيرهم للإنجيل والتى ستؤدى فى النهاية إلى نزول المسيح، لذلك فهم يرون أن الدعم الإسرائيلى وتعزيز موقفهــا يعجــل بعودة المسيح ومعركة «هرمجدون»، وهو الأمر الذى تستفيد منه كثــيرا المصــالح الإســرائيلية غــير أن ما يجب أن نؤكد عليه هنا أيضا هو أن الصهيونية بحد ذاتها مصطلح سياسى وتم ابتداعها لأهداف سياسية وليست دينية.

- **لكــن هل تعتقد أن وجود الإدارة اليمينية الحالية هو الذى غذّ دور هذا الاتجاه المسيحى ذى الصبغة الصهيونية، وفى المقابل فإن وجود إدارة ديمقراطية قد يقلل من تأثيرها ؟**

– هــذا الاتجــاه كان دائما يلعب دورا ما لكنه لم يكن مؤثرا فى القرار وهذه المــرة كــان أكثر تأثيرا فى اتخاذ القرار، فالرئيس جورج بوش رجل محدث فى التديــن واســتطاع الأصوليون الذين يمثلون قوة انتخابية أن يلتقطوه، فدعموه فى الانــتخابات وبمجــرد وصوله إلى البيت الأبيض اختار أغلب أعضاء إدارته من بينهم.

وبهــذا أصــبحت الأصولية الدينية هى التى تصنع القرار السياسى فى البيت الأبــيض فــيما تظل الأصولية عندنا غير فاعلة فى صناعة القرار السياسى وغير حاضرة بشكل قوى فى موازين القوى السياسية رغم وجودها القوى فى الشارع .

- **لكــن المشــهد السياســى الداخلــى الأخير شهد تحالفا واضحا بين الإخوان المســلمين كممثليــن للتــيار الإسلامى والدولة على الأقل فى عملية تنسيق المظاهــرات وإطلاق الشعارات المشتركة للتعبير عن موقفهما إزاء العراق .. فكيف تقرأ هذا التحالف ؟**

– أعــتقد أن قــيادات الإخــوان قــد شاخت وتريد العيش فى أمان بعيدا عن المشــاكل، وتفاهمهم الآن مع الحكومة يتسق مع تحقيق أحد أهدافهم الأساسية وهو الوصول إلى الشرعية ربما لأنهم يدركون الآن أن الشرعية لا تكتسب من المجتمع وإنمــا يــتم اكتســابها من السلطة والحكومة وأظن أن هذا هو هدف الإخوان من تنســيقهم الحــالى مع النظام، وهذه هى استراتيچيتهم فى التعامل مع الحكومة، أما تنسيقهم معا فى التظاهرات والشعارات فهذه تفصيلات تكتيكية.

- **وكــيف تنظر إلى لجوء بعض القوميين إلى ارتداء الثياب الإسلامى بدعوتهم إلــى مــا أسموه التيار القومى الإسلامى .. أليس هذا تعبيرا عن عجز التيار القومى ورغبته فى الاحتماء بتيار آخر له وجود قوى فى الشارع ؟**

– دعنى أؤكد أولاً أن التيارين القومى والإسلامى هما التياران الأصيلان فى المجــتمع ويعــبران عــن هويته الحقيقية بينما نستطيع القول إن كلا من التيارين الليــبرالى والماركســى مستوردان، لهذا أعتقد أن كلا التيارين القومى والإسلامى أدرك فى السنوات الأخيرة ضرورة تفاعلهما من أجل مصلحة هذا البلد.

ولا نســتطيع القــول إن التــيار القومى قد انقضى زمانه لأنه يعانى فى هذه اللحظة من الضعف فهو توجه لابد من احترامه، كما أن قوة التيار الإسلامى وهى حقيقة لا يمكن الجدال فيها لا تعود فقط لنشاط عناصرها بقدر ما أنهم كتيار يعبرون عــن هوية المجتمع الحقيقة ، ودعك من أسباب تحالف التيار القومى مع الإسلامى فمــا أريد تأكيده هو أن لقاءهما مهم لخدمة البلد وأنهما التياران الأصيلان فى هذا المجتمع.

- **لكـــن الشـــائع عن هذين التيارين هو عداؤهما للديمقراطية بسبب القمع الذى استشرى فترة تصاعد التيار القومى والصورة النمطية عن الإخوان باعتبارهم حاكمين بأمر الله ؟**

– علـــى أية حال من يقود دفة الأمور الآن لا هم القوميون ولا الإسلاميون، وبالـــتالى فـــلا نستطيع القول إن الديمقراطية توجد عند طرف دون الآخر كما أنك لا تستطيع أن تطمئن على مستقبل الديمقراطية ما لم يكن لديك مجتمع قوى فطالما أن المجـــتمع ضـــعيف ومعظم مؤسساته المدنية محاصرة فلن يستطيع أن يقف فى وجـــه أى ديكـــتاتورية سواء كانت إسلامية أو قومية أو ماركسية أو ليبرالية، لذلك لا يهمـــنى مـــن يحكم، فالمهم هو أن يكون المجتمع قويا ويتيح لمؤسساته أن تكون شـــريكة فى صناعة القرار بحيث لا يسهل على أى طرف أن يعصف بالديمقراطية فـــلا حديث الآن عن مجتمع إسلامى أو قومى أو اشتراكى ولكن الكلام ينصب فقط علـــى مجتمع ديمقراطي، فالخصومة والاشتباك بين هذه التيارات قد تفقدنا الهدف النهائي، لندع المجتمع يختار بنفسه من يريد وهو ما يتطلب انتخابات وصحافة حرة وشفافية ومحاسبة، فهكذا يقوى المجتمع وتتشكل مؤسساته المدنية القوية.

- **كـــيف تنظر إلى فتاوى الجهاد التى صدرت مؤخرا فى ظل المقولات التى ترى أن الجهاد أصبح منوطا بالدولة المدنية الحديثة بالأساس لا المؤسسات الدينية وأنه لا جهاد دون اجتهاد ؟**

– هـــؤلاء يحصرون مفهوم الجهاد الإسلامى فى القتال العسكرى وهذا ابتسار للمفهـــوم، لأن الجهـــاد فـــى اللغـــة والقرآن هو كل مجاهدة للنفس، فالخروج فى المظاهرات جهاد والمقاطعة جهاد والمراسلة على الإنترنت لشرح القضية العراقية أو الفلســـطينية جهاد كما أن القتال جهاد وبعض العلماء يتحدثون عن ثلاث عشرة مرتـــبة للجهـــاد ولا أريـــد أن أدخل فى تفاصيل فقهية، فصحيح أن الدولة منوطة بـــإعلان الجهـــاد لكـــن ماذا لو قصرت هل سيدفعنا هذا للتمرد عليها ثم أن مئات المواطنيـــن الغربييـــن جـــاءوا للعراق كدروع بشرية فلماذا لم يثر كل هذا الجدل هناك؟!.

ولماذا نعطيهم الحق فى ممارسة هذا النوع من الجهاد ونحرم أنفسنا منها؟

- **فـــى هـــذا الإطـــار كيف تنظر إلى فتاوى بعض مشايخ الشيعة الذين يمثلون المعارضـــة فـــى الخـــارج بجواز الاستعانة بقوات أجنبية للتخلص من الحاكم الظالم ؟**

– هـــذا الكلام مجرح لأنه صادر من أصحاب مصلحة، فالأجنبى القادم ليس مجـــرد مـــتطوع لفعـــل الخير ، إنك تعترف بأنه أتى من أجل النفط والتطبيع مع إسرائيل وغلق الملف الفلسطينى وإعادة رسم الخرائط، كلنا ضد صدام حسين لكننا أمام وطن يتم تدميره وأمة تتعرض للخطر ، فكيف نستجير من الرمضاء بالنار؟





محمد سيد أحمد

لم تكن المقاومة العراقية الشرسة لجحافل العدوان مفاجأة تكتيكية من العيار الثقيل للمخطط الاستراتيجى الأمريكى وقوات الغزو فحسب قدر ما كانت أيضاً – وبالأساس – مفاجأة لأكثر المراقبين والمحللين السياسيين دقة وموضوعية وعلى رأس كل هؤلاء محمد سيد أحمد شيخ المحللين والمفكرين السياسيين بلا أدنى شك الذى أكد فى حواره مع «القاهرة» أن الوطنية العراقية هى المعطى الجديد الذى فتح الباب على مصراعيه أمام كل الاحتمالات والسيناريوهات بما فى ذلك سيناريو العودة إلى طاولة المفاوضات مشدداً على أن بغداد هى المعركة الفاصلة والكلمة الحاسمة فى كل ذلك.

- **كيف ترى المشهد الاستراتيجى فى العراق حالياً بعد المقاومة الشرسة التى فاجأت الجميع ؟**

– أعتقد أن كثيراً مما جرى جاء مخالفاً للتوقعات التى طرحتها الولايات المتحدة ووضعت على أساسها خططها العسكرية، فمنذ البداية غيرت واشنطن

خططها بزعم أن هناك فرصة لاقتناص رأس صدام حسين. إنه خروج عن النص أطــاح بالتصورات الأولية للحرب فقد كنا نتوقع – مع كل المحللين – حرباً حديثة وحدثاً استثنائياً شديد الحرفية من الزاوية المهنية العسكرية غير أن ما حدث مخالف لكــل ذلــك فحــتى تركيا فشلت واشنطن فى إقناعها بالسماح لقواتها بفتح الجبهة الشــمالية متعللة بوجود غالبية معارضة للحرب فى البرلمان. لقد دخلوا الحرب بيد واحدة. أما المفاجأة الثانية فكانت المقاومة فلقد اعتقد الأمريكيون أن كراهية الشعب العــراقى لدكتاتورية صدام حسين وقهره ستجعله يستقبل الجيش الأمريكى بالورود باعتــبار أنـــه جـــاء محـــرراً ولكن ما حدث عكس ذلك تماماً فبدلاً من أن ينزح العراقــيون خارج بلادهم تاركين صدام وحيداً فى المواجهة عادوا بالآلاف للدفاع عــن وطــنهم خلافاً للصورة الرمزية التى روج لها الأمريكيون واعتبروها مبرراً للحـــرب. إن المقاومة الشرسة هزت بعنف كل هذه المخططات التى كانت ترى أن ٢٥٠ ألــف جندى عدد كاف لإنهاء المهمة بنجاح والإسراع بمحاصرة بغداد وهى الصـــورة التى سارعوا إلى الاعتذار عنها واستدعوا ١٢٠ ألف جندى آخر اعترافاً منهم بصعوبة المهمة.

- **لكــن مـــاذا عــن الشائعات التى تحدثت عن إحباط القوات العراقية لمحاولات المدنيين من سكان البصرة للخروج منها ؟**

– لا نستطيع أن نستوثق من صدق هذه الشائعات إذ يمكن أن تكون جزءاً من الحـــرب الدعائية، فالمؤكد أن يعملون على تجويع البصرة ويقطعون عنها الكهرباء ومياه الشرب، فمن الطبيعى والحالة هذه أن يخرج الناس للبحث عما يقيم الأود. لقد بـــرزت فى الساحة العراقية – قوة لم تكن فى الحسبان وهى قوة الوطنية العراقية وهـــى فـــى اعـــتقادى ليس لها صلة بصدام، ولكنها الرغبة فى الدفاع عن الشرف والكـــرامة والأرض وهو ما اجتمعت عليه كل القوى الإثنية والعرقية بما فيها من أكراد وسنة وشيعة. إن المعركة ليست معركة تحرير الكويت فهذه المرة العراق هو المعتدى عليه، لا أستبعد إرهاب البعثيين ولا كراهية العراقيين لحاكمهم ولكن هناك قـــوى تفوقـــت على هذه الاعتبارات ولعبت الدور الحاسم ولفتت أنظارنا كما لفتت

أنظــار المراقبيــن فى العواصم الغربية وهى قوة الوطنية العراقية التى تعبر عن أصالة هذا الشعب العريق.

- **لكــن ألا يــرجع ذلــك فى جانب منه إلى خيانة الأمريكيين لانتفاضة الشعب العــراقى فى عام ١٩٩١ وما أعقبها من مجازر ارتكبها صدام تحت عيونهم استجابة لضغوط مصرية – سعودية ؟**

– لا أعــتقد أن جورج بوش الأب قد أوقف الحرب عند هذه الحدود استجابة لضــغوط مصرية أو سعودية، وإنما استجابة لتصوراتهم الخاصة بأن صدام حسين خرج من هذه المعركة ضعيفاً وأن التعامل مع قائد ضعيف أفضل من استبداله بآخر فــى مركــز أقوي. هذا هو العنصر الحاسم الذى تقرر عليه الموقف الأمريكى منذ ١٢ عامــاً وهــو ما تغير الآن فالمخطط الحالى يؤكد على ضرورة الإطاحة بهذا الــنظام واســتبداله بآخــر يسمونه نظاماً ديمقراطياً رغم أنه لا يمكن تصور نظام ديمقراطى محمول على صواريخ كروز وينتصب على جثث الآلاف.

- **فــى رأيــك لماذا تغير المخطط الأمريكى مادام أن صدام مازال هو ذلك القائد الضعيف ؟**

– لأن مخطــط بوش الأب مغاير تماماً لمخطط بوش الابن فلقد دخلنا مرحلة جديــدة تماماً بسقوط الاتحاد السوفيتى ونهاية عصر القطبية الثنائية واختفاء التحييد المتبادل، حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها محررة من أى قوى تكبلها أو تحيدها فكان أن تساءلت بعد أن حادت كل هذه القوة منفردة لماذا تخضع لنظام قانونى هو تعبــير عن موازين قوى لم تعد موجودة حالياً؟ إنها فرصتها لتنقض على المجتمع الدولى بمخطط مختلف يتناسب مع قوتها الراهنة وهذا ما يحدث وهذا هو الاختلاف الأساسى فى الأوضاع الدولية بين بوش الأب وبوش الابن .

- **إذن بمــا تفســر وجــود محاولات أمريكية لدعم انقلاب عسكرى على صدام واستبداله بصدام آخر، جنرال سنى بجنرال سنى كما حدث فى عام ١٩٩٦؟**

– هـذه الأمـور لا تخضـع لمعـيار إما.. أو، أبيض أو أسود، فمثل هذه المخططات تتضمن أكثر من تصور وأكثر من فكر لكن المؤكد أن فكر بوش الأب كـان مرتهنًا بالأوضاع الدولية المرتبطة بوجود الاتحاد السوفيتى الذى كان وقتها يـترنح فى آخر أيام جورباتشوف ومن هنا وارد أن تتضارب التصورات أما الآن فهناك تغيير نوعى فى المخطط الأمريكى نظراً لوجود متغيرين جديدين فى الساحة، أولهمـا الإرهاب الدولى الذى تجلى فى أحداث ١١ سبتمبر والذى نستطيع أن نقول إن أمـريكا عجزت حتى الآن عن أن تنتقم لنفسها ولم تحقق شيئاً يحفظ ماء وجهها على الأقل أمام الشعب الأمريكي، أما المتغير الثانى فهو أسلحة الدمار الشامل التى هى ظاهرة موضوعية لا يمكن إيقافها فإذا كان العلم قد اكتشف طريقة لتفجير الذرة فكـيف لأحـد أن يوقف انتشار سر علمي؟ هذه مشكلة الدول التى تريد أن تحتكر مصادر القوة الجديدة وفى مقدمتها أمريكا التى تريد أن تسلح نفسها وتسلح إسرائيل وتحـرم – فى الوقت نفسه – أطرافاً من امتلاك مثل هذا السلاح وهذا وضع غير طبيعي، ورغم ذلك تحاول فرضه بالقوة.

- **لكن كيف نفهم أن الولايات المتحدة لم تثأر بعد لنفسها من الإرهاب رغم أنها حققت كل ما أرادته فى أفغانستان ؟**

– الشـيء المؤكـد أن بـن لادن مازال حياً والملا عمر مازال طليقاً وتنظيم القـاعدة لم يمس وحتى إذا كان بن لادن قد مات فمازال موجوداً كرمز فى أشرطة الفيديو والبيانات التى تظهر بين الحين والحين. إنه شبح مازال يلاحقهم.

- **لكـن ألا يمكـن أن يكون شبح بن لادن أيضاً صناعة أمريكية كما أن صاحبه كذلك ؟**

– هـذا جائـز، لكـن المؤكد أيضاً أنهم يحتاجون الآن لعدو لكى يبرروا به مخططـاتهم الجديـدة وبـن لادن هو الشبح المثالى لذلك العدو بعد اختفاء الاتحاد السوفيتي.

- **ما قولك إذن فيما يقال عن أن الإسلام هو العدو الجديد ؟**

– هـذا وارد أيضاً لتحقيق هذا الغرض، وهم يطرحون هذه الأطروحات منذ زمـن مـثلما فعل هانتجتون وعلينا أن نتذكر ما قالوه فى بداية نشأة نظام أحادى القطبـية مـن أن الولايات المتحدة والرأسمالية انتصرت انتصاراً نهائياً فتصدرت مقـولات نهايـة الـتاريخ لفرانسيس فوكوياما التى تحاول الزعم بانتهاء الصراع الأيديولوجـى بين الرأسمالية والشيوعية بالانتصار النهائى للرأسمالية وأن الشعوب لا تخـتلف على أصول الرأسمالية، ولكنها تختلف على تطبيق مبادئها العاملة غير أنـه سـرعان مـا ثبت أن نهاية التاريخ بهذا المعنى ليست صحيحة، فالصراعات مازالـت تشـتعل فى كل مكان، ولذلك كان لابد من اكتشاف سبب يبرر استمرار الصراع مع نهاية صراع الطبقات ونهاية الخطر الشيوعي.

- **اكتشـاف عـدو أم اختراع عدو.. إيجاد عدو.. هل الإسلام إذن عدو حقيقي؟ وهل هى – من ثم – حرب دينية ؟**

– الموضـوع لـيس إسـلاماً أو أديانـاً، الموضـوع هو الأسباب التقليدية، فالصـراعات أسـبابها اقتصادية واجتماعية، إنهم فقط يحتاجون لصناعة عدو مثل الإرهـاب، نحـن إذن أمام صناعة عدو يتم فيها إلباس الإسلام ثوب العدو لأسباب تخدمهم وأبسط دليل على أن القضية ليست الإسلام هذه الملايين و٩٠% منها ليسوا مسـلمين خرجـت للدفـاع عن العراق وتندد بالحرب لدرجة أن إنجلترا المشاركة الرئيسـية فى الحرب شهدت أكبر مظاهرة فى تاريخها تندد بالحرب ونفس الشيء بالنسبة لكل الدول التى تقود هذه الحملة إيطاليا، إسبانيا، وأمريكا هذا بخلاف موقف الفاتيكان وهو ما يؤكد أنها ليست حرباً دينية.

- **لكـن بعـض المهووسين القوميين والإسلاميين عندنا يصرون على اعتبارها حـرباً صليبية جديدة بإرجاع ذلك إلى أن ما يسمى بالصهيونية المسيحية فى الولايات المتحدة هى التى تقود هذه الحرب ؟**

– هـناك فارق كبير بين إلباس الصراع الحالى ثوباً دينياً والقول بأنه صراع ديـنى بطبيعـته وهـذا ما أقف ضده وبين أن تستثمر تجمعات سياسية ذات طابع

أيديولوجى الدين حيثما هو أيديولوجيا وليس مجرد دين فعندما نتكلم عن الصهيونية فنحـــن لا نـــتكلم عـــن دين، وإنما نتكلم عن حركة سياسية وكذلك عندما نتكلم عن صـــهيونية – مسيحية فنحن نتكلم عن قضية سياسية وهناك ألوان سياسية تميل إلى اســـتخدام نصـــوص دينـــية معينة لتحقيق أغراضها لتكون أدوات لها فى معاركها السياســـية وانطلاقـــاً مـــن هذا اللبس وقع العرب فى خطأ تأييد جورج بوش الابن مرشح الحزب الجمهورى اعتقاداً منهم أن الحزب الديمقراطى الذى يضم فعلياً عدداً كبيراً من الأقلية اليهودية هو الوحيد الذى يميل لمساعدة إسرائيل، ومن ثم فإن مجئ مرشـــح جمهـــورى إلـــى البيت الأبيض من شأنه أن يغير السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وتحديداً فيما يتعلق بقضية الصراع العربى – الإسرائيلى خاصة أن كثـــيراً من قادة الإدارة الأمريكية الحالية يعملون فى مجال البترول الموجود بوفرة لـــدى دول المـــنطقة، وبالتالى وجود إمكانية لتجسير الفجوات العربية ـــ الأمريكية وهو اعتقاد ثبت فشله فهؤلاء اليمينيون أكثر ضراوة ويميلون لتأييد شارون والليكود وليس حزب العمل الذى يميل إليه أغلب اليهود المنخرطين فى الحزب الديمقراطى الأمـــريكى بحكـــم الـــتوجهات الاشتراكية الديمقراطية التى تجمعهم. المسألة إذن لا تخرج عن كونها استخدام الدين فى أغراض سياسية ومحاولة الإيحاء بأن الدين هـــو الظاهـــرة الوحيدة المتحكمة فى السياسة رغم أن الحروب الصليبية والحروب ذات الصبغة الدينية فى بداية عصر النهضة فى أوروبا كانت فى حقيقتها تعبيراً عن صـــراعات سياســـية واقتصادية. الحرب الحالية جوهرها الأساسى اقتصادى أولاً وأخـــيراً يـــتلخص فـــى البترول. إنها حرب بترولية فالعالم يدخل فى مرحلة ندرة مصادر الطاقة، حيث تزداد معدلات استهلاكها بأرقام فلكية وينتظر أن يعانى العالم خـــلال الأربعين عاماً المقبلة من مرشح فى البترول باعتباره مصدر الطاقة الوحيد القـــادر علـــى مواجهة تحديات الحياة المدنية الحديثة فحتى لو تم اكتشاف مصادر جديدة للطاقة كالشمس مثلاً فإن استخدامها بديلاً عن البترول سيستغرق مدة لا تقل عـــن ٥٠ عامـــاً ليبقى البترول المصدر الوحيد المتاح للطاقة حتى تحدث مثل هذه الـــنقلة وإذا كـــان الـــتحكم فى العالم مرتهناً بامتلاك مصادر الطاقة، فإن الولايات

المتحدة حريصة على أن تكون ذلك المالك خاصة أنها ترغب فى أن تتجاوز النظام الدولى القديم الذى يصنفها كواحدة من بين خمس دول قوية أعطيت الحق فى الدفاع عن مصالحها باعتبارها قوة منتصرة فى الحرب العالمية الثانية بالتمتع بحق الفيتو فى مجلس الأمن. ويمكن أن نقول هنا إن العراق يتمتع بوضع خاص، نظراً لموقعه كـثانى أكـبر احتياطى نفطى فى العالم ولذلك ترغب الولايات المتحدة فى الانفراد بـنفطه كشـرط لانفـرادها بالقطبية الأحادية فكان أن التقطت فرصة الحرب على الإرهاب فى أفغانستان وروجت إلى أن ما جرى هناك يجرى فى العراق الذى ينتج أسـلحة دمار شامل لخدمة شبكات الإرهاب، رغم أن القضية الجوهرية والمحورية فـى العالم الآن هى ملكية مصادر الطاقة وبالتالى ملكية شروط السيطرة فى العقود المقبلة.

- **لكن البعض يقلل من أهمية كعكة البترول العراقى كدافع للحرب ؟**

– ما يتفق عليه العالم هو الأهمية التى تحوزها مصادر الطاقة فى تحديد حجم القوى الدولية فى العقود المقبلة وهو سبب مقنع وكاف لقيام مثل هذه الحرب، وإن كانـت ثمـة أهـداف أخرى منها مثلاً تجديد وتجريب السلاح وهو شرط لإثبات اسـتمرار الـتفوق ولا يمكن أن يحدث ذلك دون الحروب التى أصبحت قلتها تمثل مشكلة تحول دون تجديده، فضلاً عن أن استهلاك السلاح مهم لتحريك الاقتصاد.

- **إنهـا إذن عسـكرة العولمة كما يقول الدكتور سمير أمين فى تحليله للحملة الأمريكية على أفغانستان ؟**

– سمير أمين له نظـرية صحيحة تقول إن العولمة تحمـل فى طياتها اتجاهاً لمـزيد مـن العسكرة بصرف النظر عن سلاح معين أو ظرف بعينها. لكن المؤكد أيضـاً أن هـذه الحرب تستهدف أغراضاً أخرى أهمها دعم وخلق ظرف مناسب لتقوية الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة التى تقوى تلقائياً بفعل تنامى حالة الضعف العربـى، كذلك فإن إخضاع المنطقة لمخطط عسكرى واسع النطاق يخدم المصالح الأمريكية – الإسرائيلية فنحن بصدد تحولات أساسية فى بؤرة منطقة البترول .

- **هل نحن فعلياً إزاء سايكس بيكو جديدة يتم بمقتضاها تقسيم المنطقة ؟**

– نعم نستطيع قول ذلك فلا شك أننا إزاء تغيير جذرى فى النظام الإقليمى كله يتواكب مع تنامى عجز الأنظمة العربية عن حماية مصالحها وانشغالها المفرط بخلافاتها البينية فمثلاً فشلت عملية السلام فشلاً تجاوز كل التوقعات فلم تكن التراجعات التى شهدتها أمراً بسيطاً يمكن أن نتواصل بعده فبعد فشل كامب ديفيد الثانية هيمنت على إسرائيل قوى تتناغم مع قوى دولية تسعى إلى نظام دولى مختلف، وهو ما يشى بأننا بصدد تغيير جذرى أكثر أصالة من كونه مجرد تغيير عارض أو مؤقت ووارد الآن جداً إكساب العراق صفات محور رئيسى من أجل تنفيذ سياسة إقليمية نقيض السياسة الإقليمية التى دأب العراق على ممارستها فى السابق، فبعد فشل كامب ديفيد الثانية بدأت الإدارة الأمريكية تنظر إلى كامب ديفيد الأولى باعتبارها مجرد محطة مؤقتة وليست نهائية يمكن أن تلحق بها انتكاسة تغير ملامح النظام الإقليمى الذى خطط بناء عليها. إن الجديد والجوهرى فى كل ذلك هو محاولة دخول الإقليم من البوابة العراقية بدلاً من البوابة الفلسطينية كما كان الحال باستمرار الأمر الذى قد يؤدى إلى تغيير ترتيب الأمور والأولويات حتى تصير القضية الفلسطينية فى الترتيب الثانى وفى سبيلها للانقراض أو التأجيل فى أحسن الفروض لتحيل محلها القضية العراقية وهو تعبير عن تغيير جذرى فى بناء المنطقة ككل ومن هنا فإن مقولة سايكس بيكو جديدة تنسحب على أحوال المنطقة مائة فى المائة.

- **إذن هل نحن إزاء هجمة امبريالية جديدة تعيد الاستعمار بشكله الكولونيالى مرة أخرى يحل فيها الغزاة الأمريكيون محل الامبراطورية البريطانية السابقة؟**

– هناك خطر بروز نوع جديد من الامبريالية له خواص وسمات معاصرة ، لكن ذلك ليس أمراً حتمياً فأنا لا أستبعد ــ مثلاً ــ حدوث أزمة اقتصادية حادة فلا يعقل أن تخصص الولايات المتحدة ٧٥ بليون دولار لحملتها العسكرية و٢٥ بليوناً لإعمار العراق وهى دولة مدنية هل ستبتز واشنطن دول العالم؟ الأمر ليس بتلك البساطة، ومع ذلك ففى وسط المحاولات الأمريكية لإظهار الصورة على أنها

صراع بين أمريكا الخيرة والإرهاب الشرير، لكن هناك صورة أخرى للعالم بدأت تتشكل فى سياتل وجنوة وبورت اليجرى إلى المظاهرات الأخيرة التى خرجت ضد الحــرب. إنهـــا صورة أخرى غير التى تريد أمريكا رسمها للعالم ومنها أن يخرج عــامل بسـيط ليحكم البرازيل هذه الدولة القارة على غير المألوف وغير المتوقع. نحـــن بصدد تغييرات تتم فى الاتجاهين معاً وليس صحيحاً أن الأمور تسرى نحو اتجاه واحد، سلبي، فحتى أوروبا خرجت على مبدأ القبول بالتبعية لأمريكا وانقسمت علـــى نفســها، فبينما آثرت إنجلترا السير فى ركاب أمريكا سعياً لمكسب أكبر نجد دولاً مـــثل ألمانيا وفرنسا ذهبت فى الاتجاه المضاد، الأمر الذى شجّع روسيا على التحرك وكذا الصين.

لكن الحلقة العربية هى الحلقة الأضعف فى كل هذه التحركات فالنظام العربى لـــيس فى مستوى التحدى على الإطلاق. إنه يترنح كنظام عاجز عن تجديد الذات والارتقاء إلى المستوى المطلوب.. إن الاختبار الجارى اليوم فى العراق هو اختبار للجمـــيع ولـــيس فقط لأمريكا أو العراق. نحن بصدد وضع لا يمكن إيقاف حركة التاريخ فيه.

- **لكـــن مـــاذا عنا كشعوب عربية؟ كيف يمكن أن نواكب هذه المتغيرات ونحن مكبّلون بهذه الأنظمة الفاشية والنخب التى تعرفها ؟**

– لا أحـــد يستطيع الهروب من مصيره، فالاختيار يشمل الجميع وألاحظ قدراً مـــن الـــتراجع للأنظمة فى مسألة وقف المظاهرات، بما يؤكد إدراكها أن الحركة كبـــيرة وتجـــاوزت مرحلة إمكانية الضبط والتنفيذ ولا ينبغى أن نعتقد أن المسألة ستأتى بسهولة فعلينا كشعوب أن ندفع المزيد من التضحيات الجسيمة، فالتاريخ فى العـــادة يســـير بأسوأ الطرق لا أفضلها فالتخطيط شيء وتنفيذ حركة التغيير شيء آخـــر، فعندما تنطلق حركة التاريخ لا أحد يستطيع إيقافها. سوف نشهد أياماً بالغة الصعوبة ولكن لا خيار لنا سوى المزيد من التقدم إلى الأمام وأبسط مثال أن معركة بغداد ستكون مذبحة وسيرى فيها الشعب العراقى الويلات لكنه سيفجر ــ فى نهاية الأمـــر ــ الموضـــوع لتصـــل الأمور إلى درجة لا يمكن بعدها القبول بهذا الواقع

والسـكوت عـنه. خـذ العـراق مثلاً رغم ما فيه من تناقضات منها العراقى - الإسـرائيلى والتـناقض الكردى - التركى والكردى - الإيرانى والتناقض الشيعى السـنى - الكردى وهى تناقضات تعتبر نقاط انفجار لا نستطيع توقع أيهما سينفجر أولاً، لكـن الشيء المؤكد هو أننا بصدد أوضاع أفلتت من كل سيطرة ونحن بصدد حـرب مـا هـو المصـير إزاء استخدام التناقض العدائى أسلوباً لمعالجة كل هذه التناقضات وهو ما يؤكد صعوبة عودة الأوضاع لسابقها فلابد من شيء آخر ولابد أن الموازين الجديدة للقوى ستعبر عن نفسها فى صورة اتفاقات جديدة لدرجة أننى أتوقع العودة إلى الدبلوماسية مرة أخرى فى المستقبل المنظور لأننى أرى استحالة بقـاء المخطط الحالى الذى هو انفراد إنجلترا وأمريكا بتحديد مصير الحرب بمنأى عن العالم.

- **لكـن العودة إلى الدبلوماسية ستكون بمثابة انتكاسة للامبراطورية الأمريكية فهل ستقبل بها ؟**

- هـذه هى المشكلة التى يدركها الأمريكيون فإذا كانت المسألة مسألة بترول فلـن تقبل ألمانيا وفرنسا بانفراد أمريكا وإنجلترا بالكعكة كلها.. مستحيل. مستحيل. إنهم لا يحاربون من أجل العراق وإنما لخدمة مصالحهم. الطموح الأمريكى الجامح فى الانفراد بوضع متميز عالمياً على الجميع أن ينصاعوا له مستحيل السكوت عليه أو قبولـه ففرنسا أذهلت العالم بموقفها الذى لم يكن متوقعاً من دولة رأسمالية ذات تـاريخ استعمارى قديم فذلك من شأنه أن يلبى مصالح خاصة بها لا يمكن التنازل عـنها، الأمور أكبر مما تبدو عليه وأمريكا لا تستطيع تحدى العالم والخروج على مبدأ الفيتو والنظام الدولي.

- **لكن البعض يرى أن التعارض بين فرنسا وألمانيا من جهة وأمريكا وبريطانيا من جهة ثانية خلاف على المصالح لا يرقى إلى مستوى الصراع ؟**

- هو أكثر من خلاف حول المصالح الجوهرية التى فجرته، نحن بصدد إعادة بـناء الـنظام العالمى الذى طرح عام ٤٥، وكان فيه منتصرون ومهزومون لكن

الصورة تغيرت الآن فالمهزومون صاروا منتصرين كاليابان وألمانيا والمنتصرون صـــاروا منهزمين كالاتحاد السوفيتي الذى تم اختصاره فى الاتحاد الروسي . نحن إذن أمـــام نظـــام دولـــى متخلف لا يواكب المتغيرات التى استجدت وهو تناقض لا يمكن أن يستمر فى البقاء.. إننا بصدد تغييره بالفعل وما يحدث حالياً فى العراق هو مظهر خارجى يعكس موازين القوى فى العالم وأوضاعها الجديدة، وإن كان هذا لا يعـــنى انتصـــار هـــذه الأطراف الرافضة للانفراد الأمريكى بالهيمنة على النفط والعـــالم كما لا يعنى أيضاً أن هذه المعركة هى المعركة الأخيرة فحتى لو خرجت أمـــريكا منتصرة انتصاراً كاملاً، فإن هذه الأطراف لن تسكت لأن المسألة مرتبطة بصميم وجودها.

- **هل يمكن أن تنعكس هذه الصراعات على مستقبل حلف الناتو كحاملة للتحالف الأوروبى – الأمريكي ؟**

– الأمـــور مـــتداخلة بشكل معقد فأكثر الدول المتحمسة اليوم لهذا الحلف هم أعـــداؤه الســـابقون من أعضاء حلف وارسو المنهار وعلى العموم ليس طبيعياً أن يظل الناتو على حاله ولا غرابة فى أن ألمانيا وفرنسا ـــ فى هذا السياق ـــ تسمحان للقـــوات الأمريكـــية بالمرور عبر أجوائها وأراضيها فهما تقبلان أشياء وترفضان أشياء والأمور ليست أبيض أو أسود وإنما درجات تعبر فى جوهرها عن صراعات عميقة وخطيرة وهى تركيبة بين الدبلوماسية والحرب.

- **نعود للمفاوضات.. هل تعتقد أنها مقبلة بالفعل ؟**

– الأمر يتوقف على المقاومة المقبلة فى بغداد.. هذه هى الحلقة الرئيسية التى ســـتحدد مجـــريات الأمور، هل ستجبر المقاومة العراقية على تلبية نداء التفاوض الدولـــى وحتى تتغير الأمور لابد أن تنشأ حالة يكون فيها الوضع الأفضل لأمريكا هـــو إيقاف العمليات ويكون العراق قد حقق من الإنجازات ما يمكنه من حفظ ماء الوجه.. إنه سيناريو محتمل لكنه ليس محتماً بالضرورة، ومن الوارد أيضاً أن يعيد الموقـــف البطولى للشعب العراقى قدراً من الهيبة لصدام حسين خاصة إذا استمرت

الحرب عشرة أو خمسة عشر يوماً أخرى وثبت فيها خلو العراق من أسلحة الدمار الشـامل وقـد يقبل وقتها عمل انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة ليعيد الشرعية لحكمه فكما قبل فكرة عودة المفتشين يمكنه أن يقبل بفكرة الانتخابات.

- **لكـن هـل تعـتقد أن يقبل طاغية بهذه القسوة فكرة عمل انتخابات نزيهة قد تطيحه فى الوقت الذى رفض فيه فكرة التنحي ؟**

- كـل هذه سيناريوهات محتملة وليست محتمة خصوصاً إذا كان البديل هو قـتله فهـو محكـوم عليه بالإعدام وهو أمر مطروح بصيغة نهائية بحكم التفوق العسكرى الأمريكى ولو توافر له مخرج أقل من ذلك سيحاول الاستفادة منه.

- **هل تتوقع انقلاباً فى موازين القوى العسكرية فى أى من المعسكرين ؟**

- لا أستطيع استبعاد أى احتمالات لكننى أتحدث عن سيناريوهات هى الأكثر احتمالاً ومعقولية لكننى لا أتصور أن أمريكا ستحقق انتصاراً حاسماً ولا أتصور أن العراق سيتجنب – بسهولة – ما هو أقرب إلى الهزيمة ومع ذلك لا يمكن القول إن الأمور محسومة بشكل نهائى تجاه أى احتمال.

- **إذا كان المواطن العربى يعرف موقعه إذا ما انتصر الأمريكيون وخطورة ذلك علـى مسـتقبلهم وثـروته القومية فكيف سيكون موقعه إذا ما انتصر صدام حسين كرمز لكل الطغاة العرب ؟**

- لا أتصور انتصاراً ممكناً لصدام حسين فكل ما أتحدث عنه هو إلى أى حد يمكن تجنب هزيمة ساحقة فالتفوق العسكرى الأمريكى أمر مفروغ منه فإذا رغبت واشـنطن فى إحضار مائة ألف جندى تمكنت من ذلك بكل بساطة، ولذلك فالسؤال بالنسبة لصدام حسين هو ما الذى يمكن تقديمه باعتباره نوعاً من الانتصار للعراق؟ وهـو ما سيقرره مدى الصمود وما سيفرضه من وضع موجع على المعتدى وهذا هو الحد الأقصى للانتصار.

- **لكن إلى أى مدى يمكن أن نتعاطف مع ما يردده القوميون حالياً من أن صدام يحارب معركة الإنسانية كلها ؟**

- علينا أن ندرك أن المظاهرات التى خرجت فى العالم كله كشكل من أشكال التعبـير الإنسـانى تعرف تماماً أين تكمن مصالحها وتقف مع من وضد من وبهذا المعـنى نسـتطيع أن ننـتمي للإنسانية من خلال معارك يلازم بعضها بعضاً فى مجـرى الحرب الطويلة ضد السياسة الامبريالية العصرية متمثلة فى هذه الحرب البترولية التى تتخفى تحت مزاعم تحرير الشعب العراقى من نظامه الديكتاتوري.

- **فـى حالـة تحقق أى من هذه السيناريوهات كيف يمكن تصور التغيرات التى ستطرأ على الأنظمة العربية ؟**

- أعتقد أن المحاسبة العربية ستتصاعد فنحن بصدد مرحلة يتصاعد فيها وعى الشـارع العـربى والمظاهـرات التى عمت العالم العربى بما تضمنته من عنف وإصـرار على الخروج حملت رسالة واضحة للأنظمة مفادها أن ما جرى لن يمر دون محاسـبة. المواطن العربى يزداد ثراء فى مفاهيمه السياسية والاجتماعية لكل القضـايا المطروحة ولا شك أن الأنظمة ستحرص على مجاراة هذا المناخ لتحفظ موقعهـا، فلقـد أدركـت أن عزلـتها لن تفلتها من المحاسبة والذى لن يبادر منها للاشـتباك مع المتغيرات الجديدة سيعمل على قمعها لكنه سيحاسب فى نهاية الأمر والمؤكـد مـثلاً أن مجرد الحديث الآن عن تجديد فكر الحزب الوطنى تعبير عن الاقتـناع بـأن إدارة الأمور بالطرق التقليدية لم تعد تصلح وأن هناك حاجة ماسة للتجديد والإصلاح.

- **لكـن جانباً من النخبة القومية يصر على أنه لا وقت للحديث عن الديمقراطية وتغيير الأنظمة رغم أنهم أول مَنْ يعانى من ديكتاتوريتها ؟**

- تغيير الأنظمة يأتى كنتيجة وليس كهدف، ولا أعتقد أن أحداً اليوم يجعل من مشـكلة تغيـير الأنظمة هدفاً مطروحاً فكل ما هو مطروح هو تحقيق أهداف تلبى متطلـبات المواجهة مع أمريكا وخلق نظام عربى على مستوى اللحظة الراهنة تتم

محاسـبته علـى تقاعسه أو تقصيره ومثل هذه المحاسبات هى الخطوة التى ستأتى بالديمقراطية النابعة من أرضنا لا المقبلة على متن صواريخ كروز وطرح القضية علـى أنهـا ديمقراطـية أو مواجهة خداع لأن المواجهة فيما يتعلق بالعراق تعزز الديمقراطية فى ممارستها فكلاهما يشترط الآخر.

- **تعلمـنا فى مدرسة اليسار المصرى مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية الذى لا يمكـن القبول بفكرة اجتزائه كما كانت تفعل بعض الأحزاب التى تركز على وطنـية الـنظام دون ديمقراطيـته والعكس.. هل يمكن حقاً تصور أنظمة – تتعرض شعوبها وأوطانها لسايكس بيكو جديدة – بالتركيز على وطنيتها دون ديمقراطيتها والعكس ؟**

– الأنظمـة اليوم بغض النظر عن ديمقراطيتها ملزمة بقدر من الوطنية فهى لا تسـتطيع الـبقاء كأنظمة لو غضت الطرف تماماً عن البعد الوطنى فحتى وهى تقمـع المظاهـرات تجد نفسها تعيد الحسابات مرة ومرات فليس من المتصور أن تحـدث مظاهـرات ضـد الحرب فى أمريكا وتمنع فى الوطن العربى وهى أيضاً ملـزمة نتـيجة هـذا الظرف بطروحات ديمقراطية أرادت أو لم ترد فهناك وضع ديمقـراطى يفـرض نفسه بحكم طبيعة المواجهة، ثم إن التفكير الماركسى التقليدى الـذى كان يتحدث عن المرحلة الاشتراكية باعتبارها منفصلة عن المرحلة الوطنية الديمقراطية أعيد النظر فيه.

- **نعود للمشهد العراقي.. ماذا عن الموقف الكردي ؟**

– هـناك مشـكلة جوهـرية بالنسبة للأكراد وهى فكرة الدولة المستقلة وهى مشـكلة معقدة لارتباطها بأكثر من دولة وهى معادلة يكاد يكون من المستحيل حلها وأضـف إلـى ذلـك الطبيعة القبلية للمجتمع الكردى بما تحمله من عناصر نفور وكونهـا موضـع اسـتخدام أطراف كثيرة فى المنطقة وموضع تعقيد لصراعات إقليمية.

- **هــل أنـــت مـــع حق تقرير المصير للشعب الكردى وإنشاء دولته خاصة أننا نعــترف بحــق تقرير المصير إذا ما تعلق بأكراد تركيا وننزع هذا الحق من أكراد باقى الدول ؟**

– هذا سؤال صعب خاصة أننى لم أدرسه دراسة وافية ولكننى أستطيع القول كطـــرح نظـــرى إن هناك ظروفاً معينة قد تقتضى أحياناً عدم التسليم بحق تقرير المصـــير كمـــبدأ مطلق ومسلم به فى كل الأحوال بسبب المضاعفات المعقدة التى يمكن أن تترتب عليه فمثلاً دول البلطيق كان الاتحاد السوفيتى يرى ضرورة بقائهم داخـــل إطاره ثم تفجرت قضيتهم ومع ذلك لا أرى أن هذا ينسحب بالضرورة على الأكراد.. المسألة تحتاج إلى دراسة.

- **لكـــنك تـــرى أنهم شعب يتمتع بمقومات وسمات إثنية وثقافية ولغوية ودينية خاصة ؟**

– ولذلـــك إذا تعـــذر إنشاء دولة لهم ينبغى تعويضهم بأشياء أخرى تكفل لهم حـــريات مناســـبة كحكم ذاتى واسع النطاق ومع ذلك ينتابنى إحساس بأن الأكراد شـــعب لم ينل حقه وعندما أتأمل إلحاحنا نحن العرب بالذات لإنشاء دولة فلسطينية أشعر بالحرج عندما ننكر هذا الحق على الأكراد.

- **يطـــرح الأمريكـــيون فى خططهم لعراق المستقبل دولة فيدرالية على النسق الأمريكي.. هل يعنى هذا أنهم يطرحون الحفاظ على وحدة العراق ؟**

– إنهم يتحدثون عن التكامل الإقليمى للعراق وهو أمر أشك فيه وفى احترامه أمريكياً.

- **ولكـــن هـــل يمكـــن أن تتجاهل الولايات المتحدة المصالح التركية فى الشمال والإيرانية فى الجنوب ؟**

– هـــذه اعتـــبارات قـــد تمنع أمريكا من العمل على تفتيت العراق، لكن من الممكن أيضاً أن تكون هناك اعتبارات أخرى قد تدفعها إلى ذلك .

- **إذا استطاعت أمريكا الاستحواذ على بترول العراق في الوقت الذى ضمنت فيه بـترول الخليج، فهل تتوقع أن تشهد المنطقة حروباً أخرى تشنها أمريكا على عواصم عربية أخرى ؟**

- نعم أتصور نشوب حروب أخرى فى المنطقة فى خطوات متتالية فقد تكون سـوريا هى مسرح العمليات المقبل باعتباره إحدى دول الشر والأمر ينسحب على السودان وإيران وليبيا وربما يتطور الأمر إلى حد اعتبار ردود أفعال دول صديقة مثل: مصر، والسعودية، توجب النظر إليها نظرة مختلفة.

- **لكـن ألا يكفـى وجودهـا العسكرى الهائل الذى ستحوذه فى العراق لضمان مصالحها فى المنطقة العربية وتحجيم إيران ؟**

- هذه أسباب تدفع إلى الاعتقاد فى أنها ليست بحاجة لحروب أخرى ومع ذلك فهناك أسباب تجعل الحرب ضرورة أمريكية ودليل ذلك إصرارها على إقناع العالم بأنهـا كانت على حق عندما خرقت النظام الدولى وخاضت حرباً دون إرادته وهذا فى حد ذاته مدخل لمواصلة نفس المسار، ومع ذلك فإن حجم الخسائر التى ستخرج بها أمريكا فى العراق هى التى ستحدد مصير هذا التصور.

- **علـى ذكـر سـوريا كـيف ترى مستقبل نظامها البعثي؟ وبماذا تفسر النبرة الراديكالية للخطاب السياسى فيما تتسم الممارسة بالهزال ؟**

- الـنظام السورى يأخذ أكثر الأشكال إزاحة فى التعامل مع المواجهات حيث الحـدة فـى القول للتغطية على الإحجام فى الفعل وهو مسلك أصيل فى الممارسة السياسية السورية وأتصور أنهم سيلجأون لنفس السياسات إذا مسهم شيء من ضر هذه الأزمة وعلى أكثر تقدير سيلجأون إلى الاستعانة بقوى أخرى تقليلاً للخطر فى الوقـت الـذى يحـافظون فيه على النبرة العالية، وأتصور أن صمتاً عظيماً سيسم الموقـف السـورى إذا انتصـرت أمريكا بشكل حاسم على العراق وقد تنجح هذه السياسـة فى تكييف النظام السـورى مع الأوضاع الجديدة بما يضمن له فرصـة الاسـتمرار فـى البقاء تماماً كما حدث فى أزمات أخرى فى عهد الأسد الأب فهل ينجح الأسد الابن فيما نجح فيه الأب؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام المقبلة.

- **فــى ظــل كــل ما نراه من خروقات.. هل ثمة مستقبل لكيان اسمه الجامعة العربية ؟**

– هــذا النظام لم يعد قائماً قط، والأفضل لنا أن نعترف بهذه الحقيقة وننطلق منها فهذا أقل سوءاً مما نشهده الآن من مواقف متناقضة ليس بين الأنظمة فقط، بل وداخلهـا أيضــاً فدولة قطر مثلاً تتصرف تصرفين متناقضين فى آن واحد، فهى كدولة حاملة لقواعد وطائرات ما يسمى بالتحالف وهى كقناة تليفزيونية «الجزيرة» تتخذ مواقف مغايرة وهو أمر يحتاج إلى تفسير وشرح .

- **يطــرح الــبعض تصوراً جديداً للأمن القومى العربى يوسعه إلى أمن إقليمى لمنطقة الشرق الأوسط تكون تركيا وإيران أطرافاً أساسية ولا يتجاهل إسرائيل اعــترافاً بدورهــا كلاعــب كبــير فى المنطقة بحيث يمكن ضبط ممارساتها ومحاسبتها ؟**

– المنطق يقول: إنه قبل أن تفكر فى إضافة عناصر جديدة إلى الخريطة عليك أن تــنظر فى العناصر الموجودة بالفعل وغير المنسجمة مع الكيان العربى فعندما تقبل دولة أن تكون بمثابة هيئة أركان حرب لشن عدوان على شقيقة عربية أخرى فهذا أمر غير معقول وجدير بإعادة النظر إلى المسألة برمتها قبل التفكير فى إضافة تركــيا وإيران وإسرائيل وغيرها.. علينا أولاً أن نفكر فى الحذف قبل أن نفكر فى الإضافة.

- **فــى هــذا الســياق.. كيف ترى مستقبل مفهوم القومية العربية؟ وكيف ترى مستقبل القوميين ؟**

– لــيس صدفة أن نجد التيار الدينى متعاظم الشأن كما نرى ، إنه تعبير عن عجــز القومية العربية على أن تنتصب كمرجعية أساسية وأن تلبى الاحتياجات كما كان الأمر من قبل. فى البداية كان هناك المرجع التقدمى الذى أساءت له ليس فقط هزيمة الاتحاد السوفيتى ولكن أيضاً عجز حركة التحرر الوطنى عن تحقيق الكثير مــن الطموحات التى انعقدت عليها وعبد الناصر نموذج مثالى على هذا العجز كما

أن الاعـــتراف بإسرائيل قد أدى إلى الانتقاص من المرجعية القومية، لأنه يعنى – ببســاطة – التســليم بأن القضية أصبحت قضية حدود لا قضية وجود وهنا برزت المرجعية الدينية لتحل محل المرجعية القومية.

- **لكن ماذا عن لجوء بعض القوميين إلى ارتداء الثياب الإسلامية متحدثين عن قومية إسلامية ؟**

– إنها محاولة للتخفيف من عجز هذا التيار مع التسليم بوجود مرجع آخر أقدر على قيادة وتوجيه حركة الجماهير.

- **فى هذا الإطار كيف تثمن التناقض الذى وقع فيه هؤلاء عندما صفقوا وهللوا طويــلاً لسقوط الاتحاد السوفيتى إلى أن عادوا ليتساءلوا – بعد اشتداد وتيرة الهجمة الأمريكية – على الدور الروسى والفرنسى وغير ذلك ؟**

– هــذه هــى المواقف المحكومة برد الفعل لا الفعل. فعندما تعجز عن الفعل تكــون حبــيس ردوده، ففــى اللحظــة التى كنت تستطيع فيها الاستفادة من الجهد الاشــتراكى كنت تنتقده بكل الطرق ثم تلجأ وأنت فى أمس الحاجة إليه إلى نقيضه الديــنى وعلى أرضية مختلفة بدلاً من أن تكون متحكماً فيها تصبح تابعاً ومتحكماً فيك، وبالتالى تكون أقل قدرة على إنجاز أهدافك.

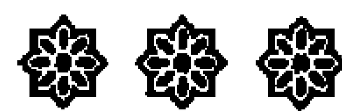
- **لمــاذا يتوجب علينا كشعوب عربية أن ننتظر كل هذا الوقت لندرك أننا نعانى تحت نير أباطرتنا وربما متأثرين بأصوات الصواريخ والقاذفات الأمريكية ؟**

– أزعم أن الديمقراطية ليست أصيلة عندنا فى البلدان العربية ذلك أن حركات الــتحرر الوطنى التى نشأت لدينا دخلت فى تلاحم مع قوى الاستعمار الكولونيالى واســتطاعا بعد فترة من الصراع أن يصلا إلى توقيع «كونتراتو» بينهما تحوز من خلاله حركات التحرر الاستقلال المشروط، غير الكامل والذى يلبى فقط جزءاً من طموحــات الحركة الوطنية فى مقابل إهمال الجزء الباقى وهذا فى حد ذاته إجراء غــير ديمقراطــي، لأن السلطة الجديدة فى الدولة المستقلة تمثل جزءاً مما كان فى

السابق حركة وطنية والجزء الآخر مهدر الحق وفقاً للصفقة المبرمة مع الاستعمار فـــى الوقـــت الذى لا تملك فيه الجماهير القوة الكافية لفرض ديمقراطية منبثقة من أدنـــى فينـــتهى الأمر بقمع جزء من الحركة الوطنية، فتصبح بالتالى الديمقراطية مشـــوهة ومنقوصة والاستثناء الوحيد من هذا السياق هو الهند نتيجة التفتت الإثنى والعـــرقى الشديد الذى طبع البلاد بطابع العنف، ولذلك لم يكن صدفة اتجاه غاندى إلى شعار اللا عنف كمفتاح من مفاتيح.

- **إدوارد ســـعيد فـــى كتابه «الاستشراق» يرى أن ماركس نفسه خضع لرؤية استشراقية مستنداً إلى أطروحاته فى «نصوص حول الهند» التى يرى فيها أن الاستعمار البريطانى قد أسهم فى إخراج الهند من كمونها ورقدتها اللاتاريخية وأنـــه لـــم يكـــن كلـــه شراً مطلقاً.. كيف تثمن هذا الكلام بالنظر لأطروحات الامبريالية الجديدة ؟**

– الاستعمار لعب دوراً موضوعياً لا شك فيه، فقد أسهم فى نقل الرأسمالية من جزء من العالم إلى العالم كله، فأحدث شيئاً من التثوير للعلاقات الاجتماعية وأقول إن عسكرة العولمة هى انتقال إلى مستوى آخر من الصراعات الاجتماعية فعلينا أن نحدد ما الذى يتوجب علينا أن نقف ضده فى العولمة وما الذى يجب علينا أن نقبله فنحن لا نستطيع أن نرفض العولمة كتقارب بين القطاعات المختلفة من العالم، لأنه نـــتاج التكنولوجـــيا العصرية التى ألغت الزمان والمكان، أما العولمة التى نرفضها فهى التى تقوى مركز الأقوى على حساب الأضعف والتى تزيد من سيطرة الأقوياء على الضعفاء بدلاً من أن تقل فبدلاً من أن ترتقى إلى مجتمع أكثر ديمقراطية تنحدر إلـــى مجـــتمع أكـــثر احـــتكاراً وهيمـــنة وسيطرة. هذه هى العولمة التى نرفضها والامبريالـــية هـــى التعبير العملى عن العولمة السلبية التى تزيد قوة القوة وضعف الضعف. إنها إذن مركزة القوة.





د. محمد السيد السعيد

لم تنته الحرب لكنه ذهب، لكنه «غار» إلى حيث ألقت مشيعاً بلعنات الملايين مـــن المحيط إلى الخليج، أخيراً سقط صدام حسين وسقط الرهان على هذه الأنظمة الفاسدة، المستبدة دون أن يعنى هذا إطلاقاً سقوط العراق أو نهاية المقاومة الشعبية فهى لاتزال – وحدها – معقد آمال هذه الأمة وها هى البشائر تترى معارك فى كل مكان تحيل حياة الغزاة إلى جحيم. ذهب فدائيو الديكتاتور مع الديكتاتور وبدا الشعب العـــراقى ممسكاً ولأول مرة بالبنادق التى طالما صوبت إلى صدره فأدمته وأردته وســـلبت منه كل قيمة إلا قيمة حب العراق. سقط النظام ومعه رهانات كل السذج الذيـــن صوروه بطلاً يحارب معركة الإنسانية وشهيداً يستعيد العراقيون معه مأساة الحسين وتستحيل معه بغداد إلى كربلاء جديدة. سقط السفاح وسقط مزورو الحقائق عـــن عمد ومزيفو التاريخ بلا شبهة وبدأ العراقيون حربهم الطويلة ضد الاستعمار. نعـــم بـــدأت الحـــرب وبدأت معها مخاوف الأمريكيين الحقيقية، هذا شيء مما أكد

الباحث القدير والمفكر السياسى الكبير الدكتور محمد السيد سعيد نائب رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بـ «الأهرام» مشيراً فى حواره مع «القاهرة» إلى «إمكانية تشكل مجموعات قتالية صغيرة يصعب جداً القضاء عليها مهما كانت قوة وضخامة قوات الاحتلال».

- **شهدت هذه الحرب العديد من المفاجآت فبعد أن طال الحديث عن حرب الأيام الثلاثة فوجئنا بالمقاومة الشرسة، ثم جاء الحديث عن معركة بغداد الحاسمة وتسليح ٧ ملايين عراقى لنفاجأ مرة أخرى بسقوطها السريع.. كيف تفسر كل هذه المتناقضات ؟**

– فى تقديرى أن المقاومة الأساسية قادتها كوادر النظام السياسى الصدامى السياسية والعسكرية غير أنه كان من الملاحظ شبه غياب أى دور للجيش النظامي، وخاصة الحرس الجمهورى وما حدث هو انهيار وذوبان الدفاعات العراقية حول بغداد بشكل كلى وإن ظلت بداخلها بعض القوات خفيفة التسليح بعضها مزود بالصواريخ المضادة للدبابات أو الأربيجيهات والكلاشنكوف والأسلحة الخفيفة. لقد سقطت بغداد عملياً بما فى ذلك من حزن وأسف وهذا لا يعنى اختفاء كل صور المقاومة فمن المحتمل أن تظهر فى المدى المباشر مقاومة خفيفة تعتمد على تسليح بسيط ومجموعات صغيرة من بقايا الحرس الجمهورى وكوادر النظام البعثي. الحقيقة العسكرية هى أن ست فرق مدرعة كانت تحيط ببغداد، إما تم سحقها وإذابتها بفعل القصف الجوى العنيف وإما تم سحبها لتخوض معارك كربلاء والنجف، وهناك تم تفكيك بنيتها العسكرية وحدث تفكك شامل للتنظيم العسكرى كتنظيم اجتماعى وليس فقط كبنية قتالية، هذا يعنى أن جوهر الجيش النظامى العراقى بما فى ذلك الحرس الجمهورى قد انتهى تماماً، لكن الأرجح هو بقاء تشكيلات قتالية صغيرة فى أنحاء متفرقة من العراق قد تبدى بعض مظاهر المقاومة دون أن تخوض معارك حاسمة غير أن هذا لا ينفى احتمالية وجود بعض أشكال المقاومة الشعبية خاصة فى الأحياء السكنية المزدحمة معتمدة على أسلحة خفيفة لكنها تفتقر لخطة عمليات واستراتيجية فهى مقاومة مشتتة تلقائية وطوعية

وقد تتسم أحياناً بأعمال بطولية فردية من قبيل الأعمال الاستشهادية، لكن لن تكون فعالة فى منع جيش الاحتلال من إحكام سيطرته الكاملة على العراق.

- **لكــن كــيف يمكن أن نتصور الانهيار الفجائى لهذا الحزب المسيطر منذ فترة طويلة رغم أنه حزب عقائدى جمع فى تنظيمه الكثيرين ؟**

– القضــية هــى قضية التنظيم الاجتماعى والعسكري، بحيث تكون المقاومة ظاهرة كبرى من ظواهر الحياة فى الواقع السياسى والعسكرى هل يمكن عمل ذلك فــى حالــة القضاء على النظام ومطاردة واعتقال بعض قياداته وهروب مسئوليه؟ المؤكد أن بمقدورهم عمل تشكيلات قتالية صغيرة، متفرقة للمقاومة لكنها لن تكون أبــداً قوى قتالية كبيرة ومنظمة وحتى لو حدث هذا فهو ليس من مصلحة المقاومة لأن الاستراتيجية المثلى من حيث المبدأ هى الانقسام إلى مجموعات صغيرة والقيام بعمل حرب أنصار، فهذا الشكل صعب القضاء عليه مهما كانت قوة وضخامة جيش الاحــتلال وقــد تنضوى هذه التشكيلات إلى تنظيم اجتماعى ما ربما يكون التنظيم العشــائرى أو شخصــيات كبيرة لها شعبيتها، غير أن هذه التشكيلات ستحتاج إلى وقت طويل لتنضوى تحت تنظيم اجتماعى أكبر ولا أعتقد أن حزب البعث سيكون مرشــحاً لقيادة مثل هذه التشكيلات لأنه تحول إلى جهاز أمنى أكثر من كونه حزباً سياسياً، فعندما يصبح الحزب السياسى حزباً حاكماً وحيداً ومسيطراً لفترات طويلة يخــتلط بالجهاز الأمنى فتتكون بداخله فرق وعصابات لا ولاء لها إلا رأس النظام وإن كانــت الصــراعات تــدور بينها داخلياً وإن كنت أتوقع مبادرة بعض الفرق العسكرية للاستسلام كما حدث فى الجبهة الشمالية خاصة أن جنود الجيش العراقى لــم يدربــوا علــى حرب العصابات والمدن واعتادوا طيلة السنوات الماضية على خــوض الحروب فى إطار جيش نظامى يواجه جيشاً آخر. المشهد العسكرى العام يــدور بيــن مــبادرة للاستسلام وبين قرارات فردية للاستمرار فى المقاومة وبين الانفراط وفقاً لما يفرضه الواقع الميدانى والروح المعنوية التى تأثرت كثيراً بسقوط بغداد.

- **لكن البعض يرى أن الإسلاميين أكثر المرشحين حظوظاً فى قيادة المقاومة بعد سقوط النظام البعثي ؟**

- هناك فصيلان إسلاميان أولهما الشيعة ولديهم أكثر من ١٥ ألف جندى مقاتل رفضت إيران دخولهم المعركة الحالية وهو الرأى السديد، وأعتقد أنهم لن يتدخلوا عسكرياً إلا فى ظروف حرب أهلية وبداية إعادة انتشار أو انسحاب القوات الأمريكية بحيث لا يجرى صدام مباشر معها، فذلك سيكون بمثابة انتحار وقد يتدخلون أيضاً فى سياق حرب ضد إيران وهو أمر مستبعد أما السنة فليسوا مخترقين من قبل الحركات الإسلامية، ولذلك أتصور أن العشائر السنية هى المرشحة للمقاومة وإن كنت أتصور أنه سيحدث تباين فى تقديرات كل عشيرة على حدة للموقف فمنها من سيستمر فى المقاومة ومنها من سيقبل قبض ثمن صمته، وفقاً لسلوك العشائر والقبائل فى أى مكان ومنها من قد يلعب دوراً مزدوجاً بإظهار الولاء للأمريكان وتقديم الدعم السرى للمقاومة، لكننى لا أعتقد أن الحركات الإسلامية قد اخترقت العشائر السنية ومن ثم فلا أحسب أننا بصدد مقاومة إسلامية وحتى جماعة أنصار الإسلام الكردية لا أعتقد أنها مرشحة لأن تلعب دوراً ما بسبب الخسائر الجسيمة التى عانت منها فى بداية هذه الحرب، إضافة إلى أنها محاصرة بقوات أكبر حزبين كرديين فى شمال العراق. ملخص القول إن سيناريو المقاومة المقبل سيتحدد بناء على السيناريو السياسى لمستقبل العراق.

- **وماذا عن هذا السيناريو؟**

- لا أعتقد أن الأمريكيين قد كشفوا عن كل أوراقهم بعد، لكن هناك ثلاثة سيناريوهات مرشحة، الأول يدور حول تشكيل حكومة عسكرية أمريكية، الأمر الذى يدفع الدماء الحارة فى عروق المقاومة وتستخدم هذه الحكومة المدنيين العراقيين وخاصة الموظفين الكبار فى عملية إدارة المرافق العامة وهو فى النهاية سيناريو احتلال أما جاى جارنر فلن يعتبر إلا ذراعاً سياسية للاحتلال وإن كان وضعه غامضاً وغير مفهوم ولا أتصور إمكانية استمراره حتى لو كانت مهمته المعلنة هى إعادة التعمير وتشغيل المرافق.. أما السيناريو الثانى ورأيى أنه

الأضـــعف لكـــن لا يمكن استبعاده فيدور حول دور سيادى للأمم المتحدة وقيامها بتشكيل حكومة عراقية إدارية من المدنيين وقد تتشكل فى أغلبها من خبراء عراقيين يعملـــون فى الأمم المتحدة كخبراء متخصصين فى مجالات مختلفة أو موظفين من الداخـــل، لكـــنها ستضـــم عسكرياً ما يرجح أن يكون عراقياً على أن يكون متمتعاً بدرجـــة من الشعبية وتتولى مهمة تشكيل بوليس من عناصر عراقية ومن شأنها أن تقلل الغضب من وجود الاحتلال وتعدهم بتقصير أمده وهنا سيحدث تقسيم عمل بين قـــائد قوات الاحتلال تومى فرانكس والأمم المتحدة، خاصة أن المهمة المبدئية لهذا الجـــيش ستســـتغرق مـــدة تتراوح بين ستة أشهر وعام تسمح له بتصفية حساباته السياســـية ومطاردة فلول النظام السابق، غير أن مثل هذا الاتفاق قد يحتاج أسابيع طويلـــة للإجابـــة عن سؤال مهم متى يبدأ القانون؟ ومتى تبدأ القوة؟ حيث ستكون الســـيطرة الفعلـــية لقـــوات الاحتلال فيما لا تملك الأمم المتحدة أية قوات عدا قوة البولـــيس الـــتى ستسعى إلى تشكيلها وبالطبع سينظم عمل هذا السيناريو قرار من مجلـــس الأمـــن غـــير أن هذا السيناريو وإن كانت تفضله بريطانيا، فإن الولايات المتحدة ترفضه بشكل قاطع، حيث إنها تريد حصر مهمة المنظمة الدولية فى عملية إعـــادة الإعمـــار والإغاثة الإنسانية لتتحمل جانباً من الأعباء المادية الضخمة وفى المقـــابل فإن السيناريو الأول معرض للرفض من قبل الرأى العام الدولى والعربى بخلاف احتمالية مقاومته عسكرياً فى العراق أو مقاطعته سياسياً على أقل تقدير ما يـــنفى عنه أية شرعية، لذلك لا يبقى أمام واشنطن سوى السيناريو الثالث الذى يتم بمقتضاه تشـــكيل حكومة عراقية مؤقتة يرأســـها جنرال عراقى ســـابق أو حالى له ســـمعة طيبة ولم يتورط فى ارتكاب جرائم حرب ضد الشعب العراقى فى السابق ويتمـــتع بســـمة الاعـــتدال ما يجعله قادراً على تمثيل مختلف الفصائل والأطياف السياســـية العراقية فى الوسط والشمال والجنوب، إضافة إلى فصائل المعارضة فى الخـــارج داخـــل حكومة انتقالية وتكون أولى مهامه إعادة تأسيس الجيش والشرطة لحفظ الأمن العام والتمهيد لإجراء انتخابات نزيهة فيما بعد، وذلك إثر عمل جمعية تأسيســـية تشـــرع فـــى وضع دستور جديد لعراق ما بعد الحرب، أما أخطر مهام

حكومة هذا الجنرال فهي التفاوض على سحب قوات الاحتلال وسيسمح هذا السيناريو للولايات المتحدة بفرض شروطها على الدولة المهزومة وأقلها الاحتفاظ بقوات عسكرية يتراوح عددها بين ٥ إلى ١٠ آلاف جندى أمريكى داخل العراق والاتفاق على تصريح بأحقية دخول قواتها الأراضى العراقية فى أى وقت تراه، وذلك فى إطار اتفاق أمنى قد يشمل اتفاقية دفاع مشترك على غرار الاتفاقيات الأمنية المبرمة مع دول الخليج وهذا هو السيناريو الأقرب إلى التحقق.

- **فى هذا السياق هل تعتقد أن قوات الاحتلال ستسعى إلى تصفية حزب البعث ككيان سياسى قائم على روى أيديولوجية معينة أم ستسمح بتمثيله فى هذه الحكومة الانتقالية ؟**

- الواقع أن حزب البعث التاريخى مختلف تماماً عن حزب البعث الحالى والمؤتمر الوطنى العراقى يضم بعثيين سابقين ربما يكونون أساساً لبعث جديد والمشكلة الحقيقية تكمن فى التنظيم السياسى للسنة ذلك أن باقى الكتل السياسية الكبرى ممثلة فالأكراد والشيعة لديهما تنظيمات سياسية محددة بغض النظر عن مدى شعبيتها أما السنة فليس لديهم أى حزب آخر لديه قاعدة جماهيرية بعيداً عن البعث التاريخى بمراحله المختلفة. هل سيمكن تجنب هذا الوضع؟ هل ستنشأ حركات سياسية جديدة داخل السنة؟ خاصة أنهم دائماً بلا تنظيم سياسى قوى لكن فقط حلقات ناصرية داخل الجيش قامت بانقلاب عبدالسلام عارف وحلقات لليسار الوطنى قامت أيضاً بانقلاب داخل الجيش بقيادة عبدالكريم قاسم. إذن البعث هو التنظيم السياسى الوحيد الذى لعب دوراً فى أوساط السنة وإن كان نفوذه غاية فى الضآلة معتمداً على جاذبية الفكرة العروبية ففى انقلاب ١٩٦٣ لم يتجاوز عدد كوادر الحزب مائتى شخص وظل هذا الوضع حتى عام ١٩٦٨ فالبعث حزب خلقته السلطة أكثر من كونه حزباً استولى عليها من خلال العمل السياسى وعموماً فإن فكرة القومية العربية لم يكن لها قبول يذكر فى أوساط الشيعة بسبب طبيعة تنظيمهم الدينى المرتكز على المرجعيات الدينية بشكل رئيسى والذى يقترب من التنظيم الكنسى ولكن بشكل فضفاض فرجل الدين الشيعى له دور اجتماعى كبير

بيـن الـناس ويتمـتع لهذا بشعبية غير عادية، ولذلك استطاع الشيعة أن يبلوروا تنظـيمهم فـي إطـار المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الذى لعب دوراً كبيراً فى انتفاضـة ١٩٩١ وعمومـاً فإنهم يرفضون الفكرة العروبية كأى أقلية دينية ترفض الذوبـان فى المحيط العروبى على عكس السنة الذين يعتبرون الفكرة العروبية فى مصـلحتهم خاصة أنهم أقلية عددية فى محيط العراق، لكنهم باستخدامها سيكونون غالبـية فى المحيط العروبى كما لا يمكن الحفاظ على عروبة العراق إلا من خلال السـنة وعلـى الجانـب الآخـر لا يستطيع الأمريكيون تجاهل السنة بل سيسعون لإعطـائهم الـدور الأكبر فى إدارة الحياة السياسية على غرار ما فعلوا مع قبائل الباشـتون فى أفغانستان فبدون السنة يسهل تدمير الدولة العراقية وهو ما يتعارض مع المصالح الأمريكية فلئن كان السنة أقلية إلا أنهم القطاع الأكثر تحضراً ومدنية وثراء.. إنهم يمثلون فعلياً صلب الدولة العراقية والنواة الناظمة لها ومن هنا فإن أى حكومة بدون سنة ستعتبر تمهيداً لتقسيم العراق .

- **لكـن مـاذا عن عودة ٤ ملايين مهاجر عراقي؟ هل سيضيفون ملمحاً جديداً للخارطة السياسية العراقية ؟**

– السـؤال هـل توجد كتلة سياسية كبيرة بين هؤلاء المهاجرين لا أعتقد ذلك الحزب الشيوعى مثلا لعب دوراً تاريخياً فى الجنوب لكنه أضحى قوة مبعثرة نتيجة عمليات التصفية الدموية والحرب الأهلية التى خاضها والتشتت والانقسام لكنه على أيـة حـال أكثر القوى المعارضة المهاجرة نبلاً فى الوضع العراقى الحالى بسبب إعلانـه منذ اللحظة الأولى رفض الحرب كما أنه يرفض صدام ويشتمل على عدد كبير من كبار المثقفين العراقيين، ولكن لا أعتقد أنه من الممكن المراهنة على دور يلعبه هذا الحزب الآن لعدم تمتعه بأى تواجد سواء داخل السنة أو الشيعة.

- **ألا تعتقد أن استبدال صدام حسين بجنرال سنى آخر قد يفقد الولايات المتحدة مصـداقية مزاعمها حول مقرطة العراق بما قد يعنى التأسيس لشكل جديد من الاستبداد لكن تحت الحماية الأمريكية ؟**

– الحديـث عن حكومة انتقالية يرأسها جنرال عراقى تكتنفه حساسية خاصة فهـل يفضـى ذلـك إلى التواطؤ والخيانة أم إلى التمهيد إلى الخلاص الوطنى هذا مـا ستحدده طبيعة تفاعل القوى المحلية والإقليمية والدولية فعلى أية حال إن وجود جـنرال سنى يتمتع بشعبية وقادر على تأسيس جيش أمر مهم لإعادة السيطرة على الأرض والتمهيد لعودة الحياة الطبيعية بأقصى سرعة حتى يمكن الخلاص من هذا الوجود المكثف لقوات الاحتلال ولا يمكن عمل مقرطة دون هذه الحكومة الانتقالية الـتى ستعمل على تشكيل جمعية تأسيسية تضع الدستور الجديد الذى ستجرى بناء عليه الانتخابات النزيهة وتصاغ حياة سياسية تعددية ويستغرق هذا وقتاً طويلاً.

- **لكـن هـل جاء الأمريكيون ليرحلوا بهذه السهولة؟ وهل من مصلحتهم وجود حكومـة انتقالية تمهد لمجتمع ديمقراطى قوى رغم تأكيدات البعض بأن قوات الاحتلال لن تغادر قبل عشرة أعوام ؟**

– لا يستطيع الأمريكيون البقاء لفترات طويلة دون غطاء، فالأمل الأقصى لهم هـو اتفاقية أمنية تضمن تواجد قواتهم بشكل رمزي، ثم إن هناك قانوناً يمنع دوام الاحتلال. صحيح إنهم اخترقوه فى البداية لكنهم لا يستطيعون مواصلة هذا الخرق فهـناك صعوبة فى الاحتفاظ بـ ٢٥٠ ألف جندى فى العراق، نظراً لارتفاع تكلفة ذلك الوضع اقتصادياً وعسكرياً.

ولو فشلوا فى الحصول على هذه الاتفاقية الأمنية مع نظام متعاون على غرار ما حدث فى دول الخليج فسيلجأون إلى إصدار تصريح من جانب واحد يؤكد حقهم فى العودة بجيوشهم فى أى وقت يرونه . إن الرأى العام الأمريكي نفسه يقف ضد فكرة الاحتلال الدائم هذا بخلاف الرأى العام الدولى والإقليمى أيضاً.

- **هـل تعـتقد أنه إذا نجحت الولايات المتحدة فى تقليص دور الأمم المتحدة فى حـدود الإغاثة والتعمير سيشجعها ذلك على تكرار عملياتها العسكرية لتشمل دولاً أخرى فى المنطقة ؟**

– نعـم سيشجعها ذلك على مواصلة الحريق الذى بدأته فى العراق طالما أن التكلفة المادية والبشرية مازالت بسيطة وحتى الآن ووفقاً للأرقام المعلنة تكلفة هذه

الحرب ضعيفة جداً، فنحن نتحدث عن مائة من القتلى الأمريكيين وحتى لو أوصلنا هذا الرقم إلى ألف قتيل فستظل التكلفة البشرية ضعيفة، خصوصاً على احتلال دولة بحجـم وحضارة وازدحام العراق كما أن تحمل الأمم المتحدة أعباء الإغاثة وإعادة التعمير يعنى أنها ستدفع للولايات المتحدة فاتورة هذه الحرب، ولذلك لا أستبعد أن تكـون سـوريا هى الهدف الثاني، وهو ما يمكن أن يتم إما بتوجيه ضربات جوية وصاروخية لحزب الله فى جنوب لبنان لإحراج سوريا ويحدث فيها تفاعلات كثيرة تهـز الـنظام وإمـا أن يقوم بقصف سوريا بشكل مباشر دون أن يسعى لاحتلالها للصـعوبة الـتى يـنطوى عليها ذلك حالياً، وعلى أية حال، فإن وجوده العسكرى المكـثف لعـدة شهور أو ربما سنوات بجوار سوريا سيشكل ضغطاً مباشراً عليها ويضـعها فـى شـكل كماشة كاملة، فإسرائيل من الغرب والجنوب وحكومة غير صـديقة فى تركيا فى الشمال ومن الشرق قوات أمريكية الأمر الذى قد يؤدى إلى إجبار سوريا على إظهار بعض الاعتدال بتنفيذ مطالب أمريكية، أعتقد أنها ستكون قاسـية ومن جانبى لا أطمئن إلى رد الفعل السورى إزاء هذا الوضع الاستراتيجى الحرج وإحدى العلامات السيئة أنهم قاموا بالإساءة إلى مصر فى وقت هم أحوج ما يكونـون إليها هذه حماقة سياسية منقطعة النظير، أما إيران فأستبعد تماماً أى عمل عسـكرى أمـريكى ضـدها بسـبب التكلفة الهائلة الذى ستكون أضعاف أضعاف مـا تكـبدته فى العراق بحجم عدد السكان الذى يفوق ثلاثة أضعاف سكان العراق وبسـبب مستوى التطور النسبى وبيئة اجتماعية متماسكة وحزب أيديولوجى مازال يتمتع بشعبية حتى فى صيغته المعتدلة وقدرات عسكرية أفضل كثيراً وربما أسلحة ردع قوية بخلاف علاقات ممتازة مع روسيا، لكن المؤكد أن الأمريكيين قد ابتدعوا سياسة جديدة تعطيهم الحق فى ضرب أى بلد ولديهم حجتهم التقليدية وهى الحرب على الإرهاب كما حدث فى اليمن حينما ضربوا أتباع بن لادن دون حتى الاستئذان مـن حكومـتها وهو سيناريو يحتمل التكرار فى حالة سوريا وليبيا والسودان وإن كانت الظروف ستختلف فى كل مرة فلو فشلت المفاوضات بين الحكومة السودانية وجيش التحرير الشعبى فقد توجه ضربات موجعة للحكومة أو تتدخل بقوات وهناك قانون داخلى فى الولايات المتحدة يسمى قانون «محاسبة سوريا» مما يعطى خلفية

قانونية لضربها فى أى وقت تشاء وهناك قرارات مشابهة صدرت عن الكونجرس حول السودان، الفكرة الأساسية هي وجود نظرية أمنية تستبيح سيادات الدول وتصنع نوعاً ما من الاستعمار التقليدى المرن وهى سياسة رئيسية لواشنطن فى ظل هذه الإدارة.

- **لكن هل سيسمح المناخ الدولى باستمرار مثل هذه السياسة ؟**

– هذا يتوقف إلى حد كبير على استمرار هذه الإدارة اليمينية من عدمه فلو نجح جورج بوش فى انتخابات ٢٠٠٤ المقبلة ستستمر هذه السياسة.

- **كيف تتوقع استجابة الأنظمة العربية لهذه الهجمة التى ترفع شعار المقرطة ؟**

– هناك اتفاق عام حتى بين رؤساء الدول العربية على أن الأداء العربى كان بالغ السوء واتسم بالعجز الشامل والارتباك وعدم تحمل المسئولية وهذا ما أكده الأمير عبدالله فى قمة شرم الشيخ الأخيرة ، عندما قال إن عصر المجاملات انتهى الأمر الذى يعنى أن عهد الحرص على الإجماع والتراضى انتهي، وبالتالى فقد تكون فكرة الجامعة العربية أيضاً قد انتهت، وهو ما أكده أيضاً الرئيس مبارك بحديثه عن آلية أمنية جديدة. من الناحية السياسية الموضوعية كان القلق يعتصر أكثر الدول العربية تحالفاً مع الولايات المتحدة ، وهو ما انعكس فى رد فعل العربية السعودية التى تبنت استراتيجية المحافظة قدر الإمكان على العلاقة مع الولايات المتحدة والإلغاء التدريجى لآثار أحداث ١١ سبتمبر التى اتهم فيها عدد كبير من المواطنين السعوديين أى أنهم اتبعوا سياسة اتقاء شر الأمريكيين وهو ما يعنى فى الحد الأدنى عدم السماح بانهيار العلاقات السعودية الأمريكية والوصول بها إلى حد الاستهداف ورغم ذلك ظلوا قلقين من الضغوط الأمريكية وهو ما انعكس فى مبادرة المشاركة التى طرحها الأمير عبدالله والخاصة بالإصلاحات السياسية فى العالم العربى والتى لم يتم مناقشتها فى القمة الماضية.

- **هل يمكن أن تستجيب هذه الأنظمة العربية للضغوط الأمريكية فتسعى إلى مقرطة نفسها ؟**

– لا يمكـــن عمـــل ديمقراطية حقيقية وفقاً لضغوط خارجية فهى نتاج لنضال وكفـــاح الشـــعوب ولكن هناك فقط محاولة للإيحاء بالإصلاح دون حدوث إصلاح جوهـــرى وإنما إصلاحات تنعكس على الجوانب الوظيفية فقط مثل إصدار قوانين جديـــدة للصـــحافة وعمل نظام قضائى كما بالنسبة للسعودية على أن يصاحب ذلك تخفيف الهجوم على الأمريكيين فى الصحافة المحلية وإجراء إصلاحات فى المناهج التعليمـــية التى تنظر إلى الأجانب باعتبارهم كفاراً أما إصلاح المؤسسات السياسية والدستورية فهذا أمر لا يلوح فى الأفق.

- **هـــل ستنعكس مثل هذه الاستجابات الشكلية على الجامعة العربية بخلق اتجاه نحو تفعيلها أو تغيير ميثاقها أو حتى استبدالها بأخرى جديدة ؟**

– أعـــتقد أن هـــناك اتجاهـــاً عاماً لدى عدد كبير من الدول العربية لإجراء إصلاحات فى الجامعة، لكن السؤال هل هذه الدول مستعدة لتحمل تكلفة إصلاحات جذريـــة؟ الجواب للأسف بالنفى فهى تواجه مشكلة كبرى هى تفعيل آلية ما للأمن الجماعى والمتجسدة حالياً فى اتفاقيات التعاون الاقتصادى والدفاع العربى المشترك هـــل هـــى على استعداد لعمل اتفاق أمنى أقوي؟ أو حتى تفعيل الاتفاق الحالي، إذا تعرضـــت ســـوريا لعدوان أمريكى الآن فى ظل هذه التقلبات الاستراتيجية الكبرى وانعـــدام أى تراث للثقة المتبادلة بين الدول العربية هل سيمكن تفعيل اتفاقية الدفاع العـــربى المشـــترك؟ لا أظـــن.. لا يوجد اتفاق عربى مشترك على طريقة الإدارة السياسية للتفاعلات الدولية.. لا توجد عقيدة استراتيجية تجمعهم.

- **إذن هـــل يمكـــن القول إنه لا أمل فى كيان عربى موحد وفاعل على الساحة الدولية فى ظل هذه الأنظمة القمعية لتصبح الديمقراطية شرطاً أساسياً وسابقاً بالضرورة على هذه العناصر المشتركة اللغة والدين والأرض والثقافة، الأمر الذى تثبته تجربة الاتحاد الأوروبى الذى يفتقد كل هذه المشتركات ؟**

ـــ هذه حقيقة بالنسبة لأوروبا فبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الديمقراطية مطلوبـــة لذاتهـــا وتعاظم الإجماع على الاتحاد الأوروبى بسبب منافعه الاقتصادية

أمـــا بالنســـبة للحالـــة العربية فالديمقراطية مطلوبة لذاتها لكن ليس لها انعكاسات مباشرة أو مؤكدة فى اتجاه واحد فيما يتصل بالعلاقات الإقليمية فقد تجد بعض هذه النظم بعد مقرطتها أنها لا ترغب فى أن تكون جزءاً من النظام العربى بينما تسعى دول أخـــرى إلـــى ذلـــك. المشـــكلة الأولى التى تواجه هذه المنطقة أنها مستهدفة بمخططـــات إعـــادة التنظـــيم على المستوى الاستراتيجى باستخدام الآلة العسكرية الأمريكـــية أو غيرها ولديها تراث عميق من التفرق والتناقض فى العقائد السياسية والاســـتراتيجية. فـــى هذه الحالة تكون الأولوية للأوضاع الاستراتيجية لا لمسألة الديمقراطـــية خاصة فيما يخص العلاقات الإقليمية وتبقى الديمقراطية مهمة بالنسبة للأوضـــاع المحلية. إن هذه الصدمة الاستراتيجية من شأنها أن تعيق أى شكل من أشكال الاتحاد وقد تدعم الديمقراطية إمكانية عمل نظام عربى قوى كما تطمح إليه الشعوب، ولكن على المدى البعيد فقط.

- **إذا كـــنا كشـــعوب قـــد رفضنا العدوان يبقى أن نتساءل ما هو المطلوب منا بالضبط بعد مرحلة الرفض لمواجهة العدوان ونتائجه ؟**

– المطلـــوب أولاً إعـــادة بعث النضالية المدنية بذاتها ومن أجل الديمقراطية وهى تشمل أفقاً واسعاً بدءاً من الدفاع عن القانون والحريات العامة وحقوق الإنسان والتصـــدى لقضـــايا التخريب البيئى وقضايا علاقة الرجل بالمرأة والأسرة وحقوق الأطفـــال وإعادة تنظيم البنية المجتمعية ككل من خلال تقوية هياكل الأحياء والمدن وانتزاع حق المشاركة فى صنع القرار المحلى هذا على مستوى النضال المدنى أما السياســـى فيتطلب انتزاع الحقوق الديمقراطية والعمل على إجراء إصلاح دستورى وسياســـى جوهرى لننهى عار أن يحكم بلد عظيم مثل مصر بأحكام عرفية وقانون طوارئ لمدة ٧٠ عاماً لم تنقطع سوى شهور قليلة هنا وهناك، الأمر الآخر هو أن ننشـــط فـــى معارضـــة الامبريالية الأمريكية بالتلامس والاتحاد مع الثورة المدنية العالمية الراهنة، الأمر الذى يتطلب مستوى عالياً من الكفاح والنضال .

- **لكـــن هل يعنى سقوط بغداد واستمرار الهجمة الأمريكية تعريض هذه الأنظمة إلى هزة ما ؟**

– بالتأكـــيد، فإن عجز النظم العربية عن وقف العدوان الأمريكى على العراق يطـــرح تســـاؤلات كبـــيرة حول شرعيتها فوجود هذه الجيوش مرتبط بالدفاع عن الاســـتقلال فإذا لم يحدث ذلك فما هو مبرر بقاء هذه الأنظمة؟ إنه سؤال كبير عن الشرعية ومن الناحية العملية انتهت مشروعية الجامعة العربية فوفقاً لديباجة الميثاق فإن الهدف الأساسى للجامعة هو صيانة والدفاع عن استقلال الأعضاء والعراق هو أحد هؤلاء، لكن تم انتهاك استقلاله تحت سمعها وبصرها.

- **هل هناك قوى سياسية قادرة على أن تخوض ما أسميته نضالاً مدنياً وسياسياً لمواجهة تساقط شرعية هذه الأنظمة ؟**

– النضال السياسى ينهار أما المدنى فيشهد نوعاً من التحسن خاصة فى مجال الخدمـــات النقابـــية والجمعـــيات الأهلـــية الـــتى بدأت تنشط فى اتجاهات متعددة أمـــا السياسى فيشهد انكماشاً بانهيار التعددية السياسية الفعلية وانهيار الأحزاب بعد أن شهدت عملية تدمير منظمة فأوشكت على الانقراض وفى مقابل ذلك تجد حياتنا السياسية رهناً بثنائية غريبة ما بين حزب حاكم يملك الجهاز البيروقراطى والموارد ولا يتمـــتع بـــأى ثقـــل جماهيرى وجماعة سياسية لها حضور واضح فى الشارع وتمســـك بتلابيـــب الطـــبقة الوســـطي، لكنها محجوبة عن الشرعية هى الإخوان المســـلمون والســـؤال هل هناك قوة جوهرية فى المجتمع المصرى منظمة تنظيماً سياســـياً أو تنظـــيماً مدنـــياً باعتبارها قوة لديها رؤية وقدرة على توضيح طريق الخلاص للجماهير؟ الإجابة بالنفي.

- **لكـــن بعض الأحزاب السياسية مازالت تتحدث عن إمكانية فعل شيء ما عبر جبهة وطنية واسعة ؟**

– الحـــياة الحزبـــية المصرية تآكلت خلال ٢٠ عاماً مضت وفقدت عضويتها وتكلســـت بصـــورة واضـــحة ومرفوضة حتى من كوادرها السابقة بسبب الارتداد الحزبى الذى حدث بفعل إدارتها البيروقراطية ولم يبق منها إلا صحفها التى تعانى بدورهـــا من محدودية التوزيع الذى يقل بشكل مضطرد ولا يكاد يسمع عنها خارج

نطاقهـــا والحزب الوطنى ليس حزباً بقدر ما هو إطار سياسى لبيروقراطية الدولة، وبالـــتالى تتلخص مهمته فى عقد الصفقات السياسية وتقديم خدمات مقابل أصوات انتخابية.

- **فى هذا السياق كيف تثمن «الفكر الجديد» للحزب الوطني ؟**

– السؤال هل يستطيع هذا الاتجاه الجديد فى الحزب الوطنى أن يفرض الحق فـــى عمل انتخابات حرة؟ لو كانت لديه هذه القدرة لشهدناها فى انتخابات المحليات وفـــى انـــتخابات دمنهور. هل هناك سلوك جديد لدى الحكومة فيما يخص العملية السياســـية؟ لا أستطيع أن أرى مثل هذا السلوك فى الوقت الراهن، الفكر الجديد فى الحـــزب الوطنى بصدد اختبار حقيقى قد تجيب عنه الانتخابات المقبلة وهى تجرى فى ظله.

- **هـــل يمكـــن تطبـــيق الحالة السياسية المصرية على باقى الدول العربية مع مراعاة الفروق المجتمعية والسياسية ؟**

– هناك أزمة عالمية فى السياسة يسمونها فى الغرب «أزمة محكومية» وهذا يعـــنى أن الهـــياكل الحزبـــية التقليدية خاصة تلك التى لم تشهد تجديداً شاملاً تفقد مصـــداقيتها بشكل متزايد وفى معظم دول أوروبا باستثناء ألمانيا وفرنسا وإنجلترا أصبح التجزؤ السياسى شيئاً طبيعياً، أما فى الحالة العربية فيتمثل ذلك فى انفضاض سياسى واسع حتى فى الحالات التى شهدت نضجاً كفاحياً مثل: تونس والمغرب نجد انصرافاً مذهلاً للأجيال الشابة عن السياسة تتوازى مع ظاهرة أسلمة سياسية واسعة للمجتمع فهناك صعود للحركات الإسلامية فى مواجهة الدولة البيروقراطية الأمنية، حيـــث نجد تجزؤا واضحاً فى القوى الديمقراطية وهو واقع مشترك بين كل الدول العربـــية، وجـــاء الغزو الأمريكى ليزكى هذه الأسلمة المتصاعدة بسبب تتويج هذا الوضـــع بغلاف صراع الأديان والثقافات والشعور بالعجز رغم أن الأزمة الحالية أظهـــرت عدم سلامة نظرية أساسية من نظريات الإسلام السياسى التى تزعم أننا بصـــدد صـــراع ديني، لأن النضال الأساسى الذى تم ضد الغزو قادته ثقافات غير عربـــية وغير مسلمة. إنها ثورة مدنية عالمية ضمت جميع النظم الثقافية والأديان

جمـــيع الطوائف داخل المسيحية، بل إننا شهدنا نضالاً داخل أمريكا نفسها وهو ما نسف نظرية الصراع الديني.

- **لكـــن ألا يشـــكل تصاعد هذا التيار عائقاً أمام نمو نضال أى حركات سياسية ومدنية أخرى ؟**

– بـــل سيشكل إعادة فرز القوى السياسية حول موقف من فكر الدولة الدينية وفكـــرة الصراع الدينى على العالم، لكن ذلك يتوقف بشكل كبير على مدى تمسك الدولـــة البيروقراطـــية الأمنية بصلافتها وغطرستها وعجزها عن التواصل مع أى قوى سياسية أخرى وظهورها بمظهر أمنى صرف تقريباً .

- **لماذا هو تصاعد للتيار الإسلامى وليس للتيار القومى العروبي ؟**

– علـــى العكس فالأزمة أخيراً أحدثت تنشيطاً ذهنياً عاماً للمجتمعات العربية وتســـخيناً للحالـــة السياسية بدرجات متفاوتة من دولة إلى دولة كما أحدثت تنشيطاً إجبارياً لقوى اليسار المتبعثرة بالذات اليسار النضالى باتجاهيه القومى والماركسى وهـــو ما تجلى فى قيادتهم للجنة دعم الانتفاضة التى نجحت فى جمع وإرسال ١١ قافلة إغاثة للشعب الفلسطينى ولهم تواجد واضح فى المظاهرات، لكن يبقى أن هذا اليسار مجرد مجموعات صغيرة لا يملك إمكانات مخاطبة الأمة بسبب انقطاع تراثه التقلـــيدى ٢٥ عامـــاً متصـــلة فآخر حضور مهم لليسار كان فى عام ١٩٧٧، لكنه تعـــرض بعـــد ذلك لضربات أمنية قاصمة وتفكك واسع من الداخل وظلت جاذبيته محصـــورة فـــى شـــعاراته الوطنية لا برامجه الاجتماعية رغم أنها محور رؤيته الأساســـية تمامـــاً كمـــا هـــو الحال بالنسبة للجبهتين الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين.

- **تـــرى كيف يمكن أن ينعكس سقوط بغداد على مستقبل القضية الفلسطينية فى ظل ما يتردد عن محاولة أمريكية – إسرائيلية لتخليق محور عراقى ـ أردنى – إسرائيلى جديد ؟**

- ممـــا لا شـــك فـــيه أن كل هذه التطورات تصب فى مصلحة إسرائيل إنما لا يمكن الإفلات من إعادة ترتيب الوضع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على نحو مـــا والمعـــروف أن خريطة الطريق لمصلحة إسرائيل أكثر مائة مرة من مصلحة الفلسطينيين وهى ترتيب انتقالى للوصول إلى دولة فلسطينية والتفاوض حول قضايا الوضـــع النهائـــي. إنها تتكلم عن ٤٢% من الأراضى الفلسطينية المحتلة والوضع الشائك للمستوطنات لكنها إجمالاً قد تخفف الوطأة على الشعب الفلسطينى والمتابعة الساخنة لقوى المقاومة، لكنها من الناحية السياسية تعطى مزايا كثيرة للإسرائيليين ولا أستبعد البدء فى تطبيقها فى غضون شهرين أو ثلاثة من الآن لو استقر الوضع فـــى العـــراق أما لو حاولت أمريكا استكمال عملياتها بضرب سوريا فسينفجر هذا الوضـــع ولن يطبق أى شيء، فالصورة مازالت سائلة ولا يمكن التنبؤ بما سيحدث لكـــن نظرياً، فإن تطبيق خارطة الطريق يصب فى مصلحة أمريكا وإسرائيل معاً. وبالنســـبة لتكويـــن محـــور جديد فلا أتصور عمل محور يشمل العراق فى الوقت الحالي، فليس قبل أن تتضح الصورة سواء فى وجود الحكومة الانتقالية أو الوضع الـــنهائى وهـــناك أطراف من المعارضة تريد نزع صفة العروبة من العراق حتى تصـــبح دولـــة متعددة القوميات أو محايدة قومياً، ويواجه ذلك ثقل عربى كبير فى الشيعة أو السنة، وبالتأكيد سيحرص على توضيح توجهه العروبي، خاصة أن هناك حاجة ماسة لمشروعية عربية فى نهاية المطاف، لذلك من الصعب تكوين مثل هذا المحـــور فـــى الوقت الراهن وعلى أى سيظل الاتجاه السياسى فى المنطقة معادياً للولايات المتحدة وإسرائيل والوقت الحالى لا تبرز فيه سوى الحاجة لإعادة ترتيب الوضـــع فـــى العـــراق ، الأمر الذى قد يستغرق من ٥ إلى ١٠ سنوات فلا توجد مخـــاوف مـــن ظهـــور كتلة عسكرية مقابلة للعرب أو موالية تماماً للأمريكيين ، ولا أعتقد أن إسرائيل ستتوج ذلك الانتصار بصورة سياسية واضحة ، لأنه لا يوجد ما تستند عليه لبناء تلك الصورة .





محمد عودة

قاسية هي اللحظة ، عصية هي الأفكار، فلم يكن سقوط بغداد مجرد سقوط لمدينة أو حتى عاصمة لها كل هذا الشأن فى التاريخ العربى قدر ما كان زلزالاً عنيفاً لحركة سياسية ومرجعية فكرية بكاملها. إنه إذاً السقوط المدوى الذى يطرح سؤال الهوية ويغرى بمحاسبة الذات: ترى هل سقطت أطروحة القومية العربية بسقوط البعث؟ وهل انتهى حلم الوحدة بإعادة استعمار العراق؟ إلى أى مدى تتحمل النخب الحاكمة فى دولة ما بعد الاستقلال المسئولية عما حدث وعما يمكن أن يحدث مستقبلاً؟ هل يكمن الخلل فى الطبيعة القمعية والديكتاتورية لهذه النخب؟هل هو استئثارها - دون الجماهير العريضة التى قفزت إلى السلطة باسمها - بأكبر كم من الفائض الاجتماعى الذى لم تخطؤه يوماً صفة الضخم أم كان غياب الديمقراطية أمراً أملته ضرورات المواجهة الشرسة مع الاستعمار؟.

فـــى إطار محاولته للإجابة كان طبيعياً أن يقدم هذا النبيل فى أطروحاته وفى ممارســـاته، شيخ القوميين العرب وعميد المؤرخين المصريين والمرجع الناصرى واليسارى الفذ محمد عودة مدخلاً تاريخياً يستعرض فيه كم التحديات التى واجهت العـــرب منذ دخولهم إلى التاريخ وحتى المحاولات الإمبريالية المستميتة لإخراجهم منه قائلاً:

- إذا استعرضـــنا تاريخ العرب برؤية واسعة وعامة نجد أنهم منذ أن خرجوا إلـــى التاريخ يواجهون تحديات دائمة، غير متكافئة فعندما خرجوا من شبه الجزيرة العربية كانت لديهم عقيدة يريدون نشرها ونجحوا فى ذلك إما بالإقناع أو الفتح غير أن ذلـــك لـــم يمنعهم من تشرب مختلف الحضارات والثقافات التى سبقتهم أو التى كانـــت محيطة بهم وقتها كالحضارة الفارسية واليونانية والفرعونية ولما ذهبوا إلى الشـــرق تشـــربوا حضارات الهند والصين واستطاعوا حمل حضارتهم إلى الغرب عـــندما أقاموا دولتهم فى الأندلس وهى النقطة التى بدأت منها النهضة الغربية فيما عـــرف بعصـــر النهضـــة وذلك عبر الأوروبيين الذين درسوا فى جامعات قرطبة وشكلوا نواة ذلك العصر وهذا باعتراف الأوروبيين أنفسهم أى أن العرب لم يكونوا مجرد بدو وغزاة متخلفين أدخلوا الإسلام إلى الشعوب التى فتحوها بحد السيف كما يحلـــو للـــبعض الـــترويج لذلـــك ثم واجه العرب أكبر تحديين فى تاريخهم أولهما الحـــروب الصليبية التى حرص العرب دائماً على تسميتها بغارات الفرنجة لوعيهم بأنها حرب استعمارية لا علاقة لها بالصليب وواجهوا وقتها دعاية سلاطين أوروبا الغـــزاة ووصـــفهم الحرب بالصليبية والدينية وهو ما انعكس فى مشاركة مسيحيى الشـــرق الذيـــن جربوا العيش تحت لواء الدولة العربية الإسلامية فى مواجهة تلك الحـــرب الاستعمارية واستمرت هذه الحرب كتحد أمام العرب والمسلمين أكثر من مائتى عام انتصروا فى آخرها لكن بقى تحديهم الدائم لأوروبا والذى تجسد - فيما بعد - فى عصر الاستعمار الأوروبى فى القرن الخامس عشر إثر سقوط غرناطة والـــذى شهد تطور الثورة الصناعية والرأسمالية التى تبحث عن أسواق جديدة لها ومصادر للمواد الخام اللازمة لنموها الصناعى وهو ما أدى إلى عصر الإمبريالية الأوروبية التى كان العرب أولى ضحاياها عندما تقاسمت شعوبهم الإمبراطوريات

الإنجلـــيزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية وكانت مصر هى أولى غنائمهم لأنها تملـــك مفاتـــيح الشرق فى الهند كما تملك مفاتيح الطريق إلى أفريقيا جنوباً ثم أنها كانـــت تمـــثل هدفـــاً اقتصـــادياً آخر يخدم الرأسمالية الأوروبية حيث إن نهضتها الصناعية بدأت فى عصر محمد على وهو ما نظر إليه الأوروبيون باعتباره خطراً يهـــدد بغلق أسواق الشرق فى وجه بضائعهم واستمر عصر الإمبريالية الأوروبية واســـتعمارها للوطن العربى أكثر من ٥٠٠ عام كتحد جديد يواجه هذه الأمة ومع ذلك لم تشعر أوروبا المستعمرة أبداً بالاستقرار ليوم واحد فالثورات العربية لم تخمد أبـــداً واستمرت حتى تم التحرير غير أن هزيمة بريطانيا وفرنسا ومعهما إسرائيل فـــى حـــرب الســـويس عـــام ١٩٥٦ كانت بمثابة إعلان عن نهاية عصر السيادة الأوروبـــية، وبـــدأ العرب يحاولون إعادة إعمار أوطانهم بعد أن استردوها إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية رأت أن هذه النهاية تسببت فى فراغ قوة عليها أن تملؤه لكـــى يحـــل عصر السيادة بعد انهيار السيادة الأوروبية وهو ما ترجم فيما يعرف بـــنظرية إيـــزنهاور لملء الفراغ لتنقل العرب إلى مرحلة جديدة من التحديات بعد غـــارات الفـــرنجة والاستعمار الأوروبى وهو ما عبر عنه عبدالناصر عندما انتقد نظـــرية ملء الفراغ قائلاً إننا دول استردت حريتها وتسعى للنهوض بشعوبها وأن الفـــراغ لا يوجـــد إلا فى عقول الأمريكيين. ومن تلك اللحظة بدأت المواجهة بين العـــرب والولايات المتحدة الأمريكية التى اعتبرت نفسها بعد نهاية الحرب العالمية الثانـــية صاحبة السيادة الوحيدة على العرب بعد أوروبا إلا أنها جوبهت بتحد آخر مثله صعود الاتحاد السوفيتى وقدمت الثورة المصرية نموذجاً فريداً فى إيجاد سبل الـــتعامل بطريقة متكافئة مع كلتا القوتين من خلال تحديد هدف رئيسى هو الحفاظ علـــى الاســـتقلال الوطنى وتحديد الانتماء إلى جبهة عدم الانحياز أى معاملة كل القوى العظمى معاملة الند دون تجاهلها وفى إطار فلسفة تقول إن أمريكا تحتاج إلى مصـــر بقـــدر حاجـــة مصر إليها، والأمر ذاته بالنسبة للاتحاد السوفيتى فكان أن اســـتطاعت بحكم موقعها الجيوبولوتيكى أن تدعم جبهة عدم الانحياز التى بدأت فى آسيا لأنها ببساطة تشكل الدعامة الأساسية والمدخل الرئيسى لدول العالم الثالث فى مـــنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا والدليل على ذلك أن دول أمريكا اللاتينية انضمت

لحـــركة عدم الانحياز بعد أن لعبت مصر دورها الرئيسى فى أفريقيا. لكننا فى كل الأحـــوال أصـــبحنا فـــى مواجهـــة استعمار أمريكى جديد قاعدته إسرائيل وها هم الأمريكـــيون يحـــاولون الآن إشـــعارنا بالعجـــز والدونـــية ويبشـــرنا بوش الابن بالديمقراطـــية وكأنـــنا قبائل بربرية همجية يريد لها أن تتحضر لذلك من المهم أن نسترجع تاريخنا وهذا الكم من الثورات العربية التى انطلقت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ فى الجزائر والمغرب والسودان ولبنان وسوريا واليمن والعراق وغيرها كما يجب علينـــا أن نتســـاءل لماذا وصلنا إلى هذه المرحلة؟!وكيف؟! ثم نتساءل عن الرؤية البديلة لهذا الواقع المر على أن نتخلص أولاً من شعورنا بالدونية والهزيمة والعجز لأننا بصدد حرب نفسية قديمة تعود لعهود الاستعمار الأوروبى وهى حرب شعواء لا هوادة فيها وهى الآن مكثفة ومركزة نحو العرب.

وأتصـــور أنـــنا بحاجة ماسة إلى جبهة وطنية تضم جميع المثقفين الملتزمين تكون مهمتها الإجابة عن هذين التساؤلين: كيف وصلنا إلى هذه المرحلة؟ وما هى ســـبل الخلاص المتاحة؟ حتى لا نظل فى هذه الحلقة المفرغة من جلد الذات ولعن التاريخ والقادة على أن توازى عمل هذه الجبهة تحالفات بين التنظيمات السياسية أو تتواضـــع هـــذه التنظـــيمات عـــند نقطة واحدة هى أهمية وضرورة الحوار البناء والإيجابى فيما بينها بحثاً عن إجابة.

- **لكـــن ألا تعتقد أن دولة ما بعد الاستقلال تتحمل جانباً من المسئولية التاريخية عـــن عـــودة الاستعمار فى شكله الكولونيالى أم أنك تميل إلى تبرئة ساحتها تماماً ؟**

– دعـــنى أسألك أولاً من ذلك الذى أقام هذه الأنظمة؟ إن هذه الأنظمة العربية قديمة وتجاوز عمرها مئات السنين وتقلبت عليها كل أشكال الاستعمار، إنها أنظمة عائلية وعشائرية والسؤال من الذى ساندها وأبقاها على تخلفها لخدمة مصالحه؟ منذ تفجـــر البـــترول صـــارت هذه المنطقة أساسية بالنسبة للغرب الذى فرضت عليه مصـــلحته دعـــم هـــذه الأنظمة الديكتاتورية ليحصل بسهولة على البترول الذى قد

تحـــرمه مـــنه أنظمة ديمقراطية، تقدمية فالبترول العربى هو السبب الحقيقى وراء نهضـــة اليابان من كبوتها وأوروبا كذلك وأموال البترول العربى تستثمر كلها فى بـــنوك أوروبـــا وأمـــريكا لذلك كان من مصلحة الغرب بقاء أنظمة ما قبل التاريخ بشكلها الأسرى والقبلى والعشائرى المستبد والمتخلف ودعنى هنا أسألك مرة أخرى هل يعقل أن يكون البترول العربى وأمواله سبباً فى نهضة اليابان وأمريكا وأوروبا فيما هو سبب لتخلفنا؟.

- **لكننا نسألك عن مسئولية النظم الراديكالية ومنها نظام صدام حسين البعثي ؟**

– ألاحـــظ هذه الأيام أن عملية سب وانتقاد صدام حسين أصبحت بديهة حتى على شاشات التليفزيون فلقد وجدت شخصاً يعتذر علناً عن تسمية ابنه «صدام» لكن دعنى أقول إن صدام حسين كان من المرضى عنهم تماماً فى أمريكا وأوروبا لأنه حـــارب الشيوعيين ونفذ المشيئة الأمريكية فى محاربة الثورة الإيرانية غير أن هذا الموقـــف تغـــير تماماً بعد أن وضع برنامجاً للتنمية وخطة خمسية، ووجه عائدات البترول لخدمة التنمية والعسكرة فأصبح طريد الغرب لأنه مس قدس الأقداس وهو البترول وهذا هو سر الحملة الأمريكية على صدام حسين.

- **لكن هناك من يرى أن الطغاة يجلبون الغزاة وينظرون إلى صدام كنموذج ؟**

– أنـــا ابن ثورة يوليو ومن حقى أن أدافع عنها كنظام ثورى بعيداً عن مسألة الديكتاتورية ودعنا نعود للسؤال القديم لماذا شنت الحرب على عبدالناصر والثورة المصرية؟ ولماذا انهالت عليه التهم وأقلها الشخصانية والديكتاتورية؟!الإجابة تكمن فـــيما بنيـــت علـــيه الاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية فيما عرف بـــنظرية الاحـــتواء أو محاصـــرة الاتحاد السوفيتى والتى تأسس بناءً عليها حلف الأطلنطى وترى أهمية أن تمتد محاصرة السوفيت إلى منطقة الشرق الأوسط بطن روســـيا الـــناعم وحتى تكتمل سياسة الاحتواء كان لابد من وجود حلف غربى فى المـــنطقة يكمل عمل حلف الأطلنطى إلى جانب حلف جنوب شرق آسيا وبعد اتمام الحصـــار تأتى عملية التحرير وخطيئة عبد الناصر وثورة يوليو أنها رفضت حلف

الشرق الأوسط المسمى بحلف بغداد الذى لا تستقيم سياسة الاحتواء الأمريكية دونه ورفض عبد الناصر اعتبار المنطقة استراتيجية قائلاً: «نحن أمة عربية لا منطقة استراتيجية تتبع أحدًا » فانهارت سياسة الاحتواء ومن ثم سياسة التحرير الأمريكية من الوجود الشيوعى ولم يغفر له الأمريكيون هذه الخطيئة وأدرك الروس هذا الجميل وأعلن الغرب حرباً غير متكافئة على عبد الناصر وثورته التى واجهت تحدياً جديداً وإن حاولت أن تصيغ سياسة خارجية متوازنة بانضمامها إلى «مؤتمر باندونج» لدول عدم الانحياز واستفادت من روسيا فى شراء السلاح والتصنيع مقابل حماية مصالحها فى المنطقة بتقويض سياسة الاحتواء الأمريكية، وكانت مصر تحصل على القمح الأمريكى ليس تفضلاً من واشنطن بل لأنه فائض عن حاجتها تدفع الخزانة المصرية ثمنه. لقد كان على الثورة المصرية أن تواجه تحديين داخليين أساسيين أولهما رغبة الإخوان المسلمين فى الاستحواذ على السلطة لاعتقادهم أنهم هم الذين قاموا بالثورة وذلك بأن يكون للمرشد العام ولاية الفقيه أى أن عبدالناصر لا يستطيع اتخاذ أى قانون قبل عرضه على المرشد العام رغم أن الإخوان لم يكن لهم أى دور فى الثورة ومع ذلك زار عبد الناصر قبر المرشد العام وحاكم قتلة الشيخ حسن البنا بل وعين ثلاثة وزراء من الإخوان أى أنه لم يبادرهم بالعداء والعكس صحيح كما تجلى فى حادثة المنشية عام ١٩٥٤ عندما حاولوا اغتياله، أما التحدى الداخلى الثانى فقد تجسد فى الشيوعيين الذين باركوا الثورة فى بداية الأمر ثم انقسموا بعد ذلك إلى حزبين يروج أحدهما أن الثورة المصرية لا تعدو كونها مؤامرة أمريكية، إذاًالثورة أصبحت فى حالة دفاع عن النفس وبعد إطلاق الرصاص على عبد الناصر كانت هناك ضرورة لوجود نظام ثورى يحمى الثورة ومكتسباتها، أنا لا أبرر للثورة أخطاءها الكبيرة وأعترف بها لكنها كانت بصدد مواجهة تحديات داخلية وخارجية غير متكافئة وفى الوقت الذى نظر فيه بعض الشيوعيين إلى الثورة باعتبارها ثورة تقدمية وتنادوا إلى الانضمام إليها فوجىء عبد الناصر بالإخوان يتجهون إلى أشد النظم العربية تخلفا خاصة النظم الخليجية العشائرية يحتمون بها وأطلقوا دعاوى تكفير للثورة المصرية بل واستباحوا دمها وأخذوا يحيكون حولها المؤامرات ولم يعد أمام الثورة من طريق

سوى البحث عن الديمقراطية الحقيقية باعتبارها عملية مستمرة لا «روشتة» جاهزة استنادا لتاريخ الكفاح المصرى فى سبيل الديمقراطية الذى بدأ فيما اعتقد مع تولية محمد على باشا عندما رشحه العلماء المصريون لتولى شئون البلاد مقابل التزامه بميثاق وضعوه بأنفسهم وبدأت الثورة تعمل على تحقيق شروط الديمقراطية بدعم الطبقة الوسطى الليبرالية الوطنية ودعم الطبقة العاملة ونشر التعليم ومكافحة الأمية وبقايا أمراض الاستعمار ثم تأسيس مجتمع صناعى حديث وغيره من متقضيات وشروط الديمقراطية معتمدة فى كل ذلك مبدأ التجربة والخطأ وهو ما يقوم عليه أساس الديمقراطية كعملية ودليل ذلك اتجاه عبد الناصر فى البداية إلى تشكيل هيئة التحرير ثم استبدال الاتحاد القومى بها إلى أن اعترف بأخطائه واستبدل به الاتحاد الاشتراكي، كل ذلك فى سبيل البحث عن ديمقراطية ملائمة للمجتمع المصرى بعد أن فشلت ديمقراطية ما قبل الثورة وهو ما تجلى فى حريق القاهرة واعتراف الوفد بذلك ثم سفر مصطفى النحاس باشا وسراج الدين باشا إلى سويسرا وهذا ما يدمغ ما يسمى بالليبرالية المصرية التى فشلت فى حماية القاهرة من هذا الحريق وبعد أن اعترفت الأمم المتحدة بنجاح الخطة الخمسية المصرية الأولى التى كانت تتمحور حول تصنيع مصر وبعد نجاح مشروع السد العالى أصبحت مصر خطرا حقيقيا حتى أن مسئولا أمريكيا قال إنها تعدت الخطوط الحمراء وتقرر ضرب مصر وبدأ ذلك بتحرك المخابرات المركزية الأمريكية نحو ضرب عدة نظم منها سوكارنو ونكروما وموديبو كيتا ولومومبا وحاولت تكرار نفس السيناريو مع مصر فيما عرف بحركة كمشيش للفلاحين التى اعتقدوا أنها ستكون الشرارة الأولى للإطاحة بالنظام المصرى لكنه استطاع أن يصمد على عكس باقى الأنظمة فبدأ التفكير فى حرب ١٩٦٧ التى كان ينظر إليها باعتبارها حرب تحرير للشرق الأوسط ، ما أريد أن أقوله إن البحث عن الديمقراطية فى مصر كان يسير مرتبكا فى ظل كل هذه الظروف إضافة لظروف باقى الدول العربية، ربما كان السير نحوها بطيئا، ربما كان على عبد الناصر أن يذهب خطوات أبعد وأعمق نحو الديمقراطية لكن هذا ما حدث.

• **لكـــن الأنظمـــة الحالية انقطعت صلتها بالجذور الثورية واستحالت إلى أنظمة قمعـــية قتلـــت كـــرامة وكبرياء شعوبها وخلفتها غير مستعدة لمقاومة الغزو الأجنبي؟**

– لا يوجـــد مـــن يستطيع قتل كرامة أو كبرياء شعب أو القضاء على روح المقاومـــة فيه والدليل هذه المظاهرات الحاشدة التى شهدتها انحاء العراق المختلفة مـــن كـــل طوائفه وإثنياته وفئاته الاجتماعية تندد بالاحتلال وترفض وجوده على أرض الوطن ثم من الذى أعطى صدام حسين القدرة على تصنيع السلاح الكيماوى أو النووي؟ الأمريكيون أنفسهم يعترفون بأنهم دعموا صدام بهذه الامكانيات ودونالد رامســـفيلد وزيـــر الدفاع تحديدا لعب دورا كبيرا فى هذا الشأن يجب أن نقول ذلك لنحدد المسئولية ثم من الذى باع الأسلحة الأمريكية لإيران لإطالة أمد الحرب بينها وبين العراق إنهم الأمريكيون وهو ما عرف بعد ذلك فيما يسمى بفضيحة إيران – كونتراجيت، إنهم إذا يلعبون بشعوب الشرق، هذه الحرب لم تكن ضد صدام حسين الديكـــتاتور لكـــنها مـــن أجل المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للولايات المتحدة وهـــناك مقولـــة تؤكـــد أن من يريد السيطرة على العالم عليه أولا أن يسيطر على الشرق وحتى يتم ذلك عليه أن يبدأ بالشرق الأوسط، عنق العالم كما اسماه الرئيس الأمـــريكى إيـــزنهاور فهو يضم ثلاث قارات هى آسيا وإفريقيا وأوروبا ويأتى بعد ذلـــك البترول الذى اكتشف بكميات هائلة فى العراق والذى يعرف حتى الآن بأنه أكـــبر كـــنز فـــى الـــتاريخ والسيطرة على هذا البترول تعنى السيطرة على العالم حضـــاريا وصناعيا، الولايات المتحدة تريد السيطرة المطلقة على الشرق الأوسط لتعيد صياغة خريطته ثم تتويج إسرائيل كقوة إقليمية sub super power ثم تقويض الحلـــف الـــثلاثي الـــذى يجسد القوة العربية ويضم العراق وسوريا ومصر والذى يعتـــبرونه القـــوة العربـــية الضـــاربة انطلاقا من مقولة «مصر تستطيع أن تردع إسرائيل، مصر وسوريا تستطيعان هزيمة إسرائيل، مصر وسوريا والعراق لابد أن يهـــزموا إسرائيل» هذا هو الهدف الاستراتيجى لتلك الحرب، ولقد انتهوا الآن من العراق وبدأوا فعليا فى تهديد سوريا ومصر هى الخطوة القادمة.

قالها رامسفيلد «العراق لابد أن يعترف بإسرائيل ثم يصبح أساسا لتغيير النظم العربيـــية القائمـــة» بمـــا فيها مصر طبعا لكنهم يريدون عزل مصر وإغراقها فى مشاكلها الداخلية وسيسعون إلى تقسيم العراق إلى ولايات فيدرالية تتمتع بحكم ذاتى لــنجد بعد ذلك فيدرالية شيعية وأخرى سنية وثالثة كردية وهكذا ليصبح العراق فى المحصلة النهائية مجرد قوة هزيلة لا معنى لها وعلى أى حال سينفذ هذا المخطط؟ هذا هو الاختبار الحقيقى أمام شعوب المنطقة.

- **لكنك لم تجبنا هل يمكن تبرئة هذه الأنظمة تماما فلقد رفض صدام حسين قبل الحرب دعوات الحزب الشيوعى وحزب الدعوة لإجراء مصالحة وطنية لتقوية الجبهة الداخلية فى مواجهة الأمريكيين؟**

- لايمكـــن تبرئـــتها كـــاملا كما لا يمكن إدانتها كاملا هذا إذا أردنا أن نكون موضوعيين فلقد وضعت هذه النظم فى حالة ذعر دائم ومن ثم فهى فى حالة دفاع مســـتمر عن الذات وإذا أردنا أن نتتبع أصل الحكاية فهى تبدأ مع كامب ديفيد التى أعادت مصر إلى المظلة الأمريكية وصفت المكاسب الاشتراكية وأطلقت الرأسمالية الطفيلــية من عقالها وباعت القطاع العام لتصبح مصر مجرد دولة سياحية وانتهى عصـــر الدولـــة الصـــناعية وعـــادت مصر دولة زراعية لا تعنى حتى بزراعة المحاصيل الاستراتيجية.

نعـــم لا أستطيع تبرئة هذه الأنظمة الديكتاتورية بشكل كامل لكننى لا أستطيع أيضـــا تجاهل أنها دخلت فى مواجهات دموية اضطرتها إلى ممارسات قد أرفضها أنـــا وأنـــتم لأننا لسنا فى السلطة لكن ممارس السلطة الذى يشعر بأصوات طلقات رصاص تلاحقه وتهدد نظامه بالانهيار ينظر إليها من زاوية مختلفة .

غـــير أن الأوضاع الحالية والأزمة التى تعانيها شعوب هذه الأمة تجعلنا أمام ســـبيل واحـــد لا بديل عنه وهو تشكيل جبهة وطنية عريضة تتناسى مرض تبادل الاتهامـــات والتراشق بالألفاظ على أن تجمعها مباديء عامة تحكمها صياغة هدف رئيســـى لعمـــل هـــذه الجبهة وهو البحث عن نظام عربى بديل وتبحث أيضا سبل

تحقـيق هذا الهدف، ومصر بها أربعة تيارات رئيسية مرشحة لتشكيل هذه الجبهة وهـى التـيار الليبرالى بما فيه من رأسمالية وطنية لا الرأسمالية الطفيلية والقوى الاشـتراكية بما فيها التياران الناصرى والماركسى بالإضافة إلى التيار الإسلامى وطـبعا لا نقصد به الإسلام الذى صنعته السعودية أو افتعله النظام الطالبانى فنحن متميزون بإسلامنا المستنير الذى قدمه الشيخ محمد عبده والشيخ الطهطاوى والشيخ محمـود شلتوت ولدينا تجربتنا فى تحديث الأزهر وفتحه على آفاق العلوم الجديدة كما تجلى فى الحقبة الناصرية فى القرن الماضى هؤلاء جميعا يجب أن يشكلوا لنا هـذه الجبهة ليبحثوا إمكانية وضع برنامج انقاذ وخلاص وطنى سريع فى مواجهة الحملات الاستعمارية الجديدة والأنظمة الديكتاتورية .

- **لكن هل تعتقد أن الحياة السياسية المصرية بوضعها الراهن قادرة على تشكيل مثل هذه الجبهة وتوفير مقوماتها فى ظل حالة التفسخ الذى تعانيه إضافة إلى التضييق الحكومى ؟**

– لا أستطيع تحديد عناصر هذه الجبهة كشخوص أو كيانات ولكن علينا فقط إطـلاق الدعوة والإصرار عليها لأنه لا بديل ولا خيار آخر أمامنا، أما فيما يخص عملـية التضييق الحكومى ففى الواقع نحن مطالبون بفتح باب الحوار مع الحكومة والـنظام وأعـتقد أن ذلك يأتى فى مصلحتها لأنها إذا ارادت الاستمرار فإن عليها الالـتحام بالشـعب كمـا أن الأمريكيين يهددون بتغيير الأنظمة وأعتقد أن النظام المصرى يجب أن يسعى لفتح هذا الحوار الحقيقى خاصة وأنه لم يعد مرضيا عنه مـن قبل الأمريكيين بسبب ما يعتبرونه خذلانا لهم لعدم مباركته للعدوان الأمريكى على العراق.

- **دعنا نعود إلى المسألة العراقية فقد راهن الكثيرون فى بداية هذه الحرب على المقاومـة العراقية لإطالة أمدها على الأقل ومع ذلك سرعان ما خمدت فبماذا تفسر هذا السقوط السريع لبغداد ؟**

– أن يصـــمد العراقــيون أمام كل هذه الآلة العسكرية المتقدمة جدا ٢٠ يوما فذلــك أمــر جديــر بأن يسجل فى التاريخ وشهدت الصحف الأمريكية خلال هذه الحرب كمًا هائلاً من اللعنات التى سقطت على رامسفيلد وأعوانه والـــ«C.I.A» فلم يســتقبلهم العراقــيون كما زعموا بالورود والرياحين وعانت الولايات المتحدة من صــدمة حقيقية من جراء المقاومة الفذة من قبل العراقيين أى أننا لا نستطيع القول إن انهيارا سريعا قد حدث لكن هناك سرا ولغزا قد يكشف التاريخ عن حقيقته فيما بعد المهم أننا لا نستطيع القول بأن العراقيين قد فقدوا شجاعتهم أو بسالتهم أو حسهم الوطنى ويكفى أن حرب «العشرين يوما» هذه قد انطبعت كصفحة سوداء فى تاريخ أمريكا.

- **لكن الأحداث كشفت أن الشعب العراقى وقف محايدا فى هذه الحرب ولم يعبر عن رفضه للاحتلال الأمريكى إلا من خلال المظاهرات التى عمت أنحاء العراق عقب سقوط بغداد رافعة شعار لا لأمريكا ولا لصدام ؟**

– لكــنك فى كل الأحوال لا تستطيع أن تحرم صدام حسين والجيش العراقى وقــوات الحرس الجمهورى من فخر صمودهم مدة عشرين يوما قاتلوا فيها ببسالة شديدة، أما كيف انهار صدام وانهارت بعده مقاومة قواته فهذا سؤال لا يستطيع أحد الادعاء أنه يملك إجابته الحاسمة ثم ها هو الشعب العراقى ينتفض بعد رحيل صدام ويــرفض الاحــتلال الأمريكى ويطالب بحكومة ائتلافية ويرفض حكومة عسكرية أمريكــية فهــا هــو يرفض أحمد الشلبى ويهزأ منه لمجرد أنه المرشح الأمريكى لرئاسة الحكومة المؤقتة.

- **البعض يشبه سقوط بغداد بالنسبة للقوميين بسقوط الاتحاد السوفيتى بالنسبة للماركسيين كيف تثمن مثل هذه الأطروحة ؟**

– هــذا الكلام سطحى وأجوف ولاصلة له بالواقع فالقومية العربية أعمق من الشــيوعية السوفيتية بمراحل فالأب الحقيقى للقومية العربية هو إبراهيم باشا الذى أجــاب على من سألوه أثناء زحفه إلى أين ستصل بجيوشك قائلا سأزحف إلى آخر

بلد يتحدث باللغة العربية وأوشك بالفعل أن يفتح القسطنطينية لإعلان الدولة العربية بدلا من الإمبراطورية العثمانية المنهارة وهناك كلمة مشهورة لـ«بالمرستون» رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين قال فيها إن محمد على وابنه ابراهيم باشا يحلمان بإقامة دولة عربية عصرية صناعية قوية وهو أكبر خطر يهدد أوروبا لذلك تحالفت لأول مرة أوروبا كلها ضد محمد علي.

أما سقوط بغداد فهو مأساة فى التاريخ العربى الحافل بمثل هذه المآسى ودعنا نتذكر هزيمة ٦٧ عندما أُعلن الحداد العام وانتهاء عهد عبد الناصر ومن ثم القومية العربية وقتها قال «جونسون» رئيس الولايات المتحدة هذا أحسن خبر سمعته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وعلق وزير خارجيته «أخيراً انتهى هتلر النيل» ثم شهدنا بعد ذلك كيف استطاع عبد الناصر أن يستمر ويجهز جيشه لحرب استنزاف طويلة أرقت الصهاينة وكيف كان يجهز لحرب تحرير كبري.

- **إذن كيف تنظر لمستقبل فكرة القومية العربية فى ظل انقسام هذه الأنظمة الديكتاتورية فيما بينها من ناحية وبينها وبين شعوبها من ناحية أخري ؟**

– معظم هذه الأنظمة وضعها الأجنبى وأرسى قواعدها بل ويحميها بحرابه ولا تربطها صلة بشعوبها وليس أدل على ذلك من هذه المظاهرات العارمة التى عمت أنحاء العالم العربى منددة بالعدوان فيما انطلقت صواريخ الغزو من أراضى هذه الشعوب الغاضبة والرافضة وعلى أفضل تقدير لم تملك الأنظمة الأخرى سوى محاولة تصنع المواقف أمام شعوبها بادعائها رفض العدوان محاولة منها للتجمل ليس إلا.

- **لكن البعض يرى أن تصاعد التيار الإسلامى خلال السنوات الماضية وأثناء هذه الأزمة تحديدا يأتى على حساب التيار القومي ؟**

– الإسلام يعد من أركان القومية العربية وأحد مقوماتها الروحية ومع ذلك فالعلمانية ليست ضد الإسلام لأن هناك فارقا شاسعا بين العلمانية كمفهوم وبين الإلحاد وأعتقد أن الدين الإسلامى فى جوهره دين علمانى وهناك حديث للرسول

قـــال فـــيه «أنتم أعلم بشئون دنياكم» كما أن من الثابت فى الدين أنه لا اجتهاد فى العبادات لكن باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه فى المعاملات.

- **لكــن بعــض الناصــريين يرون أن الناصرية اجتهادإسلامى ويقسمون التيار الناصرى إلى فصيلين أحدهما علمانى والآخر إسلامى كما أن هناك من يبشر بينهم بالتيار القومى الإسلامى الجديد ؟**

– هؤلاء ليسوا المرجعية الناصرية أو القومية الأصيلة.

مرجعيتـــنا هـــى خطب الرئيس عبد الناصر ودراسات المعهد الاشتراكى التى تقـــدم الناصـــرية كأطروحة يسارية شعبوية ، أما إسلام عبد الناصر فقد بنى على أســـاس تحديث الأزهر وإرسال بعثات من أفضل دعاته للدول الإسلامية والإفريقية وغـــيرها للتصدى لبعثات التبشير ومراجعنا فى الإسلام ما قدمه الشيخ محمد عبده والأفغانى والمراغى والشيخ شلتوت.

وللذين يرون الناصرية اجتهادا إسلاميا أو يقسمونها لهذين الفصيلين «العلمانى والإسلامي» الحق فى أن يشتطوا بأفكارهم لكنهم ليسوا فقهاء الناصرية الوحيدين .

- **فى هذا السياق كيف تنظر إلى ميل البعض إلى وصف هذه الهجمة الإمبريالية بأنها حرب دينية ضد الإسلام والمسلمين ؟**

– هـــذا بالضـــبط هدف الأمريكيين وما يحاولون جرّنا إليه لأن الإسلام الذى أرادتـــه أمريكا والذى صنعته هو الإسلام المُنزّل من أجل محاربة الشيوعية وليس الإسلام الحضارة ولا الفكر ولا الدولة ولا التاريخ الذى مازال.

يذكـــر للمـــأمون أنـــه عندما انشأ بيت الحكمة عين فيه «حسنين بن اسحاق» و«جـــرجس بن بقتايشوع» لترجمة كل كتب اليونان والحضارة الهندية والصينية، ونجحت الولايات المتحدة بالفعل فى أن تصنع هذا الإسلام الذى كل مهمته محاربة الشـــيوعية الملحـــدة لا الفكرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وها هو «أسامة بـــن لادن» يعلـــن فى كل حديث له بأنه يحارب الكفار من النصارى واليهود وهو

ما أضر أيما ضرر بالإسلام والمسلمين وأشاع عنهم عداءهم لباقى الأديان رغم أن الإســلام يدعو أهل الكتاب إلى الكلمة السواء كما أننا كمسلمين لسنا ضد النصارى أو حــتى الــيهود لكنــنا ضد الصهيونية كفكر سياسى استعمارى ودعنى أقول إن مــدارس طالــبان القرآنية التى كانت تعتمد على فكر أسامة بن لادن قامت برعاية أمريكية وأموال سعودية وحماية من المخابرات الباكستانية أو الولايات المتحدة هى من أمدت هذه المدارس بصواريخ «ستينجر» فى الحرب ضد الاتحاد السوفيتى فى أفغانســتان إن هذا الإسلام يشبه كثيرا الإسلام الذى حاولت بريطانيا صناعته أثناء احــتلالها لمصر عندما أوجدوا مدرسة من بعض فقهاء المسلمين تشيع أن الوطنية ليست من الإسلام وأن الإسلام لجميع المسلمين وكانت تريد من هذا الإسلام ضرب فكــرة الوطنية فى الصميم وعلينا أن نجدد الدعوة للاجتهاد وإعمال العقل لإظهار الإسلام المستنير الحقيقى فقد نكون الآن فى حاجة لأفغانى جديد أو طهطاوى حديث لمواجهــة إســلام المخابرات المركزية الأمريكية وسفراء بعض دول الخليج الذى ابــتدع لمحاربــة الشيوعية والقومية أيضا أى محاربة الشيوعية والناصريين وهذا يدعونا أيضا للتمسك بالناصرية أو القومية العلمانية اليسارية ونبتعد بها عن هؤلاء المشــطين الذين يتحدثون عن ناصرية إسلامية إذ كيف سنستوعب نصارى لبنان وأقــباط مصــر وعلينا أن نذكر أن أهم دعائم القومية العربية قد تجسدت فى هذا التعايش السلمى بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام ولم نشهد أبدا على مــر تاريخــنا صــراعات دينية تذكر مثل هذا الصراع الدموى بين البروتستانت والكاثوليك وحتى الحرب الأهلية التى شهدتها لبنان افتعلتها أمريكا وإسرائيل.

- **كمفكــر يســارى كــيف تــنظر إلى قضية الأكراد وهل تؤيد حقهم فى تقرير المصير؟**

– نعــم مــن حق الأكراد أن يمتلكوا حق تقرير المصير لكن وفى ظل سياسة الأمر الواقع عليهم أن يجاروا الأوضاع الإقليمية التى لن تسمح لهم أبدا بامتلاك هذا الحــق وأعــتقد أن الحكومــة الإسلامية فى تركيا الآن أكثر تفهما وتقديرا لقضية الأكراد لذلك علينا أن نبدع صيغا جديدة للعلاقة بين الأكراد والأتراك فواقعيا ليس

بإمكـــانك منح الأكراد دولة داخل الدولة وتجرد تركيا من مناطق استراتيجية مهمة ولابـــد مـــن إبداع طريقة لتعايش كردى تركى عربى بشكل سلمى خاصة وأننا فى حاجة ماسة لانتزاع تركيا من حلفها مع إسرائيل.

- **وكـــيف ترى مستقبل القضية الفلسطينية خاصة بعد تشكيل حكومة أبو مازن هل يعد ذلك بداية لسحب البساط من تحت قدمى عرفات ؟**

– بداية لا أحد يستطيع سحب البساط من عرفات وجميع الفلسطينيين يدركون ذلك تماما ويجب ألا ننسى أن عرفات وقف يوما ورفض التهديدات الإسرائيلية إما بالرحيل أو مواجهة الموت فى خلال عشر دقائق، وقال أفضّل أن أموت شهيدا على أن أرحل وأترك شعبى وخرج ليلتها الشعب الفلسطينى فى مظاهرات عارمة تؤيده، إن عرفات زعيم تاريخى صحيح أن له اخطاءه الجسيمة لكن الشعب الفلسطينى لن يتـــنازل عـــنه لذلك فإن أى محاولة للخلاص منه محكوم عليها بالفشل، وأعتقد أن السعى وراء مشروع «خارطة الطريق» هو فى واقع الأمر من أجل إنقاذ إسرائيل لا الشعب الفلسطيني.

- **كيف ترى نتائج الضغوط الأمريكية الحالية على القرار السورى النهائى وهل ستضـــطر ســـوريا لـــتقديم تنازلات مثل القبول بتسوية ما مع إسرائيل تجنباً لعدوان أمريكا عليها ؟**

– أعتقد أن السوريين قد طرحوا موقفهم من الضغوط الحالية بشجاعة وحكمة خاصة عندما قدموا فى مجلس الأمن مشروع معاهدة لنزع أسلحة الدمار الشامل من كـــل دول مـــنطقة الشرق الأوسط ردا على الاتهامات الأمريكية، سوريا ستتعرض لضغط مستمر يدفعها إلى الشعور الدائم بالقلق ومع ذلك لا أعتقد أنها سترضخ لهذه الضغوط بعمل تسوية ما مع إسرائيل.

- **هل يمكن للعرب أن يراهنوا على هذا الحلف الجديد الذى جمع فرنسا وروسيا وألمانيا فى مواجهة الحرب الأمريكية على العراق ؟**

– إذا لـــم تستبســـل الدبلوماسية العربية على الصعيد الدولى للاشتباك مع هذا الجـــدل الدائـــر فلـــن يكـــون هناك فائدة تذكر أو قيمة لهذا الحلف يمكن أن تنتظر لمصـــلحة العـــرب ، وعلينا أن نتذكر هنا مشـــروع فرنسا القديم المعـــروف باسم الـــــ «الديوروأفـــريك» وهـــو مشروع ديجولى فى الأساس يرى أن وحدة أوروبا وإفريقـــيا قد تشكل قوة هائلة وأعتقد أن إحياء هذه الفكرة قد يؤدى إلى قوة موازية مع القوة الأمريكية.

- **يطـــرح البعض مفهوما جديدا للأمن القومى العربى قائلين إن المرحلة القادمة تقتضـــى تجـــاوزه إلى مفهوم الأمن الإقليمى الذى يضم مصر وإيران وتركيا وإسرائيل حتى يمكن محاسبة الأخيرة.. كيف تقيِّم هذه الأطروحة ؟**

– هذا خلط للأوراق لا يغتفر ومثل هذا السيناريو سيجعل من إسرائيل طابورا خامســـا يخترق الكيان العربى ويشكل خطرا أكبر من خطر حلف بغداد، فإذا كان بإمكانـــنا التعايش مع إسرائيل فى إطار ميزان القوى أو التسوية فإنه من المستحيل أن نـــتحالف معها فليس بالإمكان أن ننسى أنها قاعدة بنتها الولايات المتحدة لتكون قوتها الضاربة ومخلب القط الأمريكى فى المنطقة وهى تعيش وتموت وتزدهر وفقا للعطاء الأمريكى لها.





د. مــراد وهبـــة

بعمـــق الجـــرح وتشـــابك الآلام والآمال لا شيء يمنعنا من تعاطى شيء من الفكر، قدر من الفلسفة، لا شيء يغنينا عن طلب التحاور مع مفكر من طراز خاص تشـــرق شمس مفرداته فى عتمة اللحظة وتتجاوز رؤاه جزئياتها وتفاصيلها الرديئة إلـــى حيـــث الحقائق والكليات والمجردات. ومن هنا تأتى أهمية هذا الحوار أو قل بالأحـــرى هـــذه المحاورة التى لا تخلو من مشاغبة ومن تراشق مثمر بالأفكار مع المفكـــر المصـــرى الكبير مراد وهبة أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس الذى أفنى الشـــطر الأكبر من حياته ولايزال باحثاً عن حقيقة أزمة العقل العربى وما يتماهى فيه من فكر يخرج بنا فى كل مرة من هزيمة إلى هزيمة.

- **كيف تقرأ مشهد سقوط بغداد ؟**

– هـــناك وضـــع جديد نشأ من الظاهرة العراقية وهو التخلص أو التحرر من نظـــام صدام حسين القائم على الطغيان الذى يقوم بدوره على الدوجماطيقية حيث

يتوهم الحاكم أنه المالك الوحيد للحقيقة المطلقة ويصبح من يخالفه ليس فقط موضع اتهام، بل موضع قتل وتصفية لأن مالك الحقيقة المطلقة يرفض أية منافسة لحقيقته وإن وجدت فلابد من قهرها واغتيالها أما النقطة الثانية فهى أن الوقوف ضد ملاك الحقيقة المطلقة هو وقوف مع العلمانية شئت أم لم تشأ، فالعلمانية هى التفكير فى النسبى بما هو نسبى وليس بما هو مطلق. من هذه الزاوية يقع «تحرير» العراق فى مجال العلمانية، ولذلك فإن أى حديث عن مقرطة العراق حديث لازم عن علمنة العراق ورفض هيمنة أى سلطة دينية عليه، لأنها تنطلق من وهم امتلاكها للحقيقة المطلقة. إذن الصراع المقبل فى العراق سيكون بين الأصولية الدينية المتغلغلة فى العراق والتى لم يستطع نظام صدام حسين مواجهتها إلا بالقهر بينما كان ينبغى أن تواجه بتغيير الذهنية الأصولية وتيار علمانى يبزغ حالياً بعد فترة كمون فى أوساط المعارضة العراقية التى كانت تعيش فى الخارج. إن الصراع مرشح أيضاً للتكرار فى دول أخرى كثيرة وإذا قرنا الأصولية بالإرهاب فأظن أن المطلوب الآن هو مواجهة الإرهاب.

- **لكن النظام العراقى الذى تم التخلص منه كان نظاماً علمانياً، بل وموغلاً فى علمانيته ؟**

– هذا وهم، فالمسألة ليست مسألة ألفاظ وإنما ممارسة وأسلوب حياة ، فإذا ما اعتمد الحكم على وهم ملكيته للحقيقة المطلقة فهو إذن يقع فى الدوجماطيقية، وبالتالى الطغيان ومن الإرهاب، أما القول بالعلمانية فهذا كلام للاستهلاك إزاء قوى يريد استقطابها فمثلاً يقال عن الاتحاد السوفيتى إنه نظام علمانى تفكر مؤسساته بطريقة نسبية وليست مطلقة، ولكن عندما ذهبت إلى هناك لإجراء محاورات مع فلاسفته ورجال السياسة كان سؤالى الرئيسى الذى طرحته هل الماركسية عقيدة فى الاتحاد السوفيتي؟ فقيل لي: لا إنها أسلوب حياة، ومع المناقشات اكتشفت أنهم يدافعون عن ستالين الطاغية وليس عن لينين فإذا زعم الاتحاد السوفيتى أنه نظام علمانى يكون متوهماً. المسألة إذن ممارسة عملية فإذا مارست المؤسسات وظيفتها باعتبارها المالك الوحيد للحقيقة المطلقة فمصيرها إلى زوال وهنا أدعو المثقفين

العرب لدراسة المسار الحضارى عوضاً عن الانغماس فى مناقشة اللحظة الراهنة بأحداثها التى لا تعد كونها لحظة فى المسار الحضارى الذى يتجه من التفكير الأسطورى إلى التفكير العقلانى ومن هنا نشأت الثورة العلمية والتكنولوجية.

- **ألا تنطبق مسألة امتلاك الحقيقة المطلقة على قادة الفكر الرأسمالى باعتبار أنهم ينطلقون من نفس مسلمة فوكوياما بأن الرأسمالية هى آخر محطات الإنجاز والتطور البشرى ؟**

– الليبرالية مسألة مختلفة تماماً عن امتلاك الحقيقة المطلقة، فهى تعنى عدم انصياع الفرد لأية سلطة خارجية أياً ما كانت عدا سلطة العقل، لذلك نشأت الليبرالية من العلمانية والتنوير فعندما يتحرر الإنسان من كل سلطة إلا سلطان العقل فهو لا يقع فى براثن الدوجماطيقية، لأن العقل وقتها يقوم بمهمته الطبيعية فى النقد والإبداع، وإذا انزلقت من الليبرالية إلى الدوجماطيقية فإن ذلك سببه وقوعك تحت سلطان آخر غير العقل وهو ما حدث فى الولايات المتحدة نفسها إبان فترة المكارثية التى اعتبرت وجود أى كتاب لماركس يستوجب المحاكمة والسجن أى أن أمريكا انزلقت فى تلك الفترة من الليبرالية إلى الطغيان، لذلك فالقول إن الليبرالية هى نهاية المطاف تعبير غير دقيق، ذلك أن الفرد من حقه وحده أن ينقد ويبدع باستمرار وعلى السلطات أن تستجيب لنداء النقد والإبداع الذى يمارسه الفرد، فمثلا أحمد زويل مبدع لم تستجب السلطة الجامعية لنداء النقد والإبداع عنده ففصلته وذهب إلى أمريكا حيث النقد والإبداع ليحصل على جائزة نوبل فليس من حقك فى هذه الحالة أن تقول إن زويل مصرى حصل على نوبل لأنك طردته وعليك الآن أن تلتزم الصمت أمام هذا الخطأ التاريخى الذى ارتكبته.

- **فى هذا الإطار كيف تنظر إلى «جوانتانامو» الذى يمثل خروجاً فظاً على مبادئ الليبرالية نفسها ؟**

– يقال إن «جوانتانامو» ضد حقوق الإنسان وعلينا أن نبحث أساس حقوق الإنسان وأتذكر أننى طرحت فى مؤتمر حقوقى فى أمستردام عام ١٩٩٠ الدعوة

لإعادة النظر فى مفهوم حقوق الإنسان إذ يتضمن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان مــبدأ الحق فى الحياة الذى يعتدى الأصولى عليه كقاتل بالضرورة باعتباره مالكاً وحيداً للحقيقة المطلقة وباعتباره إرهابياً مهما كان دينه. هنا ينطرح السؤال إذا كان هــذا الأصولى يعتمد فى قرارة نفسه القتل وسلب الحق فى الحياة من مخالفيه فهل نعطيه الحق فى الحياة؟ أعتقد أنه سؤال محرج للجميع وعلينا أن نبحث عن وسيلة لإعــادة النظر فيه، فأنا أظن أن من حقى إزاء ما تضمره ضد حقى فى الحياة أن أســلب مــنك هــذا الحق. لذلك لابد من إعادة النظر فى الإعلان العالمى لحقوق الإنســان لأننا أمام ظاهرة جديدة هى ملاك الحقيقة المطلقة وما يتبعها من إرهاب. لا ينــبغى إذن أن نستند إلى هذا الإعلان القديم الذى لا يجارى الظواهر المستجدة وإلا أصبحنا دوجماطيقيين وندخل فى زمرة ملاك الحقيقة المطلقة.

- **لكن ألا يعتبر هذا استجابة للمنطق الأصولى الذى ترفضه حيث منهج الانتقام فــى مواجهــة الانــتقام فى وقت تناضل فيه منظمات حقوق الإنسان الكبرى كالعفو الدولية مثلاً لإلغاء عقوبة الإعدام؟**

– أنــا لــم أبــادر إلــى سلبه حقه فى الحياة، ما المطلوب مني؟ ولننظر إلى التفجــيرات الإرهابية التى وقعت مؤخراً فى السعودية. إنه مشهد مهم فالقتل شمل ســعوديين أيضاً إلى جانب أمريكيين. تصور أن لديك إخبارية بقرب وقوع هجوم انــتحارى وأنــت محكــوم علــيك بالقتل لأنك لا تعلم مكانه. إن الفارق كبير بين الإرهــاب والحــرب الــتى تعلن ضد عدو واضح وتوجه إلى مواقع محددة بينما الإرهاب يحرمك حتى من حقك فى الدفاع عن نفسك.

- **ألا تــرى أن مواجهة الإرهاب باستباق الإرهابيين إلى سلبهم الحق فى الحياة يغذى الظاهرة ولا يقضى عليها وأن المواجهة الحقيقية هى فكر بفكر ؟**

– هــناك مســتويان لمواجهــة الإرهاب أولهما المستوى الأمنى ليشعر الفرد بالأمــان وثانــيهما هو تغيير العقلية والذهنية الأصولية وهو أمر من شأن المثقفين وهنا أطرح هذا السؤال: أين المثقفون عن الإرهاب إننا بحاجة إلى فريق بحث يحلل

مـــا يكتبه المثقفون من ظاهرة الإرهاب لنحدد موقفهم منه لما للمثقف من دور مهم فى تغيير الواقع وليس المؤسسات السياسية، وما أقوله هنا إن المثقفين فى معظمهم كانوا حجر عثرة أمام تغيير الذهنية العربية.

- **كيف ؟**

– اقرأ ما يكتب ستجد أن اللوم منصب باستمرار على الخارج بدعوى القوى الاســتعمارية أو المعاديـــة ولن تعثر بينهم على تيار ليبرالى يغير الذهنية العربية المغلقــة علمـــاً بـــأن الاتجـــاه المستمر للبحث عن شماعة خارجية ليس إلا ضعفاً والضـــعيف هو المولد للقوى لأنه يسلب من نفسه طاقاته المبدعة بفضل المحرمات الثقافـــية وقـــتل النقد والإبداع. هنا يكون من حق الآخر أن يستثمرك وهنا لا تلوم إلا نفسك.

- **لكن القادة العرب يطرحون هنا حجة وجيهة وهى أن هذه القوى الاستعمارية تناصـــر أعـــداء الأمة العربية ممثلين فى إسرائيل على طول الخط دون النظر بموضوعية إلى حقيقة الصراع، حيث يكون الانحياز الأمريكى لإسرائيل سبباً لمعاداتها والقيام بعمليات إرهابية ضدها .**

– أذكـــر أننى دعيت إلى مؤتمر لحوار الحضارات فى جامعة الدول العربية وقلـــت فـــى حديـــثى إن المقاومة المشروعة وحركات التحرر الوطنى إذا تلوثت بالأصـــولية الدينـــية تصبح موضع شك لأنها تكون – فى هذه اللحظة – مرشحة للدخول إلى دائرة الإرهاب، فالأصولية الدينية تتوهم امتلاكها للحقيقة المطلقة وتقف بالـــتالى فـــى معســـكر أعداء السلام. فى إطار هذا التحليل تكون القوى الأصولية الفلســـطينية هـــى مصدر ما حدث مؤخراً، حيث الشرط الأول لمفاوضات السلام إيقـــاف الإرهـــاب مائـــة فى المائة. عليك أن تدخل حواراً مع القوى الدولية التى صـــاغت خـــريطة الطريق وتتفاهم معها فى هذا البند الأول لكننا نرفض دون أن نتحاور.

- **إذا كنـــت تنظر للعدوان على العراق باعتباره تحريراً من الطغيان، فإن آخرين يـــرونه عـــودة إلـــى الاستعمار بشكله الكولونيالى القديم استناداً إلى التاريخ الأمريكى الذى يؤكد أن واشنطن لم تكن أبداً قوة تحرير ؟**

– مرة أخرى أقول إن عليك أن تنظر إلى الظواهر الجديدة حتى لا تظل أسير ألفاظ بالية مثل استعمار واحتلال. عليك مناقشة ما حدث فى إطار الظاهرة الجديدة هـــى «الكوكبية» GLOBALIATION وأصلها اللاتينى GLOBUS وتعنى «كوكب الأرض» والـــتى طرحـــت سؤال ماذا حدث لكوكب الأرض؟ حدث بفضل الثورة العلمـــية والتكنولوجـــية وعلى الأخص الإنترنت الذى يعنى ببساطة الكل المترابط مـــوت للمسافة الزمنية والمكانية ففى لمح البصر تصل الرسالة والرد عليها ليصبح كوكب الأرض وحدة واحدة بلا تقسيمات لا سياسية ولا ثقافية، فانتفاء المسافة يعنى انـــتفاء الحـــدود وانتفاء أى تكتل ضيق. من هنا فإننى أعتبر ألفاظاً مثل الاحتلال والاستعمار ما قبل كوكبية حيث كانت الحدود والاستقلال التام دون تدخل أما الآن فكل الظواهر متشابكة وخذ مثلاً الصراع العربى – الإسرائيلى وهو صراع إقليمى لكـــن القـــوى الدولية هى التى صنعت وفرضت القوى الدولية ولم يعترض أحد بل علـــى العكـــس فلطالمـــا حرض الفلسطينيون القوى الدولية على التدخل فإذا كان صـــاحب الشـــأن هـــو الـــذى يستدعى القوى الدولية فهل من المنطق أن نسميها استعماراً؟ عليك أن تغير الألفاظ.

- **إذا لم يكن ما حدث فى العراق استعماراً فما هو وصفك الدقيق له ؟**

– هـــل نسيت ١١ سبتمبر الذى يعنى فقدان الولايات المتحدة شعورها بالأمن أى أنهـــا لا تشعر بالاستقلال بعد أن توهمت طويلاً أن أحداً لا يستطيع إيذاءها من الداخل، لكنها فوجئت بأن هذا الأذى ممكن وأنه مقبل من الخارج، فكان أن اتجهت من الداخل إلى الخارج فهل نسمى اتجاهها هذا استعماراً؟ استعمل عقلك. كن جريئاً فى النقد ولا تتعبد لأوثان ففى القرن السابع عشر عندما أرادت أوروبا التحرر ظهر فيلســـوفان كبـــيران أحدهمـــا إنجليزى هو فرانسيس بيكون والآخر فرنسى رينيه

ديكارت حيث أسس كل منهما منهجاً جديداً للتفكير فبيكون يؤكد أهمية تحرير العقل بطريقتيــن ســلبية بــتحريره من الأوثان التى يتعبد لها ثم نمارس بعد ذلك إيجابياً المنهج العلمى وفعل ديكارت نفس الشيء مؤكداً أنه لا خروج من العصور الوسطى المظلمــة إلا إذا رفــض العقل القبول بأى فكرة غير واضحة ومتميزة. إنه يرفض غموض العصور الوسطى واستطاعت أوروبا بفضل هذين المنهجين أن تتحرر من الســلطة الدينــية التى كانت مانعة للتطور فى أوروبا. علينا إذن أن نلتفت للأوثان التى طالما عششت فى العقل العربى فهل ما قبل سقوط الاتحاد السوفيتى مساو لما بعده؟ هل سقوط حكم الطغاة فى العراق يجعلنا نفكر فى الوضع الجديد بنفس منهج التفكير فى الوضع القديم؟ لابد أن يكون هناك فارق فى ذهننا بين الأوضاع القديمة والجديــدة. مــا حدث بعد سقوط الاتحاد السوفيتى هو التحرر من الطغيان، حيث اغتــيال الفــرد ولنتذكر أن العالم قبل سقوط السوفييت يقسم عادة إلى ثلاثة عوالم، الأول الرأسمالى والثانى الاشتراكى والثالث النامي، ولكن بعد أن سقط العالم الثانى توهــم أغلــب المثقفين أن العالم الأول قد أصبح القطب الأوحد، وهذا وهم فسقوط العــالم الثانى يعنى انتهاء القسمة الثلاثية ولا يعنى إعلان القطب الواحد، بل إعلان الحضــارة الواحــدة الــتى يمكن أن تتخذ أى مكان على الكوكب شريطة أن يقبل المسار الحضارى فإذا قبلت الولايات المتحدة المسار الحضارى لا تقل إنها القطب الأوحد، بل قل إنها أصبحت مسئولة عن المسار الحضارى وللتوضيح أقول عندما اضــطهد هــتلر عام ١٩٣٣ علماء الفيزياء النووية وأغلبهم من اليهود هربوا إلى الولايــات المــتحدة بعلمهم الجديد، حيث البحث داخل مكونات الذرة الذى أدى إلى صــناعة القنــبلة الذريــة واســتمروا فــى أبحاثهم إلى أن وصلنا إلى قمة الثورة التكنولوجــية والعلمية المتمثلة فى برج التجارة العالمى والذى لم يكن نفسه بمثابة نســف مركز أمريكى بل نسف قمة الثورة العلمية ومركزاً حضارياً ومن هنا أقول إن المثقفين العرب وقعوا فى وهم خاطئ هو أن الإرهاب موجه لأمريكا وليس إلى الحضارة. رغم أن غاية الإرهاب هى تدمير الحضارة وليس تدمير الدول، فإذا قلنا إن الإرهــاب هو ثمرة الأصولية الدينية فعلينا أن نعرف متى نشأت هذه الأصولية

فلقد توصلت بعد أبحاث ودراسات أجريتها إلى أنها بدأت بعد الثورة الفرنسية مباشرة، ففي عام ١٧٩٠ صدر كتاب مهم لفيلسوف أيرلندى يدعى إدموندبيرج بعنوان «تأملات فى الثورة الفرنسية» خصصه للهجوم على التنوير الذى وصفه بالبربرية وعلى الإبداع الذى اعتبره هدماً للتراث، قائلاً إننا محكومون بالموتى الذين ينبغى أن نبجلهم وفى عام ١٩٧٩ نشأ المذهب الأصولى المسيحى فى الولايات المتحدة بقيادة جيرى فولويل الذى قال إن الأب الروحى للأصولية المسيحية هو إدموند بيرج. إذن لا تستطيع الأصولية الدينية أن تحيا إلا فى إطار إقطاعى متخلف تستكين إليه وتستريح فالتنوير بطبعه مجهد لأنك ناقد ومبدع باستمرار ولا تركن إلى الثبات عند قيم مطلقة، هذا هو مسار الحضارة التى يريد الإرهاب تدميرها والعودة بنا إلى العصور الوسطى المظلمة ليستريح البشر ويتحكم ملاك الحقيقة المطلقة.

- **قد يكون صحيحاً أن أحداث سبتمبر دافع وراء الخروج الأمريكى لكن ألا توجد هناك مطامع ومطامح إمبريالية واستعمارية أخرى ؟ هل جاءت الولايات المتحدة حقاً لتحرير ومقرطة العراق ؟**

– دعنى أسألك ماذا لو هددت بتدمير السد العالي؟ هل تقف صامتاً أم تتحرك؟ وإذا تحركت هل سيقال عنك إنك استعماري؟ أمريكا ضربت فى أعظم منتجات الثورة العلمية والتكنولوجية ثم تفاجئ بنا نحذرها بأن أى تحرك من جانبها سنعتبره استعماراً، بل ونطالبها بأن تتحمل أى ضرب يوجه إليها فى الداخل، هل هذا منطق فيه إعمال للعقل؟

- **لكن الجبهة المناهضة لأمريكا لا تضم فقط ما يسمى بالإرهاب الإسلامي، وإنما تضم كذلك جماهير المجتمع المدنى العالمى الضخمة التى خرجت بالملايين معلنة رفضها العدوان على العراق وضحايا العولمة التى ارتكبتها أمريكا؟**

– أرفض استخدام لفظ العولمة فهى ترجمة للفظة فرنسية MANDIALISATION وهى مأخوذة من لفظ لاتينى هو MUNDUS ويعنى العالم

ولقــد وضـــح جلياً فى فترة ما قبل ضــرب العراق أن فرنسا تقف ضد أمريكا ، ولذلــك فهــى اصطكت هذا المصطلح لتربط بين العولمة والولايات المتحدة لتبث الرعب من الكوكبية رغم أن العولمة لا علاقة لها بالكوكبية فالعالم شيء آخر يضم كوكــب الأرض والكواكــب الأخــري. فرنسا تريد أن تقول إن أمريكا هى العالم المخــيف والمرعب . وبذلك تكتل القوى التى تريد الوقوف ضــد أمريكا ولا مانع مــن ذلــك لكــن لابد من إيضــاح أن العولمة الفرنســية لا علاقة لها بالكوكبية المرتــبطة بالــثورة التكنولوجية لذلك فوجئت أن معظم المثقفين العرب يهاجمون العولمة وهم يهاجمون فى الحقيقة الكوكبية التى لا يســتطيع أحد الوقوف ضــدها لأنهــا نتاج الثورة التكنولوجية فالوقوف ضدها يشبه المطالبة بإلغاء الكهرباء لأنها قتلت شخصاً ما.

- **لكن أليس ثمة سلبيات فى الكوكبية بهذا المعنى فهى تقضى على الخصوصية وتفــرض علينــا مطلقــات الآخر المتمثلة فى ثقافته ورؤاه ووجود إسرائيل والرأسمالية كنظام اجتماعى واقتصادى أبدى رغم كل ظلمه ومساوئه ؟**

– دعنا نحكم العقل، فنقول إننا نعيش فى إطار النسبية وليس المطلقات فظاهرة الكوكبــية تتسم بالعلمانية لأنها نسفت الحدود ولكن هل لها سلبيات؟ المؤكد أن أى ظاهرة تنشــأ لها سلبيات فالطائرة والقطار عندما استخدما حاول الكثيرون منعهما لكن المسار الحضارى يستمر فإذا كان من الشائع أن الكوكبية تهدد الهوية الثقافية، فعلينــا أن نحلل معنى الهوية التى تنتمى بالأساس إلى المنطق الأرسطى الذى يرى أن هــناك ثلاثة مبادئ تحكم العقل منها مبدأ الهوية الذى يعنى أن الشيء يبقى كما هــو لا يتغــير وإذا حدث تغير فهو عرضى وطارئ أما فى إطار المنطق الجدلى لهــيجل فــإن الهوية تنطوى على نقيضها، وبالتالى يعنى الصراع بين النقيضيين ضــرورة تطورهما فى وحدة أرقي. نحن إذن أمام أمرين إما أن نتعامل مع هويتنا باعتبارها ثابتاً لا يقبل التطور والتغير وأما أن نتعامل مع حقيقتها باعتبارها ظاهرة قابلــة للتغــير وأنا من أنصار التفسير الثانى لأنك لا تحيا بمفردك، بل تحيا بفضل

الآخـــر وعلى الرغم منه، ولنتسأل نفسك هل مازلنا نحمل الهوية الفرعونية؟ المؤكد أنـــنا إذن أمـــام هوية تسرى عليها مشيئة التطور خصوصاً فى إطار الكوكبية وإلا فإنها ستأكل هويتك.

- **نحـــن لا نـــتحدث عن رفض الشق الموضوعى فى الكوكبية المتعلق بالطفرة التكنولوجـــية وإزالـــة الحدود لكننا نرفض الشق السلبى المرتبط بالرأسمالية كـــنظام اجـــتماعى واقتصـــادى يؤدى ليس فقط إلى ازدياد الدول الغنية غنى والفقيرة فقراً، ولكن أيضاً لزيادة الطبقات الغنية ثراء والطبقات الفقيرة فقراً .**

– لمحـــت فـــى كلامـــك اتجاهاً للتوحيد بين الكوكبية والرأسمالية، وهذا خطأ فالكوكبـــية ليســـت الرأســمالية فهى ظاهرة علمانية تمثل أعلى مرحلة من مراحل الـــثورة العلمية ولنفرض أن هتلر لم يأت كان من الممكن لألمانيا أن تحتضن نتائج أبحاث علماء الفيزياء النووية الذين هربوا لأمريكا بسبب هتلر ونظامه النازى الذى حرمت ألمانيا على يده من حقها فى احتضان بوادر الثورة العلمية والتكنولوجية لذا علينا أن نعيد النظر فى هذه المسألة وفى حقيقة النظام الأمريكى الذى سمح باستقبال هـــؤلاء العلماء المبتدئين فى أبحاث الذرة فليس من حقك أن تلومها عندما تحصل على النتائج المبهرة لأبحاثهم وإذا أردت أن تلومها فعليك ألا تخلط بين الممارسات السياسية وبين الممارسات الكوكبية، فإذا أردت أن تصف الولايات المتحدة بأنها قوة استعمارية من حقك لكن لا تربطها بالكوكبية.

- **ألا تعتـــبر تحريـــر الـــتجارة العالمية أحد أهم مطالب القوى الاستعمارية التى تربطها بالعولمة ؟**

– تحريـــر الـــتجارة جزء لا يتجزأ من الكوكبية لأنها ناسفة للمسافات الزمنية والمكانية أى أنها لا ترتبط بمساعى ومصالح القوى الاستعمارية.

- **لكن ألا يؤدى ذلك إلى زيادة غنى الأغنياء وفقر الفقراء ؟**

– عندما ترفض شروط التجارة الحرة تدخل بالضرورة فى مجال التخلف إنك تحكـــم علـــى نفسك بالانقراض لأنك ببساطة ترفض السير فى المسار الحضارى

فكـــيف تلوم الآخرين؟ لذلك فإن الديمقراطية شرط لدخول التجارة الحرة وهى هنا ليست ديمقراطية أمريكية أو غربية، فللديمقراطية مكونات لا تقتصر على الانتخاب لأنهـــا ببساطة حكم الشعب بالشعب وليس حكمه بقوى خارجة عنه فهى تقوم على عقــد اجتماعى يؤكد أن المجتمع من صنع البشر لا من صنع قوى دينية وهنا تأتى أهمـــية التـــنوير الذى يحرر العقل من كل سلطة إلا سلطاته والتسامح الذى يعنى التفكـــير النســـبى أى العلمــانى فــلا تسامح دون العلمانية. فإذا ما وضعت أمامك محـــرمات ثقافية ضد العلمانية والتنوير فإنك لن تصل أبداً إلى الديمقراطية التى لا تـــتفق مـــع المطالبة بحكم ديني. هذه هى شروط الدخول إلى التجارة الحرة إما أن نختصر مفهوم الديمقراطية فى التمثيل النيابى فذلك غير كاف لتحقيقها، لذلك فشلت الـــثورة المصرية فى تحقيق المبدأ السادس وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة لأنها حرمت استعمال ألفاظ مثل العلمانية والتنوير واستبدلتها بألفاظ أخرى .

- **إذا كان سقوط بغداد قد كشف عن حاجة الشعوب العربية الماسة للديمقراطية الـــتى يـــتحدث عـــنها بوش وباول فكيف يمكن للعرب التعامل مع الادعاءات الأمريكية بشأن الديمقراطية بشكل يجعلها فى النهاية فى صالحنا ؟**

- أولاً الديمقراطـــية لا علاقـــة لهـــا بالولايات المتحدة ولا يعنى أنها مطلب أمـــريكى انتفاء حاجتنا لها ونحن أمام أمرين إما أن نرفض الديمقراطية بحجة أنها دعـــوة أمريكـــية لكن إذا تسبب غيابها فى إيذاء واشنطن بما يعنيه ذلك من إرهاب فمـــن حقهـــا أن تتصـــرف وإما أن تؤمن أن الديمقراطية لا علاقة لها بأمريكا ولا بالـــنظام الأمريكي، وإنما هى مسار حضارى ومن مصلحتك ممارستها لتدخل هذا المســـار ومن ثم فى الكوكبية التى تمتنع حتى الآن عن دخولها متشحاً بألفاظ قديمة مـــثل الاســـتعمار والاحتلال. فمثلاً أمريكا لم تكن أثناء القطبية الثنائية تتحدث عن الديمقراطية للشعوب الأخري، بل لم يكن الأمر يعنيها أصلاً، فوزير خارجيتها فى ذلـــك الوقـــت جون فوستر دالاس أكد فى كتابه «حرب أم سلام» أنه للتخلص من الكـــتلة الشـــيوعية أمامنا طريقان أحدهما سلبى والآخر إيجابي، السلبى يتمثل فى

إعطاء معونات اقتصادية وعسكرية أما الإيجابي فهو أن تكتل جميع الأديان بدعوى أن الكـتلة الشـيوعية ملحدة ونجح في ذلك وفي نهاية المطاف اختيرت أفغانستان والأصـولية الإسـلامية بتدعيم أمريكي لمحاربة الاتحاد السوفيتي وكانت من بين أسـباب انهياره، بل واعترفت المخابرات المركزية الأمريكية في تقرير بأنها كانت تمـول هذه الحركات الأصولية بفضل تجارتها في المخدرات. وكان يسيطر عليها وقـتها وهـم أن هذه الأصولية تابعة لها على عكس الحقيقة التي أكدت أن الحركة الأصـولية استثمرت أمريكا في الخلاص من الشيوعية تمهيداً للتخلص من أمريكا نفسـها ثـم فرض سيطرتها على العالم كله، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وجدت أمـريكا نفسها أمام قوى أصولية مستقلة تمارس الإرهاب في أي مكان لذلك أرى أنهـا غيرت سياستها فيما بعد فلم يعد في مصلحتها مساندة أي تيار أصولي ديني، والمشـكلة أنـنا كدول نامية مازلنا نحيا وهم وجود الكتلة الشيوعية ونتوهم وجود عداء بيننا وبين أمريكا بسبب وجود هذه الكتلة فإذا كانت أمريكا قد تميزت سياستها وفطنـت لخطـئها الـتاريخي فعليك أنت أيضاً ألا تشعر بأي حساسية تجاه تغيير سياستك.

- **هـل تعتقد أن هذا التغير مرجعه نقد أمريكي ذاتي لسياسة خاطئة مارستها أم أنـه مرتـبط بالنـتائج المفزعة لاستدارج هذا المخلوق الذي صنعته نحوها كفرانكنشتاين طليق؟ هل الرأسمالية الأمريكية تتحرك بوعي اللحظة المفاجئة والمختلفة أم أنها تتحرك بمنهج مقصود في الحالتين فهي استخدمتهم لتدمرهم بعد ذلك وقد تستخدم غيرهم في لحظة أخرى ؟**

– دعيـت إلى مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية عقد في ديسمبر ٢٠٠١ أي بعـد أحداث سبتمبر بما يقرب من ٣ أشهر حيث أتيحت لي الفرصة للاحتكاك برجل الشارع العادي والمثقفين فوجدت هناك تكتلاً شعبياً ثقافياً تجاه ما حدث وبعد ذلك دعيت إلى مؤتمر آخر عقد الشهر الماضي لنقد الأديان والأصوليات الدينية وقد مارست معهم هذا النقد، وأذكر أنني عقدت ندوة في إطار مؤتمر عالمي في إنجلترا عام ١٩٨٨، تحت عنوان «الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط» حيث عرضت

خلالهـــا دراســـات وأبحاث شرعت فى إجرائها عام ١٩٧٤ حول علاقة الأصولية الدينية بالرأسمالية الطفيلية التى تعتمد على التجارة فى كل ما هو غير مشروع وفى ذات العـــام قـــررت الأكاديمية الأمريكية للعلوم والآداب منح جامعة شيكاغو ٢,٥ مليون دولار لكى تدرس الأصوليات الدينية فى العالم وأصدروا خمسة مجلدات عن الأصـــوليات الدينـــية وحدها تمحورت حول سؤالين: ماذا تفعل؟ وفيما تفكر؟ إذن التفتـــت أمريكا إلى أهمية هذه الظاهرة عندما واجهت مخاطرها. هناك تطور حدث فى العقلية الأمريكية لابد من دراسته وعندما نتحدث ونكتب عنه نتهم بأننا غربيون واســـتعماريون، لكـــن المهم الآن ما هو موقفنا نحن من هذه الظواهر؟ فبينما تغير أمريكا أفكارها تكرر أنت نفس ألفاظك الماضية .

- **لكن لماذا يتحمل طفل عراقى برىء نتائج أخطاء أمريكا فى حساباتها ؟**

– قـــبل أن تتهم الآخر بمسئوليته عما وصلت إليه عليك أن تسأل نفسك لماذا ســـمحت أنظمتك الوطنية بالوصول إلى هذه المرحلة، ولقد ذهلت بهذه المظاهرات الـــتى خرجـــت فى العالم تهتف ضد أمريكا وليس ضد نظام صدام الطاغية الذى تسبب فى كل هذه الكوارث. إنها مفارقة غريبة. إن أحداً لم ينبس ببت شفه ضد هذا النظام وهو ما يثير الشك فى المظاهرات.

- **لكن المعلومات الشائعة الآن تؤكد أن الولايات المتحدة على شفا ارتكاب نفس الخطيـــئة بعقدها الرهان على أن يصبح الإخوان المسلمون حليفاً وديعاً على غـــرار حزب العدالة التركى ما قد يعنى تحملنا مسلمين وأقباط فى لحظة تالية تبعات هذا الرهان الخاطئ ؟**

– كمفكـــر أنا فى حاجة إلى وثائق تؤكد هذه المعلومات والآن لا أستطيع أن أتكهن بأبعاد ما تقوله انطلاقاً من التزامى بمنهج التحليل العلمي.

- **كيف تثمن ما يقال الآن حول أصولية الإدارة الأمريكية الحالية بسبب سيطرة ما يسمى باليمين المتصهين عليها ؟**

– علينا أولاً أن نحلل الكيفية التى يصنع بها القرار فى أمريكا فالذى يصنع القرار ليس فرداً أو مجموعة محددة وإنما نخب ثقافية لها مراكز بحوث تسمى بخزانات الفكر THINK TANKS وهى مراكز منتشرة عبر أمريكا وتقدم نتائج أبحاثها التى يصنع القرار فى إطارها ويكفى أن تعلم أن عضو الكونجرس يحصل على راتب تحسب فيه رواتب مستشاريه ومعاونيه البحثيين . المؤكد أنه سيكون من الصعب القول بسيطرة مجموعة بعينها على الإدارة الأمريكية دون وثائق وفى إطار الاعتماد على العلم فى صنع القرار فهل من حقك أن تصف كولن باول بأنه أصولي؟ لا فالممارسة هى المحك الحقيقى للمحاسبة. وإذا وجدت شخصاً فى أمريكا يعلن تأييده للإرهاب فتلك مسألة أخرى أما إذا كان التيار العام ضد الإرهاب فليس من حقك إذن أن تصف الخروج الأمريكى بالأصولية ، إنه قرار أمريكى لأن الإرهاب مس أمريكا ، ليس ذلك فقط فإذا ما جنبنا الفوارق بين الموقف الألمانى – الفرنسى من ناحية والموقف الأمريكى من ناحية أخرى ، فسنجد أنهم جميعاً يتفقون على ضرورة إزالة نظام صدام حسين والإرهاب ، وإن اختلفوا فى التوقيت والوسيلة.

- **نعود إذن للفكر كيف ترى مستقبل الفكر القومي، العروبى بعد سقوط بغداد ؟**

– الفكرة القومية المعاصرة تعرضت لثلاث هزات الأولى عندما حدث الانقلاب على الوحدة المصرية – السورية والهزة الثانية نكسة عام ١٩٦٧ أما الثالثة فهى غزو العراق للكويت وأعتقد أن الهزات الثلاث كفيلة بإسقاط فكرة القومية العربية التى دخلت مجال الدوجماطيقية وأصبحت معادية للغرب تماماً كما تؤكد كتابات القوميين وهذا ما يعنى أنها تحولت إلى قومية عنصرية أو إذا أردنا التخفيف فهى قومية دوجماطيقية لتوهمها امتلاك الحقيقة المطلقة، وفى هذا الإطار أرى أنها سقطت وخلفت فراغاً ينعكس حالياً فى الجامعة العربية التى تعانى نوعاً من الشلل فى تحركها، نحن الآن إزاء منطقة فراغ لابد من ملئه بأحد أمرين إما أن تعاند نفسك وتعلن إصرارك على الوحدة العربية بينما هى فى الواقع غير واردة أو أن تعيد النظر فى هذه المفاهيم وتغيرها فعدم التغيير يعنى أن ستدخل فى مسار مضاد للمسار الحضارى .

- **أن نتجاوز حزمة الأفكار الموجودة والشائعة لصالح ماذا؟ وبماذا ؟**

– لصـــالح إدخـــال العـــرب فى المسار الحضـــارى لأنهم الآن لا يبدعون ، وبالتالى لا ينتجون فالحضارة إبداع وإنتاج والعرب مستهلكون وليسوا منتجين وذلك هـــو ســـبب مديونيتنا ولجوئنا دائماً للاقتراض من الخارج. إن المنافسة الخارجية تســـتلزم منـــتجاً عالى الجودة رخيص السعر، وهذا التناقض يستلزم الإبداع الذى يهاجم عادة.

- **هـــل تعـــتقد أن هـــناك تـــياراً ليبرالياً تنويرياً حقيقياً فى العالم العربى يمكن المراهنة عليه ؟**

– هـــناك حكـــم لكـــن تسبقه مقـــدمة تقول تخلف الوطن العربى معناه تخلف المثقفيـــن عـــن أداء الدور الحضـــارى ، وإذا كانت هناك قوى متربصة بتيار التقدم وتعمـــل على إجهاضه فعلينا أن نبحث كيف نخرج من هذا المأزق وهذه هى مهمة المثقفين.

- **لكن ألا ترى أن الدولة العربية المستبدة بقوامها العشيرى والطائفى هى التى تضع العراقيل أمام المثقف ؟**

– إنك تصر على أن المثقف مفعول به رغم أن سقراط فى أثينا عندما حوكم طالـــبوه بالتنازل عن فلسفته مقابل براءته لكنه أصر على تفلسفه فأعدم وفى القرن الســـادس عشر حوكم جاليليو دينياً وجوردانو برونو أعدم وأحرق جثمانه أيضاً أما ديكارت فبعد أن أنصت لمحاكمة جاليليو امتنع عن نشر كتاب له عن العالم تأثر فيه بنيوتـــن ولم ينشر الكتاب إلا بعد موته، إذن المثقفون فى حالة صراع دائم من أجل إحداث التغيير فلماذا يريد المثقف العربى أن يغير دون أن يدفع الثمن؟





مكرم محمد أحمد

الـباز ذهـب لحـث عـرفات على معاونة «أبومازن» اعتقاداً من مصر أن «أبوعمار» هو الوحيد القادر على حشد الفلسطينيين وراء فكرة السلام

كمـا طلب عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية الأسبوع الماضى من مجلـس الجامعـة الرد على طلب إبراهيم الجعفرى الرئيس الدورى لمجلس الحكم الانـتقالى فى العراق - بمشاركة مندوب عن المجلس فى اجتماع وزراء خارجية العـرب المقـبل - وكان موسى وبعض الحكومات العربية قد رفضت الاعتراف بشرعية المجلس استناداً إلى الحجج القانونية التى تنظر إليه كامتداد لسلطة الاحتلال الأمريكى المعين من قبلها.

فـى الوقـت ذاتـه بادرت دولة الإمارات العربية إلى الاعتراف بمشروعية المجلس فيما ترددت أنباء عن خطورة مماثلة من قبل الكويت وقطر.

وقـد طرحـت هـذه المواقـف العربية المتباينة تساؤلات حول الجدوى من محاولات تفعيل آليات الجامعة العربية ومبررات بقائها واحتفاظها بدورها فى ظل تصاعد النعرات القطرية.

وفى هذا السياق شهدت بغداد تفجير مقر الأمم المتحدة ومقتل أكثر من «١٦» مـن موظفـيها الذين يقومون بتقديم مساعدات إنسانية مهمة للشعب العراقى الأمر الذى أدى إلى تزايد الشكوك حول أهداف العمليات العسكرية التى تشن ضد القوات الاحتلال الأنجلو أمريكية – وزيادة الغموض حول طبيعة منفذيها.

وعلـى الجانـب الآخـر شهدت القدس تفجير حافلة إسرائيلية مدنية قامت به حماس رداً على استفزازات شارون وقد طرح التفجيران علامة استفهام كبيرة حول مصـير خـريطة المـنطقة الجديـدة الـتى تريد الولايات المتحدة صياغتها وفقاً لمصالحها.

«القاهـرة» نقلـت هذا المشهد السياسى المعقد إلى الكاتب الصحفى والمحلل السياسـى – مكرم محمد أحمد – رئيس مجلس إدارة «دار الهلال» ورئيس تحرير مجلـة «المصـور» التى تتميز رؤيته بالموضوعية والهدوء مبتعدة عن الشعارات واللافتات العاطفية.

- **كيف تنظر إلى رفض جامعة الدول العربية الاعتراف بمشروعية مجلس الحكم الانتقالى فى العراق فى الوقت الذى تستقبل فيه ممثلين له بمقرها فى القاهرة بصفتهم الشخصية ؟**

– أعتقد أن الجامعة العربية وقعت فى شرك القانونيين عندما أرجعت رفضها الاعتراف بالمجلس لأسباب قانونية لأن المشكلة فى الواقع ليست محض قانونية.

وإذا كانـت الجامعـة قد اعتبرت المجلس خطوة على الطريق الصحيح فلماذا لا تمد له يد المسـاعدة ليمضى إلى هذا الطريق ، ولا يعقـل أن تعلن الجامعة أنها تلتقى بأعضاء المجلس بصفتهم الشخصية وليس بوصفهم أعضاء بالمجلس.

وفــى هــذا السياق أتصور أن الأمريكيين يحاولون توسعة دائرة الخلاف بين العراقييــن والعرب مستثمرة هذا الموقف بقولهم إن العرب يريدون إفشال التجربة العراقــية الجديدة وإنهم يخشون من المشروع العراقى فى تعميق الديمقراطية وإنهم محكومون بعقلية قديمة لا تعرف حقيقة ما يجرى فى العراق الآن.

وهنا ينبغى التأكيد على أن هناك فوارق واضحة لا يخطئها العقل بين مساندة قــوات الاحــتلال ومســاندة الشــعب العراقي، فاستقبال مبعوثى المجلس الانتقالى بصــفتهم أعضــاء فيه وإدارة حوار معهم بمعرفة حقيقة ما يجرى هناك من ناحية وللتأكــيد علــى هوية العراق العربية. من ناحية أخرى يعد دعماً للشعب العراقى وتقويــة للمجلــس لكــى لا يخــرج بالعراق من الحوزة العربية أمام الإغراءات الأمريكــية وتفعــيلاً لقدرتــه فى تقصير أمد الاحتلال، خاصة أن أعضاء المجلس يعبرون عن جميع الأطياف العراقية وبينهم شخصيات تتمتع باحترام وطنى وقومى ولا يمكــن الــنظر إليهم باعتبارهم خونة لمجرد أن مجلسهم جرى تشكيله من قبل سلطة الاحتلال فهم مجرد أعضاء فى مجلس انتقالى يملأ الفراغ فى الفترة التى تقع بين سقوط نظام صدام حسين والوضع الدائم ولم يكن متصوراً أن تأتى الديمقراطية فور انهيار النظام السابق.

والأكــثر مــن ذلــك كله ، فإنه لا يمكن بناء موقف عربى على أساس عدم الاعــتراف بمشروعية المجلس الانتقالي، لأن دولة مثل الإمارات أعلنت اعترافها بالمجلس وهذا ما ستفعله الكويت وقطر وربما تفعله فى المستقبل دولة مثل الأردن أى أنــنا فــى حالة استمرار هذا الوضع نكون إزاء عملية بناء موقف عربى على أســاس فــى طــريقه إلى التداعى سنصبح وكأننا نبحث عن محور جديد للخلاف العربي.

- **وكــيف يمكــن الاعتراف بشرعية مجلس معظم أعضائه من المعارضة التى كانــت تعمل عبر مكاتب مكيفة بـــ «واشنطن، لندن، وباريس» وفرضوا على الشــعب العراقى بأسنة الحراب الأمريكية، بل إن فضائح الفساد تلاحق أحمد**

شـلبى أبـرز أعضـائه والذى يطالب نواب البرلمان الأردنى بإحضاره عبر الإنـتربول لمحاكمته فى قضية فساد شهيرة متعلقة بأحد البنوك الأردنية التى كان يرأسها؟

– علـى أية حال، الجامعة العربية والأنظمة التى ترفض الاعتراف بالمجلس هـم مـن أقـر بوطنية جميع أعضائه وصحيح أن هناك بعض الملاحظات على شخصـيات مثل «تشلبي» لكن ليس من الصحيح أيضاً حصر المجلس كله فى تلك الشخصية، خاصة أنه على الجانب الآخر يضر شخصيات مثل «محمد باقر الحكيم وعدنـان الباجهجـي» وأسماء كثيرة من المؤكد أنها صاحبة توجهات وطنية تريد مصلحة العراق.

وإذا كنا نقر جميعاً بأن هذا المجلس ليس منتخباً وأن صلاحياته تتوقف عند حد فيـتو بريمـر الـذى عيـنه، فإننى أقول أيضاً لا ينبغى التوقف عند حدود قضية الاعـتراف القانونـي، لنتدخل مباشرة فى علاقات عمالية تستهدف مصلحة الشعب العـراقى ومساندته، وعلينا أن نقصر حكمنا على المجلس الانتقالى ككيان جديد من خـلال أفعالـه وقراراته ونؤيد ما نراه إيجابياً وننتقد ما نراه سلبياً ونساعده ليقوى على الأمريكيين وليشعر بوجوده وقرب الدعم العربي.

ولنرقـب مـا تفعله إيران الآن رغم خطورة الوضع الراهن بالنسبة لها فعلى مـرمى حجـر يقـف «١٥٠ ألف» جندى أمريكى فى صراع مع إرادات سياسية متبايـنة ومـع ذلـك وجدت أن مصلحتها تتطلب ذهاب مجموعة من الوزراء إلى مجلـس الحكـم الانتقالى لتؤكد مساندتها له وحرص إيران على التعاون معه، وإذا قلـت إن إيـران تريد بهذا الموقف دعم مجئ حكومة شيعية فليكن ذلك إلا أن تلك الحكومـة سيشـكلها العراقـيون. ولنرقب أيضاً موقف تركيا فهى رقم صعب فى الحسـابات العراقـية. إن هذه القوى الإقليمية وأعنى بها إيران وتركيا لها برامج وأجـندة مخـتلفة تماماً عن الأجندة العربية لذلك أرى ضرورة استراتيجية لوجود العـرب فـى الحسبة العراقية، خاصة أن التمييز بين مساندة قوات الاحتلال ودعم الشعب العراقى ليس مستحيلاً.

• ألا ترى أن الاعتراف بشرعية المجلس من قبل الجامعة العربية هدف أمريكياً ؟

– حديثــنا عن اعتراف العرب بمجلس يعنى ألا يتركوا الساحة العراقية خالية تماماً للولايات المتحدة وباقى القوى الإقليمية كما أنه لا يعنى قبول العرب المشاركة فــى قــوات حفظ سلام تحت اللواء الأمريكي، فإن ذلك يعنى مساندة الاحتلال فمن حق العرب أن يشترطوا لمشاركتهم بقوات عسكرية أن يكون ذلك تحت مظلة وعلم الأمم المتحدة بل وعليهم أن يدعوا باقى دول العالم إلى عدم المشاركة فى أية قوات دولية لحفظ السلام فى العراق ما لم يكن ذلك تحت مظلة وإشراف المنظمة الدولية، خاصة أن الأمريكيين يتصورون أن اعتراف الجامعة العربية بالمجلس الانتقالى قد يكــون مقدمة لإسقاط محاذير دول أخرى ترفض العمل تحت اللواء الأمريكى وأن هــذا الاعــتراف سيســهل على الولايات المتحدة مهمة الترويج لفكرة قوة متعددة الجنسيات تعمل تحت إشرافها مباشرة وبعيداً عن الأمم المتحدة .

• إذا كان الأمر بهذا الوضوح فلماذا هذا الارتباك داخل أروقة الجامعة العربية ؟

– لأن الأنظمة العربية مازالت منقسمة حول العراق حتى الآن فمنها من ساند الاحتلال واعتبره عملية تحرير ورأى أن العراق سيتنفس الصعداء بعد زوال صدام حســين ومــنها من رفض الاحتلال خشية على مصالحه، لذلك أرى أنه ليس من المناســب فــى هذه اللحظة أن يظل العراق القضية الخلافية التى تقضى على كل فرص العمل العربى المشترك.

• ومــا هــى أشــكال الدعم العربى الممكنة بخلاف المشاركة فى قوات متعددة الجنسية ؟

– يستطيع العرب تقديم خبرتهم فى عمل الدستور العراقى الجديد إذا أراد ذلك العراقــيون هــناك أيضاً المساهمة فى عملية الإعمار، فهل من المعقول أن تعمل شركات إسرائيلية داخل العراق الآن فى المقابل لا وجود لشركة عربية واحدة.

إن لمصر مصلحة حقيقية فى العراق بحكم الجالية المصرية الكبيرة الموجودة هــناك الآن، فضــلاً عن المصالح التجارية خاصة أنها اتخذت مواقف سابقة إلى

جانب الشعب العراقى عندما حذرت صدام حسين من جر شعبه إلى مغامرات تكون نتائجها كارثية، هل نترك الفرصة للأمريكيين ومن بعدهم الإيرانيين والأتراك.

لكن هذا الدعم يحتاج للإجابة عن العديد من التساؤلات فهل هناك من يستطيع أن يقـول لـنا مـا هو حجم المقاومة الموجودة الآن وهل ستتجاوز المثلث السنى أم لا؟.. وهـل هـى صـدامية بالـتحالف مع جماعة «أنصار الإسلام» كما يقول الأمريكـيون، هل هناك من يدلنا على حقيقة موقف الأغلبية الصامتة، هل يستطيع أحد أن يقول لنا ما إذا كان الأمريكيون قادرين على أن يفرضوا التعامل المبكر مع إسـرائيل على العراقيين أم لا؟.. إن كل ما يريده العراقيون هو أن يفهمهم العرب ويقتربوا من واقعهم قدر الإمكان.

- **أمام هذه المواقف العربية المتخبطة هل ترى هناك جدوى تذكر من محاولات تفعيل آليات الجامعة العربية على غرار الورقة المصرية والسعودية السورية التى قدمت مؤخراً فى هذا الصدد ؟**

- أعـتقد أن لهـا جـدوى كبـيرة فحتى أكثر المنتقدين لهذه الجامعة والذين لا يـرون لهـا دوراً مثل بعض دول الخليج يعرفون أهمية وجودها، فالكويت مثلاً تـدرك تماماً أن القوات الأمريكية ما كان لها لتتدخل أثناء غزو صدام حسين لولا الشرعية التى منحتها لها قمة القاهرة، وهى تعلم جيداً أنه لولا وجود قوات مصرية وسورية وسعودية لما تمكن الأمريكيون من التواجد فى هذه المنطقة.

إن الدول التى يعلو صوتها مطالبة بإنها دور الجامعة العربية مرددة بذلك كـ« لببغاوات » ، ما يقوله الأمريكيون تعتقـد فى قرارة أنفسها أن الجامعة العـربية مازالت تحتفظ بدورها وأهميتها وأنها هى التى تخدم قضاياها، وقد يردد البعض أن هـناك دولاً غاضـبة من عمرو موسى ومن ثم فهى ساخطة على الجامعة العربية لكنـنا نـرد عليه بالقول إن الجامعة ليست عمرو موسى وأنه فقط أمينها العام وقد أعطاهـا روحـاً جديـدة، لكنه لا يستطيع أن يفعل المزيد فى ظل غياب الإرادات السياسـية للـدول الـتى تتكون منها الجامعة، فالجامعة العربية إذن ليست الميثاق

وليســـت الأمين العام وإنما هى جماع الإرادات السياسية فى العالم العربى وضعفها ترجمة لضعف تلك الإرادات.

- **إزاء هذا الضعف هناك من يطرح إمكانية استبدال الجامعة بكيان إقليمى أوسع يضم الدول العربية وقوى إقليمية أخرى مثل: إيران وتركيا ؟**

– هذا ما ينادى به شيمون بيريز ويتبناه الأمريكيون.

- **لكـــن هـــناك أصـــواتاً لمثقفيـــن مصريين وعرب تتحدث عن مثل هذا الكيان الإقليمى ؟**

– نعـــم قـــد تكون هناك بعض الأصوات التى تتحدث عن هذا الشيء مسايرة للـــرؤية الأمريكية لكن غالبية المثقفين العرب والقوى السياسية العربية ترفض مثل هذه الأطروحات وترى ضرورة تقوية الجامعة العربية .

وحـــتى فـــى ظل هذه الإرادات الضعيفة لجأ الجميع إلى الجامعة العربية قبيل الغـــزو الأمريكى على العراق تحت ضغط المظاهرات التى خرجت فى كل المدن العربـــية مطالـــبة بانعقاد القمة للبحث عن مخرج من هذه الحرب، إن أكثر الناس صـــراخاً على الجامعة العربية أكثرهم احتياجاً لها خاصة أن المصالح الاقتصادية العربية أصبحت مهددة فى ظل العولمة التى تتطلب وجود تكتلات اقتصادية كبيرة، لذلك دائماً ما يكون العرب الطرف الأضعف فى جميع المفاوضات التى تجرى مع منظمة التجارة العالمية.

وبســـبب هـــذا الـــتفكك العربى والاتجاه نحو القطرية فشل المشروع التنموى المصرى سواء كان فى عهد عبد الناصر أو مبارك لأنه تجاهل أهمية البعد العربى متجســـداً فـــى ســـوق عربية مشتركة يستطيع خلالها توظيف أكبر عدد من الناس وإدارة عملية التصدير والاستيراد.

- **ألا تـــرى أن اجتماع الضعفاء لا يزيدهم إلا ضعفاً وأن منظومة إقليمية جديدة تستثنى إسرائيل وتضم إيران وتركيا الأقوى اقتصادياً وتكنولوجيا من العرب، تكون أكثر جدوى ؟**

– حسـنا لدى رؤية خاصة فى هذا الموضوع مفادها أن الأمة العربية محاطة بعـدد مـن القومـيات التى لا يمكن تجاهلها بمعنى أنه من المستحيل الحديث عن استقرار دائم فى منطقة الخليج دون وجود علاقات عربية فارسية جيدة والأمر ذاته بالنسبة لتركيا فلا يمكن إغفال أهمية وجود علاقات عربية وثيقة معها والدليل على ذلـك الـدور الذى لعبته مصر فى حل النزاع التركى – السورى والذى انتهى إلى عقـد صلح بينهما قامت على أساسه علاقات ثقة متبادلة وتعاون فى كل المجالات يرقـبه الإسرائيليون بحذر، وأتصور أننا فى حاجة أيضاً لإعادة صياغة العلاقات العربـية مـع الـتخوم الأفريقـية فى الجنوب على أن تكون مبنية على المصالح المشـتركة غير أن علاقة العرب بجيرانهم سواء فى الجنوب أو الشمال أو الشرق لا ينظمها إلا الجامعة العربية حتى لا تغرق الإدارة العربية فى إرادة إقليمية أوسع يضعف فيها الجميع.

ولا ينـبغى أن يـتجاهل العـرب هذا النوع من العلاقات ليقفزوا مباشرة إلى الشـرق أوسطية التى تدعو لها كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، والتى لا أرى بأسـاً فـى أن تصـيغ جامعة الدول العربية علاقات جديدة معها ولكن بشرط حل الصـراع العربى – الإسرائيلى حلاً عادلاً وشاملاً يخدم القضية الفلسطينية، ولكن قبل ذلك تأتى أهمية تصحيح العلاقات العربية – الإيرانية والتركية والأفريقية.

- **ذكـرت أن السـبب الرئيسى فى فشل المشروع المصرى التنموى وغيره من مشـاريع الـدول العربية هو طابعها القطرى فيما يرى البعض أن الفشل هو مصـير أى مشـروع تنموى حتى لو كان مشروعاً قومياً عربياً مادام غابت الديمقراطية عن النظام العربى ؟**

– لا أحـد يخـتلف على أن الديمقراطية هى القوة الدافعة للتقدم العربى وأنها تضمن سيره فى مسار واضح ومستقيم كما أن أحداً لا يختلف على أن الإنسان الحر أقـدر علـى الدفاع عن وطنه من الإنسان المستعبد وأنه أيضاً أقدر على الإنتاج، فـالمؤكد أن الديمقراطية عندما تكون نظاماً، فإنها تساعد أى مشروع تنموى يهدف إلـى التقدم، ولكن أى ديمقراطية نتحدث عنها هل هى ديمقراطية بوش الذى يريد

فرضــها علـــى العالم العربي، وهل يمكن الحديث عن عراق حر ديمقراطى توقع حكومته المنتخبة اتفاقية تعاون أمنى مشترك مع الولايات المتحدة تعطيها الحق فى الاحــتفاظ بــثلاث قواعد عسكرية واحدة فى الشمال وأخرى فى الوسط وثالثة فى الجــنوب، أعــتقد أنــنا يجب أن نرفض تفعيل الديمقراطية فى عالمنا العربى بأيد أجنبية.

- **لكــن ألا تلاحــظ أن بعــض الأنظمة العربية لم تتجه بالفعل إلى إجراء بعض الإصلاحات الديمقراطية إلا بعد أن مارست الولايات المتحدة ضغوطها فى هذا الشـــأن كم حدث فى مصر عندما أعلنت عن إلغاء المحاكم العسكرية وتشكيل المجلــس القومـــى لحقوق الإنسان وفى السعودية بإعلانها مؤخراً عن إنشاء المركز الوطنى للحوار ؟**

– مــن الإنصاف أن نؤكد على أن مسيرة الديمقراطية فى مصر قد بدأت منذ ســنوات قليلة قبل مجيئ بوش وقبل أن ترفع الولايات المتحدة هذا الشعار فلا أحد يــنكر أن هــناك تعــدداً حزبياً حقيقياً وقدراً واسعاً من حرية الصحافة وسعى جاد لاحــترام القانون، ولا أقول هنا إنا نعيش فى ديمقراطية زاهية ولكننا نمضى على الطريق .

أى أننا لم نلتقط مفتاح الديمقراطية من بين يدى بوش أو من غيره .

وإذا كانــت خطواتنا نحو الديمقراطية أبطأ مما ينبغى فإننا يجب أن نضع فى الاعتبار أيضاً المصاعب التى توجه بناء نظام ديمقراطى صحيح فى مصر.

وأهمها هذه الحرب المستمرة ضد المنظمات الإرهابية والتحول الاقتصادى من اقتصـــاد شــمولى إلـــى اقتصـــاد الســوق وأتصور أن نتائج ما أنجز فى المسار الديمقــراطى يعــد إنجـــازاً محموداً بالنظر إلى هذين التحديين الكبيرين، ولا أقول إنجازاً عظيماً.

ثــم إن الاتجاه نحو الديمقراطية مرتبط فى الأساس بالتطور الجديد الذى شهده العـــالم بفعــل تكنولوجيا الاتصالات التى حولته إلى قرية صغيرة حيث يزيد وعى

الإنســـان بما يجرى حوله ومن ثم يصبح أكثر قدرة على عقد المقارنات بين الدول المـــتقدمة والمتخلفة وبمعنى آخر أن رياح الحرية قد هبت بفعل عوامل ومتغيرات جديـــدة شـــهدها العـــالم الحديث. كما أن النظام فى مصر آمن بأهمية الديمقراطية كضـــرورة لـــنجاح عملية التحول الاقتصادى من ناحية وآمن أيضاً بها كضرورة لحفظ أمنه من ناحية أخرى وذلك بإطلاقه حرية الفكر والتعبير.

- **ولكـــن كيف يمكن الحديث عن قدر ولو ضئيل من الديمقراطية فى ظل قانون الطوارئ سيئ السمعة وفى ظل غلق أو حجب قوى سياسية عن الشرعية مثل جماعة «الإخوان المسلمين» ؟**

– بالنســـبة للإخوان المسلمين فمازالت الأمة تختلف عليهم .. هل هم جماعة أم حزب، وعلى الإخوان المسلمين أن يستقروا أولاً إما على كونهم جماعة أو حزباً سياسياً ثم عليهم أن يرضوا بالقوانين الإنسانية، لأن حكم الدين فى الضمائر وحكم السياسة فى العقـــل ، فإذا أرادوا أن يكونوا حـــزباً فعليهم أن يتبنوا معايير البشـــر لا نفاجئ بهم يكفرون من يختلف معهم بحجة أنه خرج عن الشرعية والنص الذى يفسرونه حسب رؤيتهم ولا يتيحون الفرصة لغيرهم ليشارك فى تفسيره.

والمشـــكلة أن الإخوان المسلمين يريدون أن يجمعوا بين الجنسين بأن يكونوا جماعة وحزباً فى نفس الوقت فإذا حسبتهم كحزب هربوا إلى الجماعة وبالعكس.

- **لكن الإخوان المسلمين يمثلون قاعدة جماهيرية عريضة ؟**

– لقـــد كنـــت أحـــد قواعدهم الجماهيرية ولكن فى سن الشباب القلق وعندما نضـــجت وقـــرأت ووعيـــت تركـــتهم وتغير فكرى ، نعم لهم قواعد واسعة ولكن محصـــورة فى سن صغيرة مهيأة بحكم القلق الذى يساور المراهق للالتفاف حول هذه الأفكار وعلى أية حال فلست ضد قواعدهم الجماهيرية الواسعة ولكنى أقول إننا إزاء جمعية أخلاقية دينية تعنى بتقوية الدين فى المجتمع وإعلاء قيمه وهذه معايير تختلف تماماً مع معايير من يمثل الناس فى البرلمان .

أمـــا بالنسبة لقانون الطوارئ فينبغى أن يصمم المجتمع على إلغائه أو تقصير مدة العمل به مادام اعتبر أمنه قائماً على أساس حرية الفرد والأحزاب ونبذ العنف، لكــن علينا أن ندرك أيضاً أن العمليات الإرهابية وتفجير الأتوبيسات السياحية هى الــتى فرضت وجود قانون الطوارئ بعد أن أصبحت مصر مرتهنة بأفكار متطرفة لمجموعـــة من الشباب الذين عادوا يؤكدون أنهم كانوا على غير هدى وأن جهادهم المزعوم كان ضلالاً مبيناً.

- **لكــن قــانون الطــوارئ يستخدم بشكل صارخ فى تقييد حرية عمل الأحزاب السياسية ؟**

– إذا كانت هناك ظروف ما ضاغطة تتطلب ممارسة التضييق على الأحزاب بســبب دواعى أمنية معينة فأتصور أن هذه الظروف يخف ضغطها يوماً بعد يوم والدلــيل على ذلك المظاهرات العارمة التى نظمتها المعارضة بالتنسيق مع الحزب الوطنى أثناء أزمة العراق ولقد سمحت بها الدولة بإدراكها مدى الغليان فى الشارع المصرى .

ثــم كيف يمكن إلغاء مثل هذه القوانين «وأنا لست معها» والإخوان المسلمون يؤمنون بديمقراطية المرة الواحدة لأنهم يحكمون باسم الله وجميع أدبيات الجماعات الإســـلامية فى الجزائر تقول بنفس هذا المبدأ وانظر حولك إلى جميع الأنظمة التى تدعـــى أنها أنظمة إسلامية فلم تنج دولة واحدة حكموا فيها وإلا انتهت بحرب أهلية كما هى الحال فى السودان ذلك أنهم يؤمنون بأخوة الدين قبل أخوة الوطن .

- **ألا تـــرى أن ما يحاول الأمريكيون ومن خلفهم اللوبى الصهيونى ترويجه عن صورة المجتمع العربى المسلم باعتباره مجتمعاً متخلفاً تسود فيه أفكار العنف والتطرف الدينى والنظم المستبدة وأنه مفرخة حقيقية للعناصر الإرهابية يعتمد على معطيات موضعية نعانيها فعلياً فى عالمنا العربى ؟**

– دعنى أقول لك إن الإرهاب فكرة قبل أن يكون أى شيء آخر ، وعندما كنا صــغاراً ننــتمى إلـــى طبقات بسيطة كنا نعتقد أن الاجتهاد والنجاح فى التعليم هو

السبيل إلى الفرار من الطبقة ولم تكن هناك فكرة الإرهاب التى طرحها حسن البنا فــى فكــر الإخوان المسلمين الذين جعلهم يعتقدون أنهم مأمورون بالعنف وبالفعل مــتجاهلاً سلطة الدولة والجماعات الإسلامية تستهدف أول ما تستهدف فى الشباب عقله ورأسه وتضع فيه كل ما تشــاء وصحيح أن النظم الدكتاتورية الفجة تســاعد علــى تفــريخ العناصر الإرهابية ولكن يبدو أن تكون هناك فكرة أولاً ونص يساء تفسيره للإيحاء بأن العنف أمر إلهي.

- **نعود مرة أخرى للحديث عن قضية الديمقراطية فإذا كنا كعرب نرفض الأجندة الأمريكــية الــتى تحاول فرضها علينا فهل لدى النخبة العربية المثقفة أجندة وطنية أم أننا مؤهلون فقط لاستقبال ما يفرضه الآخر الأجنبى ؟**

– للأسف لسنا بصدد أجندة وطنية حول الديمقراطية ولازلنا نفتقد إجماع حول كثــير من القضايا والإشكاليات مثل الإسلام السياسى الذى تحدثنا عنه آنفاً، أما عن قابليتنا للأجندة الأمريكية فهناك عدة عوامل مستجدة علينا أن ننتبه إليها أهمها تنامى الــرأى العام المصرى الذى أصبح فى خلفية توجهات السلطة أى أن تأثيره يتزايد على الحكم وصناع القرار السياسى كما أن هناك أيضاً تأثيراً لبعض المثقفين الذين تسمع كلمتهم فى أروقة النظام الحاكم.

- **كيف ترى مستقبل الفكر القومى العربى فى ظل تزايد النعرات القطرية بعد كل ما جرى ؟**

– أعتقد أن الفكر القومى العربى فى حاجة إلى رؤية نقدية شاملة وما حدث له من فعل أنه انتهى عند معسكرين.. الأول المعسكر البعثى بشقيه السورى والعراقي، والثانى معسكر الناصريين الذين خلعوا على عبد الناصر ثوب القداسة واعتبروا أن كل ما قاله مقدس، الأمر الذى أدى إلى إحجام بعض الناصريين القدامى عن تطوير الفكــر القومــى تحــت ضغط هذا التيار، وبالتالى لم نر دراسة موضوعية حول التجربة الناصرية تحدد الثوابت فيها والمتغيرات فى الفكر القومي .

وفى هذا السياق أجد نفسى لا أتفق مع من يقول إن الفكر القومى قد فقد دوره بدخولنا إلى عصر العولمة، لأن من يدخل هذا العصر يتجه إليه فى شكل تكتلات كبيرة لا كيانات وشظايا صغيرة .

إن مشكلة الفكر القومي هى أنه لم يخضع لمراجعة شاملة، فى ظل المتغيرات الجديدة التى شهدها العالم العربي، كما أن أزمته قد تجسدت فى هذا السباق الذى دخله البعثيون مع عبد الناصر حول القومية .

- **لكن البعض يرى أن القومية العربية والدعوة لها قد ارتبطت أساساً بأنظمة ديكتاتورية لم تجلب لشعوبها سوى الهزيمة فى ١٩٦٧ والاحتلال فى ٢٠٠٣ فكيف يمكن المراهنة من جديد على القومية العربية ؟**

– شئنا أم أبينا نحن شعوب تحمل ملامح متماثلة ولدينا تحديات متشابهة ولك أن تعلم أن الدول العربية مجتمعة يقل دخلها القومى عن الدخل القومى لدولة مثل إسبانيا ، لذلك فنحن بحاجة ماسة إلى التكتل وإلى المشروع القومى من أجل تحقيق التقدم فى كل قطر عربى على أن يقوم فى الأساس على مبدأ المصلحة المشتركة للجميع.

- **فى هذا السياق كيف تقيم ما عرف مؤخراً بالتيار القومى الإسلامى ؟**

– لا أعرف بالضبط حقيقة هذا التيار ولا أجد له تجسيداً على الساحة ذلك أن الإسلاميين يقولون إن إخوة الإسلام تسبق إخوة الوطن وإخوة القومية وأن القومية فى حد ذاتها ضلال من هذا المنطلق.

- **نعود إلى المشهد السياسى الراهن، كيف تنظر إلى التفجيرين الأخيرين تفجير بغداد الذى استهدف مقر الأمم المتحدة وتفجير القدس الذى استهدف خارطة الطريق ؟**

– التفجيران مختلفان فى المضمون وإن تماثلا فى الشكل، أما تفجير بغداد فأعتقد أنه عمل أرعن يكسوه الغباء وهو لا يثبت إلا أن الأمريكيين عاجزون عن

ضبط الأمن فى العراق وأعتقد أن المقاومة العراقية إذا كانت قد فعلت هذا فلم تفعله إلا لتلفت أنظار العالم كله إليها ولا أستطيع حتى الآن أن أفهم سبباً وجيهاً لتفجير مقر الأمم المتحدة فى بغداد إلا هذا السبب التافه ولإثبات حقيقة أن الأمريكيين غير قادرين على حماية بغداد، وأستبعد تماماً أن التفجير قد استهدف تحييد الأمم المتحدة خاصة أن الأمريكيين مصرون على الانفراد بالعراق وعلى الانفراد بقيادة أى قوات متعددة الجنسية.

أما تفجير القدس فاعتراضى عليه مبدئى فإذا أردت المقاومة فعليك أن تمارسها بشروطها الأخلاقية، بمعنى آخر أنه لا يجوز للمقاومة الفلسطينية أن تستهدف مهما كانت مبرراتها أهدافاً مدنية وعليها أن تحدد أهدافها فى المستوطنين أو الأهداف العسكرية المشروعة، على غرار ما فعله «حزب الله» فى جنوب لبنان الذى حرص دائماً على تجنب أى أهداف مدنية إسرائيلية إلا فى الرد على ضرب المدنيين. للأسف استسهلت المقاومة الفلسطينية الأهداف المدنية اعتقاداً منها أن مثل تلك العمليات توجع الإسرائيليين وقد يكون ذلك صحيحاً لكنه ينفر منها العالم بحيث سهل على الأمريكيين والإسرائيليين وصفها بالإرهاب بعد أن فقدت احتضان وعطف الجميع.

وإذا كان المبرر هو الرد على خرق شارون الهدنة باستفزازته اليومية فليكن ذلك، ولكن على أن نحسن الرد واختيار الهدف، إن ما حدث فى القدس يعبر عن استمرار المنهج الخاطئ للمقاومة الإسلامية فى فلسطين متمثلة فى حماس والجهاد فليس من المقاومة في شيء تفجير أتوبيس للأطفال أو مقهى أو مطعم ولا أعتقد فى المقولة التى تعتقد أن كل الإسرائيليين المستوطنين عسكريون ومن ثم فهم أهداف مشروعة فيجب أن تحترم الحدود التى ميزت بين ما هو مدنى وما هو عسكري.

- **هل تعتقد أن الولايات المتحدة ستصر على تنفيذ خريطة الطريق رغم عملية القدس وفقاً لمصالحها المرتبطة بخريطة المنطقة الجديدة ؟**

– عندما جاء وليم بيريز مساعد وزير الدفاع الأمريكى إلى مصر التقيت به وأكد لى أن قيام الدولة الفلسطينية مصلحة أمريكية قبل أن تكون مصلحة فلسطينية

لأن قـيامها يحمى المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ومع ذلك لا نجد أنفسنا إلا متعجبين من الموقف الأمريكى الذى يبدو ملتوياً فهى تتقدم خطوة فى يوم ثـم تـرجع خطوتيـن فى يوم آخر خاصة أن كل التكهنات تشير إلى أن الرئيس الأمـريكى بوش سوف يتوارى تدريجياً كلما اقترب موعد الانتخابات، بل إنه أعلن موقفين متضاربين فى مسألة تفكيك البنية التحتية للمنظمات الفلسطينية فقد أكد مرة أن تفكيكها مهمة صعبة وتفوق طاقة «أبومازن» ثم عاد مرة أخرى ليؤكد أن تفكيك المـنظمات الفلسطينية هو الخطوة الأولى لأى تقدم رغم أن مثل هذا العمل لن يتم إلا باشتعال حرب أهلية فلسطينية .

- **لكن هذا التحول فى موقف الرئيس الأمريكى جاء كرد فعل على عملية القدس؟**

- وهـل الحـل إذا فـى أن تدخل المنظمات الفلسطينية حرباً أهلية فيما بينها وتدخل المنطقة برمتها ومعها المصالح الأمريكية فى دوامة لا أول لها ولا آخر.

إن الأمريكييـن لـم يسـهموا فـى دعم «أبومازن» ولم يمنعوا شارون من الاسـتمرار فى استفزازه المتواصل للفلسطينيين رغم الهدنة التى أعتقد أنها ستسقط عملياً وفعلياً.

- **لكـن البعض يرى أن عمليات حماس والجهاد هى التى أدت إلى انهيار الهدنة وهى التى قد تدفع المجتمع الفلسطينى إلى حرب أهلية وليس الأمريكيين ؟**

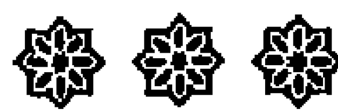
- إن العمليات الاستفزازية من جانب إسرائيل هى التى أدت إلى تفجير القدس كما أن هذه الهدنة لم تكن قائمة على أركان صحيحة أهمها توقف إطلاق النار من الجانبين نهائياً وهذا ما لم يلتزم به شارون بإصراره على ملاحقة عناصر المقاومة الفلسطينية بعمليات الاغتيال، ولا تعنى رعونة رد حماس أن يقوم شارون باغتيال شخصـية سياسـية مهمة مثل «إسماعيل أبوشنب» وقبله محمد السدر أحد قيادات الجهاد فى الخليج .

- **فى تصورك ما هو الحل المصرى الذى حمله الدكتور أسامة الباز إلى الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى ؟**

– أعـتقد أنه ذهب لإقناع الطرفين بضـرورة ضبط الأعصاب وعدم اللجوء إلـى مـزيد من التصعيد ، لأن ذلك سيدخل المنطقة برمتها فى دوامة لا تنتهي ، وأتصـور أن الدكتور الباز ذهب أيضاً لحث الرئيس عرفات على مد يد المساعدة لـ «أبومازن» للخروج من هذا المأزق، خاصة أن الأمريكيين طلبوا تدخل عرفات الأمـر الـذى جعل القاهرة تعتقد أن مساعدة عرفات لـ «أبومازن» قد تؤدى إلى تغيـير الظروف الراهنة إيماناً منها بأن عرفات رقم صعب فى المعادلة الفلسطينية ولا يمكـن تجـاوزه وأنـه الوحيد القادر على حشد الشعب الفلسطينى وراء فكرة السلام.

- **هـل يعـنى ذلـك أن هناك بوادر لرفع الحصار عن ياسر عرفات، خاصة أن الحكومـة الإسرائيلية وافقت على لقاء أسامة الباز بوزير خارجيتها رغم أنها أعلنـت فى الماضى رفض مقابلة أى مسئول أو دبلوماسى جلس مع الرئيس الفلسطينى ؟**

– لا أسـتطيع التنبؤ بمثل هذا السيناريو غير أن كولن باول وزير الخارجية الأمـريكى أعلـن قبل ثلاثة أشهر أن موقف حكومته من عرفات قد يتحدد بشكل نهـائى بمـدى جدية مساهمته فى عملية السلام، ثم ها هو يتوجه إليه اليوم برسالة مباشرة يطالبه فيها بالتدخل، لكن وعلى الجانب الآخر يضع شارون قائمة اغتيالات جديدة يأتى عرفات والشيخ أحمد ياسين على رأسها. وإذا كان المطلوب من عرفات أن يضـع يـده فى يد دحلان لشن حرب أهلية على حماس والجهاد فى مقابل فك حصـاره، فلا أظن أنه سيقبل بذلك، وأعتقد أنه قادر على فعل الكثير إذا ما أعلنت هدنة جديدة وحقيقية يحترمها الجميع ويتم محاسبة من يخرقها محاسبة عادلة .





نورى عبد الرازق

عندما يتفاوض الإخوان المسلمون الذين خلت منهم، وياللغرابة قائمة الخارجية الأمريكــية للمــنظمات الإرهابية وعبر وسيط سبق اتهامه بالخيانة والعمالة يعلن الراديكالــيون الأشــاوس أنهم يختلفون مع ممارساتهم السياسية فقط، أما إذا طالب المــثقفون والمعارضون العراقيون بإجراء مصالحة سياسية أو حتى بتنحى صدام حســين فــلا أقل من إلقائهم بتهمة الخيانة ودمغهم بالعمالة، إن الكيل بمكيالين إذن سياســة معتمدة ليس فقط من جانب الولايات المتحدة الإمبراطورية ذات المصالح والطموحــات الإمبريالية ولكن أيضا من جانب النخب العربية التى أدمنت الحديث عن ديمقراطية لا تمارسها ومطالبة الحكام بحريات هى نفسها لا تؤمن بها.

يكفيك الآن أن تنحو منحى معارضا لرؤى هؤلاءأو أن تبث جهة ما تقول إنها مــنظمة يهوديــة أو أمريكية بيانا ما على الإنترنت تشيد فيه برؤاك التى لم تقلها وتلعــن اطــروحات الآخريــن التى لم تنل أنت شرف معارضتها أو حتي مجرد الاطــلاع عليها، يكفيك واحد من هذه الآثام لكى تشرع فى وجهك سكاكين الخيانة

ومدى العمالة، وتهبط عليك لعنات آلهة الوطنية «إمسك خائن.. اقفش عميل» لتجنى بنفسك شيئا من ثمار الشعار الفاشى العظيم «يعيش العراق والعراقيون مش مهم»، «تعيش مصر والمصريون فى داهية» ليعود وينطرح السؤال: هل المهم هو حرية الوطن دون حرية المواطن؟ وهل ثمة تناقض بين الحريتين؟ هل يمكن أن تحافظ دولة ما بعد الاستقلال على التراب الوطنى وهى تعصف بحرية شعوبها وسلامة ابنائها أجسادا وأرواحاً؟

هذه الأسئلة وغيرها وجهناها إلى نورى عبد الرزاق المثقف والمفكر اليسارى العراقى الذى ناله نصيب وافر من هذه الاتهامات.

- **بماذا تفسر إحجام الشعب العراقى عن مواجهة قوات الغزو الأمريكية وخروجهم بعد ذلك فى مظاهرات تندد بوجود تلك القوات معلنة فى نفس الوقت فرحتهم برحيل صدام حسين ؟**

– هذا السؤال لا يمكن الإجابة عنه بالأبيض والأسود فهناك عوامل عديدة متشابكة ومستداخلة وللأسف لم تدرك النخب العربية خارج العراق شيئا من هذه العوامل وأهمها الاضطهاد والظلم والتعسف الذى عاناه العراقيون من نظام صدام حسين ولم تدرك النخب العربية فظاعة المجازر التى عاناها شعب العراق من أكراد وشيعة وسنة وأحزاب سياسية ديمقراطية ويسارية وقومية ولقد أظهرت المقابر الجماعية وغيرها التى يكشف عنها تباعا عمق هذه الكارثة، أما العامل الثانى فهو عدم وجود أى رد فعل عربى مضاد لهذه المجازر أثناء أو بعد ارتكابها تضامنا مع الشعب العراقى فلم نسمع صوتا عربيا واحدا فى أدنى مستويات الحدة انبرى للدفاع عن قضية العراقيين وقتها الذين لم يضطهدوا فقط بل واستبيحت ثرواتهم وأهدرت قدراتهم فى حربين لا طائل منهما اتخذ قرار شنهما بشكل فردى، ووصل التلاعب بصدام حسين واستهانته بالشعب إلى حد كتابته رسالة وجهها إلى رفسنجانى يطالبه فيها بنسيان الماضى معيدا لإيران «شط العرب» وكأنه كان يجارب طواحين الهواء لمدة ثمانى سنوات قتل خلالها مليون عراقى وإيرانى ثم ادخلنا مرحلة حصار قاتلة لمدة ١٢ عاما بعد غزوه غير المفهوم لدولة الكويت لتنشأ طبقة جديدة اسماها العراقيون «طبقة الحصار» فبعد أن صدر القرار ٦٨٧ بفرض الحصار على

العـــراق نشـــأت الســـوق السوداء للبضائع التى تأتى خارج نطاق الحصار والأمم المـــتحدة والـــنفط مقـــابل الغذاء خاصة تلك القادمة عبر الحدود الأردنية والتركية وسيطر عليها عدى والعائلة الضيقة التى تحكم افرادها فى عمليات التهريب إضافة إلـــى تصـــدير البترول خارج إطار الأمم المتحدة عبر إيران وتركيا لدول الشرق الأقصـــى وهى عملية كانت تحقق – رغم محدوديتها – نحو ثلاثة مليارات دولار سنويا تذهب جمعيا إلى العائلة الحاكمة والغريب أن شركات أجنبية كبرى وبعضها أمريكى زودت صدام حسين بأسلحة الدمار الشامل حتى أحداث ١١ سبتمبر وهذا ما يفســـر لجوء الولايات المتحدة إلى سرقة التقرير الذى قدمه نظام صدام حسين إلى الأمـــم المـــتحدة بشـــأن برامج الأسلحة العراقية وإعادته إلى مجلس الأمن بعد أن انتزعـــت مـــنه نحو ٩ آلاف صفحة من ١٢ ألفا وهى صفحات تشمل أسماء جميع الشـــركات الأمريكـــية والأوروبية والمتعددة الجنسية التى زودت صدام بالغازات الســـامة والأسلحة البيولوجية والكيماوية حتى أثناء فترة الحصار فلم تشأ الولايات المتحدة أن تفضح شركاتها، المهم أن طبقة الحصار استطاعت أن تتلاعب من جديد بمقـــدرات العراقييـــن حتى أثناء الحصار، ومن ناحية أخرى فإن الشعب العراقى لا يريد الاحتلال ويرفض الهيمنة الأمريكية وهو يدرك تماما الأهداف الاستراتيجية للولايـــات المتحدة بل ويعى تماما أنها هى التى دفعت حاكمهم المتهور إلى خوض كـــل هـــذه الحروب الغبية على حسابهم وعلى حساب خيراتهم لكن الصورة كانت ضـــبابية فـــى بداية الغزو فلم يكن فى وعى العراقيين أن الغزو الأمريكى سيزيح حكومـــة وطنية فالقضية واضحة بالنسبة لهم فهناك احتلال أجنبى يفرط فى السيادة الوطنـــية لدولة العراق وهناك فى نفس الوقت نظام فرط بشكل أكبر ليس فقط فى الســـيادة بل وفى كرامة الشعب العراقى وهذا ما يفسر عدم حمل العراقيين للسلاح فمن الخطأ أن نتصور أنهم يمكن أن يحملوا السلاح دفاعا عن نظام مثل هذا تحت أي ظـــرف فلك أن تتخيل كيف يعيش المواطن العراقى يومه منذ أن استيقظ وحتى الـــنوم حاســـبا حساب القوانين المقيدة لحرياته؟ وما التهم التى يمكن أن توجه إليه وتحرمه العودة إلى بيته وعائلته بشكل نهائى، وهذه هى قرارات مجلس قيادة الثورة الـــتى رصـــدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان والتى أعادت إلى حيز الممارسة

الفعليــة قوانيــن انتهت منذ فجر التاريخ كعقوبة قطع اللسان والأذن وترسانة من القوانين هدفها حماية شخص الرئيس وعائلته، إن صدام حسين لم يكن زعيما وطنيا كعبد الناصر، إنه شخص يدخل الحروب بقرار منفرد ليهزم فيها ثم يعلن انتصاره ويحمــل شــعبه فى كل الأحوال أعباء خطاياه فيما يعيش هو وأسرته فى القصور الفارهــة والبذخ محاطا بالخدم والحشم وخازنا عشرات المليارات، إن الكارثة التى وقعت بالعراق ليست نكسة ٦٧ فهى نتيجة طبيعية لممارسات شخص الرئيس صدام ومــن الخطــأ أن يسارع السياسيون العرب إلى تحليلها دون الرجوع إلى الأسباب الــتى أدت إليها، وللأسف فضلت النخب العربية طريق الشعارات التى افضت فى نهايــة الأمر إلى مجاراة صدام حسين وإخفاء نزواته وأهوائه وكان الأولى بها أن تقــدم نصــيحة مخلصــة للشعب العراقى الذى بات مؤكدا أنه يعتبر – رغم فرحة بــزوال حكم البعث – القوات الأمريكية البريطانية قوات غزو يجب أن ترحل ولقد أصــدرنا كمثقفيــن عراقيين وطنيين قبل الغزو بيانا دعونا فيه صدام للتنحى تجنبا للحــرب المدمــرة هو الأقرب إلى المبادرة الإماراتية، على أن يكون تنحيه مقابل المحافظة على حياته وحياة عائلته بحيث يتم تشكيل حكومة وطنية عراقية بالاتفاق مــع الأمــم المتحدة وعمل مجلس تشريعى وانتخابات حرة نزيهة لكنه لم يستجب لدعواتنا كما فعل مع كل النصائح التى وجهت له من القادة العرب وغيرهم.

- **فى هذا السياق كيف تثمن مقولة «يعيش العراق والعراقيون مش مهم»؟ هل يمكــن القــبول بحرية واستقلال العراق وأى قطر عربى آخر بالانتقاص من حرية المواطن العراقى والعربى؟هل ثمة تناقض بين الحريتين ؟**

– أعتقد أننا إذا كنا بصدد الحديث عن تراجع وانحسار عربى فإن هذه المسألة محوريــة ومهمــة إذ يجــب ألا نفصل بين حرية المواطن وحرية الوطن فلا تقوم إحداهمــا دون أخــرى فمن المستحيل المحافظة على حرية واستقلال الوطن بينما حــرية المواطن مهددة، فالاستقلال الوطنى يتعزز عندما يكون المواطن معززا فى بلده والعراقيون يعتبرون فى هذا الإطار نموذجا فلقد أوصلتهم جرائم صدام حسين إلــى مــرحلة فقدان الشعور بالمواطنة والانتماء، إن مثل هذا المعنى الذى قلته فى الشعار يؤدى إلى الانتقاص من الاستقلال الوطنى.

- **إذاً هل تعتقد أن هناك إمكانية لعمل عراق ديمقراطى فى ظل ما يقال عن عنف الشخصية العراقية وفى ظل هذه الفسيفساء الاثنية والطائفية ؟**

– دعنى أميز فى البداية من جانبى على الأقل بين صدام حسين كنظام والبعث كحــزب سياسى رغم اشتراكهما فى الطبيعة التسلطية فأيديولوچية البعث بما ترفعه مــن شــعارات الرسالة الخالدة و«قدر الأمة» تسلطية الطابع غير أن نظام صدام تجاوز كل ذلك وأصبح الهاجس الأمنى أساس حكمه ليصل إلى أعلى درجات القمع والتسلط إلى حد التضحية بنصف أعضاء مجلس قيادة الثورة حماية لشخص الرئيس وامتد الهاجس إلى أعضاء القيادة القطرية وقيادات الجيش التى تمت تصفيتها، لكن ذلــك لا يمنعــنا من النظر إلى البعث كحزب سياسى بالإضافة إلى باقى الأحزاب الموجــودة فـــى العــراق والتى لها جذورها التاريخية وهى موزعة وفقا للتيارات السياســية فهــناك اليســـار والتيار القومى والليبرالى وحتى التيار الاقطاعى الذى احتضــنته العشائر ولم يكن العمل السياسى العراقى منذ تأسيس المملكة على أساس ديــنى أو أثنى أو طائفى فهناك أحزاب سياسية تضم الشيعة والسنة والأكراد الذين يعملون جميعا فى ظل برنامج الحزب وإذا كانت قضية الطائفية قد برزت الآن فهى مؤقــتة، والحقــيقة أنها برزت بسبب القمع الصدامى العنيف للشيعة إبان حربه مع إيران فلقد أوقع بهم مجزرة فى عام ٧٧ وأبعدهم عن الوظائف والمناصب القيادية الحساســة وتواكب ذلك مع صعود التيار الإسلامى والثورة الإيرانية وقبل ذلك كان طبيعيا أن يكون هناك رئيس وزراء شيعى ووزراء من السنة أو الأكراد ولم نسمع أبــدا وقتها من يسأل فى العمل السياسى عن الانتماء الطائفى أو الاثنى وحتى فى مــرحلة الفراغ السياسى الحالية لم يطرح أحد شعارا طائفيا واحدا فالتيار الإسلامى مــثلا يضم تحت جناحه الشيعة والسنة دون تمييز طارحا برنامجا سياسيا إسلاميا غيرديني، وحتى العلماء والفقهاء يطرحون كلاما سياسيا لا دينيا وإذا ظهرت بعض الاتجاهــات الدينية الطائفية فهى ضعيفة وسرعان ما ستدخل فى النسيج السياسى، المؤكد إذن أن الشعب العراقى مؤهل للممارسة الديمقراطية التعددية التى تقوم على تداول السلطة وإقرار مبدأ الانتخابات الحرة والتمثيل الشعبى، أما ما يقال عن عنف

الشخصـــية العراقية فمرجعه هذه المؤسسة القمعية التى تزعمها صدام حسين والتى مارست العنف ضد الشعب العراقى مما يساعد على تراكم الغضب الذى إذا انفجر ينفجر بعنف ، أما إذا كانت المؤسسة الحاكمة تقوم بممارسات قسرية عبر المحاكم أو القوانيـــن فسوف يختلف تعبير الشعب عن غضبته لأنه سيلجأ إلى وسائط تنفيس مـــثل المظاهـــرات أو غيرها فى إطار النظام العام، إن كل ما أرجوه من المثقف العـــربى هو أن ينظر بموضوعية إلى حجم المجازر والجرائم التى ارتكبها صدام كحقـــائق مجردة وإلى هذه المقابر الجماعية التى يعلن عن اكتشافها تباعا وإلى هذه الأمهـــات الـــتى تحمل صور أبنائها الذين اختفوا فى ظروف غامضة منذ عشرات الســـنين عســـى أن يعـــثروا عليهم أحياء أو حتى أمواتا فى أى سجن من السجون وأرجو أن تبرز أول بعثة صحفية مصرية هذه الحقائق عندما تزور العراق للتاريخ دون تعليق، صدام حسين أول نظام يضرب مرقد «الإمام على» ويقتل ثلاثين ألف شـــيعى فـــى انتفاضـــة ١٩٩١ ونكـــل بعائلات الأفراد الذين ظهروا على شاشات التليفزيون آنذاك مما جعلهم يخشون الظهور أمام العدسات خلال الغزو خشية تنكيل صـــدام وانـــتظروا حتى تأكد نبأ سقوطه الأمر الذى انعكس جليا فى مشهد تحطيم التماثيل الضخمة لـــ« القائد الضرورة » .

- **لكن هل يمكن الرهان على استمرار وحدة العراق فى ظل حالة التهميش التى يعيشـــها ٦٠% مـــن الشعب العراقى كلهم من الشيعة الذين لم يتعرضوا فقط للاضطهاد بل للإفقار أيضا ؟**

– منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ كانت هناك تبعية فى قوانين الجنسية حيـــث كانت الأولوية للسنة الذين يحملون الجنسية العثمانية فيما يعتبر الباقون فى درجـــة أقل، هذا التمييز كان موجودا إذن فى عهد الملكية بتحريض بريطانى لكن الدولة العراقية عملت دائما على تجاوز هذا الوضع حتى أثناء الحكم الملكى، فطالما قـــدم الشـــيعة كـــوزراء لكن الشعور الداخلى بالتمييز ظل موجودا غير أن العمل السياســـى والأيديولوجـــيات استطاع تقليص هذا الشعور إلى حدما وعندما جاءت حكومة الثورة الأولى أيام عبد الكريم قاسم انتهت الأحاسيس الطائفية خاصة أنه –

رغــم أخطائـــه – كان وطنيا عراقياً ينبذ الطائفية فكان أن أعطى حق الشراكة فى الوطــن وقــدم الأكراد والعرب معا كشركاء فى عراق واحد وهو ما انعكس على تركيـــبة الجــيش العراقى الذى ضم الشيعة والسنة والأكراد بل والمسيحيين أيضا وعـــادت الـــبذور الطائفية تظهر من جديد بعد انقلاب البعث على عبد الكريم قاسم فعـــاد التمييز والاضطهاد الذى برز أكثر فأكثر بسيطرة صدام حسين على مراكز الســـلطة حتى وصلت إلى حد ممارسة سياسة التطهير العرقى ضد الأكراد فقد دك أكثر من عشرة آلاف قرية عراقية كردية وقتل أكثر من مائة وثمانين ألف مواطن.

المؤكد أن رموز الشيعة وطنيون ناضلوا فى سبيل العراق وتحملوا ظلما شديدا وتوجههم العام لا يخرج عن النسيج الوطنى العراقى وهم لا يطالبون بدولة أو كيان شيعى مستقل وإنما يطالبون بممارسة حقوقهم فى إطار التعددية السياسية العراقية .

- **ومـــاذا عـــن مســـتقبل الوســـط السنى العروبى الذى لم يمثله طيلة السنوات الثلاثين الماضية إلا حزب البعث ؟**

– أعـــتقد أن حـــزب البعـــث لم يكن ممثلا للسنة أبدا ودعنى أقول إن جميع الأكـــراد ســـنة ولديهـــم حزبان كبيران هما الاتحاد الوطنى الكردستانى والحزب الديمقـــراطى ومـــنذ انسحاب صدام من كردستان العراق صاروا كيانا مستقلا ولم يتعاملوا أبدا ككيان سنى وإنما كيان عراقى. البعث إذن لا يمثل إلا البعث بعناصره الموجـــودة وهـــناك أحزاب تمتلئ بالسنة مثل الأحزاب اليسارية والقومية والوسط الليـــبرالى، لا يوجـــد حـــزب يمثل طائفة فى العراق وهناك مراجع دينية للسنة أو الشيعة ولا تعتبر نفسها أحزابا سياسية.

- **ولكن هل تقبلون بالبعث كحزب سياسى وأنتم على أعتاب مرحلة جديدة ؟**

– أعـــتقد أن علينـــا أن نفصل بين صدام والبعث كحزب وأذكر أن حوارات دارت بيننا والبعث فى بداية تأسيسه لكن معظم قياداته المحترمة التى جرى إعدامها كـــان من الممكن أن تغير شكل العراق لو قدرت لها الغلبة فى صراعها مع صدام فلقد كنت قريبا من أفكارهم ولاحظت تطورها بل وقبولهم بمبدأ التعددية السياسية.

لقد كانوا يؤمنون بالتطور من خلال الحزب على عكس صدام الذى كان ينظر إليه باعتباره أداة وعصا لترويع الشعب ورأيى أنه ينبغى إفساح المجال أمام البعث كعقيدة ورؤية سياسية حتى نتيح له فرصة النقـد الذاتى وبحث لماذا تحول حزبهم إلـى أداة دموية فالعقيدة تناقش بالعقيدة أما جرائم البعثيين فمكانها المحاكم وهى فى الحقـيقة ليسـت جرائم حزب بل شخص استخدم الحزب كأداة وإن كنت أرى أن نظـرية البعث قد تلقت ضربة قاصمة كأطروحة غير أن المعارضة تضم تنظيمات بعثـية يقودهـا أشـخاص كـانوا فـى قيادة الحزب مثل اللواء الخزرجى ورفيق السامرائى واللواء الصالحى وغيرهم من قادة الفيالق فى الحرب الإيرانية ولقد ساهم هـؤلاء فـى فضـح مساوئ النظام العراقى أكثر من المعارضة ذاتها وأذكر أننى التقيـت دبلوماسـيا عراقـيا بعثيا قبيل الحرب أثناء قمة عدم الانحياز الأخيرة فى كوالالمـبور وأكـد لـى موافقته وعدد كبير ممن يعملون إلى جوار صدام على أطروحة تنحيه متسائلا لكن من يعلق الجرس؟فإن سكينة صدام جاهزة دائما للذبح.

- **كيف تستشرف مستقبل عراق ما بعد الحرب ؟ وما مصير قوات الاحتلال ؟ هل ستجبرها المقاومة على الخروج ؟**

– الوجـود الأمريكى ليس إلا احتلالاً وهذه هى المعركة الكبرى التى تنتظر العراقيين وكل ما نطرحه هو تشكيل حكومة انتقالية تمثل التيارات السياسية العراقية تعمـل علـى التحضير لانتخابات حرة ومجلس تأسيس يضع دستورا دائما للعراق يعـبر عـن المطالب التعددية ويضمن حقوق الإنسان وحرية الصحافة والأحزاب وأثـناء هـذا نطالب بانسحاب للقوات الأمريكية لتحل محلها لجنة خاصة من الأمم المـتحدة حتى تجرى الانتخابات وتأتى حكومة ديمقراطية مستقرة وهذا هو برنامج مجموعـة المثقفين المستقلين ومنهم الدكتور عدنان الباجه جى وعلى القوى العربية الرافضة للاحتلال أن تتخلى عن كرسى المعلم للشعب العراقى وتتعاون مع القوى السياسـية العراقية فى إقامة عراق ديمقراطى ومقاومة قوات الاحتلال فنحن بصدد واقـع يحتاج إلى نقاشات معمقة فالمعركة ضد الاحتلال طويلة المدى وتحتاج إلى تفكير عقلانى وليس إلى هتافات.

- **لكن هل تعتقد أن الولايات المتحدة ستقبل بعراق ديمقراطى ؟**

– المقاومة الشعبية ستصعب مهمة قوات الغزو وإذا اقترنت المقاومة بتضامن عـربى وعـالمى حقـيقى فإن واشنطن ستكون فى موقف حرج فى الأمم المتحدة خصوصـا فـى ظل خلافاتها مع أوروبا وهى تفاعلات ستخلق إمكانية لانسحاب المحتل .

- **ومـاذا لـو أصرت أمريكا على البقاء عبر حكومة عميلة تضمن وجودها فى إطار اتفاقية أمنية؟**

– أعتقد أن الشعب العراقى سيقاوم مثل هذه الحكومة واستبعد لجوء واشنطن لمثل هذا السيناريو فهى غير مستعدة لأى صراع داخلى عراقى أمريكى فالمؤكد أن المقاومة الشعبية ستكون عارمة ضد أى شكل من أشكال وجود الاحتلال.

- **لكن ألا يعبر تصدى قوات الاحتلال للمظاهرات العراقية بالرصاص الحى وقتل المتظاهرين عن إصرارها على البقاء ؟**

– فى حالة وجود حكومة وطنية عراقية يمكن مواجهة الاحتلال وما حدث فى تلك المظاهرات يعبر عن الفراغ السياسى الذى يساعد على تكريس وجود الاحتلال الـذى سـيكون المحـك الحقيقـي أمام الحكومة القادمة التى ستقرر أمثل الطرق للمقاومة.

- **وماذا عن النضال المسلح ؟**

– يـأتى النضـال المسلح عادة عندما تتبلور الصورة وتبرز الحاجة وتنعدم الوسائل الأخرى للنضال فهو قرار ليس سهلا وله تبعاته ونتائجه ومقوماته وأعتقد أنـنا الآن فـى المرحلة الأولى من النضال حيث لم تتشكل بعد حكومة تقود عملية المقاومـة وإن كانت فرضية النضال المسلح ليست خارج السياق لكنها تحتاج إلى دراسة ظروفها وتوقيتها وإمكانياتها.

- **ومـــاذا عن علاقة عراق ما بعد الحرب بإسرائيل ؟ هل سيسعى للاعتراف بها تأمينا لحدودها الشرقية وفقا للاستراتيجية الأمريكية ؟**

– الاعتراف بإسرائيل مرتبط بالمبادرة العربية التى طرحها الأمير عبدالله فى قمـــة بيروت فلا اعتراف بإسرائيل دون أن تعترف هى أولا بحق الفلسطينيين فى دولة مستقلة غير منتقصة السيادة وعاصمتها القدس وهذا ما وافق عليه نظام صدام ولـــيس من المتصور أن يسمح الشعب العراقى لأى حكومة مهما كانت بالاعتراف بإسرائيل.

- **فى ضوء قراءاتك للخارطة الحزبية العراقية هل ثمة أحزاب كبيرة يمكنها أن تقود الشعب العراقى فى عملية مقاومة منظمة ؟**

– الأحـــزاب الكبـــيرة المتبلورة الآن هى الحزبان الكرديان الكبيران الاتحاد الوطـــنى والديمقراطى الكردستانى واتصور أن التيار القومى والليبرالى قادر على تأسيس حزبين كبيرين بالإضافة إلى الحزب الشيوعى العراقى الذى ضرب تنظيميا فى عهد صدام حسين وإن كان ما زال محتفظا بقاعدته الجماهيرية ولديه إمكانية إذا أحسن العمل أن يجمع قوى من أوساط عريضة هذا بخلاف حزب الدعوة الإسلامى والمجلـــس الأعلـــى للثورة الإسلامية ومعظم أعضائه من الشيعة وكلاهما يقر مبدأ فصل الدين عن الدولة .

- **ومـــاذا عـــن المخاوف التى تتردد عن احتمالية تفتيت العراق فى إطار مقولة الفيدرالية ؟**

– حتى فى عهد الدولة المركزية فقد صدام سيطرته على المنطقة الكردية بدءا من خط عرض ٣٦ ولم يكن بمقدور قواته دخول تلك المنطقة دون موافقة الأكراد كما عمد إلى تجفيف بحيرات الأهوار مسببا مشكلة بيئية ضخمة خوفا من تحركات الشـــيعة ضـــده فالدولة المركزية لا تأخذ قوتها وهيبتها إلا من برنامجها السياسى وتعاطـــيها مع مختلف التيارات السياسية فى العراق وحاليا يكرر الأكراد التزامهم بوحـــدة أراضى العراق معلنين أنهم جزء من الكيان العراقي الموحد، إن الفيدرالية

تضـــمن وحدة العراق مع إدخال بعض التعديلات على قانون الحكم الذاتى الخاص بالأكـــراد ومن الممكن حل مشكلة كركوك التى يتقاسمها العرب والكرد والتركمان بالمفاوضات .

- **رغـــم حساسية وضعك كعراقى عربى هل تؤمن بحق الأكراد كشعب فى تقرير المصير ؟**

– لم يرد أبدا فى أدبياتهم أى حديث عن دولة مستقلة ولا أبالغ إذا قلت إننى لم أكـــن أعـــرف الفـــارق بيـــن عربى وكردى إلا فى لحظات التمايز اللغوى بسبب اندمـــاجهم فـــى الحياة السياسية العراقية وأعتقد أن كردستان العراق أجمل مناطق العالم حق لكل العراقيين ومع ذلك فهم شعب كبير يشترك فى مقومات اللغة والثقافة وعلينا مراعاة واحترام ذلك ورغم كونى عربيا فأنا احترم حقهم فى تقرير المصير.

- **الـــتعدد الاثنى والطائفى يثمر دائما تعددية أو يحول على الأقل دون استمرار سيطرة الجزء على الكل .. لماذا حدث العكس فى عراق صدام ؟**

– الســـبب فـــى ذلك حالة الطغيان التى لم يسبق لها مثيل، فهو طغيان ممنهج ومبرمج بوسائل قمعية لا تعتمد على الجيش والمؤسسة العسكرية وإنما تعتمد على الحـــرس الجمهـــورى الذى يتكون من مناطق قرابية خاصة فالمخابرات والأجهزة القمعـــية الأخـــرى منـــتقاة ورؤساؤها من تكريت أو المناطق المحيطة بها والولاء العشـــيرى والقرابى أساس الترقى فأصبحت العائلة أداة للحكم فابتسرت الدولة فى الحـــزب وابتســـر الحزب فى التكارتة وابتسر التكارتة فى فخذ آل المجيد وعائلة الرئيس الذى يتولى ابناؤه قيادة أهم الأجهزة القمعية وكل هذا يسير بوتيرة متسارعة معـــززا بـــالفوائض النفطية والثروات الهائلة التى استغلت لبسط المزيد من هيمنة الفرد عبر عمليات الترغيب والترهيب الإثراء والإفقار لذلك كان طبيعيا أن ينتهى الأمـــر علـــى هـــذا الـــنحو فتخونه نفس النخب التى اصطفاها من فدائييه وحرسه الجمهورى.

- **فى هذا السياق هل ترجح سيناريو الصفقة ؟**

- المؤكد أن هناك صفقة ما أبرمت مع النخبة عبر عملاء للمخابرات المركزية «C.I.A» الذين اندسوا فى الدروع البشرية من الأجانب وكانوا مزودين بأجهزة غاية فى الدقة لرصد المعلومات وإرسالها للقيادة العسكرية الأمريكية وهم الذين اجروا المفاوضات مع كبار القادة العسكريين وعرضوا عليهم الأموال وحملهم وعائلاتهم إلى بلد آخر لذلك هبطت طائرة أمريكية فى مطار بغداد وحملت نحو مائتى شخص وعائلاتهم إلى بلد آخر فى حين سمح لباقى القادة بالاختفاء فى أماكن آمنة داخل العراق ووفقا للتحليلات الصحفية وسير المعارك فأنا أرجح سيناريو الصفقة وهو ما تؤكده تصريحات عقيد طيار عراقى لقناة أبو ظبى قائلا إن قائده طلب منه الانسحاب وارتداء الملابس المدنية مؤكدا له سقوط القيادة وهروب صدام وأسرته إلى خارج البلاد.

- **نحن فى مصر نختلف مع السيطرة السياسية للعسكر لكن يبقى الجيش المصرى فخرا لكل المصريين .. كيف تبرر فى هذا الإطار خيانة ضباط كبار لبلادهم وسماحهم بهذا السقوط المدوى لبغداد دون طلقة واحدة ؟**

- السبب فيما أعتقد هو شخص صدام حسين الذى أصبح وعائلته عبئا على النظام كله فالجميع ينطلق من قاعدة أنه يقودهم للهاوية دون أن يكونوا أصحاب قرار فى ذلك، وبالتالى فهم الذين سيتحملون النتيجة فإذا عرضت عليهم مبادرة لإنقاذ أرواحهم سارعوا إليها فلم تعد القضية بالنسبة إليهم مسألة جيش أو وطنية أو كرامة عراقية فهى قيم تنتمى لعهود مضت فالجيش العراقى قسم والسواد الأعظم منه لم يحارب بل آثر الهرب أو الاستسلام فيما كان القسم الآخر يقف وراءهم ليقتل كل من يحاول الهروب أو الاستسلام وبلغ الأمر حد وجود تشابك أمنى خطير بحيث يراقب كل قسم من الجيش القسم الآخر ففقد الجيش بناءه الموحد الذى يعمل فى سبيل هدف واحد وكانت الطامة هى أن يجد كبار القادة العسكريين المحترفين أنفسهم تحت إمرة ابناء الرئيس وأبناء عمومته الأصغر سنا والأقل خبرة فيرأس قصى مثلا ضابطاً بدرجة فريق وزير الدفاع الأمر الذى أدى لتحطيم كل القيم

والثوابت العسكرية وانظر مثلا إلى على الكيماوى الذى لم يكن ضابطا أصلا ووصل إلى منصب وزير الدفاع كما أعدم كل صدام الضباط الذين ابلوا بلاء حسنا فى الحرب العراقية الإيرانية بما فى ذلك شقيق زوجته الذى طلب منه عدم التدخل فى شئون الجيش.

- **نحن دائما نتهم العسكريين بالعنف فكيف تبرر الإفراط فيه فى ظل حكم البعث الذى يعتبر أول انقلاب ينجح فيه المدنيون فى إزاحة العسكريين من السلطة ؟**

– هـذا صحيح فصدام حسين الذى جاء عبر انقلاب عسكرى قرر أن يهمش العسكريين منذ اللحظة الأولى لذلك قمع بعنف وبأجهزته الأمنية المتشابكة كل المحاولات الانقلابية التى تمت فى عهده ومنها محاولة الضابط راجى التكريتى ومحاولة ضباط الطيران الذين خططوا لاغتيال عدى ثم نسف كل مشيعى جنازته من رموز النظام بالطيران وهى محاولات أعتقد أن الأمريكيين هم الذين كشفوها له حتى بعد فرض الحصار فى إطار رغبتهم فى الإبقاء على عراق مريض يقوده قائدأكثر مرضا، خاصة وأنه ساعدهم فى تحقيق أهدافهم السياسية ومنها منحهم أقوى مبررات وجود قواعدهم العسكرية فى الخليج وكذلك تجديد ترسانة السلاح الخليجى وهو هدف مهم لأمريكا واحتكارات السلاح ومن ثم استجلاب مليارات الدولارات وهناك هدف ثالث هو خروج العراق من المعادلة الإقليمية العربية خاصة وأن العراق عنصر مشاغب فى أي عملية تضامن عربى هذا بخلاف ما جنته الشركات الأمريكية من تعاملها السري معه وهذه هى رؤية الديمقراطيين له فى أمريكا حتى أنهم ضمنوا اتفاقهم مع الأكراد شرطا يقضى بعدم التحرش بالنظام العراقى مقابل توفير مظلة أمنية لهم وأخبرنى وقتها جلال طالبانى زعيم الاتحاد الوطنى الكردستانى أنهم طالبوهم بتقليص أى نشاط سياسى معارض لصدام حسين الأمر الذى تغير بمجيء الإدارة الجمهورية التى اعتمدت سياسات الهيمنة والسيطرة على العالم انطلاقا من قناعة مفادها أن صدام حسين خادم انتهت مدة صلاحيته.

- **بمـــاذا تفسر تقاعس المعارضة العراقية عن نشر تقارير المنظمات الحقوقية وبينها المنظمة العربية التى رصدت جرائم صدام حسين قبل الحرب ؟**

– المعارضة كشفت وفضحت كل شيء لكن أحدا لم يبد اهتماما فمثلا لم تهتم بريطانيا والولايات المتحدة بمذبحة حلابجة ونفس الشيء حدث على الصعيد العربى باســتثناء برقية ارسلتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان لصدام حسين حذرته فيها مـــن استمرار تلك المجازر لكن بعد عام ١٩٩١ فضحت الصحافة المصرية جرائم صدام حسين إثر تراشق حدث بين النظامين ثم ما لبث أن عادت الصحف لصمتها بـــل ولمغازلـــة النظام حيث تعددت رحلات طائرات الشارتر المملوءة بالصحفيين المصـــريين إلـــى مطـــار بغداد حيث يستقبلهم مسئولون عراقيون ثم يقودونـهم إلى الفـــنادق الكبرى ومن ثم إلى عدسات التليفزيون ليدلوا بتصريحات تصب فى نهاية الأمر فى خندق النظام القمعى.

- **كـــيف تـــنظر إلى الاتهامات التى تكال للمعارضة العراقية بالعمالة للأمريكيين واختصارها فى شخص أحمد الشلبى ؟**

– هـــؤلاء يـــتكلمون بلهجة دفاع عن النظام أكثر من أنصاره ولم يكتبوا كلمة واحـــدة دفاعا عن الشعب العراقى وأذكر أن أحد هؤلاء وهو ممثل معروف بميوله الراديكالـــية والعروبـــية خـــرج على العراقيين فى تليفزيونـهم بعد نجاح صدام فى الاستفتاء الأخير بنسبة ١٠٠% قائلا:«إن صدام قدر الشـــعب العراقى ولا حاجة له بإجراء استفتاء أو انتخابات»، ثم كيف تتهم المعارضة بكاملها بالعمالة فيما هى عدة معارضات لكل منها برنامج سياسى خاص ثم إن كل المعارضات فى العالم تتصل بـــدول فـــإذا كانـــت كل المعارضة عميلة فإن الشعب أيضا عميل ثم إن أغلب من اتصـــل بالأمريكييـــن مـــن المعارضة باستثناء المؤتمر الوطنى كانوا من القيادات البعثية القومية التى هربت من النظام.

- **فى هذا السياق ترى ما هو مستقبل المؤتمر الوطنى العراقى الذى نشأ بكامله فى أحضان الولايات المتحدة ؟**

– إذا كـنا بصدد عراق حر ونزيه فإن الشعب العراقى هو الوحيد المنوط به تحديد مستقبل المؤتمر الوطنى أو أى حزب سياسى آخر ولنفتح المجال للجميع إذا رغبنا حقا فى ديمقراطية حقيقية.

- **مـا حـدث فى العراق هل يمكن أن يكون جرس إنذار لتنبيه الأنظمة والنخب العربية لأهمية إحداث تغيير ديمقراطى قبل أن يفرض بالقوة ؟**

– للأسـف اعتاد العرب ألا يفكروا إلا بعد وقوع الكارثة ورغم أن ما حدث إنـذار للجمـيع إلا أنـه لا توجد مؤشرات تفيد بأن الأنظمة قد استوعبت الدرس ولا حـتى النخـب المثقفة التى انشغلت بالتراشق بالاتهامات بدلا من النقاش البناء لقراءة ما جرى موضوعيا.

- **ومـاذا عن الاتهامات الأخيرة التى تعرضت لها شخصيا بسبب دعوتك صدام حسين للتنحى ؟**

– أصـدرت مع مجموعة من المثقفين والسياسيين العراقيين المعارضين بيانا طالبـنا فيه صدام حسين بالتنحى تجنبا للحرب لكننى فوجئت بعدها بصحف تنشر اتهامات لى بالخيانة والعمالة مستندة إلى بيان على الإنترنت أصدرته رابطة تسمى نفسـها الـرابطة اليهودية ترحب ببيان المثقفين العراقيين ولم تكلف هذه الصحف نفسـها عـناء الاتصـال بـى للاستفسار عن حقيقة موقفى بل راحت تتهم منظمة التضامن الأفروآسيوى التى اتشرف بكونى سكرتيرها العام بالعمالة أيضا رغم أن هـذه المـنظمة انشأها عبد الناصر لتدعيم استقلال الدول الإفريقية والآسيوية فى مواجهـة الاستعمار، لقد انساقت هذه الصحف بحس غوغائى إلى أهداف تروج لها منظمات وأجهزة استخبارات صهيونية وأمريكية على النت الذى لا يمكن الاعتداد بـأي بـيانات أو معلومـات تنشـر فـيه لأنها فى الغالب تكون مجهولة المصدر فـ«روبرت فيسك» مثلا وهو كاتب بريطانى كبير متعاطف مع القضايا العربية

يرفض الاعتداد بها لدرجة أنه ينشر الشتائم التى تصل إليه عبر النت بسبب أسلوبه فــى تغطــية أحداث الانتفاضة الفلسطينية تحت عنوان الإرهاب الإسرائيلى، إن ما يفعله هؤلاء يؤكد أن النخب المثقفة العربية ليست مؤهلة لاستيعاب الدرس الحقيقى مما جرى.

- **كنت عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى .. كيف ترى الآن مستقبله السياسى ؟**

– أعــتقد أن الحزب الشيوعى كان ولايزال مؤهلا لأن يلعب دورا كبيرا فى الحياة السياسية العراقية إذا ما أحسن تقديم أفكاره على نطاق واسع وراعى القائمون عليه التطور الذى طرأ على المفاهيم الاشتراكية القديمة واتصور أن قضية العدالة الاجتماعية مهمة جدا لشعبنا الذى عانى طويلا من السرقة والنهب والاستغلال فإذا مــا طرح الحزب أفكارا تدعو إلى منح الشعب أكبر قدر من الامتيازات والحقوق الاقتصادية فسيوسع بذلك قاعدة الماركسية العراقية وكذلك إذا انتبه إلى أهمية قضية الحــريات والــتعددية السياسية فى إطار طرح اشتراكى ديمقراطى واسع أقول هذا بصفتى الحالية كمثقف مستقل لا كمعارض عراقى وإن كنت ما زلت منتميا للحزب الشــيوعى فكريا على عكس ما تقوله تلك الصحف المنساقة وراء ترهات الموساد علــى الإنترنت من أننى المتحدث الرسمى باسم اتحاد المعارضة العراقية رغم أنه لا وجــود لمثل هذا الكيان كما سبق أن نسبوا لى تصريحات لا علاقة لى بها تقول اننى اتهم مثقفين مصريين وصحفاً بعينها بتقاضى مبالغ مالية من صدام حسين رغم أن هــذا النهج لا اتبعه في أى نقاش أو خلاف سياسى فأنا انتقد النخب العربية فى مواقفهــا السياسية دون أن انساق وراء مرض إطلاق الشائعات والاتهامات، ومثل هذه الممارسات طفولية وتفتقد أدب الحوار وهى مؤشر خطير على عدم قدرة مثل هذه النخب على ممارسة الديمقراطية فى حوارها مع الآخر وهو ما يلقي بظلال من الشــك حــول قدرتهــا على انتزاع ديمقراطية تطالب الأباطرة العرب بها دون أن تمارسها هى مع نفسها.

- **نعـود للحزب الشيوعى هل تعتقد أن الولايات المتحدة ستسمح بدور مركزى لمثل هذا الحزب ؟**

- الحـزب الشيوعى هو الحزب الوحيد الذي يمثل نسيجا عراقيا متكاملا فهو يضـم فـى أعضـائه اكرادا وعربا ومسلمين ومسيحيين ، سنة وشيعة وتركمان وآشـوريين وبالنسـبة للموقـف الأمريكى منه أعتقد أن أولويات العداء للأحزاب الشـيوعية قـد اختلفت بسقوط الاتحاد السوفيتى لكن إذا قوى نفوذ هذا الحزب فى العـراق وبدأ يحدث تحولات جذرية فى الشارع السياسى العراقى فستلجأ واشنطن إلى الوقيعة بينه وبين غيره من الأحزاب الكبيرة كما فعلت فى إيطاليا عندما حدثت المسـاومة الكبـيرة بيـن الحـزب الشـيوعى بقيادة بولنجوير والحزب المسيحى الديمقـراطى فكـان أن دبرت المخابرات المركزية الأمريكية عملية اغتيال الزعيم المسـيحى الكبـير «الدومورو» بواسطة عملاء لها فى منظمة «الألوية الحمراء» المحسوبة على الشيوعيين.

- **إذن هل تحولت أولوية العداء أمريكيا إلى الإسلام؟**

- صـحيح أن الولايات المتحدة ساهمت فى تأسيس جماعات إسلامية أصولية مـتطرفة أثـناء فترة الحرب الباردة لمواجهة الشيوعيين فى أفغانستان مثل تنظيم القـاعدة وغيره إلا أنها تركتها بعد ذلك بعدأن انتهى دورها التاريخى وانقلبت تلك الجماعـات الإرهابية فيما بعد على صانعها إلا أن المسألة الأساسية فى هذا الشأن تتضـح جلـيا فـى صورة العدو الجديد التى قدمها صامويل هانتنجتون فى كتابه «صراع الحضارات» ممثلا فى الإسلام والكونفوشيوسية ليجيب بذلك على التساؤل الغربى الدائم من هو عدونا الجديد وهو التساؤل الذى طرح بقوة بعد سقوط الاتحاد السـوفيتى ومـن ثم يمكن القول إن الصراع ضد الإسلام الآن يستهدف فى حقيقته تطويـع الـدول العربـية الإسلامية أى أنه صراع مصالح يستهدف تطوير الدول العربية البترولية فى إطار العولمة ومتطلباتها كالشفافية، مثلا التى لا توفرها سوى أنظمـة ديمقراطية وهو ما نلحظة فى دول أمريكا اللاتينية الحديقة الخلفية للولايات

المــتحدة فهناك «هوجو شافيز» فى فنزويلا «ولولا» فى البرازيل الذي ذهب إلى «دافــوس» فى سياق قانون العولمة والأمر ذاته بالنسبة للصين التى تحرص على دقة علاقتها بالولايات المتحدة ونجحت فى حصر الصراع بينهما فى إطار العولمة أيضا والمصالح المتبادلة وتوازن القوى على عكس الوضع فى الدول العربية حيث لا مصـــالح متبادلة ولا توازن قوى فنحن لا نملك إلا الاستجابة لإملاءات الآخرين الأقوياء والمتفوقين فكل شيء بدءا من القضية الفلسطينية وخارطة الطريق مرورا بشــكل التنمــية الاقتصادية وقرارات صندوق النقد الدولى إملاء فى إملاء فالتعليم والتنمية فى هبوط فيما الأمية والفساد فى صعود مستمر.



المحتويات

مطابع الشرطة



مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع

شارع المرور - الدراسة تليفون: ٥٩٠٣٥٣٥ - ٥٩٠٣٠٣٠ فاكس: ٥٩٣٧٦٥٥

حوارات القاهرة

المثقفون والأزمة العراقية

يضـــم هـــذا الكتاب بين دفتيه ، مجموعة من الحـــوارات ، أجـــراها الكاتبان «على سعيد» و «على الفاتح» على امتداد فترة سبقت الحملة الأمريكية على العراق بحوالى شهر ، وتواصلت – بعد سقوط بغداد فى ٩ أبريل ٢٠٠٣ – لعدة شهور تالية ، دارت كلها ، حول رؤية شخصيات سياسية وفكرية ، مصـــرية وعربية وعراقـــية ، تنـــتمى إلى كل ألوان الطيف الســـياسى والفكرى ، لمقدمات وتداعيات هذا الحدث المفصلى فى تاريخ الأمة العربية .

ولأن هذه الحوارات ، قد جرت بينما يتشـــك ، وبينما جُرحه لا يزال طريًا ، فهى تجمع بين الرؤى والمشـــاعر ، وبين قراءة الواقع بكل قسوته ، وقراءة الحلم – أو الوهم – بكل رومانسيته ، وربما – لذلك – تصلح لكى تكون وثيقة مهمة على الطريقة التى قرأ بها المثقفون العـــرب ، وقائع تلك الفـــترة من التاريخ العربى المعاصر ، التى لا يزال مبكرًا حتى اليوم ، معرفة مدى ما سوف تحدثه من تأثيرات على مستقبل الأمة ..

وكان وراء الفكرة فى إجراء هذه المجموعة من الحو
التى نشرت على صفحات « القاهرة »– واقعة ذات دلالة

بين دفتى هذا الكتاب ما يكشف المستور ويجعل القار
بينة من كل ما يجرى فينا وحولنا .